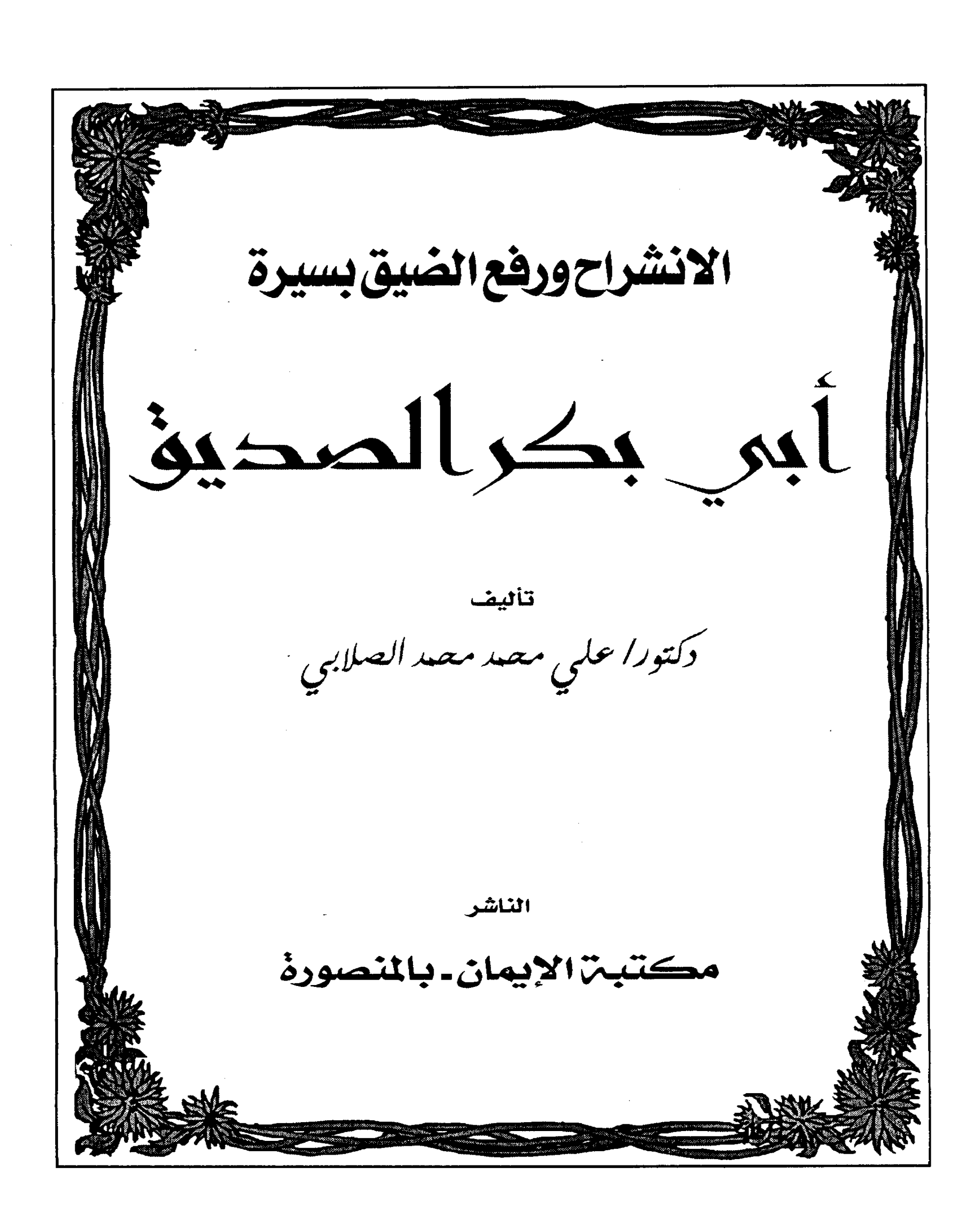


الانشراح ورفع الضيق بسيرة

أبي بكر الصديق

تأليف

دكتور/ علي محمد محمد الصلابي

الناشر

مكتبة الإيمان - بالمنصورة

بطاقة الفهرسة

فهرسة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الصلابي ، علي محمد محمد .

أبو بكر الصديق شخصيته و عصره / تأليف علي محمد محمد الصلابي

. ـ ط٢ . ـ المنصورة : مكتبة الإيمان ، ٢٠٠٦ .

٥٢٨ص ، ١٧x٢٤سم .

تدمك 0 ـ 285 ـ 290 ـ977

١ـ الخلفاء الراشدون . ٢ ـ أبو بكر الصديق (الخليفة) .

أ ـ العنوان .

٩٥٣,٠٢٥

مكتبة الإيمان رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٩٣٧٧

«كمبيوتر ٠١٢٢٥١١٢٠٣»



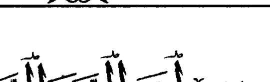
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين، وطلاب العلم المجتهدين، وأبناء الأمة الغيورين...

أهدي هذا الكتاب، سائلاً المولى (عز وجل) بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال (تعالى): ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠- ٧١).

أما بعد...

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

كان شغفي بسيرة الصديق (رضي الله عنه) منذ الطفولة، وكنت شديد الولع بالقراءة والسماع لسيرته العطرة، ومضت الأيام ومرت السنون، وأكرمني الله (تعالى) بالدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان من ضمن المواد المقررة في مادة التاريخ الإسلامي تاريخ الخلفاء الراشدين، وقد طلب الأستاذ المحاضر أن ندرس كتاب البداية والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير في ترجمة الصديق، ولم يكتف بكتاب التاريخ الإسلامي للشيخ محمود شاكر، فكانت لتلك الإرشادات أثر - بعد توفيق الله (تعالى) - للتعرف على حقيقة شخصية الصديق وعصره، وعندما سجلت بجامعة أم درمان الإسلامية رسالة الدكتوراة وكان عنوانها «فقه التمكين في القرآن الكريم وأثره في تاريخ الأمة» استقر البحث على ثلاثة أبواب، فقه التمكين في القرآن الكريم، فقه التمكين في السيرة النبوية، فقه التمكين عند الخلفاء الراشدين، وكانت أوراق البحث قد جاوزت ١٢٠٠ صفحة، فرأى الدكتور المشرف أن نكتفي بفقه التمكين في القرآن الكريم، وعدّل الخطة على هذا الأساس، وقدم مقترحه لمجلس الكلية فوافق على ذلك، وقال لي بعد المناقشة بإذن الله (تعالى) تستطيع أن تُخرج فقه التمكين في السيرة النبوية، وفقه التمكين عند الخلفاء الراشدين ككتب، لعل الله ينفع بها المسلمون، وبتوفيق الله

وبسبب ما ساقه من أسباب تطوّر كتاب فقه التمكين في السيرة النبوية وأصبح السيرة النبوية عرض لوقائعها وتحليل لأحداثها.

وهذا الكتاب الذي أقدم له الآن «أبو بكر الصديق شخصيته وعصره» يرجع الفضل في كتابته للمولى (عز وجل) ثم للأستاذ الدكتور المشرف على رسالة الدكتوراة، ومجموعة خيرة من الدعاة والشيوخ والعلماء الذين شجعوني على الاهتمام بدراسة عصر الخلفاء الراشدين، حتى أن أحدهم قال لي: أصبحت هناك فجوة كبيرة بين أبناء المسلمين وذلك العصر، وحدث خلط في ترتيب الأولويات حيث صار الشباب يلمّون بسير الدعاة والعلماء والمصلحين أكثر من إلمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين، وأن ذلك العصر غني بالجوانب السياسية، والإعلامية والأخلاقية والاقتصادية والفكرية، والجهادية والفقهية التي نحن في أشد الحاجة إليها، ونحتاج أن نتتبع مؤسسات الدولة الإسلامية، وكيف تطورت مع مسيرة الزمن، كالمؤسسة القضائية، والمالية، ونظام الخلافة، والمؤسسة العسكرية، وتعيين الولاة وما حدث من اجتهادات في ذلك العصر عندما احتكّت الأمة الإسلامية بالحضارة الفارسية والرومانية، وطبيعة حركة الفتوحات الإسلامية.

كانت بداية هذا الكتاب فكرة أراد الله لها أن تصبح حقيقة، فأخذ الله بيدي وسهل لي الأمور، وذلل الصعاب، وأعانني على الوصول للمراجع والمصادر، وأصبح هذا العمل همًّا سيطر على مشاعري، وتفكيري وأحاسيسي، فجعلته من أهدافي الكبرى، فسهرت له الليالي، ولم أُبالِ بالعوائق ولا الصعاب، والفضل لله (تعالى) الذي أعانني على ذلك، قال الشاعر:

الهول في دربي وفي هدفي ∴ وأظل أمضي غير مضطربِ
ما كنت من نفسي على خَوَرٍ ∴ أو كنت من ربي على رَيَبِ
ما في المنايا ما أحاذرهُ ∴ الله ملءُ القصد والأَرَبِ

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر، وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، فتاريخ الخلافة إذا أحسن عرضه يغذي الأرواح ويهذب النفوس، وينور العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العبر، وينضج الأفكار، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم وتربيته على منهاج النبوة، ونتعرف على حياة وعصر من قال الله فيهم:

﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (سورة التوبة، آية: ١٠٠).

وقال (تعالى): ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾ (سورة الفتح، الآية: ٢٩).

وقال فيهم رسول الله (ﷺ): «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم...**»[١].

وقال فيهم عبد الله بن مسعود: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد (ﷺ)، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٢].

فالصحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها فعصرهم خير العصور، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم، ورووا لها السنن والآثار عن رسول الله (ﷺ)، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح وهدي رشيد وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس، وقد عرف الأعداء من اليهود والنصارى والعلمانيين والماركسيين والروافض وغيرهم خطورة التاريخ وأثره في صياغة النفوس وتفجير الطاقات، فعملوا على تشويهه وتزويره وتحريفه وتشكيك الأجيال فيه.

فقد لعبت فيه الأيدي الخبيثة في الماضي وحرفته أيدي المستشرقين في الحاضر، ففي الماضي تعرض تاريخنا الإسلامي للتحريف والتشويه على أيدي اليهود والنصارى والمجوس والرافضة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، إذ رأوا أن كيد الإسلام على الحيلة أشد نكاية فيه وفي أهله، فأخذوا يدبرون المؤامرات في الخفاء لهدم الإسلام وتفتيت دولته، وتفريق أتباعه، وذلك عن طريق تزييف الأخبار، وترويج الشائعات الكاذبة، وتدبير الفتن ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقام عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه بالدور الكبير في إشعال نار الفتنة التي أودت بحياة الخليفة الراشدي الثالث، وكذلك إشعال المعركة بين المسلمين في موقعة الجمل بعد أن كاد يتم الصلح بين الطرفين، إلى غير ذلك من التحركات والمؤامرات التي قصد بها النيل من الإسلام وأتباعه هذا بالإضافة إلى الروايات الضعيفة والموضوعة الواردة في مصادر التاريخ الإسلامي – وهي تشوه سيرة الصحابة– كرواية التحكيم التي تتهم بعضهم بالخداع أو الغباء أو التعلق بالجاه والسلطة، والهدف من وضع هذه الروايات الطعن في الإسلام بطريقة غير مباشرة؛ لأن الإسلام لم يؤده لنا إلا الصحابة ، والتشكيك في ثقتهم وعدالتهم هو تشكيك بالتالي في صحة الإسلام... هذا وقد استغل المستشرقون هذه الروايات الموضوعة –ومن سار على نهجهم من أذنابهم ممن يتكلمون بلغتنا، فركزوا على التوسع في البحث فيها، بل كانت مغنمًا تسابقوا إلى اقتسامه ما دامت تخدم أغراضهم للطعن في الإسلام والنيل من أعراض الصحابة الكرام[٣]...

---

(١) مسلم (٤/١٩٦٣-١٩٦٤) . (٢) شرح السنّة – للبغوي (١/٢١٤-٢١٥) .

(٣) انظر: مقدمة الأستاذ سيد قطب لكتاب خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون ص٥ .

لقد قام الأعداء بصياغة تاريخنا وفق مناهجهم المنحرفة، وتأثر بعض المؤرخين المسلمين بتلك المناهج المستوردة، فأصبحت كتابتهم في العقود الماضية ترجمة حرفية لما كتبه المستشرقون والماركسيون والروافض واليهود وغيرهم من أعداء الأمة؛ وذلك لأنهم لا يملكون تصورًا حقيقيًا لروح الإسلام وطبيعته، حيث إن كتابة التاريخ الإسلامي تحتاج حتمًا إلى إدراك طبيعة الفكرة الإسلامية، ونظرتها إلى الحياة والأحداث والأشياء، ووزنها للقيم التي عليها الناس، وتأثيرها في الأرواح والأفكار وصياغتها للنفوس والشخصيات... ودراسة الشخصيات الإسلامية -على وجه خاص- تقتضي إدراكًا كاملاً لطبيعة استجابة الشخصيات الإسلامية لإيحاءات الفكرة الإسلامية، فإن طريقة استجابة تلك الشخصيات لهذه الإيحاءات مسألة هامة في صياغة شعورها بالقيم، وسلوكها في الحياة، وتفاعلها مع الأحداث، ولن يدرك طبيعة الفكرة الإسلامية، ولا طريقة استجابة الشخصيات الإسلامية لها إلا كاتب مؤمن بهذه الفكرة مستجيب لها من أعماقه لكي يكون إدراكه لها ناشئًا عن تلبس ضميره بها، لا عن رصدها من الخارج، بالذهن المتجرد البارد[١].

وبسبب غياب ذلك المنهج وقع بعض المعاصرين من المؤرخين والكتّاب والأدباء في تشويه صورة سلف هذه الأمة، وأظهروا الصحابة بمظهر التكالب على الدنيا وسفك الدماء للوصول إلى الغايات التي ينشدوها من الاستيلاء على الحكم والتنكيل بخصومهم، فتناولوا ذلك بعيدًا عن فهم حقيقة الجيل الذي تربى في مدرسة المصطفى (ﷺ)، وبعيدًا عن تأثرهم بالإسلام وعقيدته وأصوله وبسبب تلك الكتابات نشأ جيل لا يعرف عن تاريخه إلا الحروب وسفك الدماء والخداع والمكر والحيلة، وأصبحت صورة الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا مشوهة مما جعل بعض المسلمين يردد تلك الأباطيل دون أن يعي الحقيقة، بل مجرد أن تلك الأباطيل مسطرة في كتاب زيد أو عمرو من الكتّاب[٢].

إن إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السنّة والجماعة أصبح ضرورة ملحة لأبناء الأمة، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتّاب تصيغ التاريخ من هذا المنظور، وهم لم يبدوا من فراغ، لأن الله حمى دينه وحمى أمته، فقيض لتاريخ الصحابة من يحقق وقائعه ويصحح أخباره، ويكشف الستار عن الوضاعين والكذابين من ملفقي الأخبار، ويرجع الفضل في ذلك التصحيح إلى الله، ثم أهل السنّة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين، الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ما وضعه الملفقون[٣]. وقد سرت على أصول منهج أهل السنّة، فعكفت على المصادر والمراجع القديمة والحديثة ولم أعتمد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكُتب التاريخ المشهورة فقط، بل رجعت إلىٰ كتب التفسير، والحديث وشروحها، وكتب التراجم

---

(١) انظر: مقدمة الأستاذ سيد قطب لكتاب خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون ص٥ .

(٢) انظر: أبو بكر (رضي الله عنه) - محمد مال الله ص١٥،١٦ .

(٣) انظر: المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ - د. محمد المحزون ص٤ .

والجرح والتعديل ، وكتب الفقه ، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة.

وقد بدأت بالكتابة عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) متناولاً شخصيته وعصره، فهو سيد الخلفاء الراشدين وقد حثنا رسول الله (ﷺ) وأمرنا باتباع سنتهم والاهتداء بهديهم. قال (ﷺ): «**عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[١]، فأبو بكر (رضي الله عنه) سيد الصديقين وخير الصالحين بعد الأنبياء والمرسلين، فهو أفضل أصحاب رسول الله (رضي الله عنه) وأعلمهم وأشرفهم على الإطلاق، فقد قال فيه رسول الله (ﷺ): «**لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي**»،[٢] وقد قال فيه رسول الله (ﷺ) وفي عمر أيضًا: «**اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»[٣] ، وشهد له عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) بقوله: أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله (ﷺ)[٤] ، وقال عنه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما سأله ابنه محمد بن الحنفية بقوله : أي الناس خير بعد رسول الله ؟ قال (رضي الله عنه): أبو بكر[٥].

إن حياة أبي بكر (رضي الله عنه) صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي ، الذي بهر كل تاريخ وفاقه ، والذي لم تَحْوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من الشرف والمجد، والإخلاص والجهاد والدعوة لأجل المبادئ السامية؛ لذلك قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره في المراجع والمصادر واستخرجتها من بطون الكتب، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها لكي تصبح في متناول الدعاة والخطباء والعلماء والساسة ورجال الفكر وقادة الجيوش، وحكام الأمة وطلاب العلم، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم، ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.

لقد تتبعت صفات الصديق وفضائله ومشاهده في ميادين الجهاد مع رسول الله (ﷺ)، وحياته في المجتمع المدني ومواقفه العظيمة بعد وفاة رسول الله (ﷺ) وكيف ثبّت الله به الأمة؟ وسلطت الأضواء على سقيفة بني ساعدة وما تم فيها من حوار ونقاش بين المهاجرين والأنصار، ونسفت الشبهات والأباطيل التي ألصقت بتاريخ سقيفة بني ساعدة، من قِبَل المستشرقين والروافض ومن سار على نهجهم، وبينت موقف الصديق من إرسال جيش أسامة، وما في هذا الحدث العظيم من دروس في الشورى، والدعوة والحزم، والاقتداء برسول الله (ﷺ)، وردّ الخلاف إلى الكتاب والسنّة، وآداب الجهاد وصورته المشرقة التي تمثلت في تعاليم الصديق لجيش أسامة (رضي الله عنهم).

وقد قمت بتوضيح أحداث الردة، فتحدثت عن أسبابها وأصنافها، وبدايتها في أواخر العصر النبوي، وموقف الصديق منها في خلافته، وخطته التي وضعها للقضاء عليها،

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤) حديث حسن صحيح .
(٢) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٥٦ .
(٣) صحيح سنن الترمذي - للألباني (٣/ ٢٠٠) .
(٤) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٦٨ .
(٥) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٧١ .

وأساليبه التي استخدمها في حروبه ضد المرتدين، وقد وقفت مع مؤهلات الصديق التي توفرت في شخصيته والتي استطاع بها -بعد توفيق الله- أن يسحق حركة الردة، وقد تحدثت عن عصره وكيف تحققت شروط التمكين وأسبابه، وصفات جيل التمكين في ذلك العهد الذي قاده الصديق؟ وأشرت إلى سياسة الصديق في محاربة التدخل الأجنبي في دولته، وذكرت أهم نتائج أحداث الردة، من تميز الإسلام عما عداه من تصورات وأفكار وسلوك، وضرورة وجود قاعدة صلبة للمجتمع، وتجهيز الجزيرة كقاعدة للفتوح الإسلامية، والإعداد القيادي لحركة الفتوح، والفقه الواقعي للردة، وسنة الله في إحاقة المكر السيئ بأهله، واستقرار النظام الإداري في الجزيرة، وتكلمت عن فتوحات الصديق، فبينت خطته في فتح العراق، وسرت مع خالد في فتوحاته حتى ضم جنوب العراق وشماله بمعاركه العظيمة التي ظهرت فيها بطولات نادرة من المثنى بن حارثة والقعقاع بن عمرو وخالد بن الوليد وجيوشهم المظفرة، فكانت تلك المعارك الخطوة الأولى لمعارك الفتوح الكبرى التي جاءت بعد عصر الصديق، والتي أنارت تاريخ الأمة في مشوارها الطويل لنشر دين الله والجهاد في سبيله قال الشاعر:

فالقادسية ما يزال حديثُها ∴ عِبَرٌ تضيء بأطيب الألوان
تحكي مفاخَرنا وتذكر مجدَنا ∴ فَتجيبها حطّين بالمنوال
صفحات مجد في الخلود سطورُها ∴ دان الرجال لها بغير جدال
وكأنني بابن الوليد وجنده ∴ وبكلٍ كفٌ لامع الأنصال
نشروا على أرض الخليل لواءهم ∴ فغدا يظلّل أطهر الأطلال
وعن اليمين أبو عبيدة قد أتى ∴ وأتى صلاح الدين صوبَ شمال
يَسعى إليهم قد شَرَوْا أرواحهم ∴ لله بعد تسابق لقتال
فهم الأعزّةُ في كتاب خالدٍ ∴ ما بعد قول الله من أقوال

هذا، وقد حرصت على بيان وإظهار الرسائل التي كانت بين الصديق وخالد بن الوليد وعياض بن غنم (رضي الله عنهم) المتعلقة بفتوح العراق، وقد فصلت الخطوات التي سار عليها أبو بكر في فتوحات الشام، فتحدثت عن عزمه في غزو الروم، ومشورته لكبار الصحابة في جهادهم، وعن استنفاره لأهل اليمن، وخطته في إرسال الجيوش ووصاياه للقادة الذين بعثهم لفتح الشام، ومتابعته لهم وإمداده بالرجال والعتاد، والتموين، ونقله لخالد من ميادين العراق إلى قيادة جيوش الشام، وما تمّ في معركة أجنادين واليرموك، واستخرجت من حركة الفتوحات بعض معالم الصديق في سياسته الخارجية، من بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم، ومواصلة الجهاد الذي أمر به النبي (ﷺ)، والعدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها، ورفع الإكراه عنهم وإزالة الحواجز البشرية بينهم وبين الدعاة، ووضحت بعض معالم التخطيط الحربي عند الصديق، في عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، وعن قدرته في التعبئة وحشد

القوات، وتنظيم عملية الإمداد المستمرة، وتحديد هدف الحرب، وإعطاؤه الأفضلية لمسارح العمليات، وعزله لميدان المعركة، وتطويره لأساليب القتال، وحرصه على سلامة خطوط الاتصال بينه وبين قادة الجيوش، وبينت حقوق الله، والقادة والجنود من خلال وصاياه التي ألزم بها قادة حربه، وتحدثت عن استخلافه لعمر وعن أيامه الأخيرة في هذه الحياة الفانية، وعن آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا بقول الله (تعالى): ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾.

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أبين كيف فهم الصديق الإسلام، وعاش به في دنيا الناس؟ وكيف أثر في مجريات الأمور في عصره؟ وتحدثت عن جوانب شخصيته المتعددة، السياسية، والعسكرية، والإدارية، وعن حياته في المجتمع الإسلامي لما كان أحد رعاياه، وبعد أن أصبح خليفة رسول الله (ﷺ) وركزت على دور أبي بكر الصديق كرجل دولة مميز من الطراز النادر، وعن سياسته الداخلية والخارجية وأساليبه الإدارية، وعن مؤسسة القضاء كيف كانت بدايتها في عصره؟ لكي نستطيع متابعة التطورات التي حدثت لها ولغيرها من مؤسسات الدولة عبر العصر الراشدي والتاريخ الإسلامي.

إن هذا الكتاب يبرهن على عظمة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ويثبت للقارئ بأنه كان عظيمًا بإيمانه، عظيمًا بعلمه، عظيمًا بفكره، عظيمًا ببيانه، عظيمًا بخلقه، عظيمًا بآثاره فقد جمع الصديق العظمة من أطرافها، وكانت عظمته مستمدة من فهمه، وتطبيقه للإسلام وصلته العظيمة بالله، واتباعه الشديد لهدي الرسول الكريم (ﷺ)، إن أبا بكر (رضي الله عنه) من الأئمة الذين يرسمون للناس خط سيرهم ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكبير لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء، سميع الدعاء.

هذا، وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى مقدمة وأربعة فصول وخلاصة وهي كالآتي:

المقدمة:

الفصل الأول: أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في مكة.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته وحياته في الجاهلية.

المبحث الثاني: إسلامه ودعوته وابتلاؤه وهجرته الأولى.

المبحث الثالث: هجرته مع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة.

المبحث الرابع: الصديق في ميادين الجهاد.

المبحث الخامس: الصديق في المجتمع المدني وبعض صفاته وشيء من فضائله.

● ● ●

هذا، وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الجمعة بعد صلاة العشاء بتاريخ ٥ من شهر المحرم لعام ١٤٢٢هـ الموافق ٣٠ / مارس من عام ٢٠٠١م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل هذا العمل قبولا حسنًا وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال (تعالى): ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة فاطر، آية: ٢).

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بين يدي الله (عز وجل)، معترفًا بفضله وكرمه وجوده، فهو المتفضِّل وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفِّق، فله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً وآخرًا، وأسأله (سبحانه) بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبي

٥/١/١٤٢٢ هـ





الفصل الأول

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في مكة




اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته وحياته في الجاهلية

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[١]، ويلتقي مع النبي (ﷺ) في النسب في الجد السادس مرة بن كعب[٢] ويكنى بأبي بكر، وهي من البكر وهو الفتى من الإبل، والجمع بكارة وأبكر وقد سمَّت العرب بكرًا، وهو أبو قبيلة عظيمة[٣] ولُقب أبو بكر (رضي الله عنه)، بألقاب عديدة كلها تدل على سمو المكانة، وعلو المنزلة وشرف الحسب منها:

١- العتيق:

لقبّه به النبي (ﷺ)؛ فقد قال له (ﷺ): **«أنت عتيقُ الله من النار»** فسُمِّيَ عتيقًا [٤] وفي رواية عائشة قالت: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله (ﷺ)، فقال له رسول الله (ﷺ): **«أبشر فأنت عتيق الله من النار»**[٥].

فمن يومئذ سُمي عتيقًا[٦]، وقد ذكر المؤرخون أسبابًا كثيرة لهذا اللقب، فقد قيل: إنما سمي عتيقًا لجمال وجهه[٧]، وقيل لأنه كان قديمًا في الخير[٨]، وقيل سمي عتيقًا لعتاقة وجهه،[٩] وقيل إن أم أبي بكر كان لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي[١٠]، ولا مانع للجمع بين بعض هذه الأقوال، فأبي بكر جميل الوجه، حسن النسب، صاحب يد سابقة إلى الخير، وهو عتيق الله من النار بفضل بشارة النبي (ﷺ) له[١١].

---

(١) الإصابة - لابن حجر (٤/ ١٤٤، ١٤٥) .
(٢) سيرة وحياة الصديق - مجدي فتحي السيد ص٢٧ . (٣) أبو بكر الصديق - علي الطنطاوي ص٤٦ .
(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٨٠)، وإسناده صحيح .
(٥) رواه الترمذي - رقم ٣٦٧٩ - في المناقب، وصححه الألباني في السلسلة ١٥٧٤ .
(٦) أصحاب الرسول - محمود المصري (١/ ٥٩) . (٧) المعجم الكبير - للطبراني (١/ ٥٢) .
(٨) الإصابة (١/ ١٤٦) . (٩) المعجم الكبير (١/ ٥٣)، الإصابة (١/ ١٤٦).
(١٠) الكنى والأسماء - للدولابي (١/ ٦) نقلاً عن خطب أبي بكر - محمد أحمد عاشور، جمال الكومي ص١١
(١١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين - د. يسري محمد هاني ص٣٦ .

٢- الصديق:

لقبه به النبي (ﷺ)، ففي حديث أنس (رضي الله عنه) أنه قال: أن النبي (ﷺ) صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فوجف بهم فقال: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[١].

وقد لقب بالصديق لكثرة تصديقه للنبي (ﷺ)، وفي هذا تروي أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، فتقول: لما أسري بالنبي (ﷺ) إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناسٌ، كانوا آمنوا به وصدقوه وسعى رجال إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أن أسري به الليلة إلى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!! قال نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سُمي أبو بكر الصديق[٢].

وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق الرسول (ﷺ) ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبدًا[٣]، فقد اتصف بهذا اللقب ومدحه الشعراء:

قال أبو محجن الثقفي:

وسُمِّيت صديقًا وكل مهاجر ∴ سواك يُسَمَّى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد ∴ وكنت جليسًا في العريش المشهر[٤]

وأنشد الأصمعي[٥]، فقال:

ولكني أحبّ بكل قلبي ∴ وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصدِّيق حبًّا ∴ به أرجو غدًا حسن الثواب[٦]

٣- الصاحب:

لقبه به الله (عزَّ وجلَّ) في القرآن الكريم: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة، الآية: ٤٠) وقد أجمع العلماء على أن الصاحب المقصود هنا هو أبو بكر (رضي الله عنه)[٧]، فعن أنس أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبي (ﷺ) وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه!! فقال النبي (ﷺ): «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[٨].

---

(١) البخاري – كتاب فضائل أصحاب النبي – باب فضل أبي بكر (٥/ ١١).
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢-٦٣) وصححه وأقره الذهبي. (٣) الطبقات الكبرى (٢/ ١٧٢).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣١٠). (٥) هو عبد الملك بن قريب الباهلي، راوية العرب، ونابغة الدنيا في الحفظ.
(٦) أبو بكر الصديق – للطنطاوي ص٤٩.
(٧) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء – يسري محمد هاني ص٣٩.
(٨) البخاري – فضائل الصحابة – رقم ٣٦٥٣.

قال الحافظ رحمه الله: ومن أعظم مناقبه قول الله (تعالى): ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله (تعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فإن المراد بصاحبه هنا أبو بكر بلا منازع[١]، والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في المنقبة غيره[٢].

٤- الأتقى:

لقبه به الله (عزَّ وجلَّ) في القرآن العظيم في قوله (تعالى): ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (سورة الليل، الآية: ١٧). وسيأتي بيان ذلك في حديثنا عن المعذبين في الله الذين أعتقهم أبو بكر (رضي الله عنه).

٥- الأواه:

لقب أبو بكر بالأواه وهو لقب يدل على الخوف والوجل والخشية من الله (تعالى)، فعن إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر يسمى بالأواه لرأفته ورحمته[٣].

ثانيًا: مولده وصفته الخِلقية:

لم يختلف العلماء في أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعد عام الفيل، فبعضهم قال بثلاث سنين، وبعضهم ذكر بأنه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا بسنتين وأشهر ولم يحددوا عدد الأشهر[٤]، وقد نشأ نشأة كريمة طيبة في حضن أبوين لهما الكرامة والعز في قومهما مما جعل أبا بكر ينشأ كريم النفس، عزيز المكانة في قومه[٥].

وأما صفته الخلقية، فقد كان يوصف بالبياض في اللون، والنحافة في البدن، وفي هذا يقول قيس بن أبي حَازم: دخلت على أبي بكر، وكان رجلاً نحيفًا، خفيف اللحم أبيض[٦]، وقد وصفه أصحاب السير من أفواه الرواة فقالوا: إن أبا بكر (رضي الله عنه) اتصف بأنه: كان أبيض تخالطه صُفرة، حسن القامة، نحيفًا خفيف العارضين، أجنأ[٧]، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه [٨]رقيقًا معروق الوجه[٩]، غائر العينين[١٠]، أقنى،[١١] حمش الساقين[١٢]، محموص الفخذين[١٣]وكان ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع[١٤]ويخضب لحيته، وشيبه بالحناء والكتم[١٥].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٤٨).
(٢) نفس المصدر (٤/١٤٨).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/١٧١).
(٤) سيرة وحياة الصديق - مجدي فتحي السيد - ص٢٩، تاريخ الخلفاء ص٥٦.
(٥) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ص٣٠.
(٦) الطبقات - لابن سعد (٣/١٨٨) إسناده صحيح.
(٧) الجنأ: ميل في الظهر.
(٨) حقويه: الحقو هو معقد الإزار، يعني الخصر.
(٩) المعروق: هو قليل اللحم.
(١٠) غائر العينين: دخلت في الرأس.
(١١) أقنى واستقنى: حَفظَ حياءه ولزمه.
(١٢) حمش الساقين: دقيق الساقين.
(١٣) المحموص: هو الشديد الخلق في الفخذين، مع قلة اللحم بهما.
(١٤) الأشاجع: هو مفاصل الأصابع.
(١٥) البخاري - رقم ٥٨٩٥، ومسلم ٢٣٤١، أبو بكر الصديق - مجدي السيد ص٣٢.

ثالثاً: أسرته:

أما والده، فهو عثمان بن عامر بن عمرو يكنى أبا قحافة أسلم يوم الفتح، وأقبل به الصديق على رسول الله (ﷺ) فقال: يا أبا بكر هلا تركته، حتى نأتيه، فقال أبو بكر: هو أولى أن يأتيك يا رسول الله، فأسلم أبو قحافة وبايع رسول الله (ﷺ)[١]، ويروى أن رسول الله (ﷺ) هنأ أبا بكر بإسلام أبيه[٢]، وقال لأبي بكر غيروا هذا من شعره، فقد كان رأس أبي قحافة مثل الثغامة[٣].

وفي هذا الخبر منهجٌ نبويٌ كريمٌ سنَّهُ النبي (ﷺ) في توقير كبار السن واحترامهم ويؤكد ذلك قوله (ﷺ): «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا**»[٤].

وأما والدة الصديق، فهي سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وكنيتها أم الخير، أسلمت مبكرًا وسيأتي تفصيل ذلك في واقعة إلحاح أبي بكر على النبي(ﷺ) على الظهور بمكة[٥].

وأما زوجاته، فقد تزوج (رضي الله عنه) من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث وهنّ على التوالي:

١- قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك:

اختلف في إسلامها[٦]، وهي والدة عبد الله، وأسماء وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية- وقد جاءت بهدايا فيها أقط وسمن إلى ابنتها أسماء بنت أبي بكر بالمدينة، فأبت أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فأرسلت إلى عائشة تسأل النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ): «لتُدْخلها ولتقبل هديتها»، وأنزل الله (عزَّ وجلَّ): ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الممتحنة، الآية: ٨) أي لا يمنعكم الله من البر والإحسان وفعل الخير إلى الكفار الذين سالموكم ولم يقاتلوكم في الدين كالنساء، والضعفة منهم، كصلة الرحم، ونفع الجار، والضيافة، ولم يخرجوكم من دياركم، ولا يمنعكم أيضًا من أن تعدلوا فيما بينكم وبينهم، بأداء ما لهم من الحق، كالوفاء لهم بالوعود، وأداء الأمانة، وإيفاء أثمان المشتريات كاملة غير منقوصة، إن الله يحب العادلين، ويرضى عنهم، ويمقت الظالمين ويعاقبهم[٧].

٢- أم رومان بنت عامر بن عويمر:

من بني كنانة بن خزيمة، مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة بمكة، فتزوجها أبو بكر،

---

(١) الإصابة (٤/ ٣٧٥).

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٥٧٧ .

(٣) الإصابة (٤/ ٣٧٥)، الثغامة نبات أبيض يشبه به الشيب .

(٤) الترمذي - كتاب البر - باب ١٥ .

(٥) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص٣٠ .

(٦) الطبقات - لابن سعد (٣/ ١٦٩)، (٨/ ٢٤٩).

(٧) التفسير المنير - للزحيلي (٢٨/ ١٣٥) .

وأسلمت قديمًا، وبايعت، وهاجرت إلى المدينة وهي والدة عبد الرحمن وعائشة (رضي الله عنهم) وتوفيت في عهد النبي (ﷺ) بالمدينة سنة ست من الهجرة[١].

٣- أسماء بنت عُميس بن معبد بن الحارث:

أم عبد الله، من المهاجرات الأوائل، أسلمت قديمًا قبل دخول دار الأرقم، وبايعت الرسول (ﷺ) وهاجر بها زوجها جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى الحبشة، ثم هاجرت معه إلى المدينة فاستشهد يوم مؤتة، وتزوجها الصديق فولدت له محمدًا، روى عنها من الصحابة: عمر، وأبو موسى، وعبد الله بن عباس، وأم الفضل امرأة العباس، فكانت أكرم الناس أصهارًا فمن أصهارها: رسول الله (ﷺ) وحمزة، والعباس وغيرهم[٢].

٤- حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير:

الأنصارية، الخزرجية وهي التي ولدت لأبي بكر أم كلثوم بعد وفاته وقد أقام عندها الصديق بالسُّنح[٣].

● **وأما أولاد أبي بكر (رضي الله عنهم) فهم:**

١- عبد الرحمن بن أبي بكر:

أسن ولد أبي بكر: أسلم يوم الحديبية، وحسن إسلامه وصحب رسول الله (ﷺ) وقد اشتهر بالشجاعة وله مواقف محمودة ومشهودة بعد إسلامه[٤].

٢- عبد الله بن أبي بكر:

صاحب الدور العظيم في الهجرة، فقد كان يبقى في النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم ثم يتسلل في الليل إلى الغار لينقل هذه الأخبار لرسول الله (ﷺ) وأبيه، فإذا جاء الصبح عاد إلى مكة، وقد أصيب بسهم يوم الطائف، فماطله حتى مات شهيدًا بالمدينة في خلافة الصديق[٥].

٣- محمد بن أبي بكر:

أمه أسماء بنت عميس، ولد عام حجة الوداع وكان من فتيان قريش، عاش في حجر علي بن أبي طالب، وولاه مصر، وبها قتل[٦].

٤- أسماء بنت أبي بكر:

ذات النطاقين أسن من عائشة، سماها رسول الله (ﷺ) ذات النطاقين؛ لأنها صنعت لرسول الله (ﷺ) ولأبيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ما تشدها به فشقت نطاقها، وشدت به

(١) الإصابة (٨/ ٣٩١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٢).
(٣) منازل بني الحارث بن الخزرج في عوالي المدينة.
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٦).
(٥) نسب قريش ص٢٧٥.
(٦) نسب قريش ص٢٧٧، الاستيعاب (٣/ ١٣٦٦).

السفـرة فسمـاها النبي (ﷺ) بذلك، وهي زوجة الـزبير بن العوام وهاجـرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بعد الهـجرة فكان أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، بلغت مائة سنة ولم ينكر من عقلها شيء، ولم يسـقط لها سن، روي لها عن الرسول (ﷺ) ستـة وخمسون حـديثًا، روى عنها عبد الله بن عباس، وأبناؤها عبـد الله وعروة، وعبد الله بن أبي مُلَيْكة وغيرهم وكانت جوادة منفقة توفيت بمكة سنة ٧٣هـ[١].

٥- عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها):

الصديقة بنت الصـديق تزوجها رسول الله (ﷺ) وهي بنت ست سنين، ودخل بهـا وهي بنت تسع سنين، وأعرس بها في شـوال، وهي أعلم النساء، كناها رسول الله (ﷺ) أم عبـد الله، وكان حبه لها مثالاً للزوجية الصالحة[٢].

كان الشـعبي يحـدث عن مسـروق أنه إذا تحدث عن أم المؤمنين عـائشة يقول: حـدثتني الصديقة بنت الصـديق المبرأة حبيبـة حبيب الله (ﷺ)، ومُسنَدهـا يبلغ ألفين ومائتين وعـشرة أحاديث (٢٢١٠) اتفق البـخاري ومسلم على مـائة وأربعة وسبعـين حديثًا، وانفرد البـخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين[٣]، وعاشت ثلاثًا وستين سنة وأشهرًا، وتوفيت سنة ٥٧هـ، ولا ذرية لها[٤].

٦- أم كلثوم بنت أبي بكر:

أمها حـبيبة بنت خارجة، قـال أبو بكر لأم المؤمنين عائشة حين حضـرته الوفاة: إنما هما أخواك وأختاك فقـالت: هذه أسماء قد عرفتها فمن الأخـرى قال: ذو بطن بنت خارجة، قد ألقي في خلدي أنها جارية فكانت كما قال: وولدت بعد موته[٥]، تزوجها طلحة بن عبيد الله وقتل عنها يوم الجمل، وحجت بها عائشة في عدتها فأخرجتها إلى مكة[٦].

هذه هي أسرة الصديق المبـاركة التي أكرمها الله بالإسلام، وقد اخـتص بهذا الفضل أبو بكر (رضي الله عنه) من بين الصحابة، وقد قال العلماء: لا يعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله (ﷺ)، إلا آل أبي بكر الصديق وهم: عبد الله بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، فهؤلاء الأربعة صحابة مـتناسلون، وأيضًا محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة (رضي الله عنه)[٧].

وليس من الصحابة من أسـلم أبوه وأمه وأولاده، وأدركوا النبي (ﷺ) وأدركه أيضـًا بنو

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٧).
(٢) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص٣٤.
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥، ١٣٩).
(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨).
(٥) الطبقات (٣/ ١٩٥).
(٦) نسب قريش ص٢٧٨، الإصابة (٨/ ٤٦٦)، تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص٣٥.
(٧) أبو بكر الصديق – محمد رشيد رضا ص٧.

أولاده: إلا أبو بكر من جهة الرجال والنساء -وقد بينت ذلك- فكلهم آمنوا بالنبي وصحبوه، فهذا بيت الصديق، فأهله أهل إيمان، ليس فيهم منافق ولا يعرف في الصحابة مثل هذا لغير بيت أبي بكر (رضي الله عنهم).

وكان يقال: للإيمان بيوت وللنفاق بيوت، فبيت أبي بكر من بيوت الإيمان من المهاجرين، وبني النجار من بيوت الإيمان من الأنصار[١].

رابعاً: الرصيد الخلقي للصديق في المجتمع الجاهلي:

كان أبو بكر الصديق في الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم وأحد رؤسائهم، وذلك أن الشرف في قريش قد انتهى قبل ظهور الإسلام إلى عشرة رهط من عشرة أبطن، فالعباس بن عبد المطلب من بني هاشم، وكان يسقي الحجيج في الجاهلية، وبقي له ذلك في الإسلام وأبو سفيان بن حرب من بني أمية، وكان عنده العقاب راية قريش، فإذا لم تجتمع قريش على واحد رأسوه هو وقدموه، والحارث بن عامر بن بني نوفل، وكانت إليه الرفادة، وهي ما تخرجه قريش من أموالها، وترفد به منقطع السبيل، وعثمان بن طلحة بن زمعة بن الأسود من بني أسد، وكانت إليه المشورة فلا يُجمع على أمر حتى يعرضوه عليه، فإن وافق ولاهم عليه، وإلا تخيّر وكانوا له أعوانًا، وأبو بكر الصديق من بني تيم، وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم، فكان إذا حمل شيئًا فسأل فيه قريشًا صدقوه، وأمضوا حمالة من نهض معه، وإن احتملها غيره خذلوه، وخالد بن الوليد من بني مخزوم، وكانت إليه القبة والأعنة، أما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب، وعمر بن الخطاب من بني عدي، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وصفوان بن أمية من بني جمح، وكانت إليه الأزلام، والحارث بن قيس من بني سهم، وكانت إليه الحكومة وأموال آلهتهم[٢].

لقد كان الصديق في المجتمع الجاهلي شريفًا من أشراف قريش وكان من خيارهم، ويستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد[٣].

وقد اشتهر بعدة أمور منها:

١- العلم بالأنساب:

فهو عالم من علماء الأنساب وأخبار العرب، وله في ذلك باع طويل جعله أستاذ الكثير من النسابين كعقيل بن أبي طالب وغيره، وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي: أنه لم يكن يعيب الأنساب، ولا يذكر المسالب بخلاف غيره[٤]، فقد كان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما فيها من خير وشر[٥].

---

(١) أبو بكر الصديق (١/ ٢٨٠) - لمحمد مال الله، مستخرج من منهاج السنّة - لابن تيمية.
(٢) أشهر مشاهير الإسلام (١/ ١٠).
(٣) نهاية الأرب (١٩/ ١٠) نقلاً عن تاريخ الدعوة - يسري محمد ص٤٢.
(٤) التهذيب (٢/١٨٣). (٥) الإصابة (٤/١٤٦).

وفي هذا تروي عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها**»[١].

٢-تجارته:

كان في الجاهلية تاجرًا، ودخل بُصرىٰ من أرض الشام للتجارة وارتحل بين البلدان، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عُرف به في الجاهلية[٢].

٣- موضع الألفة بين قومه وميل القلوب إليه:

فقد ذكر ابن اسحاق في السيرة أنهم كانوا يحبونه، ويألفونه، ويعترفون له بالفضل العظيم، والخلق الكريم، وكانوا يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته[٣]، وقد قال له ابن الدغنة حين لقيه مهاجرًا: إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتكسب المعدوم وتفعل المعروف،[٤] وقد علّق ابن حجر على قول ابن الدغنة فقال: ومن أعظم مناقبه أن ابن الدغنة سيد القارة لما رد عليه جواره بمكة وصفه بنظير ما وصفت به خديجة النبيَ (ﷺ) لما بعث، فتواردا فيهما نعت واحد من غير أن يُتواطأ على ذلك، وهذه غاية في مدحه؛ لأن صفات النبي (ﷺ) منذ نشأ كانت أكمل الصفات[٥].

٤ - لم يشرب الخمر في الجاهلية:

فقد كان أعف الناس في الجاهلية[٦]، حتى إنه حرّم على نفسه الخمر قبل الإسلام، فقد قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): حرم أبو بكر الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهلية ولا في إسلام، وذلك أنه مرّ برجل سكران يضع يده في العَذرة، ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صرفها عنه. فقال أبو بكر: إن هذا لا يدري ما يصنَع، وهو يجد ريحها فحماها[٧]، وفي رواية لعائشة . . . ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية[٨].

وقد أجاب الصديق من سأله هل شربت الخمر في الجاهلية؟ بقوله: أعوذ بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيّعًا لعرضه ومروءته[٩].

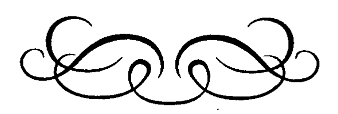
---

(١) مسلم - رقم ٢٤٩٠، الطبراني في الكبير - رقم ٣٥٨٢ .
(٢) أبو بكر الصديق - علي الطنطاوي ص٦٦، التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون - محمد شاكر ص٣٠ .
(٣) السيرة النبوية - لابن هشام (١/ ٣٧١) .
(٤) البخاري - كتاب مناقب الأنصار - رقم ٣٩٠٥ .
(٥) الإصابة (٤/ ١٤٧) .
(٦) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٤٨ .
(٧) سيرة وحياة الصديق - مجدي فتحي ص٣٤ .
(٨) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٤٩ .
(٩) نفس المصدر ص٤٩ .

٥- ولم يسجد لصنم:

ولم يسجد الصديق (رضي الله عنه) لصنم قط، قال أبو بكر (رضي الله عنه) في مجمع من أصحاب رسول الله (ﷺ)، ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشُّمُّ العوالي، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يُجبني فقلت: إني عار فاكسني، فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخرّ لوجهه، وهكذا حمله خلقه الحميد وعقله النير، وفطرته السليمة على الترفع عن كل شيء يخدش المروءة، وينقص الكرامة من أفعال الجاهليين، وأخلاقهم التي تجانب الفطرة السليمة، وتتنافى مع العقل الراجح، والرجولة الصادقة[١]، فلا عجب على من كانت هذه أخلاقه أن ينضم لموكب دعوة الحق ويحتل فيها الصدارة، ويكون بعد إسلامه أفضل رجل بعد رسول الله (ﷺ)، فقد قال (ﷺ): «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»[٢]، وقد علق الأستاذ رفيق العظم عن حياة الصديق في الجاهلية فقال: اللهم إن امرءًا نشأ بين الأوثان حيث لا دين زاجر، ولا شرع للنفوس قائد، وهذا مكانه من الفضيلة، واستمساكه بعرى العفة والمروءة . . . لجدير بأن يتلقى الإسلام بملء الفؤاد، ويكون أول مؤمن بهادي العباد، مبادر بإسلامه لإرغام أنوف أهل الكبر والعناد، ممهد سبيل الاهتداء بدين الله القويم، الذي يجتث أصول الرذائل من نفوس المهتدين بهديه، المستمسكين بمتين سببه[٣].

لله در الصديق (رضي الله عنه) فقد كان يحمل رصيدًا ضخمًا من القيم الرفيعة، والأخلاق الحميدة والسجايا الكريمة في المجتمع القرشي قبل الإسلام وقد شهد له أهل مكة بتقدمه على غيره في عالم الأخلاق والقيم والمثل ولم يُعلمْ أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا نقصه ولا استرذله كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين ولم يكن له عندهم عيب إلا الإيمان بالله ورسوله[٤].

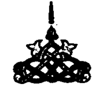


(١) أصحاب الرسول – محمود المصري (١/٥٨)، الخلفاء – محمود شاكر ص٣١ .

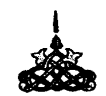
(٢) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص٤٣ .

(٣) أشهر مشاهير الإسلام (١/١٢) .

(٤) منهاج السنّة – لابن تيمية (٤/٢٨٨، ٢٨٩) نقلاً عن كتاب (أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة) – لمحمد عبد الرحمن قاسم ص١٨، ١٩ .



المبحث الثاني



إسلامه ودعوته وابتلاؤه وهجرته الأولى

أولاً: إسلامه:

كان إسـلام أبي بكر (رضي الله عنه) وليد رحلة إيمانيـة طويلة في البحث عن الدين الحق الذي ينسجم مع الفطر السليمة ويلبي رغباتها، ويتفق مع العـقول الراجحة، والبصائر النافذة، فقد كان بحكم عمله التجاري كثير الأسفار، قَطَعَ الفيافي، والصحاري، والمدن والقرى في الجزيرة العربية وتنقل من شمـالها إلى جنوبها، وشرقها إلى غربها، واتصل اتصـالاً وثيقًا، بأصحاب الديانات المختلفة وبخـاصة النصرانية، وكان كـثير الإنصات لكلمات الـنفر الذين حملوا راية التوحـيد، راية البحـث عن الدين القويم[١]، فقد حـدّث عن نفسه فقال: كنـت جالسًا بفناء الكعبة، وكان زيد بن عـمرو بن نُفيْل قاعدًا، فمرّ ابن أبي الصَّلْت، فقـال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير، قال: وهل وجدت؟ قال: لا، فقال:

كل دين يوم القيامة إلا ∴ ما مضَى في الحنيفية بُور[٢]

أما إنّ هـذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم، قال: ولم أكن سمـعت قبل ذلك بنبي يُنتظر ويُبعث، قـال: فخرجت أريد ورقة بـن نوفل -وكان كثيـر النظر إلى السماء، كـثير همهـمة الصّدر- فـاستـوقفـته، ثم قصـصت عليه الحـديث، فقـال: نعم يابن أخي، إنّا أهل الكتب والعلوم، ألا إن هـذا النبي الـذي يُنتظر من أوسط العرب نسبًـا -ولي علم بالنسب- وقومك أوسط العرب نسـبًا. قلت: يا عمّ وما يقـول النبي؟ قال: يقول مـا قيل له؟ إلا إنّه لا يظلم، ولا يُظلم ولا يُظالم، فلما بُعث رسول الله (ﷺ) آمنت به وصدّقته[٣]، وكان يسمع ما يقوله أمية بن أبي الصلت:

في مثل قوله:

ألا نبي لنـا مـنا فيخبـرنا ∴ ما بعد غايتنا من رأس مجرانا

إني أعوذ بمن حج الحجيج له ∴ والرافعون لديـن الله أركـانا

---

(١) مواقف الصديق مع النبي بمكة - د. عاطف لماضة ص٦ .
(٢) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٥٢ .
(٣) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٥٢ .

لقد عايش أبو بكر هذه الفترة، ببصيرة نافذة، وعقل نير، وفكر متألق، وذهن وقاد، وذكاء حاد، وتأمل رزين، ملأ عليه أقطار نفسه، ولذلك حفظ الكثير من هذه الأشعار، ومن تلك الأخبار، فعندما سأل الرسول الكريم (ﷺ) أصحابه يومًا -وفيهم أبو بكر الصديق قائلاً: **«من منكم يحفظ كلام -قس بن ساعدة- في سوق عكاظ؟»** فسكت الصحابة، ونطق الصديق قائلاً: إني أحفظها يا رسول الله، كنت حاضرًا يومها في سوق عكاظ، ومن فوق جمله الأورق وقف قس- يقول: أيها الناس: اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا إن من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت، آت، إن في السماء لخبرًا، وإنَّ في الأرض لعبرًا، مهادٌ موضوع، وسقفٌ مرفوع، ونجومٌ تمور، وبحارٌ لن تغور، ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذات أبراجٍ!!

يُقسم قس، إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه. ما لي أرى الناس يذهبون، ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا ثم أنشد قائلاً:

في الذاهبين الأولين ∴ من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا ∴ للموت ليس لها مصائر
ورأيت قومي نحوها ∴ يسعى الأكابر والأصاغر
أيقنت أني لا محالة ∴ حيث صار القوم صائر [1]

وبهذا الترتيب الممتاز، وبهذه الذاكرة الحديدية، وهي ذاكرة استوعبت هذه المعاني يقص الصديق ما قاله قس بن ساعدة على رسول الله وأصحابه[2].

وقد رأى رؤيا لما كان في الشام فقصّها على بحيرا الراهب[3]، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأي شيء أنت؟ قال: تاجر، قال: إن صدّق الله رؤياك، فإنه يبعث بنبي من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسر ذلك أبو بكر في نفسه[4].

لقد كان إسلام الصديق بعد بحث وتنقيب وانتظار وقد ساعده على تلبية دعوة الإسلام معرفته العميقة وصلته القوية بالنبي (ﷺ) في الجاهلية، فعندما نزل الوحي على النبي (ﷺ) أخذ يدعو الأفراد إلى الله ووقع أول اختياره على الصديق (رضي الله عنه)، فهو صاحبه الذي يعرفه قبل البعثة بدماثة خلقه، وكريم سجاياه، كما يعرف أبو بكر النبي بصدقه وأمانته، وأخلاقه التي تمنعه من الكذب على الناس فكيف يكذب على الله؟ [5]

فعندما فاتحه رسول الله (ﷺ) بدعوة الله وقال له: **«.. إني رسول الله ونبيه، بعثني إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته»**[6]، فأسلم الصديق ولم يتلعثم

(١) مواقف الصديق مع النبي بمكة ص٨ . (٢) نفس المصدر ص٩ .
(٣) الخلفاء الراشدون - محمود شاكر ص٣٤ . (٤) نفس المصدر ص٣٤ .
(٥) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص٤٤ .
(٦) السيرة النبوية - لابن هشام (١/ ٢٨٦)، السيرة الحلبية (١/ ٤٤٠) .

وتقدم ولم يتأخر، وعاهد رسول الله (ﷺ) على نصرته فقام بما تعهد ولهذا قال رسول الله (ﷺ) في حقه: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟»[١] مرتين.

وبذلك كان الصديق (رضي الله عنه) أول من أسلم من الرجال الأحرار، قال إبراهيم النخعي، وحسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر: أول من أسلم أبو بكر. وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: أدركت أبي ومشيختنا: محمد بن المنكدر، وربيعة بن عبد الرحمن، وصالح بن كيسان وسعد بن إبراهيم وعثمان بن محمد الأخنس وهم لا يشكون أن أول القوم إسلامًا أبو بكر[٢]، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: أول من صلى أبو بكر ثم تمثل بأبيات حسان:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها	إلا النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده	وأول الناس صدَّق الرُسلا[٣]
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد	طاف العدو به إذ صعَدَ الجَبلا
وعاش حميدًا لأمر الله متبعًا	بهدى صاحبه الماضي وما انتقلا
وكان حب رسول الله قد علموا	من البرية لم يعدل به رجلا[٤]

هذا وقد ناقش العلماء قضية إسلام الصديق، وهل كان (رضي الله عنه) أول من أسلم، فمنهم من جزم بذلك، ومنهم من جزم بأن عليًا أول من أسلم، ومنهم من جعل زيد بن حارثة أول من أسلم، وقد جمع الإمام ابن كثير رحمه الله بين الأقوال جمعًا طيبًا فقال: (والجمع بين الأقوال كلها: أن خديجة أول من أسلم من النساء -وقيل الرجال أيضًا- وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب -فإنه كان صغيرًا دون البلوغ على المشهور- وهؤلاء كانوا آنذاك أهل بيته (ﷺ)، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرًا معظمًا، ورئيسًا في قريش مكرمًا، وصاحب المال وداعية إلى الإسلام وكان محببًا متآلفًا يبذل المال في طاعة الله ورسوله) ثم قال: (وقد أجاب أبو حنيفة (رضي الله عنه) بالجمع بين هذه الأقوال، فإن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن الغلمان علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) أجمعين[٥].

(١) البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي - رقم ٣٦٦١ .
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٣٧)، أحمد - فضائل الصحابة (٣/ ٢٠٦) .
(٣) ديوان حسان بن ثابت - تحقيق وليد عرفات (١/ ١٧) .
(٤) ديوان حسان (١/ ١٧) .
(٥) البداية والنهاية (٣/ ٢٦ و٢٨) .

وبإسلام أبي بكر عم السرور قلب النبي (ﷺ)، حيث تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): فلما فرغ من كلامه -أي النبي (ﷺ)- أسلم أبو بكر فانطلق رسول الله (ﷺ) من عنده، وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورًا منه بإسلام أبي بكر[١]. لقد كان أبو بكر كنزًا من الكنوز ادخره الله (تعالى) لنبيه، وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخلق السمح الذي وهبه الله (تعالى) إياه جعله من الموطئين أكنافًا، من الذين يألفون ويؤلفون، والخلق السمح وحده عنصر كافٍ لألفة القوم وهو الذي قال فيه (ﷺ): «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**»[٢].

وعلم الأنساب عند العرب، وعلم التاريخ هما أهم العلوم عندهم، ولدى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) النصيب الأوفر منهما، وقريش تعترف للصديق بأنه أعلمها بأنسابها وأعلمها بتاريخها، وما فيه من خير وشر، فالطبقة المثقفة ترتاد مجلس أبي بكر لتنهل منه علمًا لا تجده عند غيره غزارة ووفرة وسعة، ومن أجل هذا كان الشباب النابهون والفتيان الأذكياء يرتادون مجلسه دائمًا، إنهم الصفوة الفكرية المثقفة التي تود أن تلقى عنده هذه العلوم، وهذا جانب آخر من جوانب عظمته، وطبقة رجال الأعمال، ورجال المال في مكة، هي كذلك من رواد مجلس الصديق، فهو إن لم يكن التاجر الأول في مكة، فهو من أشهر تجارها، فأرباب المصالح هم كذلك قصاده، ولطيبته وحسن خلقه تجد عوام الناس يرتادون بيته، فهو المضياف الدمث الخلق، الذي يفرح بضيوفه، ويأنس بهم، فكل طبقات المجتمع المكي تجد حظها عند الصديق رضوان الله عليه[٣]، كان رصيده الأدبي والعلمي والاجتماعي في المجتمع المكي عظيمًا، ولذلك عندما تحرك في دعوته للإسلام استجاب له صفوة من خيرة الخلق[٤].

ثانيًا: دعوته:

أسلم الصديق (رضي الله عنه) وحمل الدعوة مع رسول الله (ﷺ)، وتعلم من رسول الله (ﷺ) أن الإسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن الإيمان لا يكمل حتى يهب المسلم نفسه وما يملك لله رب العالمين[٥]، قال (تعالى): ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣) وقد كان الصديق كثير الحركة للدعوة الجديدة، وكثير البركة أينما تحرك أثر وحقق مكاسب عظيمة للإسلام، وقد كان نموذجًا حيًا في تطبيقه لقول الله (تعالى): ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (سورة النحل، الآية: ١٢٥).

كان تحرك الصديق (رضي الله عنه) في الدعوة إلى الله يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين والاستجابة لله ورسوله صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، حتى يحقق في

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩).
(٢) الألباني - في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٨) ج٣.
(٣) انظر: التربية القيادية - للغضبان (١/ ١١٥).
(٤) نفس المصدر (١/ ١١٦). (٥) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص٨٧.

دنيا الناس ما آمن به، دون أن تكون انطلاقته دفعة عاطفية مؤقتة سرعان ما تخمد وتذبل وتزول، وقد بقي نشاط أبي بكر وحماسه للإسلام إلى أن توفاه الله (عزَّ وجلَّ) لم يفتر أو يضعف أو يمَل أو يعجز[١].

كانت أول ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق في الإسلام وهم: الزبير ابن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم (رضي الله عنهم)، وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدي رسول الله (ﷺ)، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العدة الأولى في تقوية جانب رسول الله (ﷺ) وبهم أعزه الله وأيده وتتابع الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، رجالاً ونساءً، وكان كل من هؤلاء الطلائع داعية إلى الإسلام، وأقبل معهم رعيل السابقين، الواحد والاثنان، والجماعة القليلة، فكانوا على قلة عددهم كتيبة الدعوة، وحصن الرسالة لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق في تاريخ الإسلام[٢].

واهتم الصديق بأسرته فأسلمت أسماء وعائشة وعبد الله وزوجته أم رومان وخادمه عامر ابن فهيرة، لقد كانت الصفات الحميدة والخلال العظيمة والأخلاق الكريمة التي تجسدت في شخصية الصديق عاملاً مؤثرًا في الناس عند دعوتهم للإسلام، فقد كان رصيده الخلقي ضخمًا في قومه وكبيرًا في عشيرته، فقد كان رجلاً، مؤلفًا لقومه، محببًا لهم، سهلاً، أنسب قريش لقريش، بل كان فرد زمانه في هذا الفن، وكان رئيسًا مكرمًا سخيًا يبذل المال، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد، وكان رجلاً بليغًا[٣].

إن هذه الأخلاق والصفات الحميدة لا بدَّ منها للدعاة إلى الله وإلا أصبحت دعوتهم للناس صيحة في واد، ونفخة في رماد، وسيرة الصديق وهي تفسر لنا فهمه للإسلام وكيف عاش به في حياته حريٌّ بالدعاة أن يتأسوا بها في دعوة الأفراد إلى الله (تعالى).

ثالثًا: ابتلاؤه:

إن سنة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنة في الصحابة الكرام وتحملوا رضوان الله عليهم من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء، فلقد أوذي أبو بكر (رضي الله عنه) وحُثي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحمل إلى بيته في ثوبه وهو ما بين الحياة والموت،[٤] فقد روت عائشة رضي الله (تعالى) عنها أنه لما اجتمع أصحاب النبي (ﷺ)

---

(١) الوحي وتبليغ الرسالة - د. يحيى اليحيى ص٦٢ .
(٢) محمد رسول الله - عرجون (١/٥٣٣) .
(٣) السيرة الحلبية (١/٤٤٢) .
(٤) التمكين للأمة الإسلامية ص٢٤٣ .

وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحّ أبو بكر (رضي الله عنه) على رسول الله (ﷺ) في الظهور، فقال: «**يا أبا بكر، إنّا قليل**». فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله (ﷺ)، وتفرق المسلمين في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ورسول الله (ﷺ) جالس، فكان أوّل خطيب دعا إلى الله (تعالى) وإلى رسوله (ﷺ)، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوه في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر (رضي الله عنه)، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحَمَلت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة (والده) وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله (ﷺ)؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه. فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله (ﷺ)؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر سألك عن محمد بن عبد الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دَنِفًا، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا منك لأهل فسق وكفر إنّني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله (ﷺ)؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله عليّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتي رسول الله (ﷺ)، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله (ﷺ)، فقال: فأكب عليه رسول الله (ﷺ) فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورقّ له رسول الله (ﷺ) رقة شديدة فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله (ﷺ) ودعاها إلى الله فأسلمت[1].

إن هذا الحدث العظيم في طياته دروس وعبر لكل مسلم حريص على الاقتداء بهؤلاء الصحب الكرام.

ونحاول أن نستخرج بعض هذه الدروس التي منها:

١- حرص الصديق على إعلان الإسلام وإظهاره أمام الكفار، وهذا يدل على قوة إيمانه وشجاعته وقد تحمل الأذى العظيم حتى أن قومه كانوا لا يشكّون في موته، لقد أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من نفسه، ولم يعد يهمه -بعد إسلامه- إلا أن تعلوا راية التوحيد،

---

(١) السيرة النبوية - لابن كثير (١/ ٤٣٩-٤٤١)، البداية والنهاية (٣/ ٣٠).

ويرتفع نداء لا إله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء مكة حتى لو كان الثمن حياته، وكاد أبو بكر فعلاً أن يدفع حياته ثمنًا لعقيدته وإسلامه.

٢- إصرار أبي بكر على الظهور بدعوة الإسلام وسط الطغيان الجاهلي، رغبة في إعلام الناس بذلك الدين الذي خالطت بشاشته القلوب، رغم علمه بالأذى الذي قد يتعرض له وصحبه وما كان ذلك إلا لأنه قد خرج من حظ نفسه.

٣- حب الله ورسوله تغلغل في قلب أبي بكر على حبه لنفسه، بدليل أنه رغم ما ألم به، كان أول ما سأل عنه: ما فعل رسول الله (ﷺ)، قبل أن يطعم أو يشرب، وأقسم أنه لن يفعل حتى يأتي رسول الله (ﷺ)، وهكذا يجب أن يكون حب الله ورسوله (ﷺ) عند كل مسلم أحب إليه مما سواهما حتى لو كلفه ذلك نفسه وماله[1].

٤- إن العصبية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة، فهذه قبيلة أبي بكر تهدد بقتل عتبة إن مات أبو بكر[2].

٥- تظهر مواقف رائعة لأم جميل بنت الخطاب، توضح لنا كيف تربت على حُب الدعوة والحرص عليها، وعلى الحركة لهذا الدين، فحينما سألتها أم أبيبكر عن رسول الله (ﷺ) قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، فهذا تصرف حذر سليم، لأن أم الخير لم تكن ساعتئذ مسلمة وأم جميل كانت تخفي إسلامها، ولا تود أن تعلم به أم الخير، وفي ذات الوقت أخفت عنها مكان الرسول (ﷺ) مخافة أن تكون عينًا لقريش[3]، وفي نفس الوقت حرصت أم جميل أن تطمئن على سلامة الصديق؛ ولذلك عرضت على أم الخير أن تصحبها إلى ابنها، وعندما وصلت للصديق كانت أم جميل في غاية الحيطة والحذر من أن تتسرب منها أي معلومة عن مكان رسول الله (ﷺ) وأبلغت الصديق بأن رسول الله (ﷺ) سالم صالح[4]، ويتجلى الموقف الحذر من الجاهلية التي تفتن الناس عن دينهم في خروج الثلاثة عندما: هدأت الرجل وسكت الناس[5].

٦- يظهر بر الصديق بأمه وحرصه على هدايتها في قوله لرسول الله (ﷺ): هذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار. إنه الخوف من عذاب الله والرغبة في رضاه وجنته، ولقد دعا رسول الله (ﷺ) لأم أبي بكر بالهداية فاستجاب الله له، وأسلمت أم أبي بكر وأصبحت من ضمن الجماعة المؤمنة المباركة التي تسعى لنشر دين الله (تعالى)، ونلمس رحمة الله بعباده ونلحظ من خلال الحدث قانون المنحة بعد المحنة.

---

(١) استخلاف أبي بكر الصديق - د. جمال عبد الهادي ص١٣١، ١٣٢.
(٢) محنة المسلمين في عهد المكي - د. سليمان السويكت ص٧٩.
(٣) السيرة النبوية - قراءة لجوانب الحذر والحماية ص٥٠.
(٤) السيرة النبوية - قراءة لجوانب الحذر والحماية ص٥١.
(٥) استخلاف الصديق - د. جمال عبد الهادي ص١٣٢.

٧- إن من أكثر الصحابة الذين تعرضوا لمحنة الأذى والفتنة بعد رسول الله (ﷺ) أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) نظرًا لصحبته الخاصة له، والتصاقه به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه فينبري الصديق مدافعًا عنه وفاديًا إياه بنفسه، فيصيبه من أذى القوم وسفههم، هذا مع أن الصديق يعتبر من كبار رجال قريش المعروفين بالعقل والإحسان[١].

رابعًا: دفاعه عن النبي (ﷺ):

من صفات الصديق التي تميز بها: الجرأة والشجاعة، فقد كان لا يهاب أحدًا في الحق، ولا تأخذه لومة لائم في نصرة دين الله والعمل له والدفاع عن رسوله (ﷺ) فعن عروة بن الزبير قال سألت ابن عمرو بن العاص بأن يخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي (ﷺ) فقال: بينما النبي (ﷺ) يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي (ﷺ)[٢] وقال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله). وفي رواية أنس (رضي الله عنه) أنه قال: لقد ضربوا رسول الله (ﷺ) مرة حتى غشي عليه فقام أبو بكر (رضي الله عنه) فجعل ينادي ويلكم (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله).[٣] وفي حديث أسماء: فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقال: أدرك صاحبك. قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا رجع معه[٤].

وأما في حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد قام خطيبًا وقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله (ﷺ) عريشًا فقلنا من يكون مع رسول الله (ﷺ) لئلا يهوي عليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله (ﷺ)، لا يهوي إليه أحد إلاّ أهوى إليه فهذا أشجع الناس.

قال ولقد رأيت رسول الله (ﷺ) وأخذته قريش فهذا يُحادُّه، وهذا يتلتله ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فبكت القوم، فقال عليٌّ: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه[٥].

هذه صورة مشرقة تبين طبيعة الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال، والإيمان والكفر، وتوضح ما تحمله الصديق من الألم والعذاب في سبيل الله (تعالى) كما تعطي ملامح

(١) محنة المسلمين في العهد المكي ص٧٥ . (٢) البخاري - رقم ٣٨٥٦ .
(٣) الصحيح المسند في فضائل الصحابة - للعدوي ص٣٧ .
(٤) منهاج السنّة (٣/ ٤) - فتح الباري (٧/ ١٦٩) .
(٥) البداية والنهاية (٣/ ٢٧١-٢٧٢) .

واضحة عن شخصيته الفذة، وشجاعته النادرة التي شهد له بها الإمام علي (رضي الله عنه) في خلافته أي بعد عقود من الزمن، وقد تأثر علي (رضي الله عنه) حتى بكى وأبكى.

إن الصديق (رضي الله عنه) أول من أوذي في سبيل الله بعد رسول الله (ﷺ)، وأول من دافع عن رسول الله، وأول من دعا إلى الله[١]، وكان الذراع اليمنى لرسول الله (ﷺ)، وتفرغ للدعوة وملازمة رسول الله وإعانته على من يدخلون الدعوة في تربيتهم وتعليمهم وإكرامهم، فهذا أبو ذر (رضي الله عنه) يقص لنا حديثه عن إسلامه ففيه: (... فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة - وأنه أطعمه من زبيب الطائف[٢]، وهكذا كان الصديق في وقوفه مع رسول الله (ﷺ) يستهين بالخطر على نفسه، ولا يستهين بخطر يصيب النبي (ﷺ) قل أو كثر حيثما رآه واستطاع أن يذود عنه العادين عليه، وأنه ليراهم آخذين بتلابيبه فيدخل بينهم وبينه وهو يصيح بهم: (ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟) فينصرفون عن النبي (ﷺ) وينحون عليه يضربونه، ويجذبونه من شعره فلا يدعونه إلا وهو صديع)[٣].

خامسًا: إنفاقه الأموال لتحرير المعذبين في الله:

تضاعف أذى المشركين لرسول الله (ﷺ) ولأصحابه مع انتشار الدعوة في المجتمع المكي الجاهلي حتى وصل إلى ذروة العنف وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين، فنكلت بهم لتفتنهم عن عقيدتهم وإسلامهم، ولتجعلهم عبرة لغيرهم، ولتنفس عن حقدها وغضبها بما تصبه عليهم من العذاب وقد تعرض بلال (رضي الله عنه) لعذاب عظيم ولم يكن لبلال (رضي الله عنه) ظهر يسنده، ولا عشيرة تحميه، ولا سيوف تذود عنه، ومثل هذا الإنسان في المجتمع الجاهلي المكي يعادل رقمًا من الأرقام، فليس له دور في الحياة إلا أن يخدم ويطيع ويباع ويشترى كالسائمة، أما أن يكون له رأي أو يكون صاحب فكر، أو صاحب دعوة أو صاحب قضية، فهذه جريمة شنعاء في المجتمع الجاهلي المكي تهز أركانه، وتزلزل أقدامه، ولكن الدعوة الجديدة التي سارع لها الفتيان وهم يتحدون تقاليد وأعراف آبائهم الكبار لامست قلب هذا العبد المرمي المنسي، فأخرجته إنسانًا جديد في الحياة[٤]، قد تفجرت معاني الإيمان في أعماقه بعد أن آمن بهذا الدين وانضم إلى محمد (ﷺ) وإخوانه في موكب الإيمان العظيم وعندما علم سيده أمية بن خلف، راح يهدده تارة ويغريه أطوارًا فما وجد عند بلال غير العزيمة وعدم الاستعداد للعودة إلى الوراء إلى الكفر والجاهلية والضلال، فحنق عليه أمية وقرر أن يعذبه عذابًا شديدًا، فأخرجه إلى شمس الظهيرة في الصحراء بعد أن منع عنه الطعام والشراب يومًا وليلة، ثم ألقاه على ظهره فوق الرمال المحرقة الملتهبة ثم أمر غلمانه فحملوا صخرة عظيمة ووضعوها فوق صدر بلال وهو مقيد اليدين، ثم قال له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر

(١) انظر: أبو بكر الصديق - محمد عبد الرحمن قاسم ص٢٩، ٣٠، ٣٢.
(٢) الفتح (٧/ ٢١٣)، الخلافة الراشدة - يحيى اليحيى ص١٥٦.
(٣) عبقرية الصديق - للعقاد ص٨٧ صديع: المشقوق الثوب.
(٤) التربية القيادية (١/ ١٣٦).

بمحمد وتعبد اللات والعزى وأجاب بلال بكل صبر وثبات: أحدٌ أحدٌ. وبقي أمية بن خلف مدة وهو يعذب بلالاً بتلك الطريقة البشعة[١]، فقصد وزير رسول الله (ﷺ) الصديق موقع التعذيب وفاوض أمية بن خلف وقال له: (ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به، قال: قد قبلت؛ فقال: هو لك فأعطاه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) غلامه ذلك وأخذه فأعتقه)[٢]، وفي رواية اشتراه بسبع أواق أو بأربعين أوقية ذهبًا[٣]، ما أصبر بلال وما أصلبه (رضي الله عنه)! فقد كان صادق الإسلام، طاهر القلب، ولذلك صَلُب ولم تلين قناته أمام التحديات وأمام صنوف العذاب، وكان صبره، وثباته مما يغيظهم ويزيد حنقهم، خاصة أنه كان الرجل الوحيد من ضعفاء المسلمين الذي ثبت على الإسلام فلم يواتِ الكفار فيما يريدون مرددًا كلمة التوحيد بتحد صارخ، وهانت عليه نفسه في الله وهان على قومه[٤].

وبعد كل محنة منحة فقد تخلص بلال من العذاب والنكال، وتخلص من أسر العبودية، وعاش مع رسول الله (ﷺ) بقية حياته ملازمًا له، ومات راضيًا عنه.

واستمر الصديق في سياسة فك رقاب المسلمين المعذبين وأصبح هذا المنهج من ضمن الخطة التي تبنتها القيادة الإسلامية لمقاومة التعذيب الذي نزل بالمستضعفين فدّعم الدعوة بالمال والرجال والأفراد فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين من المؤمنين والمؤمنات منهم عامر بن فهيرة شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأم عبيس، وزنِّيرة وأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فرد الله بصرها[٥]، وأعتق النهدية وبنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار مرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدًا. فقال أبو بكر (رضي الله عنه) حلٍّ[٦] يا أم فلان فقالت: حل أنت، أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. وقال: قد أخذتهما وهما حرتان ألينها طحينها. قالتا: أونفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما[٧].

وهنا وقفة تأمل ترينا كيف سوى الإسلام بين الصديق والجاريتين حتى خاطبتاه خطاب الند للند، لا خطاب المسود للسيد، وتقبل الصديق على شرفه وجلالته في الجاهلية والإسلام منهما ذلك، مع أنه له يدًا عليهما بالعتق، وكيف صقل الإسلام الجاريتين حتى تخلقتا بهذا الخلق الكريم، وكان يمكنهما وقد أعتقتا وتحررتا من الظلم أن تدعا لها طحينها يذهب أدراج الرياح، أو يأكله الحيوان والطير، ولكنهما أبتا ـ تفضلاً ـ إلا أن تفرغا منه، وترداه إليها[٨].

---

(١) عتيق العتقاء (أبو بكر الصديق) - محمود البغدادي ص٣٩، ٤٠.
(٢) السيرة النبوية - لابن هشام (١/ ٣٩٤).
(٣) التربية القيادية (١/ ١٤٠).
(٤) محنة المسلمين في العهد المكي ص٩٢.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٩٣).
(٦) حل: تحللي من يمينك.
(٧) السيرة النبوية - لابن هشام (١/ ٣٩٣).
(٨) السيرة النبوية - لأبي شهبة (١/ ٣٤٦).

ومر الصديق بجارية بني مؤمل ـ حي من بني عدي بن كعب ـ وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشركًا يضربها، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا عن ملالة فتقول: كذلك فعل الله بك فابتاعها أبو بكر فأعتقها[١].

هكذا كان واهب الحريات، ومحرر العبيد، شيخ الإسلام الوقور، الذي عرف بين قومه، بأنه يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، ولم ينغمس في إثم في جاهليته، أليف مألوف يسيل قلبه رقة ورحمة على الضعفاء والأرقاء، أنفق جزءًا كبيرًا من ماله في شراء العبيد، وعتقهم لله، وفي الله، قبل أن تنزل التشريعات الإسلامية المحببة في العتق، والواعدة عليه أجزل الثواب[٢].

كان المجتمع المكي يتندر بأبي بكر (رضي الله عنه) الذي يبذل هذا المال كله لهؤلاء المستضعفين، أما في نظر الصديق، فهؤلاء إخوانه في الدين الجديد فكل واحد من هؤلاء لا يساوي عنده مشركي الأرض وطغاتها، وبهذه العناصر وغيرها تبنى دولة التوحيد، وتصنع حضارة الإسلام الرائعة[٣] ولم يكن الصديق يقصد بعمله هذا محمدة، ولا جاهًا، ولا دينًا، وإنما كان يريد وجه الله ذا الجلال والإكرام لقد قال له أبوه ذات يوم: يا بني! إني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالاً جلد يمنعوك، ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر (رضي الله عنه): يا أبت! إني إنما أريد ما أريد لله (عزَّ وجلَّ)، فلا عجب إذا كان الله (سبحانه) أنزل في شأن الصديق قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة قال (تعالى): ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[٤] (سورة الليل: ٥-٢١).

لقد كان الصديق من أعظم الناس إنفاقًا لماله فيما يرضي الله ورسوله.

كان هذا التكافل بين أفراد الجماعة الإسلامية الأولى قمة من قمم الخير والعطاء، وأصبح هؤلاء العبيد بالإسلام، أصحاب عقيدة وفكرة يناقشون بها وينافحون عنها، ويجاهدون في سبيلها، وكان إقدام أبي بكر (رضي الله عنه) على شرائهم ثم عتقهم دليلاً على عظمة هذا الدين ومدى تغلغله في نفسية الصديق (رضي الله عنه)، وما أحوج المسلمين اليوم أن يحيوا هذا المثل الرفيع، والمشاعر السامية ليتم التلاحم والتعايش، والتعاضد بين أبناء الأمة التي يتعرض أبناءها للإبادة الشاملة من قبل أعداء العقيدة والدين.

---

(١) السيرة النبوية - لابن هشام (١/ ٣٩٣).
(٢) السيرة النبوية - لأبي شهبة (١/ ٣٤٥).
(٣) التربية القيادية (١/ ٣٤٢).
(٤) تفسير الألوسي (٣٠/ ١٥٢).

سادسًا: هجرته الأولى وموقف ابن الدغنة منها:

قالت عائشة (رضي الله عنها): قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ﷺ) طرفي النهار: بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى برك الغماد لقيه ابن الدغنة -وهو سيد القارة-[(١)] فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج، ولا يُخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين، وأبناؤهم، وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملك عينه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمته، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله (عز وجل)،[(٢)] وحين خرج من جوار ابن الدغنة، يعني أبو بكر، لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابًا، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر (رضي الله عنه): ألا تر ما يصنع هذا السفيه، فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك، وهو يقول: ربي ما أحلمك، أي ربي ما أحلمك، أي ربي ما أحلمك[(٣)].

وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة منها:

١- كان أبو بكر في عز من قومه قبل بعثة محمد (ﷺ) فها هو ابن الدغنة يقول له:

---

(١) ابن الدغنة: قيل اسمه الحارث بن يزيد وقيل مالك وقيل ربيعة بن رفيع. والقارة قبيلة من بني الهون ابن خزيمة.

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٧٤).

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٩٥).

مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأبو بكر لم يدخل في دين الله طلبًا لجاه أو سلطان، وما دفعه إلى ذلك إلا حب الله ورسوله مما يترتب على ذلك من ابتلاءات، أي أنه لم يكن له تطلعات سوى مرضات الله (تعالى)، إنه يريد أن يفارق الأهل والوطن والعشيرة ليعبد ربه لأنه حيل بينه وبين ذلك في وطنه[١].

٢- إن زاد الصديق في دعوته القرآن الكريم ولذلك اهتم بحفظه وفهمه وفقهه والعمل به، وأكسبه الاهتمام بالقرآن الكريم براعة في تبليغ الدعوة، وروعة في الأسلوب، وعمقًا في الأفكار، وتسلسلاً عقليًا في عرض الموضوع الذي يدعو إليه، ومراعاة لأحوال السامعين وقوة في البرهان والدليل[٢].

وكان الصديق يتأثر بالقرآن الكريم ويبكي عند تلاوته وهذا يدل على رسوخ يقينه وقوة حضور قلبه مع الله (عز وجل) ومع معاني الآيات التي يتلوها، والبكاء مبعثه قوة التأثير إما بحزن شديد أو فرح غامر، والمؤمن الحق يظل بين الفرح بهداية الله (تعالى) إلى الصراط المستقيم، والإشفاق من الانحراف قليلاً عن هذا الصراط، وإذا كان صاحب إحساس حي وفكر يقظ كأبي بكر (رضي الله عنه) فإن هذا القرآن يذكّره بالحياة الآخرة وما فيها من حساب وعقاب أو ثواب، فيظهر أثر ذلك في خشوع الجسم وانسكاب العبرات، وهذا المظهر يؤثر كثيرًا على من شاهده، ولذلك فزع المشركون من مظهر أبي بكر المؤثر وخَشُوا على نسائهم وأبنائهم أن يتأثروا به فيدخلوا في الإسلام[٣].

لقد تربى الصديق على يدي رسول الله (ﷺ) وحفظ كتاب الله (تعالى) وعمل به في حياته وتأمل فيه كثيرًا وكان لا يتحدث بغير علم، فعندما سئل عن آية لا يعرفها أجاب بقوله: أي أرض تسعني أو أي سماء تُظلنّي إذا قلت في كتاب الله ما لم يُرد الله[٤] ومن أقواله التي تدل على تدبره وتفكره في القرآن الكريم قوله: (إن الله ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم وغفر لهم سيئها، فيقول الرجل: أين أنا من هؤلاء؟! يعني: حسنها، فيقول قائل: لست من هؤلاء، يعني: وهو منهم، [٥]وكان يسأل رسول الله (ﷺ) فيما استشكل عليه بأدب وتقدير واحترام، فلما نزل قوله (تعالى): ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ (سورة النساء، الآية: ١٢٣) قال أبو بكر: يا رسول الله، قد جاءت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءًا؟ فقال: «**يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأوى؟ فذلك مما تجزون به**»[٦].

---

(١) استخلاف أبي بكر الصديق ص١٣٤ .

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ص٨٨ .

(٣) التاريخ الإسلامي - للحميدي (ج١٩، ٢٠/ص٢٠٩) .

(٤) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص١١٧، وهذه الرواية فيها انقطاع . (٥) الفتاوى - لابن تيمية (٦/ ٢١٢) .

(٥) أحمد (١/ ١١) وقال الشيخ شاكر: أسانيدها ضعاف . وهو صحيح بطرقه وشواهده . انظر: مسند الإمام أحمد رقم ٦٨ .

وقد فسر الصديق بعض الآيات مثل قوله (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٠) قال فيها: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة، فلم يلتفتوا بقلوبهم إلى ما سواه لا بالحب ولا بالخوف، ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل عليه، بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه أندادًا، ولا يحبون إلا إياه، لا لطلب منفعة، ولا لدفع مضرة، ولا يخافون غيره كائنًا من كان، ولا يسألون غيره ولا يتشوفون بقلوبهم إلى غيره[١]، وغير ذلك من الآيات.

إن الدعاة إلى الله عليهم أن يكونوا في صحبة مستمرة للقرآن الكريم، يقرءوه ويتدبروه ويستخرجوا كنوزه ومعارفه للناس، وأن يظهروا للناس ما في القرآن من إعجاز بياني وعلمي وتشريعي وما فيه من سبل إنقاذ الإنسانية المعذبة من مآسيها وحروبها، بأسلوب يناسب العصر، ويكافئ ما وصل إليه الناس من تقدم في وسائل الدعوة والدعاية، ولقد أدرك أبو بكر (رضي الله عنه) كيف تكون قراءة القرآن الكريم في المسجد على ملأ من قريش وسيلة مؤثرة من وسائل الدعوة إلى الله[٢].

سابعًا: بين القبائل العربية في الأسواق:

قد علمنا أن الصديق (رضي الله عنه) كان عالمًا بالأنساب وله فيها الباع الطويل: قال السيوطي (رحمه الله تعالى): رأيت بخط الحافظ الذهبي (رحمه الله) من كان فرد زمانه في فنه... أبو بكر في النسب[٣]، ولذلك استخدم الصديق هذا العلم الفياض وسيلة من وسائل الدعوة ليعلم كل ذي خبرة كيف يستطيع أن يسخر ذلك في سبيل الله، على اختلاف التخصصات، وألوان المعرفة، سواء كان علمه نظريًا أو تجريبيًا، أو كان ذا مهنة مهمة في حياة الناس[٤]، وسوف نرى الصديق يصحبه رسول الله (ﷺ) عندما عرض نفسه على قبائل العرب ودعاهم إلى الله كيف وظف هذا العلم لدعوة الله فقد كان الصديق خطيبًا مفوهًا له القدرة على توصيل المعاني بأحسن الألفاظ، وكان (رضي الله عنه) يخطب عن النبي (ﷺ) في حضوره وغيبته، فكان النبي (ﷺ) إذا خرج في الموسم -يدعو الناس إلى متابعة كلامه تمهيدًا وتوطئة لما يبلغ الرسول، معونة له، لا تقدمًا بين يدي الله ورسوله[٥]، وكان علمه في النسب ومعرفة أصول القبائل مساعدًا له على التعامل معها، فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: لما أمر الله (عزَّ وجل) نبيه (ﷺ) أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه... إلى أن قال ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم فقال من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى رسول الله (ﷺ) وقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر الناس وفيهم مفروق قد غلبهم لسانًا وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته وكان أدنى القوم

(١) الفتاوى (٢٨/ ٢٢).
(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد الخلفاء ص٩٥.
(٣) تاريخ الخلفاء ص١٠٠ نقلاً عن تاريخ الدعوة ص٩٥.
(٤) نفس المصدر ص٩٦.
(٥) أبو بكر الصديق - لمحمد عبد الرحمن قاسم ص٩٢.

مجلسًا من أبي بكر فقال: أبو بكر كيف العدد فيكم فقال مفروق: إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم، فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخا قريش، فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله (ﷺ) فها هو ذا. فقال: مفروق إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله (ﷺ): «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله وإلى أن تؤووني وتنصروني فإن قريشًا قد تظاهرت على الله وكذّبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد» فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا فتلا رسول الله (ﷺ) قوله (تعالى): ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ١٥١) فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا لا أول ولا آخر لذل في الرأي وقلة نظر في العاقبة، إن الزلة مع العجلة وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا ولكن نرجع وترجع وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى -وأسلم بعد ذلك- قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تَركنا ديننا ومتابعتنا دينَك وإنا إنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة والأخرى السمامة، فقال رسولَ الله (ﷺ): «وما هذان الصيران؟» فقال له أما أحدهما فطوق التزيد أي ما أشرف من الأرض، وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا ولعل هذا الأمر الذي تدعو إليه تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي على بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلينا، فقال رسول الله (ﷺ): «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله (عز وجل) لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله (تعالى) أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟» فقال النعمان: اللهم! فلك ذاك[1].

وفي هذا الخبر دروس وعبر وفوائد كثيرة منها:

١- ملازمة الصديق لرسول الله (ﷺ) وهذا جعله يفهم الإسلام بشموله وهيأه الله (تعالى) بأن يصبح أعلم الصحابة بدين الله، فقد تعلم من رسول الله (ﷺ) حقيقة الإسلام وتربى على يديه في معرفة معانيه، فاستوعب طبيعة الدعوة ومر بمراحلها المتعددة واستفاد من

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥) وفيها زيادات ليست عند الصالحي في سبيل الرشاد (٢/ ٥٩٦-٥٩٧).

صحبته لرسول الله (ﷺ) وتشرب المنهج الرباني، فعرف المولى (عزَّ وجلَّ) من خلاله، وطبيعة الحياة، وحقيقة الكون، وسر الوجود، وماذا بعد الموت ومفهوم القضاء والقدر، وقصة الشيطان مع آدم (عليه السلام) وحقيقة الصراع بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والإيمان والكفر، وحببت إليه العبادات كقيام الليل، وذكر الله وتلاوة القرآن فَسمَت أخلاقه، وتطهرت نفسه وزكت روحه.

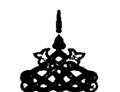
٢- وفي رفقته لرسول الله (ﷺ) عندما كان (ﷺ) يدعو القبائل للإسلام استفاد الكثير، فقد عرف أن النصرة التي كان يطلبها رسول الله (ﷺ) لدعوته من زعماء القبائل أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات دولية تتناقض مع الدعوة ولا يستطيعون التحرر منها؛ وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها وتهديدًا لمصالحها[١].

إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى لو أراد القبض على رسول الله (ﷺ) وتسليمه، ولن يخوضوا حربًا ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله (ﷺ) وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[٢].

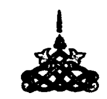
٣- (إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه) كان هذا الرد من النبي (ﷺ) على المثنى بن حارثة حيث عرض على النبي (ﷺ) حمايته على مياه العرب دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة يرى بعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامى[٣].

٤- كان موقف بني شيبان يتسم بالأريحية والخلق والرجولة وينم عن تعظيم هذا النبي، وعن وضوح في العرض، وتحديد مدى قدرة الحماية التي يملكونها وقد بينوا أن أمر الدعوة مما تكرهه الملوك، وقدّر الله لشيبان بعد عشر سنوات أو تزيد أن تحمل هي ابتداءً عبء مواجهة الملوك، بعد أن أشرق قلبها بنور الإسلام، وكان المثنى بن حارثة الشيباني صاحب حربهم وبطلهم المغوار الذي كان من ضمن قادة الفتوح في خلافة الصديق، فكان وقومه من أجرأ المسلمين بعد إسلامهم على قتال الفرس، بينما كانوا في جاهليتهم يرهبون الفرس ولا يفكرون في قتالهم، بل إنهم ردوا دعوة النبي (ﷺ) بعد قناعتهم بها لاحتمال أن تلجأهم إلى قتال الفرس، الأمر الذي لم يكونوا يفكرون به أبدًا، وبهذا نعلم عظمة هذا الدين الذي رفع الله به المسلمين في الدنيا حيث جعلهم سادة الأرض مع ما ينتظرون في أخراهم من النعيم الدائم في جنات النعيم[٤].

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية - محمد هيكل (١/ ٤١٢).
(٢) التحالف السياسي في الإسلام - منير الغضبان ص٥٣.
(٣) نفس المصدر ص٦٤.
(٤) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٣/ ٦٩)، التربية القيادية (٢/ ٢٠).



المبحث الثالث



هجرته مع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة

اشتدت قريش في أذى المسلمين، والنيل منهم فمنهم من هاجر إلى الحبشة مرة أو مرتين فرارًا بدينه. . . ثم كانت الهجرة إلى المدينة ومن المعلوم أن أبا بكر استأذن النبي (ﷺ) في الهجرة فقال له: «لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا»[١] فكان أبو بكر يطمع أن يكون في صحبة النبي (ﷺ) وهذه السيدة عائشة (رضي الله عنها) تحدثنا عن هجرة رسول الله (ﷺ) وأبيها (رضي الله عنه) حيث قالت: (كان لا يخطئ رسول الله (ﷺ) أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله (ﷺ) في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله (ﷺ) بالهاجرة[٢]، في ساعة كان لا يأتي فيها قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله (ﷺ) هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل، تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله (ﷺ)، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله (ﷺ): «أخرج عني من عندك». فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي! فقال: «إنه قد أذن بي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة». قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحد يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلاً من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركًا -يدلهما على الطريق- فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما[٣].

وجاء في رواية البخاري عن عائشة في حديث طويل تفاصيل مهمة وفي ذلك الحديث: (. . . قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوسًا في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله (ﷺ) متقنعًا[٤]، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك. فقال: «فإني قد أُذن لي في الخروج» فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله (ﷺ): «نعم»، قال

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص١٠٧.

(٢) الهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو العصر.

(٣) السيرة النبوية - لابن كثير (٢/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٤) متقنعًا: مغطيًا رأسه.

أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله (ﷺ): «**بالثمن**»، قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، ووضعنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله (ﷺ) وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا [١] فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌ ثقف[٢]، لقن[٣]، فيدلج [٤]من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان[٥] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما حيث تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل -وهو لبن منحهما- ورضيفهما [٦] ينعق [٧] بها عامر بن فهيرة بغلس [٨]يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله (ﷺ) وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي -هاديًا خريتًا- والخريت الماهر- قد غمس حلفًا [٩]في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[١٠].

لم يعلم بخروج رسول الله (ﷺ) أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر، وجاء وقت الميعاد بين رسول الله (ﷺ) وأبي بكر (رضي الله عنه)، فخرجا من خوخة، [١١] لأبي بكر في ظهر بيته، وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة، وقد اتعدا مع الليل على أن يلقاهما عبد الله بن أريقط في غار ثور بعد ثلاث ليال[١٢]، وقد دعا النبي (ﷺ) عند خروجه من مكة إلى المدينة[١٣]، ووقف عند خروجه بالحزورة في سوق مكة وقال: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**»[١٤].

ثم انطلق رسول الله (ﷺ) وأبو بكر والمشركون يحاولون أن يقتفوا آثارهم حتى بلغوا

---

(١) كمنا فيه: أي استترا واستخفيا ومنه الكمن في الحرب .
(٢) ثقف: ذو فطنة وذكاء والمراد ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (النهاية ١/ ٢١٦) .
(٣) لقن: فهم حسن التلقي لما يسمعه (النهاية، ٤/ ٢٦٦) .
(٤) يدلج: أدلج إذا سار أول الليل وادّلج بالتشديد إذا سار آخره .
(٥) يكتادان: أي يطلب لهما فيه المكروه وهو من الكيد .
(٦) الرضيف: اللبن المرضوف وهو الذي طرح فيه الحجارة المحماة .
(٧) ينعق: نعق بغنمه أي صاح بها وزجرها (القاموس المحيط، ٣/ ٢٦٥) .
(٨) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (النهاية، ٣/ ٣٧٧) .
(٩) غمس حلفًا: أي أخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم يأمن به .
(١٠) البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبي رقم ٣٩٥ .
(١١) الهجرة في القرآن الكريم ص٣٣٤ .
(١٢) خاتم النبيين - لأبي زهرة (١/ ٦٥٩)، السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٣٤) .
(١٣) السيرة النبوية - لابن كثير (٢/ ٢٣٠-٢٣٤) .
(١٤) الترمذي - كتاب المناقب - باب فضل مكة (٥/ ٧٢٢) .

الجبل -جبل ثور- اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه[١]، وهذه من جنود الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (سورة المدثر، الآية: ٣١).

وبالرغم من كل الأسباب التي اتخذها رسول الله (ﷺ) فإنه لم يرتكن إليها مطلقًا، وإنما كان كامل الثقة في الله، عظيم الرجاء في نصره وتأييده، دائم الدعاء بالصيغة التي علمه الله إياها[٢]، قال (تعالى): ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (سورة الإسراء، الآية: ٨٠).

وفي هذه الآية الكريمة دعاء يُعلّمه الله (عزَّ وجلَّ) لنبيه (ﷺ) ليدعوه به، ولتتعلم أمته كيف تدعو الله وكيف تتجه إليه؟ دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق الرحلة كلها، بدئها وختامها، أولها وآخرها وما بين الأول والآخر، وللصدق هنا قيمته بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزله الله عليه ليفترى على الله غيره، وللصدق كذلك ظلاله: ظلال الثبات، والاطمئنان والنظافة والإخلاص ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قوة وهيبة أستعلي بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين، وكلمة ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تصور القرب والاتصال بالله والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه.

وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله، ولا يمكن أن يُهاب إلا بسلطان الله، لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذي جاه فينصره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله والدعوة قد تغزو قلوب ذوي السلطان والجاه، فيصبحون لها جندًا وخدمًا فيفلحون، ولكنها هي لا تفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه، فهي من أمر الله، وهي أعلى من ذوي السلطان والجاه[٣].

وعندما أحاط المشركون بالغار، أصبح منهم رأي العين طمأن الرسول (ﷺ) الصديق بمعية الله لهما: فعن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: قلت للنبي (ﷺ) وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك - يا أبا بكر - باثنين الله ثالثهما؟»[٤].

وسجل الحق (عزَّ وجلَّ) ذلك في قوله (تعالى): ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية: ٤٠).

وبعد ثلاث ليال من دخول النبي (ﷺ) في الغار خرج رسول الله (ﷺ) وصاحبه من الغار، وقد هدأ الطلب، ويئس المشركون من الوصول إلى رسول الله، وقد قلنا أن رسول الله

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٨/١).
(٢) الهجرة النبوية المباركة ص٧٢.
(٣) في ظلال القرآن (٢٢٤٧/٤).
(٤) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب المهاجرين رقم ٣٦٥٣، مسلم رقم ٥٣٨١.

(ﷺ) وأبا بكر قد استأجرا رجلاً من بني الديل يسمى عبد الله بن أريقط وكان مشركًا وقد أمناهُ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما، وقد جاءها فعلاً في المَوعد المحدد وسلك بهما طريقًا غير معهودة ليخفي أمرهما عمن يلحق بهم من كفار قريش[١] وفي أثناء الطريق إلى المدينة مرّ النبي (ﷺ) بأم معبد،[٢] في قديد،[٣] حيث مساكن خزاعة، وهي أخت حبيش بن خالد الخزاعي الذي روى قصتها، وهي قصة تناقلها الرواة وأصحاب السير، وقال عنها ابن كثير: (وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضًا)[٤].

وقد أعلنت قريش في نوادي مكة بأنه من يأتي بالنبي (ﷺ) حيًا أو ميتًا فله مائة ناقة وانتشر هذا الخبر عند قبائل العرب الذين في ضواحي مكة وطمع سراقة بن مالك بن جعشم في نيل الكسب الذي أعدته قريش لمن يأتي برسول الله (ﷺ) فأجهد نفسه لينال ذلك، ولكن الله بقدرته التي لا يغلبها غالب، جعله يرجع مدافعًا عن رسول الله (ﷺ) بعد أن كان جاهدًا عليه[٥].

ولما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله (ﷺ) من مكة، كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم[٦] من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر رسول الله (ﷺ)، وأصحابه مبيضين[٧]، يزول بهم السراب،[٨] فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته، يا معشر العرب هذا جدكم[٩]، الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله (ﷺ) بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عوف، وذلك يوم الخميس الإثنين[١٠] من شهر ربيع الأول[١١]، فقام أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله (ﷺ) عند ذلك[١٢].

كان يوم وصول الرسول (ﷺ) وأبي بكر إلى المدينة يوم فرح وابتهاج لم تر المدينة يومًا مثله، ولبس الناس أحسن ملابسهم كأنهم في يوم عيد، ولقد كان حقًا يوم عيد؛ لأنه اليوم

---

(١) المستفاد من قصص القرآن - زيدان (٢/ ١٠١).
(٢) هي عاتكة بنت كعب الخزاعية.
(٣) وادي قديد يبعد عن الطريق المعبد حوالي ثمانية كيلو مترات.
(٤) البداية والنهاية (٣/ ١٨٨).
(٥) السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل لأحداثها - للصّلابي - ج١ - ص٥٤٣.
(٦) أطم: كالحصن.
(٧) مبيضين: عليهم ثياب بيض.
(٨) السراب: أي يزول بهم السراب عن النظر بسبب عروضهم له.
(٩) جدكم: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه.
(١٠) قال الحافظ ابن حجر: هذا هو المعتمد وشذ من قال الجمعة (الفتح، ٤/ ٥٤٤).
(١١) الهجرة في القرآن الكريم ص٣٥١.
(١٢) نفس المصدر ص٣٥٢.

الذي انتقل فيه الإسلام من ذلك الحيز الضيق في مكة إلى رحابة الانطلاق والانتشار بهذه البقعة المباركة المدينة، ومنها إلى سائر بقائع الأرض لقد أحس أهل المدينة بالفضل الذي حباهم الله به، وبالشرف الذي اختصهم الله به، فقد صارت بلدتهم موطنًا لإيواء رسول الله وصحابته المهاجرين ثم لنصرة الإسلام كما أصبحت موطنًا للنظام الإسلامي العام التفصيلي بكل مقوماته؛ ولذلك خرج أهل المدينة يهللون في فرح وابتهاج ويقولون يا رسول الله يا محمد يا رسول الله[١]، وبعد هذا الاستقبال الجماهيري العظيم الذي لم يرد مثله في تاريخ الإنسانية سار رسول الله (ﷺ) حتى نزل في دار أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه)[٢]، ونزل الصديق على خارجة بن زيد الخزرجي الأنصاري.

وبدأت رحلة المتاعب والمصاعب والتحديات، فتغلب عليها رسول الله (ﷺ) للوصول للمستقبل الباهر للأمة والدولة الإسلامية، التي استطاعت أن تصنع حضارة إنسانية رائعة على أسس من الإيمان والتقوى والإحسان والعدل بعد أن تغلبت على أقوى دولتين كانتا تحكمان في العالم، وهما الفرس والروم[٣]، وكان الصديق (رضي الله عنه) الساعد الأيمن لرسول الله (ﷺ) منذ بزوغ الدعوة حتى وفاته (ﷺ)، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) ينهل بصمت وعمق من ينابيع النبوة: حكمة وإيمانًا، يقينًا وعزيمة، تقوى وإخلاصًا، فإذا هذه الصحبة تثمر: صلاحًا وصدِّيقية، ذكرًا ويقظة، حبًا وصفاء، عزيمة وتصميمًا، إخلاصًا وفهمًا، فوقف مواقفه المشهودة بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، في سقيفة بني ساعدة وغيرها من المواقف وبعث جيش أسامة وحروب الردة، فأصلح ما فسد، وبنى ما هُدم، وجمع ما تفرق، وقوّم ما انحرف[٤]، إن حداثة هجرة الصديق مع رسول الله فيها دروس وعبر وفوائد منها:

أولاً: قال (تعالى): ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة، الآية ٤٠). ففي هذه الآية الكريمة دلالة على أفضلية الصديق من سبعة أوجه ففي الآية الكريمة من فضائل أبي بكر (رضي الله عنه):

١- أن الكفار أخرجوه:

الكفار أخرجوا الرسول (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) فلزم أن يكونوا أخرجوهما، وهذا هو الواقع.

٢- أنه صاحبه الوحيد:

الذي كان معه حين نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا هو أبو بكر، وكان ثاني اثنين الله ثالثهما. قوله ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ ففي المواضع التي لا يكون مع النبي (ﷺ) من أكابر الصحابة إلا

(١) المصدر السابق ص٣٥٣ .
(٢) الهجرة في القرآن الكريم ص٣٥٤ .
(٣) انظر: الهجرة في القرآن الكريم - أم محزون ص٣٥٥ .
(٤) في التاريخ الإسلامي - شوقي أبو خليل ص٢٢٦ .

واحد يكون هو ذلك الواحد مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه إلا أبو بكر، ومثل خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر، وهذا اختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي (ﷺ).

٣- أنه صاحبه في الغار:

الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس، عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»[١].

وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على معناه.

٤- أنه صاحبه المطلق:

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ لا يختص بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق الذي عمل في الصحبة كما لم يشركه فيه غيره -فصار مختصًا بالأكملية من الصحبة، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم بأحوال النبي (ﷺ)؛ ولهذا قال من قال من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره[٣].

٥- أنه المشفق عليه:

قوله: ﴿لا تَحْزَنْ﴾ يدل على أن صاحبه كان مشفقًا عليه محبًا له ناصرًا له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه، وكان حزنه على النبي (ﷺ) لئلا يقتل ويذهب الإسلام، ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة كان يمشي أمامه تارة، ووراءه تارة، فسأله النبي (ﷺ) عن ذلك، فقال: أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون وراءك[٤]، وفي رواية أحمد في كتاب فضائل الصحابة: ... فجعل أبو بكر يمشي خلفه ويمشي أمامه فقال له النبي (ﷺ): «مالك؟» قال: يا رسول الله أخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدم، قال: فلما انتهينا إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله كما أنت حتى أيمه... فلما رأى أبو بكر جحرًا في الغار فألقمها قدمه، وقال يا رسول الله إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي[٥]. فلم يكن يرضى بمساواة النبي؛ بل كان لا يرضى بأن يقتل رسول الله (ﷺ) وهو يعيش؛ بل كان يختار أن يفديه بنفسه وأهله وماله. وهذا واجب على كل مؤمن، والصديق أقوم المؤمنين بذلك[٦].

---

(١) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٥٣، مسلم - رقم ١٨٥٤ .

(٢) منهاج السنّة (٤/ ٢٤٠، ٢٤١) . (٣) منهاج السنّة (٤/ ٢٥٢، ٢٤٥) .

(٤) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة ص٤٣ . (٥) منهاج السنّة (٤/ ٢٦٢، ٢٦٣) .

(٦) نفس المصدر (٤/ ٢٦٣) .

٦- المشارك له في معية الاختصاص:

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ صريح في مشاركة الصديق للنبي (ﷺ) في هذه المعية التي اختص بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق... وهي تدل على أنه معهم بالنصر والتأييد والإعانة على عدوهم - فيكون النبي (ﷺ) قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك يا أبا بكر، ويعيننا عليهم، نصر إكرام ومحبة كما قال الله (تعالى): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. وهذا غاية المدح لأبي بكر؛ إذ دل على أنه ممن شهد له الرسول بالإيمان المقتضي نصر الله له مع رسوله في مثل هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله[(١)].

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان عن المعية في هذه الآية الكريمة وهذه المعية الربانية المستفادة من قوله (تعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أعلى من معيته للمتقين والمحسنين في قوله (تعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، لأن المعية هنا لذات الرسول وذات صاحبه، غير مقيدة بوصف هو عمل لهما، كوصف التقوى والإحسان بل هي خاصة برسوله وصاحبه مكفولة هذه المعية بالتأييد بالآيات وخوارق العادات[(٢)].

٧- أنه صاحبه في حال إنزال السكينة والنصر:

قال (تعالى): ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ... [التوبة: ٤٠] فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد فلأن يكون صاحبه في حضور النصر والتأييد أولى وأحرى، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليها. وإذا علم أنه صاحبه في هذه الحال علم أنما حصل للرسول (ﷺ) من إنزال السكينة والتأييد بالجنود التي لم يرها الناس لصاحبه فيها أعظم مما لسائر الناس. وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه[(٣)].

ثانيًا: فقه النبي (ﷺ) والصديق في التخطيط والأخذ بالأسباب:

إن من تأمل حادثة الهجرة رأى دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله (ﷺ) كان قائمًا وأن التخطيط جزء من السنة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم وأن الذين يميلون إلى العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنّة أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين[(٤)].

فعندما حان وقت الهجرة للنبي (ﷺ) في التنفيذ نلاحظ الآتي:

---

(١) منهاج السنّة (٤/ ٢٤٢،٢٤٣).
(٢) المستفاد من قصص القرآن (٢/ ١٠٠).
(٣) منهاج السنّة (٤/ ٢٧٢).
(٤) الأساس في السنّة - سعيد حوى (٣٥٧٨).

أ- وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتى نجحت رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروسًا دراسة وافية، فمثلاً،

١- جاء (ﷺ) إلى بيت أبي بكر في وقت شدة الحر -الوقت الذي لا يخرج فيه أحد بل من عادته أنه لم يكن يأتي له في مثل هذا الوقت لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

٢- إخفاء شخصيته (ﷺ) أثناء مجيئه للصديق وجاء إلى بيت الصديق متلثمًا، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم[١].

٣- أمر (ﷺ) أبا بكر أن يخرج من عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

٤- وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر[٢].

٥- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية، ومسارب الصحراء، وكان ذلك الخبير مشركًا ما دام على خلق ورزانة، وفيه دليل على أن الرسول (ﷺ) كان لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها[٣]، وقد بين الشيخ عبد الكريم زيدان أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي:

تحقق المصلحة أو رجحانها بهذه الاستعانة، وأن لا يكون ذلك على حساب الدعوة ومعانيها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن لا تكون هذه الاستعانة مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة[٤]، وقد كان الصديق (رضي الله عنه) قد دعا أولاده للإسلام ونجح بفضل الله في هذا الدور الكبير والخطير، وقام بتوظيف أسرته لخدمة الإسلام ونجاح هجرة رسول الله (ﷺ)، فوزع بين أولاده المهام الخطيرة في مجال التنفيذ العملي لخطة الهجرة المباركة:

١- دور عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما):

فقد قام بدور صاحب المخابرات الصادق وكشف تحركات العدو، لقد رُبِيَ عبد الله على حب دينه، والعمل لنصرته ببصيرة نافذة وفطنة كاملة وذكاء متوقد، يدل على العناية الفائقة التي اتبعها سيدنا أبو بكر في تربيته، وقد رسم له أبوه دوره في الهجرة فقام به خير قيام، وكان يتمثل في التنقل بين مجالس أهل مكة يستمع أخبارهم، وما يقولونه في نهارهم ثم يأتي الغار إذا أمسى فيحكي للنبي (ﷺ) ولأبيه الصديق (رضي الله عنه) ما يدور بعقول أهل مكة وما يدبرونه، وقد أتقن عبد الله هذا الواجب بطريقة رائعة فلم تأخذ واحدًا من أهل مكة ريبة

(١) السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحيطة ص١٤١ .
(٢) معين السيرة - للشامي ص١٤٧ .
(٣) الهجرة في القرآن الكريم ص٣٦١ .
(٤) المستفاد من قصص القرآن (٢/ ١٤٤،١٤٥) .

فيه، وكان يبيت عند الغار حارسًا حتى إذا اقترب النهار عاد إلى مكة فما شعر به أحد[(١)].

٢-دور عائشة وأسماء (رضي الله عنهما):

كان لأسماء وعائشة دور عظيم أظهر فوائد التربية الصحيحة حيث قامتا عند قدوم النبي (ﷺ) إلى بيت أبي بكر ليلة الهجرة بتجهيز طعام للنبي (ﷺ) ولأبيهما: تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، فجهزناهما -تقصد رسول الله (ﷺ) وأباها- أحسن الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب؛ فلذلك سميت ذات النطاقين[(٢)].

٣-دور أسماء في تحمل الأذى وإخفاء أسرار المسلمين:

أظهرت أسماء (رضي الله عنها) دور المسلمة الفاهمة لدينها، المحافظة على أسرار الدعوة المتحملة لتوابع ذلك من الأذى والتعنت فهذه أسماء تحدثنا بنفسها حيث تقول: لما خرج رسول الله (ﷺ) وأبو بكر (رضي الله عنه) أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل ابن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده -وكان فاحشًا خبيثًا- فلطم خدِّي لطمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا...)[(٣)].

فهذا درس من أسماء (رضي الله عنها) تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم؟

٤- دور أسماء (رضي الله عنها) في بث الأمان والطمأنينة في البيت:

خرج أبو بكر (رضي الله عنه) مع رسول الله (ﷺ) ومعه ماله كله وهو ما تبقى من رأسماله - وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم - وجاء أبو قحافة ليتفقد بيت ابنه، ويطمئن على أولاده وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. لا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكني أردت أن أسكّن الشيخ بذلك[(٤)].

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكّنت قلب جدها الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقًا هذه الأحجار التي كوّمتها لتطمئن لها نفس الشيخ إلا أنه قد ترك لهم معها إيمانًا بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقينًا وثقة به لا حدَّ لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا

---

(١) السيرة الحلبية (٢/ ٢١٣)، البداية والنهاية (٣/ ١٨٢).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ١٨٤).

(٣) الهجرة النبوية المباركة ص١٢٦.

(٤) السيرة النبوية - لابن هشام (٢/ ١٠٢) إسناده صحيح.

تلتفت إلى سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثالاً عزّ أن يتكرر، وقلّ أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء (رضي الله عنها) بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلاً هُنَّ في أمس الحاجة إلى الاقتداء به، والنسج على منواله وظلت أسماء مع أخواتها في مكة، لا تشكو ضيقًا، ولا تظهر حاجة، حتى بعث النبي (ﷺ) زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة.

فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجه وأسامة بن زيد، وأمه بركة المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، حتى قدموا المدينة مصطحبين[1].

٥- دور عامر بن فهيرة مولى أبي بكر (رضي الله عنه):

من العادة عند كثير من الناس إهمال الخادم، وقلة الاكتراث بأمره، لكن الدعاة الربانيين لا يفعلون ذلك، إنهم يبذلون جهدهم لهداية من يلاقوه لذا أدب الصديق (رضي الله عنه) عامر بن فهيرة مولاه وعلمه، فأضحى عامر جاهزًا لفداء الإسلام وخدمة الدين.

وقد رسم له سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) دورًا هامًا في الهجرة، فكان يرعى الغنم مع رعيان مكة لكن لا يلفت الأنظار لشيء، حتى إذا أمسى أراح بغنم سيدنا أبي بكر على النبي (ﷺ) فاحتلبا وذبحا، ثم يكمل عامر دور عبد الله بن أبي بكر حين يغدو من عند رسول الله (ﷺ) وصاحبه عائدًا إلى مكة فيتتبع آثار عبد الله ليعفي عليها مما يعد ذكاء، وفطنة في الإعداد لنجاح الهجرة[2].

وإن درسًا عظيمًا يستفاد من الصديق لكي يهتم المسلمون بالخدم الذين يأتونهم من مشارق الدنيا ومغاربها ويعاملونهم على كونهم بشرًا أولاً ثم يعلمونهم الإسلام، فلعل الله يجعل منهم من يحمل هذا الدين كما ينبغي.

إن ما قام به الصديق (رضي الله عنه) من تجنيد أسرته لخدمة صاحب الدعوة (ﷺ) في هجرته يدل على تدبير للأمور على نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف لقد أخذ الرسول (ﷺ) بالأسباب المعقولة أخذًا قويًا حسب استطاعته وقدرته ... ومن ثم باتت عناية الله متوقعة[3].

إن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائمًا حصول النتيجة؛ ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله، ومشيئته ومن هنا كان التوكل أمرًا ضروريًا وهو من باب

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ١٠٠)، الهجرة النبوية المباركة ص١٢٨ .
(٢) تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ص١١٥ .
(٣) أضواء على الهجرة - لتوفيق محمد ص٣٩٣-٣٩٧ .

استكمال اتخاذ الأسباب.

إن رسول الله (ﷺ) أعد كل الأسباب واتخذ كل الوسائل ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعوه ويستنصره أن يكلل سعيه بالنجاح وهنا يستجاب الدعاء، ويكلل العمل بالنجاح[١].

ثالثًا: جندية الصديق الرفيعة وبكائه من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فأبو بكر (رضي الله عنه) عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله (ﷺ): «لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا» فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة (فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعدادًا لذلك) وفي رواية البخاري، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر -وهو الخبط- أربعة أشهر). لقد كان يدرك بثاقب بصره (رضي الله عنه) وهو الذي تربى ليكون قائدًا، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي (ﷺ)، وعندما جاء رسول الله (ﷺ) وأخبره إن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح وتقول عائشة (رضي الله عنها) في هذا الشأن: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، إنها قمة الفرح البشري، أن يتحول الفرح إلى بكاء. مما قال الشاعر عن هذا:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه ∴ سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور عليّ حتى إنني ∴ من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة ∴ تبكين من فرح ومن أحزاني

فالصديق (رضي الله عنه) يعلم أن معنى هذه الصحبة أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشرة يومًا على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وحبيبه المصطفى (ﷺ)، فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز: أن يتفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض ومن دون الصحب جميعًا برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة[٢]، وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون، ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق مع قائده الأمين حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله (ﷺ) في هذه الهجرة الخطيرة وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله (ﷺ)، ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم (ﷺ)، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول (ﷺ) في قبضة المشركين[٣].

ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي (ﷺ) في مواقف كثيرة منها،

(١) من معين السيرة ص١٤٨ .
(٢) التربية القيادية (٢/ ١٩١، ١٩٢) .
(٣) السيرة النبوية دروس وعبر - للسباعي ص٧١ .

حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هاد يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعاريض فرارًا من الحرج أو الكذب[١]، وفي إجابته للسائل تورية وتنفيذًا للتربية الأمنية التي تلقاها من رسول الله (ﷺ)، لأن الهجرة كانت سرًا وقد أقره الرسول (ﷺ) على ذلك[٢].

رابعًا: فن قيادة الأرواح وفن التعامل مع النفوس:

يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر لرسول الله (ﷺ) في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة الحبيب المصطفى (ﷺ) وهذا الحب الرباني كان نابعًا من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق أو نابعًا من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع ومن أسباب هذا الحب لرسول الله (ﷺ) صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهرليناموا، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول (ﷺ) مع صحابته، في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسئولين في أمة الإسلام[٣].

وصدق الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي عندما قال:

فإذا أحب الله باطن عبده ∴ ظهرت عليه مواهب الفتاح
وإذا صفت لله نية مصلح ∴ مال العباد عليه بالأرواح[٤]

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان (ﷺ) رحيمًا، وشفوقًا بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يَبْقَ إلا المستضعفين والمفتونين ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة[٥].

والجدير بالذكر أن حب الصديق لرسول الله (ﷺ) كان لله ومما يبين الحب لله والحب لغير الله: أن أبا بكر كان يحب النبي (ﷺ) مخلصًا لله، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[الليل: ١٧-٢١]، وأما أبو طالب فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار، لأنه كان مشركًا

(١) الهجرة النبوية المباركة ص٢٠٤ .
(٢) السيرة النبوية - للسباعي ص٦٨ .
(٣) الهجرة النبوية - لأبي فارس ص٥٤ .
(٤) الحركة السنوسية - للصلابي (٢/ ٧) .
(٥) الهجرة النبوية المباركة ص٢٠٥ .

عاملاً لغيــر الله. وأبو بكر لم يطلب أجره من الخلق، لا من النبي (ﷺ) ولا من غيــره، بل آمن به وأحبه وكلأه وأعانه من الله، متقربًا بذلك إلى الله وطالبًا الأجر من الله ويبلغ عن الله أمره ونهيه ووعده ووعيده[١].

خامسًا: مرض أبي بكر الصديق بالمدينة في بداية الهجرة:

كانت هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبّر عنها النبي (ﷺ) بقـــوله: «والله إنك لخيــر أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخـرجت منك مـا خرجت»[٢].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، وكـان واديها يجـري نجلاً -يعني ماءً آجـنًا- فأصاب أصـحابه منهـا بلاءً وسقم وصرف الله ذلك عن نبـيه. قالت: فكان أبو بكر، وعـامر بن فهيـرة وبلال في بيت واحد، فأصابتـهم الحمى، فاستـأذنت رسول الله (ﷺ) في عيـادتهم فأذن، فدخلت إليـهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجـاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك[٣]، فـدنوت من أبي بكر فقلت:

يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله ∴ والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلـت والله ما يدري أبي ما يقول. ثم دنوت من عـامر بن فهيرة فـقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت المـوت قـبل ذوق ∴ إن الجبان حتـفه مــن فـوقه

كـل امـرئ مجــاهد بطوقه[٤] ∴ كالثور يحمى جلده بروقه[٥]

قالــت: قلت: والله ما يدري عـامر مـا يقول. قـالت: وكان بلال إذا أقلع عنه الحـمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته[٦]، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ∴ بواد وحـولـي إذخر[٧] وجـليل

وهـل أُردَن يومـًا ميـاه مَجنَة ∴ وهل يبدون لي شامة وطفيل[٨]

---

(١) الفتاوى - لابن تيمية (١١/ ٢٨٦).

(٢) الترمذي - كتاب المناقب - باب فضل مكة (٥/ ٧٢٢) - رقم ٣٩٢٥.

(٣) الوعك: الحمى.

(٤) بطوقه: بطاقته.

(٥) بروقه: بقرنه.

(٦) عقيرته: صوته.

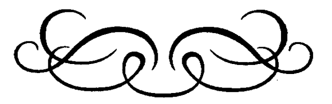
(٧) إذخر: نبات طيب الرائحة.

(٨) شامة وطفيل: جبلان مشرفان على مجنة على بريد مكة.

قالت: فأخبرت رسول الله (ﷺ) بذلك فقال: «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، اللهم وصحّحها، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حمّاها، واجعلها بالجحفة»[١].

وقد استجاب الله دعاء نبيه (ﷺ) وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطنًا ممتازًا لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم[٢].

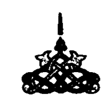
شرع رسول الله (ﷺ) بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) وزير صدق لرسول الله (ﷺ) ولازمه في كل أحواله ولم يغب عن مشهد من المشاهد ولم يبخل بمشورة أو مال أو رأي[٣].



(١) البخاري - كتاب الدعوات - باب الدعاء يرفع الوباء والوجع - رقم ٦٣٧٢ .
(٢) التربية القيادية (٢/ ٣١٠) .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ص١٢١ .



المبحث الرابع



الصديق في ميادين الجهاد

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع النبي (ﷺ) بدرًا والمشاهد كلها، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله (ﷺ) يوم أحد حين انهزم الناس ودفع إليه النبي (ﷺ) رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء[١].

وقال ابن كثير: ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لم يتخلف عن رسول الله (ﷺ) في مشهد من مشاهده كلها[٢].

وقال الزمخشري: إنه -يعني أبا بكر (رضي الله عنه)- كان مضافًا لرسول الله (ﷺ) إلى الأبد، فإنه صحبه صغيرًا وأنفق عليه ماله كبيرًا، وحمله إلى المدينة براحلته وزاده، ولم يزل ينفق عليه ماله في حياته، وزوجه ابنته، ولم يزل ملازمًا له سفرًا وحضرًا ، فلما توفي دفنه في حجرة عائشة أحب النساء إليه (ﷺ)[٣].

وعن سلمة بن الأكوع: غزوت مع النبي (ﷺ) سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرةً علينا أبو بكر، ومرةً علينا أسامة[٤].

ومن خلال هذا المبحث سنحاول أن نتتبع حياة الصديق (رضي الله عنه) الجهادية مع النبي (ﷺ) لنرى كيف جاهد الصديق بنفسه وماله ورأيه في نصرة دين الله (تعالى).

أولاً: أبو بكر (رضي الله عنه) في بدر الكبرى:

شارك الصديق في غزوة بدر وكانت في العام الثاني من الهجرة وكانت له فيها مواقف مشهورة من أهمها:

١- مشورة الحرب:

لما بلغ النبي (ﷺ) نجاة القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي (ﷺ)، استشار رسول الله (ﷺ) أصحابه في الأمر[٥]، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن[٦]

(١) الطبقات الكبرى (١/ ١٢٤) صفة الصفوة (١/ ٢٤٢) .
(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٨) .
(٣) خصائص العشرة الكرام البررة ص٤١ .
(٤) البخاري - كتاب المغازي - باب بعث النبي أسامة - رقم ٤٢٧٠ .
(٥) صحيح البخاري - رقم ٣٩٥٢ .
(٦) السيرة النبوية - لابن هشام (٢/ ٤٤٧) .

٢- دوره في الاستطلاع مع النبي (ﷺ):

قام النبي (ﷺ) ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخًا من العرب، فسأله رسول الله (ﷺ) عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه (ﷺ) من أخبارهم: فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني مما أنتما. فقال له رسول الله (ﷺ): «**إذا أخبرتنا أخبرناك**» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «**نعم**». فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به جيش المسلمين) وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً- ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني: ممن أنتما؟ فقال رسول الله (ﷺ): «**نحن من ماء**». ثم انصرف النبي (ﷺ) وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق[1].

وفي هذا الموقف يتضح قرب الصديق من النبي (ﷺ) وقد تعلم أبو بكر من رسول الله (ﷺ) دروسًا كثيرة.

٣- في حراسة النبي (ﷺ) في عريشه:

عندما رتب (ﷺ) الصفوف للقتال رجع إلى مقر القيادة وكان عبارة عن عريش على تلٍّ مشرف على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر (رضي الله عنه) وكانت ثلةٌ من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله (ﷺ)[2]، وقد تحدث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عن هذا الموقف فقال: يا أيها الناس! من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر: إنا جعلنا لرسول الله (ﷺ) عريشًا فقلنا من يكون مع رسول الله (ﷺ) لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبا بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله (ﷺ) لا يهوي إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس[3].

٤- الصديق يتلقى البشارة بالنصر، ويقاتل بجانب رسول الله (ﷺ):

بعد الشروع في الأخذ بالأسباب اتجه رسول الله (ﷺ) إلى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا**» وما زال (ﷺ) يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك،[4] وأنزل الله (عزَّ وجلَّ): ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ وفي رواية ابن

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٨).

(٢) نفس المصدر (٢/٢٣٣).

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٢٧١-٢٧٢).

(٤) مسلم - كتاب الجهاد - باب الإمداد بالملائكة ببدر - رقم ١٧٦٣ (٣/ ١٣٨٤).

عباس (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ) يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك الله، فخرج (ﷺ) وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[١] [القمر: ٤٥] وقد خفق النبي (ﷺ) خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع» يعني الغبار، قال: ثم خرج رسول الله (ﷺ) إلى الناس فحرضهم[٢].

وقد تعلم الصديق من هذا الموقف درسًا ربانيًا مهمًا في التجرد النفسي وحظها والخلوص واللجوء لله وحده والسجود والجثي بين يدي الله (سبحانه) لكي ينزل نصره وبقى هذا المشهد راسخًا في ذاكرة الصديق وقلبه ووجدانه يقتدي برسول الله (ﷺ) في تنفيذه في مثل هذه الساعات، وفي مثل هذه المواطن ويبقى هذا المشهد درسًا لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد يريد أن يقتدي بالنبي (ﷺ) وصحابته الكرام.

ولما اشتد أوار المعركة وحمي وطيسها نزل رسول الله (ﷺ) وحرض على القتال والناس على مصافهم يذكرون الله (تعالى)، وقد قاتل (ﷺ) بنفسه قتالاً شديدًا وكان بجانبه الصديق[٣]، وقد ظهرت منه شجاعة وبسالة منقطعة النظير، وكان على استعداد لمقاتلة كل كافر عنيد ولو كان ابنه، وقد شارك ابنه عبد الرحمن في هذه المعركة مع المشركين، وكان من أشجع الشجعان بين العرب، ومن أنفذ الرماة سهمًا في قريش، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي (أي ظهرت أمامي كهدف واضح) يوم بدر، فملت عنك ولم أقتلك. فقال له أبو بكر: ولكنك لو أهدفت لي لم أملْ عنك[٤].

٥- الصديق والأسرى:

قال ابن عباس (رضي الله عنه): ... فلما أسروا الأسرى قال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة: أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام. فقال رسول الله (ﷺ): «ما ترى يا بن الخطاب؟» قال: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي يراه أبو بكر، ولكني أرى أن تمكننا منهم، فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان (نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله (ﷺ) إلى ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله (ﷺ) وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله (ﷺ): «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، ولقد عرض عليّ عذابهم أدنى

---

(١) البخاري - كتاب المغازي - باب قصة بدر (٦/٥) - رقم ٣٩٥٣ .
(٢) السيرة النبوية - لابن هشام (٢/٤٥٧) نقلاً عن تاريخ الدعوة ص١٢٥ .
(٣) البداية والنهاية (٣/٢٧٨) .
(٤) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٩٤ .

من هـذه الشجرة» -شجرة قريبة من النبي (ﷺ)- وأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾... إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]، فأحل الله لهم الغنيمة[١].

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله (ﷺ): «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قـومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقـال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبـوك قربهم فأضرب أعناقهم. وقال عبـد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر واديًا كثير الحطب، فـأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم نارًا. فقال العـباس: قطعت رحمك، فدخل رسول الله (ﷺ) ولم يرد عليـهم شيـئًا. فقال ناس: يأخـذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخـذ بقول عمر، وقـال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله (ﷺ) فقال: «**إن الله ليلين قلوب رجـال فيه حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح إذ قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وإن مثلك كمثل موسى إذ قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]**[٢].

كـان النبي (ﷺ) إذا استشار أصـحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما تكلم غيـره، وربما لم يتكلم غيره، فـيعمل برأيه وحده، فـإذا خالفه غـيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه[٣].

ثانيًا: في أحد وحمراء الأسد:

في يوم أحد تلقى المسلمون درسًـا صعبًا، فقد تفـرقوا من حول النبي (ﷺ)، وتبـعثـر الصـحابة في أرجـاء الميدان، وشاع أن الـرسول (ﷺ) قـتل وكان رد الفـعل على الصحـابة متباينًا، وكان الميدان فسيحًا وكلٌ مشغولٌ بنفسه، وشق الصديق الصفوف وكان أول من وصل إلى رسـول الله (ﷺ)، واجتـمع إلى رسول الله أبو بكر، وأبوعبيـدة بن الجراح، وعلي، وطلحة والزبير، وعمر بن الخطاب والحارث بن الصمة، وأبو دجانة، وسعد بن أبي وقاص، وغـيـرهم... (رضي الله عنهم) وقـصدوا مع رسـول الله (ﷺ) الشعب من جـبل أحد في مـحاولة لاسترداد قوتهم المادية والمعنوية[٤].

وكان الصديق إذا ذكـر أحد قال: ذلك يوم كله لطلحة ثم أنشـأ يحدث قال: كنت أول

---

(١) مسلم - كتاب الجهاد والسير - رقم ١٧٦٣ (٣/ ١٣٨٥).
(٢) مسند أحمد (١/ ٣٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٥).
(٣) أبو بكر الصديق - محمد مال الله ص٣٣٥.
(٤) مواقف الصديق مع النبي في المدينة - د. عاطف لماضة ص٢٧.

من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه، قال قلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله (ﷺ) منه، وهو يختطف المشي خطفًا لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة، فانتهينا إلى رسول الله (ﷺ) وقد كسرت رباعيته وشج وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله (ﷺ): «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله، قال: ذهبت لأنزع من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسم عليك بحقي لما تركتني فتركته فكره تناولها فيؤذي رسول الله (ﷺ) فأرزم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتمًا. . .فأصلحنا من شأن رسول الله (ﷺ) ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية، وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه[1].

وتتضح منزلة الصديق في هذه الغزوة من موقف أبي سفيان عندما سأل وقال: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات. فنهاهم النبي (ﷺ) أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات. ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا[2]... فهذا يدل على ظن أبي سفيان زعيم المشركين حينئذ بأن أعمدة الإسلام، وأساسه رسول الله (ﷺ) وأبو بكر وعمر[3].

وعندما حاول المشركون أن يقبضوا على المسلمين ويستأصلوا شأفتهم، كان التخطيط النبوي الكريم قد سبقهم وأبطل كيدهم، وأمر رسول الله (ﷺ) المسلمين مع ما بهم من جراحات وقرح شديد للخروج في إثر المشركين، فاستجابوا لله ولرسوله مع ما بهم من البلاء وانطلقوا فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت لعروة بن الزبير في قوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]: يا ابن أختي! كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله (ﷺ) ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً: كان فيهم أبو بكر والزبير[4].

ثالثا: في غزوة بني النضير، وبني المصطلق وفي الخندق وبني قريظة:

أ- خرج النبي (ﷺ) إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية من بني عامر على وجه الخطأ؛ لأن عمرًا لم يعلم بالعهد الذي بين بني عامر وبين النبي (ﷺ)، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فلما أتاهم النبي (ﷺ) قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على

---

(١) منحة المعبود (٢/ ١٩) نقلاً عن تاريخ الدعوة الإسلامية ص١٣٠ .
(٢) الفتح (٦/١٨٨)، الفتح (٧/٤٠٥) .
(٣) مواقف الصديق مع النبي في المدينة - د. عاطف لماضة ص٢٨ .
(٤) مسلم - رقم ٢٤١٨ .

مثل حاله هذه، ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد. قالوا: فمن يعلوا على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله (ﷺ) في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله (ﷺ) الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج إلى المدينة، فلما استلبث النبي (ﷺ) أصحابه قاموا في طلبه فرأوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب النبي (ﷺ) حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به.

فبعث النبي (ﷺ) محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق يحرضونهم على المقام ويعدونهم بالنصر، فقويت نفوسهم وحمى حيي بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله (ﷺ) أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهد فعند ذلك أمر رسول الله (ﷺ) الناس بالخروج إليهم فحاصروهم خمس عشرة ليلة فتحصنوا في الحصون، فأمر رسول الله (ﷺ) بقطع النخيل والتحريق، ثم أجلاهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة فنزلت سورة الحشر[١].

ب- بني المصطلق:

أراد بنو المصطلق أن يغزو المدينة، فخرج لهم رسول الله (ﷺ) في أصحابه فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق، ويقال إلى عمار بن ياسر وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة. ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا: لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا، فتراموا بالنبل ثم أمر رسول الله (ﷺ) المسلمين فحملوا حملة رجلٍ واحد فما أفلت منهم رجلٌ واحدٌ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين سوى رجلٍ واحد[٢].

جـ- في الخندق وبني قريظة:

كان الصديق في الغزوتين مرافقًا للنبي (ﷺ)، وكان يوم الخندق يحمل التراب في ثيابه، وساهم مع الصحابة للإسراع في إنجاز حفر الخندق في زمن قياسي مما جعل فكرة الخندق تصيب هدفها في مواجهة المشركين[٣].

رابعًا: في الحديبية:

خرج رسول الله (ﷺ) في ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد زيارة البيت الحرام في كوكبة من الصحابة عددها أربع عشرة مائة وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من

---

(١) البخاري – كتاب المغازي – باب حديث بني النضير (٥/ ٢١٧)، مغازي الواقدي (١/ ٣٦٣)، البداية والنهاية (٤/ ٨٦).

(٢) البداية والنهاية (٤/ ١٥٧).

(٣) مواقف الصديق مع النبي في المدينة ص٣٢.

حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لتعظيم بيت الله الحرام فبعث النبي (ﷺ) عينًا له من خزاعة فعاد بالخبر أن أهل مكة جمعوا جموعهم لصده عن الكعبة، فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس»، فقال أبو بكر (رضي الله عنه): يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد حربه أو قتل أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: «امضوا على اسم الله»، وقد ثارت ثائرة قريش وحلفوا أن لا يدخل الرسول (ﷺ) مكة عنوة ثم قامت المفاوضات بين أهل مكة ورسول الله (ﷺ) وقد عزم النبي (ﷺ) على إجابة أهل مكة على طلبهم إن أرادوا شيئًا فيه صلة رحم[1].

أ- في المفاوضات:

جاءت وفود قريش لمفاوضة النبي (ﷺ)، وكان أول من أتى بديل بن ورقاء من خزاعة فلما علم بمقصد النبي (ﷺ) والمسلمين رجع إلى أهل مكة، ثم جاء مكرز بن حفص ثم الحليس بن علقمة ثم عروة بن مسعود الثقفي فدار هذا الحوار بين النبي (ﷺ) وعروة بن مسعود الثقفي واشترك في هذا الحوار أبو بكر (رضي الله عنه) وبعض أصحابه[2].

قال عروة: يا محمد أجمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم؟ إنها قريش قد خرجت معها (العوذ المطافيل)- أي خرجت رجالاً ونساءً صغارًا وكبارًا- قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة وايم الله لكأني بهؤلاء يقصد أصحاب النبي (ﷺ) قد انكشفوا عنك!!

فقال أبو بكر: امصص بظر[3] اللات - وهي صنم ثقيف - أنحن نفرُّ عنه وندعه؟[4] فقال من ذا؟ قالوا أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أحسن إليه قبل ذلك، فرعى حرمته ولم يجاوبه عن هذه الكلمة ولهذا قال من قال من العلماء: إن هذا يدل على جواز التصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة، وليس من الفحش المنهي عنه[5].

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشن حربًا نفسية على المسلمين حتى يهزمهم معنويًا، ولذلك لوح بقوة المسلمين العسكرية، معتمدًا على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيئول لصالح قريش لا محالة وحاول أن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده عندما قال للنبي (ﷺ) أوباشًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، وكان رد الصديق صارمًا ومؤثرًا في معنويات عروة ونفسيته، فقد كان موقف الصديق في غاية العزة الإيمانية التي قال الله فيها: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص١٣٦ .

(٢) نفس المصدر ص١٣٧ .

(٣) البظر: ما تقطعه الخاتنة من بضع المرأة عند ختانها .

(٤) البخاري - كتاب الشروط في الجهاد (٣/ ٢٣٧) - رقم ٢٧٣٢ .

(٥) أبو بكر الصديق - محمد مال الله ص٣٥٠ .

مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ب-موقفه من الصلح:

ولما توصل المشركون مع رسول الله (ﷺ) إلى الصلح بقيادة سهيل بن عمرو أصغى الصديق إلى ما وافق عليه رسول الله (ﷺ) من طلب المشركين، رغم ما قد يظهر للمرء أن في هذا الصلح بعض التجاوز أو الإجحاف بالمسلمين وسار على هدي النبي (ﷺ) ليقينه بأن النبي لا ينطق عن الهوى، وأنه فعل ذلك لشيء أطلعه الله عليه(١).

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله معلنًا معارضته لهذه الاتفاقية وقال لرسول الله (ﷺ) : ألست برسول الله؟ قال: «**بلى**»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «**بلى**»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «**بلى**»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه**»(٢)، وفي رواية: «**أنا عبد الله ورسوله؛ لن أخالف أمره ولن يضيعني**»(٣)، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى**»، فأخبرتك أنا نأتيه هذا العام؟ قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**»، قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟! قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟! قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر- ناصحًا الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة - إلزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن نخالف أمر الله ولن يضيّعه الله(٤)، وكان جواب الصديق مثل جواب رسول الله (ﷺ) ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي (ﷺ)، فكان أبو بكر (رضي الله عنه) أكمل موافقة لله وللنبي (ﷺ) من عمر مع أن عمر (رضي الله عنه) مُحدَّثٌ، ولكن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله(٥).

وقد تحدث الصديق فيما بعد عن هذا الفتح العظيم الذي تم في الحديبية فقال: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قَصُرَ رأيهم عما كان بين محمد وربّه، والعباد يَعْجَلون، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد نظرت إلى سُهيل بن عمرو في حَجَّة الوداع قائمًا عند المنحر يُقَرِّب إلى رسول الله (ﷺ) بَدَنَةً، ورسول الله (ﷺ) ينحرها بيده، ودعا الحلاَّق فحلق رأسه، وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره، وأراه يضعه على عينه، وأذكر إباءه أن يُقرَّ يوم الحديبية بأن يكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) ويأبى الله أن يكتب: محمد رسول الله (ﷺ) فحمدت الله الذي هداه للإسلام(٦).

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص١٣٨ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٦) .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٦) تاريخ الطبري (٢/ ٣٦٤) .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٦)

(٥) الفتاوى - لابن تيمية (١١/ ١١٧) .

(٦) كنز العمال (٣٠١٣٦) نقلاً عن خطب أبي بكر الصديق - محمد أحمد عاشور ص١١٧ .

لقد كان الصديق (رضي الله عنه) أسدَّ الصحابة رأيًا وأكملهم عقلاً[(١)].

خامسًا: في غزوة خيبر، وسرية نجد وبني فزارة:

ضرب رسول الله (ﷺ) حصارًا على خيبر واستعد لقتالهم، فكان أول قائد يرسله (ﷺ) أبا بكر (رضي الله عنه) إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم بعث عمر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح، ثم قال لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، فكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[(٢)]، وأشار بعض أصحاب النبي (ﷺ) بقطع النخيل حتى يثخن في اليهود ورضي النبي (ﷺ) بذلك، فأسرع المسلمون في قطعه، فذهب الصديق إلى النبي (ﷺ) وأشار عليه بعدم قطع النخيل لما في ذلك من الخسارة للمسلمين سواء فتحت خيبر عنوة أو صلحًا فقبل النبي (ﷺ) مشورة الصديق ونادى بالمسلمين بالكف عن قطع النخيل فرفعوا أيديهم[(٣)].

ب- في نجد:

أخرج ابن سعد عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بعث رسول الله (ﷺ) أبا بكر إلى نجد وأمره علينا فبيتنا ناسًا من هوازن فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا أَمِتْ أَمِتْ[(٤)].

جـ- في بني فزارة:

روى الإمام أحمد من طريق إياس بن سلمة عن أبيه حدثني أبي قال: خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة وأمره النبي (ﷺ) علينا، فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقاتلنا على الماء من مر قبلنا، قال سلمة: ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل. قال: فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب قال فنفلني أبو بكر، فما كشفت لها ثوبًا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوبًا، قال فلقيني رسول الله (ﷺ) في السوق فقال لي: «يا سلمة، هب لي المرأة» قال: فقلت والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبًا، قال فسكت رسول الله، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله في السوق فقال لي: «يا سلمة، هب لي المرأة» قال: فقلت والله يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله، قال فبعث بها رسول الله إلى أهل مكة،وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله بتلك المرأة[(٥)].

---

(١) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٦١ .
(٢) فتوح البلدان (١/ ٢٦) .
(٣) المغازي - للواقدي (٢/ ٦٤٤) .
(٤) الطبقات الكبرى (١/ ١٢٤)، أبو داود - كتاب الجهاد - باب في البيات (٣/ ٤٣) .
(٥) أحمد (٤/ ٤٣٠)، الطبقات (٤/ ١٦٤) .

سادسًا: في عمرة القضاء وفي ذات السلاسل:

أ-في عمرة القضاء:

كان الصديق (رضي الله عنه) ضمن المسلمين الذين ذهبوا مع رسول الله (ﷺ) ليعتمروا عمرة القضاء مكان عمرتهم التي صدهم المشركون عنها[١].

ب-في سرية ذات السلاسل:

قال رافع بن عمرو الطائي (رضي الله عنه) : بعث رسول الله (ﷺ) عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل[٢]، وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر وعمر، (رضي الله عنهما)، وسَرَاة[٣] أصحابه، فانطلقوا حتى نزلوا جبل طَيّ، فقال عمرو: انظروا إلى رجل دليل بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو، فإنه كان رَبيلاً[٤] في الجاهلية. قال رافع: فلما قضينا غَزَاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه، توسّمت أبا بكر (رضي الله عنه)، وكانت له عباءة فدكية،[٥] فإذا ركب خَلَّهَا عليه بخلال[٦]، وإذا نزل بسطها فأتيته فقلت: يا صاحب الخلال، إني توسمتك من بين أصحابك، فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم ولا تطوّل عليّ فأنسى. فقال: تحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس، وتؤتي زكاة مالك إن كان لك مال، وتحج البيت، وتصوم رمضان: هل حفظت؟ قلت: نعم، قال: وأخرى لا تُؤمَّرَنَّ على اثنين قلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل المَدَر[٧]. فقال: يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك، إن الله (عز وجل) لما بعث نبيه (ﷺ) دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل لله فهداه الله، ومنهم من أكرهه السّيف، فكلهم عُوّاد الله وجيران الله وخَفَارة[٨] الله، إن الرجل إذا كان أميرًا، فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ لبعضهم من بعض انتقم الله منه، إن الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل نَاتئ[٩] عضلته غضبًا لجاره والله من وراء جاره[١٠].

ففي هذه النصيحة دروس وعبر لأبناء المسلمين يقدمها الصحابي الجليل أبو بكر الصديق الذي تربى على الإسلام وعلى يد رسول الله (ﷺ) من أهمها:

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية ص١٤٢ .

(٢) ذات السلاسل: مكان وراء وادي القرس وبينها وبين المدينة عشرة أيام .

(٣) شرفاء: أصحابه .

(٤) الربيل: اللص يغزو وحده ويغير على غيره .

(٥) منسوبة إلى فدك، وهي قرية من خيبر، بينها وبين المدينة ست ليال .

(٦) خَلَّهَا عليه أي جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد .

(٧) المدر: الطين اللزج المتماسك والمعقود سكان البيوت المبنية .

(٨) الخفارة: الذمة والعهد والأمان .

(٩) الناتئ: المرتفع والمنتفخ .

(١٠) العضلة: هي القطعة من اللحم الشديد . انظر: مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٢) .

١- أهمية العبادات: الصلاة لأنها عماد الدين، والزكاة والصوم والحج.

٢- عدم طلب الإمارة (ولا تكونن أميرًا) تمامًا كما أوصى رسول الله (ﷺ)، أبا ذر الغفاري: «**وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها**»[١] ولذلك فإن أبا بكر الفاهم الواعي لكلام حبيبه محمد (ﷺ) جاء في رواية: وأنه من يك أميرًا فإنه أطول الناس حسابًا، وأغلظهم عذابًا، ومن لا يكن أميرًا فإنه من أيسر الناس حسابًا، وأهونهم عذابًا[٢]، فهذا فهم الصديق لمقام الإمارة.

٣- إن الله حرم الظلم على نفسه، ونهى عباده أن يتظالموا، أن يظلم بعضهم بعضا، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، كما نهى عن ظلم المؤمنين «**من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»[٣]، وهم جيران الله، وهم عواذ الله، والله أحق أن يغضب لجيرانه[٤].

٤- على عهد الصدر الأول كان أمراء الأمة خيارها، وجاء وقت فشاء أمرها (الإمارة) وكثرت حتى نالها من ليس لها بأهل: إن هذه الإمارة ليسيرة، وقد أوشكت أن تفشوا حتى ينالها من ليس لها بأهل[٥].

٥-وفي غزوة ذات السلاسل ظهر موقف متميز للصديق في احترام الأمراء مما يثبت أن أبا بكر كان صاحب نفس تنطوي على قوة هائلة، وقدرة متميزة في بناء الرجال، وتقديرهم واحترامهم[٦]، فعن عبد الله بن بريدة قال: بعث رسول الله (ﷺ) عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا نارًا، فغضب عمر وهم أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، وأخبره أن الرسول (ﷺ) لم يستعمله عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر (رضي الله عنه)[٧].

سابعا: في فتح مكة وحنين والطائف:

أ- في فتح مكة ٨هـ:

كان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعًا قالا: في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو

(١) مسلم - كتاب الإمارة - رقم ١٨٢٥ .
(٢) استخلاف أبي بكر الصديق - جمال عبد الهادي ص١٣٩ .
(٣) مسند أحمد (٦/ ٢٥٦) .
(٤) استخلاف أبي بكر - جمال عبد الهادي ص١٤٠ .
(٥) نفس المصدر ص١٤٠ .
(٦) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٨٢ .
(٧) الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح كتاب المغازي (٣/ ٤٢) .

بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في ذلك نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرًا، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير- وهو قريب من مكة - وقالت قريش ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا من أحد فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله (ﷺ) فقدم عمرو بن سالم إلى المدينة فأنشد رسول الله (ﷺ) قائلاً:

اللهم إني ناشد محمداً ∴ حلف أبينا وأبيك الأتلدا

فانصر هداك الله نصراً أعتدا ∴ وادع عباد الله يأتوا مددا

فقال النبي (ﷺ): «**نصرت يا عمرو بن سالم**»[1].

وتجهز النبي (ﷺ) مع صحابته للخروج إلى مكة، وكتم الخبر، ودعا الله أن يعمي على قريش حتى تفاجأ بالجيش المسلم يفتح مكة وخافت قريش أن يعلم النبي (ﷺ) بما حدث فخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله فقال: يا محمد، أشدد العقد، وزدنا في المدة، فقال النبي (ﷺ): «**ولذلك قدمت؟ هل كان من حدث قبلكم**»، فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل، فخرج من عند النبي (ﷺ) يقصد مقابلة الصحابة عليهم الرضوان[2].

١-أبو بكر وأبو سفيان:

طلب أبو سفيان من أبي بكر (رضي الله عنه) أن يجدد العقد ويزدهم في المدة، فقال أبو بكر: جواري في جوار رسول الله (ﷺ)، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم. وهنا تظهر فطنة الصديق وحنكته السياسية، ثم يظهر الإيمان القوي بالحق الذي هو عليه ويعلن أمام أبي سفيان دون خوف أنه مستعد لحرب قريش بكل ما يمكن ولو وجد الذر تقاتل قريشًا لأعانها عليهم[3].

٢- بين عائشة وأبي بكر الصديق (رضي الله عنهما):

دخل الصديق (رضي الله عنه) على عائشة وهي تغربل حنطة وقد أمرها النبي (ﷺ) بأن تخفي ذلك . . فقال لها أبو بكر: يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت، فقال: أيريد رسول الله أن يغزو؟ فصمتت، فقال لعله يريد بني الأصفر - أي الروم - فصمتت، فقال لعله يريد أهل نجد؟ فصمتت، فقال لعله يريد قريشًا، فصمتت، فدخل رسول الله (ﷺ) فقال الصديق له: يا رسول الله! أتريد أن تخرج مخرجًا؟ قال: «**نعم**»، لعلك تريد بني الأصفر؟ قال: «**لا**»، قال: أتريد أهل نجد؟ قال: «**لا**»، قال: فلعلك تريد قريشًا؟ قال: «**نعم**». قال أبو بكر: يا رسول الله! أليس بينك وبينهم مدة؟ قال: «**ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب؟**».

---

(١) السيرة النبوية - لابن هشام (٤/ ٤٤).

(٢) التاريخ السياسي والعسكري - د. علي معطي ص٣٦٥ - الطبري (٣/ ٤٣).

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية ص١٤٥ .

وهنا سلم أبو بكر للنبي (ﷺ) وجهز نفسه ليكون مع القائد (ﷺ) في هذه المهمة الكبرى، وذهب مع رسول الله (ﷺ) المهاجرون والأنصار فلم يتخلف منهم أحد[١].

٣-الصديق في دخول مكة:

لما دخل النبي (ﷺ) مكة في عام الفتح وكان بجانبه أبو بكر رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فابتسم إلى أبي بكر (رضي الله عنه) وقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان؟» فأنشد أبو بكر:

عَدِمْنَا خَيلنا إن لم تروْها ∴ تُثير النَّقعَ مَوْعِدُها كَدَاءُ
يُبارِيْنَ الأَسنَّة مُصْغيات ∴ على أكتَافها الأَسلُ الظِّمَاءُ
تـظلُّ جيادُنا متمطِّرات ∴ تلطمهُنَّ بالخُمرِ النساءُ[٢]

فقال النبي (ﷺ): «ادخلوها من حيث قال حسان»[٣]، وقد تمّت النعمة على الصديق في هذا الجو العظيم بإسلام أبيه أبي قحافة[٤].

ب- في حنين:

أخذ المسلمون يوم حنين درسًا قاسيًا، إذ لحقتهم هزيمة في أول المعركة جعلتهم يفرون من هول المفاجأة، وكانوا كما قال الإمام الطبري: فانشمروا لا يلوي أحدٌ على أحد[٥] وجعل رسول الله (ﷺ) يقول: «أين أيها الناس؟ هلموا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله .. يا معشر الأنصار، أنا عبد الله ورسوله».. ثم نادى عمه العباس وكان جهوري الصوت فقال له: «يا عباس ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة»[٦]، كان هذا هو حال المسلمين في أول المعركة، النبي وحده لم يثبت معه أحد إلا قلة، ولم تكن الفئة التي صبرت مع النبي إلا فئة من الصحابة يتقدمهم الصديق (رضي الله عنه)، ثم نصرهم الله بعد ذلك نصرًا عزيزًا مؤزرًا[٧]، وكانت هناك بعض المواقف للصديق منها:

١- فتوى الصديق بين يدي رسول الله (ﷺ):

قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها ثم أخذني فضمني ضمًا شديدًا حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٧٩٦).
(٢) الحاكم في المستدرك: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (٣/ ٧٢).
(٣) نفس المرجع السابق (٣/ ٧٢)، الطبري (٣/ ٤٢).
(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية ص١٤٧.
(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٧٤).
(٦) مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب في غزوة حنين (٣/ ١٣٩٨) - رقم ١٧٧٥.
(٧) مواقف الصديق مع النبي في المدينة ص٤٣.

وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال أمر الله ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله: «من أقام بينةً على قتيل قتله، فله سلبه»، فقمت لألتمس بينة قتيلي فلم أرَ أحدًا يشهد لي، فجلست ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله (ﷺ)، فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه[1]، أصيبغ من قريش ويدع[2] أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله (ﷺ)، قال: فقام رسول الله (ﷺ) فأدّاه إليّ فاشتريت منه، خرافًا[3]، فكان أول مال تأثّلته في الإسلام[4].

إن مبادرة الصديق في الزجر والردع والفتوى واليمين على ذلك في حضرة رسول الله (ﷺ)، ثم يصدقه الرسول فيما قال ويحكم بقوله خصوصية شرف، لم تكن لأحد غيره[5] ونلحظ في الخبر السابق أن أبا قتادة الأنصاري (رضي الله عنه) حرص على سلامة أخيه المسلم، وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق (رضي الله عنه) فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق والدفاع عنه ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له[6].

٢-الصديق وشعر عباس بن مرداس:

حين استقل العباس بن مرداس عطاءه من غنائم حنين قال شعرًا عاتب فيه رسول الله (ﷺ) حيث قال:

كانت نهابًا تلافيتها	∴	بكرّي على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا	∴	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد	∴	بين عيينة والأقرع[7]
وقد كنت في الحرب ذا تدرُء	∴	فلم أعطَ شيئًا ولم أمنَع
إلا أفائل أعطيتها	∴	عديد قوائمها الأربع[8]
وما كان حصن ولا حابس	∴	يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما	∴	ومن تضع اليوم لا يُرفَع[9]

(١) لا يعطه: أي لا يعطي رسول الله. وقوله أصيبغ نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.
(٢) يدع: يترك.
(٣) خرافًا: أي بستانًا أقام الثمر مقام الأصل.
(٤) البخاري - كتاب المغازي (١١٩/٥) - رقم ٤٣٢٢.
(٥) الرياض الناظرة في مناقب العشرة - أبي جعفر محب الدين ص١٨٥.
(٦) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٢٦/٨).
(٧) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.
(٨) الأفائل: الصغار من الأبل، الواحد أفيل.
(٩) السيرة النبوية - لابن هشام (١٤٧/٤).

فقال رسول الله (ﷺ): «اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانه»، فأعطوه حتى رَضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله (ﷺ)(١).

وأتى العباس رسول الله (ﷺ)، فقال له رسول الله (ﷺ): «**أنت القائل: فأصبح نهبي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟**».

فقال أبو بكر الصديق: بين عيينة والأقرع.

فقال رسول الله (ﷺ): «**هما واحد**».

فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله (تعالى): ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾ [يس: ٦٩](٢).

ج- في الطائف:

في حصار الطائف وقعت جراحات في أصحاب النبي (ﷺ) وشهادة، ورفع رسول الله (ﷺ) عن أهل الطائف الحصار ورجع إلى المدينة وممن استشهد من المسلمين في هذه الغزوة عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) رمي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة النبي (ﷺ)(٣).

وعندما قدم وفد ثقيف للمدينة ليعلنوا إسلامهم فما إن ظهر الوفد قرب المدينة حتى تنافس كل من أبي بكر والمغيرة على أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول (ﷺ)، وفاز الصديق بتلك البشارة(٤)، وبعد أن أعلنوا إسلامهم وكتب لهم رسول الله (ﷺ) كتابهم وأراد أن يؤمّر عليهم أشار أبو بكر بعثمان بن أبي العاص - وكان أحدثهم سنًا - فقال الصديق: يا رسول الله! إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن(٥)، فقد كان عثمان بن أبي العاص كلما نام قومه بالهاجرة، عمد إلى رسول الله (ﷺ) فسأله في الدين واستقرأه القرآن حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله (ﷺ) نائمًا عمد إلى أبي بكر وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله (ﷺ) وعجب منه وأحبه(٦).

وعندما علم الصديق بصاحب السهم الذي أصاب ابنه كانت له مقولة تدل على عظمة إيمانه فعن القاسم بن محمد قال: رُمِيَ عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) بسهم يوم الطائف، فانتقضت به بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بأربعين ليلة، فمات فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عنده، فأخرجه إليهم فقال: هل يعرف هذا السَّهمَ منكم أحد؟ فقال سعيد بن

(١) نفس المصدر (٤/١٤٧).
(٢) المصدر السابق (٤/١٤٧).
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية ص١٥١.
(٤) السيرة النبوية - لابن هشام (٤/١٩٣).
(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية ص١٥٢.
(٦) تاريخ الإسلام - للذهبي، المغازي ص٦٧٠.

عبيد، أخو بني عجلان: هذا سهم أنا بَرَيْتُهُ ورشته[١]، عقبته[٢]، وأنا رميت به. فقال أبو بكر (رضي الله عنه): فإن هذا السهم الذي قتل عبد الله بن أبي بكر، فالحمد لله الذي أكرمه بيدك، ولم يُهنك بيده، فإنه أوسع لكما[٣].

ثامنًا: في غزوة تبوك، وإمارة الحج، وفي حجة الوداع:

أ- في تبوك:

خرج رسول الله (ﷺ) بجيش عظيم في غزوة تبوك بلغ عدده ثلاثين ألفًا وكان يريد قتال الروم بالشام، وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله (ﷺ)، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطى لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[٤]، وفي هذه الغزوة ظهرت بعض المواقف للصديق منها:

١- موقفه من وفاة الصحابي عبد الله ذو البجادين (رضي الله عنه):

قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): قمت في جوف الليل وأنا مع رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار من ناحية العسكر، قال: فاتبعتها، أنظر إليها فإذا رسول الله (ﷺ) وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله في حضرته، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: «**أدنيا إلي أخاكما**»، فدلياه إليه، فلما هيأه بشقه قال: «**اللهم إني أمسيت راضيًا عنه فارض عنه**». قال (الراوي عبد الله بن مسعود): قال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة[٥].

وكان الصديق (رضي الله عنه) إذا دخل الميت اللحد قال: بسم الله وعلى ملة رسول الله (ﷺ)، وباليقين وبالبعث بعد الموت[٦].

٢- طلب الصديق من رسول الله (ﷺ) الدعاء للمسلمين:

قال عمر بن الخطاب: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق، يا رسول الله! إن الله قد عوّدك في الدعاء خيرًا، فادع الله، قال: «**أتحب ذلك؟**» قال: نعم! فرفع يديه فلم يردهما حتى قالت السماء -أي تهيئت لإنزال مائها- فأظلت -أي أنزلت مطرًا خفيفًا- ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[٧].

---

(١) رشته: وصنعت فيه الريش.
(٢) عقبته: جذبته من عقبه.
(٣) خطب أبي بكرالصديق – محمد أحمد عاشور ص١١٨، والرواية فيها انقطاع.
(٤) صفة الصفوة (١/٢٤٣).
(٥) صحيح السيرة النبوية ص٥٩٨.
(٦) مصنف عبد الرزاق (٣/٤٩٧) نقلاً عن موسوعة فقه الصديق ص٢٢٢.
(٧) ابن حبان – كتاب الجهاد – باب غزوة تبوك – رقم ١٧٠٧.

٣- نفقة الصديق في تبوك:

حث رسول الله (ﷺ) الصحابة في غزوة تبوك على الإنفاق بسبب بعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته وكان عثمان (رضي الله عنه) صاحب القدح المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة(١).

وتصدق عمر بن الخطاب بنصف ماله، وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك ونترك الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله (ﷺ) يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله (ﷺ): «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر (رضي الله عنه) بكل ما عنده، فقال له رسول الله (ﷺ): «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا(٢).

كان فعل عمر فيما فعله من المنافسة والغبطة مباحًا ولكن حال الصديق (رضي الله عنه) أفضل منه لأنه خال من المنافسة مطلقًا ولا ينظر إلى غيره(٣).

ب- الصديق أمير الحج سنة ٩هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي (ﷺ) مستمرة على كافة الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والعسكرية والتعبدية وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، وحجة عام ٨هـ بعد الفتح كُلِّف بها عتّاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين(٤)، فلما حل موسم الحج أراد الحج (ﷺ) ولكنه قال: «**إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك**» فأرسل النبي (ﷺ) الصديق أميرًا على الحج سنة تسعة هجرية، فخرج أبو بكر الصديق بركب الحجيج نزلت سورة «براءة» فدعا النبي (ﷺ) عليًا (رضي الله عنه) وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله (ﷺ): العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي حليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سار، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة، لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول فكان يعرّف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات.. إلخ وعلي بن أبي طالب يخلفه في كل موقف من هذه المواقف فيقرأ على الناس صدر سورة

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٦١٥ .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الزكاة (٢/ ٣١٢-٣١٣) - رقم ١٦٧٨، وحسنه الألباني .

(٣) الفتاوى - لابن تيمية (١٠/ ٧٢، ٧٣) .

(٤) دراسات في عهد النبوة - عماد الدين خليل ص٢٢٢ .

براءة، ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله (ﷺ) عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك[١].

وقد أمر الصديق أبا هريرة في رهط آخر من الصحابة لمساعدة عليّ بن أبي طالب في إنجاز مهمته[٢].

وقد كلف النبي (ﷺ) عليًا بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام فلذلك تدارك النبي (ﷺ) الأمر وأرسل عليًا بذلك، فهذا هو السبب في تكليف عليًا (رضي الله عنه) بتبليغ صدر سورة «براءة» لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن عليًا (رضي الله عنه) أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق على ذلك الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق له: أمير أم مأمور؟[٣] وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير؟[٤].

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع[٥]، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله (تعالى)، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد[٦].

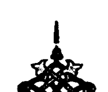
ج- في حجة الوداع:

روى الإمام أحمد (رحمه الله) بسنده إلى عبد الله بن الزبير عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قالت: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) حجاجًا حتى أدركنا (العرج)[٧] نزل رسول الله (ﷺ)، فجلست عائشة جنب النبي (ﷺ)، وزمالة أبي بكر (ﷺ)، وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام لأبي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه، فطلع وليس معه بعيره!! فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضللته البارحة! فقال أبو بكر: بعير واحد تضله!! فطفق يضربه ورسول الله (ﷺ) يتبسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم وما يصنع[٨]».

---

(١) صحيح السيرة النبوية ص٦٢٥ .
(٢) السيرة النبوية - لأبي شهبة (٢/ ٥٣٧) .
(٣) صحيح السيرة النبوية ص٦٢٤ .
(٤) السيرة النبوية - لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠) .
(٥) نفس المصدر (٢/ ٥٤٠) .
(٦) قراءة سياسية للسيرة النبوية - قلعجي ص٢٨٣ .
(٧) العَرْج: واد فحل من أودية الحجاز التهامية - معجم المعالم الجغرافية ص٢٠٣ .
(٨) مسند أحمد (٦/ ٣٤٤) .





المبحث الخامس

الصديق في المجتمع المدني وبعض صفاته وشيء من فضائله

كانت حياة الصديق في المجتمع المدني مليئة بالدروس والعبر وتركت لنا نموذجًا حيًا لفهم الإسلام وتطبيقه في دنيا الناس وقد تميزت شخصية الصديق بصفات عظيمة ومدحه رسول الله (ﷺ) في أحاديث كثيرة وبين فضله وتقدمه على كثير من الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعين.

أولاً: من مواقفه في المجتمع المدني:

١- موقفه من فنحاص الحبر اليهودي:

ذكر غير واحد من كتّاب السيّر والمفسرين أن أبا بكر (رضي الله عنه) دخل بيت المدارس[١]، على يهود، فوجد منهم ناسًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم، يقال له أشيع[٢]، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك! اتق الله وأسلم، فوالله إنك تعلم أن محمدًا لرسول الله (ﷺ)، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني ولو كان عنا غنيًا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك، أي عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله (ﷺ)، فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن عدو الله قال قولاً عظيمًا، إنه يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله (تعالى) فيما قال فنحاص ردًا عليه، وتصديقًا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[آل عمران: ١٨١].

---

(١) مكان يتلى فيه التوراة.

(٢) السيرة النبوية - لابن هشام (١/٥٥٨-٥٥٩).

ونزل في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وما بلغه في ذلك من الغضب[١] قوله (تعالى): ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٢- حفظ سر النبي (ﷺ):

قال عمر بن الخطاب: تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة، وكان مما شهد بدرًا، فلقيت عثمان بن عفان فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: انظر ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، فلقيت أبا بكر فعرضتها عليه فصمت فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله (ﷺ) فأنكحتها إياه، ثم لقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين لم أرجع إليك، فقلت: أجل فقال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أني علمت أن رسول الله (ﷺ) قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله (ﷺ) ولو تركها لنكحتها[٢].

٣- الصديق وآية صلاة الجمعة:

قال جابر بن عبد الله بينما النبي (ﷺ) يخطب يوم الجمعة، وقدمت عير المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله (ﷺ) حتى لم يبق معه (ﷺ) إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١] وقال: في الاثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله (ﷺ) أبو بكر وعمر[٣].

٤- رسول الله (ﷺ) ينفي الخيلاء عن أبي بكر:

قال عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): قال رسول الله (ﷺ): «من جر ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقال أبو بكر: إن أحد شقيّ يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله (ﷺ): «إنك لست تصنع ذلك خُيلاء»[٤].

٥- الصديق وتحريه للحلال:

عن قيس بن أبي حازم قال: كان لأبي بكر غلام فكان إذا جاء بغلّته لم يأكل من غلّته حتى يسأل، فإن كان شيئًا مما يحب أكل، وإن كان شيئًا يكره لم يأكل، قال: فنسي ليلة فأكل ولم يسأله، ثم سأله فأخبره أنه من شيء كرهه، فأدخل يده فتقيأ حتى لم يترك شيئًا[٥].

فهذا مثال على ورع أبي بكر (رضي الله عنه) حيث كان يتحرى الحلال في مطعمه ومشربه،

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٩٥).
(٢) الفتح (٩/ ٨١)، الطبقات الكبرى (٨/ ٨٢).
(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٠٠)، مسلم - رقم ٨٦٣.
(٤) البخاري رقم ٣٦٦٥.
(٥) الزهد - للإمام أحمد (١١٠) نقلاً عن التاريخ الإسلامي - للحميدي (١٩/ ١٣).

ويتجنب الشبهات، وهذه الخصلة تدل على بلوغه درجات عُليا في التقوى، ولا يَخفَى أهمية طيب المطعم والمشرب والملبس في الدين، وعلاقة ذلك بإجابة الدعاء[(١)]، كما في حديث الأشعث الأغبر وفيه: «يمد يديه إلى السماء: يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك»[(٢)]

٦- أدخلاني في السلم، كما أدخلتماني في الحرب:

دخل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على النبي (ﷺ) فسمع صوت ابنته عائشة عاليًا فلما اقترب منها تناولها ليلطمها وقال: أراك ترفعين صوتك على رسول الله (ﷺ)، فجعل رسول الله يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبًا فقال النبي (ﷺ) لعائشة حين خرج أبو بكر: «أرأيت كيف أنقذتك من الرجل؟» فمكث أبو بكر أيامًا، ثم استأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا. فقال لهما: (أدخلاني في سلمكما، كما أدخلتماني في حربكما) فقال النبي (ﷺ): «قد فعلنا»[(٣)].

٧- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

دخل أبو بكر على عائشة (رضي الله عنها) في أيام العيد، وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان فقال أبو بكر (رضي الله عنه): أبمزمار الشيطان في بيت رسول الله (ﷺ)؟ وكان رسول الله (ﷺ) معرضًا بوجهه عنهما، مقبلاً بوجهه الكريم إلى الحائط. فقال: «دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا أهل الإسلام»[(٤)]، ففي الحديث بيان: أن هذا لم يكن من عادة النبي (ﷺ) وأصحابه الاجتماع عليه، ولهذا سماه الصديق مزمار الشيطان، والنبي (ﷺ) أقر الجواري عليه معللاً ذلك بأنه يوم عيد، والصغار يرخص لهم في اللعب في الأعياد، كما جاء في الحديث: «ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة»[(٥)]. وكان لعائشة لُعَب تلعب بهن ويجئن صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها، وليس في حديث الجاريتين أن النبي (ﷺ) استمع إلى ذلك، والأمر والنهي إنما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع[(٦)]. ومن هذا نفهم أنه يرخص لمن يصلح له اللعب أن يلعب في الأعياد، كالجاريتين الصغيرتين من الأنصار اللتين تغنيان في العيد في بيت عائشة[(٧)].

٨- إكرامه للضيوف:

قال عبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهما): أن أصحاب الصُّفَّة كانوا أناسًا فقراء، وأن رسول

(١) التاريخ الإسلامي - للحميدي (١٩/١٣).
(٢) مسلم - كتاب رقم ١٠١٥ (٢/٧٠٣).
(٣) أبو داود (٤٩٩٩)، ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، سيرة الصديق - مجدي السيد ص١٣٦
(٤) مسلم في صلاة العيدين - رقم ٨٩٢.
(٥) الفتاوى (١١/٣٠٨)، مسند أحمد (٦/١١٦، ٢٣٣) عن عائشة.
(٦) نفس المصدر (٣٠/١١٨).
(٧) المصدر السابق (٣٠/١١٨).

الله (ﷺ) قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس»، وإن أبا بكر جاء بثلاث... وإن أبا بكر تعشى عند رسول الله (ﷺ) فجاء بعد أن مضى من الليل ما شاء الله (تعالى) فقالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ أو قالت عن ضيفك، قال: وما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، وقد عرضوا عليهم فغلبوهم قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غنثر [1] - فجدع وسب، وقال: كلوا هنيئًا، وقال: والله لا أطعم أبدًا، وحلف الضيف أن لا يطعمه حتى يطعم أبو بكر، فقال أبو بكر: هذه من الشيطان، قال فدعا بالطعام فأكل، فقال: وايم الله ما كنا نأخذ لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها فإذا هي كما هي وأكثر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، هي الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان -يعني يمينه- ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى رسول الله (ﷺ) فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين القوم عقد فمضى الأجل فتفرقنا اثني عشر رجلاً مع كل واحد منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل منهم فأكلوا منها أجمعين[2].

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

أ- حرص الصديق على تطبيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على إكرام الضيف مثل قوله (تعالى): ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧].

وقوله (ﷺ): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه»[3].

ب- وفي هذه القصة كرامة للصديق حيث جعل لا يأكل لقمة إلا ربَي من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله (ﷺ)، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا[4] وهذه الكرامة حصلت ببركة اتباع الصديق لرسول الله (ﷺ) في كافة أحواله، وهي تدل على مقام الولاية للصديق فأولياء الله هم المقتدون بمحمد (ﷺ) فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بيَّن لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياؤه المتقين[5].

ج- تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): إن أبا بكر لم يحنث في يمين قط حتى أنزل الله كفارة اليمين، فقال: لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خير منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت

---

(١) غنثر: الثقيل الوخيم وقيل الجاهل.
(٢) مسلم - كتاب الأشربة - رقم ٢٠٥٧.
(٣) مسلم (٣/١٣٥٣).
(٤) الفتاوى (١١/١٥٣).
(٥) الفتاوى (١١/١٥٢).

عن يميني[١]، فكان إذا حلف على شيء ورأى غيره خيرًا منه كفر وأتى الذي هو خير[٢]، وفي هذه القصة ما يدل على ذلك حيث ترك يمينه الأولى إكرامًا لضيوفه وأكل معهم[٣].

٩- ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر:

قالت عائشة (رضي الله عنها): خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش- انقطع عقد لي فأقام رسول الله (ﷺ) على التماسه، وأقام الناس معه، وليس على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله (ﷺ) وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله (ﷺ) واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله (ﷺ) والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قلت: فعاتبني وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ﷺ) على فخذي فنام رسول الله (ﷺ) حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣]. فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته[٤].

وفي هذه القصة يظهر حرص الصديق على التأدب مع رسوله (ﷺ)، وحساسيته الشديدة على أن يضايقه شيئًا، ولا يقبل ذلك ولو كان من أقرب الناس وأحبهم إلى رسول الله (ﷺ)، كعائشة (رضي الله عنها)، فقد كان (رضي الله عنه) قدوة للدعاة في الأدب الجم مع النبي (ﷺ) ومع نفسه ومع المسلمين[٥].

١٠- انتصار النبي للصديق (رضي الله عنه):

لقد ثبت من الأحاديث الصحيحة مايدل على أن النبي (ﷺ)كان ينتصر لأبي بكر وينهى الناس عن معارضته، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: كنت جالسًا مع النبي (ﷺ) إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي (ﷺ): «أما صاحبكم فقد غامر»[٦]، فسلم، وقال: يا رسول الله! إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا». ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي (ﷺ) فسلم عليه، فجعل وجه رسول الله (ﷺ) يتمعر[٧]، حتى أشفق أبو بكر[٨] فجثى على ركبتيه فقال يا

---

(١) سنن البيهقي (١٠/ ٣٤) نقلاً عن موسوعة فقه أبي بكر ص٢٤٠ .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٥٨) نقلاً عن موسوعة فقة أبي بكر ص٢٤٠ .
(٣) موسوعة فقه أبي بكر ص٢٤١ .
(٤) البخاري - رقم ٣٦٧٢ .
(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية ص٤٠٢،٤٠٣ .
(٦)غامر: خاصم، أي دخل في غمرة الخصومة .
(٧) يتمعر: تذهب نضارته من الغضب .
(٨) أن يكون لعمر من الرسول ما يكره .

رسول الله: والله أنا كنت أظلم مرتين[١]، فقال النبي (ﷺ): «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله[٢]، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» مرتين. فما أوذي بعدها[٣].

وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة منها:

الطبيعة البشرية للصحابة وما يحدث بينهم من خلاف، وسرعة رجوع المخطئ وطلب المغفرة والصفح من أخيه، تواد الصحابة فيما بينهم، مكانة الصديق الرفيعة عند رسول الله (ﷺ) ثم أصحابه... الخ.

١١- قل: «غفر الله لك يا أبا بكر»:

قال ربيعة الأسلمي (رضي الله عنه): كنت أخدم النبي (ﷺ)... وذكر حديثًا ثم قال: إن رسول الله (ﷺ) أعطاني بعد ذلك أرضًا وأعطى أبو بكر أرضًا وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة، فقلت أنا: هي في حدِّي، وقال أبو بكر، هي في حدي، فكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال أبو بكر كلمة كرهها وندم، فقال لي: يا ربيعة رد عليها مثلها حتى تكون قصاصًا، قال: قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله (ﷺ)، فقلت: ما أنا بفاعل، قال: ورفض الأرض[٤]، وانطلق أبو بكر (رضي الله عنه) إلى النبي (ﷺ)، وانطلقت أتلوه، فجاء ناس من أسلم فقالوا لي: رحم الله أبا بكر، في أي شيء يستعدي عليك رسول الله (ﷺ) وهو قد قال لك ما قال، قلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله (ﷺ) فيغضب لغضبه فيغضب الله عزَّ وجلَّ لغضبهما فيهلك ربيعة، قال: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا، قال: فانطلق أبو بكر (رضي الله عنه) إلى رسول الله (ﷺ) فتبعته وحدي حتى أتى النبي (ﷺ) فحدثه الحديث كما كان، فرفع إليَّ رأسه فقال: «يا ربيعة! ما لك وللصديق؟» قلت: يا رسول الله! كان كذا كان كذا، قال لي كلمة كرهها فقال: قل لي كما قلت حتى يكون قصاصًا فأبيت، فقال رسول الله (ﷺ): «أجل فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر»، فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر. قال الحسن البصري: فولَّى أبو بكر (رضي الله عنه) وهو يبكي[٥].

لله أي وجدان هذا الوجدان، وأي نفس تلك النفس، بادرة بدرت منها لمسلم فلم ترض إلا اقتصاصه منها، وصفحه عنها، تناهيا بالفضيلة، واستمساكًا بالأدب وشعورًا تمكن من

---

(١) لأنه هو الذي بدأ.

(٢) المراد به أن صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه في ماله سواء.

(٣) لما أظهره النبي (ﷺ) من تعظيمه، البخاري رقم ٣٦٦١.

(٤) أي فارق أبو بكر الأرض.

(٥) مسند أحمد (٤/٥٨-٥٩).

الجوانح، وأخذ بمجامع القلوب، فكانت عنده زلة اللسان ولو صغيرة ألمًا يتململ منه الضمير فلا يستريح إلا بالقصاص منه، ورضا ذلك المسلم عنه[١].

كانت كلمة هينة، ولكنها أصابت من ربيعة مَوجعًا. فإذا أبو بكر يُزَلزلُ من أجلها، ويأبى إلا القصاص عليها، مع أنه يومئذ كان الرجل الثاني في الإسلام بعد رسول الله (ﷺ)، وهي كلمة لا يمكن أن تكون من فُحْش القول أبدًا: لأن أخلاقه لم تسمع بهذا، ولم يؤثر عنه حتى في الجاهلية شيء من هذا[٢].

لقد خشي الصديق مغبة تلك الكلمة، ولهذا اشتكى لرسول الله ، وهذا أمر عجيب فإن أبا بكر قد نسي أرضه ونسي قضية الخلاف، وشغل باله أمر تلك الكلمة لأن حقوق العباد لابدَّ فيها من عفو صاحب الحق[٣]، وفي هذا درس للشيوخ والعلماء والحكام والدعاة في كيفية معالجة الأخطاء ومراعاة حقوق الناس وعدم الدوس عليها بالأرجل.

وقد استنكر قوم ربيعة أن يذهب أبو بكر يشتكي إلى رسول الله (ﷺ) وهو الذي قال ما قال، ولم يعلموا ما علمه أبو بكر من لزوم إنهاء قضايا الخصومات، وإزالة ماقد يعلق في القلوب من الوجدة في الدنيا قبل أن يكتب ذلك في الصحف ويترتب عليه الحساب يوم القيامة.

وبالرغم مما ظهر من رضى ربيعة وتوجيه النبي (ﷺ)إلى عدم الرد على أبي بكر فإن أبا بكر قد بكى من خشية الله (تعالى)، وهذا دليل على قوة إيمانه، ورسوخ يقينه.

وأخيرًا موقف يذكر لربيعة بن كعب الأسلمي (رضي الله عنه)، حيث قام بإجلال أبي بكر (رضي الله عنه)، وأبى أن يرد عليه بالمثل، وهذا من تقدير أهل الفضل والتقدم والمعرفة بحقهم، وهو دليل على قوة الدين ورجاحة العقل[٤].

١٢- مسابقته في الخيرات:

اتصف الصديق (رضي الله عنه) بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقته في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريصًا أشد الحرص على الخيرات، فقد أيقن أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم، قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل ولذلك كان من المسارعين في الخيرات، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): **«من أصبح منكم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعم منكم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا.**

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام (١/٨٨).
(٢) خلفاء الرسول – خالد محمد خالد ص١٠٣.
(٣) التاريخ الإسلامي (١٩/١٦).
(٤) نفس المصدر (١٩/١٦).

فقال رسول الله (ﷺ): «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»(١).

١٣- كظمه للغيظ:

قال أبو هريرة (رضي الله عنه): إن رجلاً شتم أبا بكر، ورسول الله (ﷺ) جالس، فجعل النبي (ﷺ) يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل، ردَّ عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي (ﷺ)، وقام فلحقه أبو بكر، وقال: يا رسول الله! كان يشتمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله، غضبت وقمت!! فقال (ﷺ): **«إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»** ثم قال: **«يا أبا بكر ثلاث كلهنّ حق: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عزّ وجلّ إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية، يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة»**(٢).

إن الصديق (رضي الله عنه) اتصف بكظم الغيظ ولكنه ردَّ ما ظن أنه به يسكت هذا الرجل، فرغَّبه النبي (ﷺ) في الحلم والأناة، وأرشده إلى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويحمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله (تعالى).

ويتبين لنا كذلك من هذا الموقف حرص الصديق (رضي الله عنه) على عدم إغضاب النبي (ﷺ) والمسارعة إلى إرضائه وفي الحديث ذم الغضب للنفس، والنهي عنه، والتحذير منه، واعتزال الأنبياء للمجالس التي يحضرها الشيطان، وبيان الفضل للمظلوم، الصابر، المحتسب للأجر والثواب، وفيه حث على العطايا ، وصلة الأرحام، وذم للمسألة وأهلها.

وظل الصديق متمسكًا بالحلم، وكظم الغيظ، حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب، والرفق، وهذا لا يعني أن أبا بكر لم يكن يغضب، وإنما كان غضبه لله (تعالى)، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضبًا شديدًا(٣).

لقد عاش رسول الله (ﷺ) متأملاً ومتفكرًا وعاملاً بقوله (تعالى): ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

١٤- بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي:

كان أبو بكر (رضي الله عنه) يَعُول مِسْطَحَ بن أُثَاثَة، فلما قال في عائشة (رضي الله عنها) ما قال، في حديث الإفك المشهور - أقسم بالله أبو بكر ألا ينفعه أبدًا، فلما أنزل الله (عزّ وجلّ): ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر: والله إني

---

(١) صحيح مسلم - رقم ١٠٢٨ .

(٢) الدر المنثور - للسيوطي (٢/ ٧٤)، مجمع الزوائد (٨/ ١٩٠) حديث مرسل .

(٣) سيرة وحياة الصديق - مجدي فتحي السيد ص١٤٥ .

أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا[١].
لقد فهم الصديق من الآية بأن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والمزالق، فإن فعل، فالله يعفو عنه ويستر ذنوبه، وكما تدين تدان، والله سبحانه قال: ﴿ أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم[٢] وكما أن في الآية من حلف على شيء ألا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، أتاه وكفّر عن يمينه، وقال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله (تعالى)، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ[٣].

لقد دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس بعد النبي (ﷺ)، لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دالة على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ منها أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفضال، وذلك يدل على أنه (رضي الله عنه)، كان فاضلاً على الإطلاق كان مفضلاً على الإطلاق. ومنها أنه لما وصفه (تعالى) بأنه أولوا الفضل والسعة بالجمع لا بالواحد وبالعموم لا بالخصوص على سبيل المدح، وجب أن يقال: إنه كان خاليًا عن المعصية لأن الممدوح إلى هذا الحد لا يكون من أهل النار[٤].

١٥- خروجه للتجارة من المدينة إلى الشام:

خرج أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) للتجارة إلى بصرى ببلاد الشام في عهد النبي (ﷺ) مامنعه حبه لملازمة النبي من الذهاب للتجارة، ولا منع النبي (ﷺ) الصديق من ذلك مع شدة حبه له[٥]. وفي هذا أهمية أن يكون للمسلم مصدر رزق يستغني به عن سؤال الناس، بل ويساهم بهذا الرزق في إغاثة الملهوف، وفك العاني ويسارع في أبواب الإنفاق التي يحبها الله.

١٦- غيرة الصديق (رضي الله عنه) وتزكية النبي (ﷺ) لزوجه:

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: أن نفرًا من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس فدخل أبو بكر الصديق وهي تحته يومئذ فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله، فقال: إن الله (تعالى) قد برأها من ذلك ثم قام رسول الله (ﷺ) على المنبر فقال: «لا يدخل رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان»[٦].

---

(١) البخاري - رقم ٤٧٥٠ .
(٢) تفسير المنير (١٨/ ١٩٠) .
(٣) نفس المصدر (١٨/ ١٩٠) .
(٤) تفسير الرازي (١٨/ ٣٥١)
(٥) فتح الباري (٤/ ٣٥٧) نقلاً عن الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري ص١٦٣ .
(٦) الرياض النظرة في مناقب العشرة - لأبي جعفر أحمد الطبري ص٢٣٧ .

١٧- خوفه من الله (تعالى):

إن الخوف من الله عزَّ وجلَّ فضيلة تدفع العبد إلى الحذر من المعاصي، ومراقبة الله في السر والعلن، فتزكو أفعاله، وتجمل أعماله وقد أمر المؤمنين بالخوف منه فقال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]. وجعل للعبد الخائف منه أجرًا عظيمًا فقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «**لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**»، فغطى أصحاب رسول الله (ﷺ) وجوههم ولهم خنين[١].

وقد كان الصديق (رضي الله عنه) على جانب من الخوف والرجاء عظيم جعله قدوة عملية لكل مسلم سواء حاكمًا أو محكومًا قائدًا أو جنديًا، يريد النجاح والفلاح في الآخرة[٢]، فعن محمد بن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب لما يعلم بعد النبي (ﷺ) من أبي بكر. وعن قيس قال: رأيت أبا بكر آخذ بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد[٣]، وقد قال أبو بكر (رضي الله عنه): ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا[٤] وعن ميمون بن مهران قال: أُتي أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح[٥]، وعن الحسن قال: قال أبو بكر: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد[٦]، وقال أبو بكر: لوددت أني كنت شعرة في جنب عبد مؤمن[٧]، وكان (رضي الله عنه) يتمثل بهذا البيت من الشعر:

لا تزال تنعي حبيبًا حتى تكونه ... وقد يرجوا الرجا يموت دونه[٨]

ثانيًا: من أهم صفات الصديق وشيء من فضائله:

إن شخصية الصديق (رضي الله عنه) تعتبر شخصية قيادية وقد اتصف (رضي الله عنه) بصفات القائد الرباني، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات: سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة،

---

(١) البخاري - كتاب التفسير - باب لاتسألوا عن أشياء (٦/ ٦٨).
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام - يسري محمد ص٣٩٦.
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٥٣).
(٤) الزهد - للإمام أحمد - باب زهد أبي بكر ص١٠٨.
(٥) الزهد - للإمام أحمد - باب زهد أبي بكر ص١١٠.
(٦) نفس المصدر ص١١٢.
(٧) المصدر السابق ص١١٢.
(٨) الزهد - للإمام أحمد - باب زهد أبي بكر ص١٠٨.

والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه والتواضع وقبول التضحية، والحلم، والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي (ﷺ) وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة وأصبح خليفة رسول الله (ﷺ)، فقد استطاع بتوفيق الله (تعالى) وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية أن يحافظ على الدولة ويقمع حركة الردة، وينتقل بفضل الله وتوفيقه بالأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، ومن أهم تلك الصفات التي نحاول تسليط الأضواء عليها في هذا المبحث، إيمانه بالله العظيم، وعلمه الراسخ، وكثرة دعاؤه وتضرعه لله (تعالى).

١- عظمة إيمانه بالله (تعالى):

كان إيمان الصديق بالله عظيمًا، فقد فهم حقيقة الإيمان وتغلغلة كلمة التوحيد في نفسه وقلبه وانعكست آثارها على جوارحه وعاش بتلك الآثار في حياته، فتحلى بالأخلاق الرفيعة، وتطهر من الأخلاق الوضيعة وحرص على التمسك بشرع الله والاقتداء بهديه (ﷺ) وكان إيمانه بالله (تعالى) باعثًا له على الحركة والهمة والنشاط والسعي، والجهد والمجاهدة، والجهاد والتربية، والاستعلاء والعزة، وكان في قلبه من اليقين والإيمان شيء عظيم لا يساويه فيه أحد من الصحابة قال أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه[١]، ولهذا قيل: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح، كما في السنن عن أبي بكرة عن النبي (ﷺ) قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا ؟» فقال رجل أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان -فاستاء لها رسول الله (ﷺ) فقال: «**خلافة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء**»[٢].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: صلى رسول الله صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: «**بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث**». فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟ فقال: «**إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وماهما ثم. وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟**» فقال الناس: سبحان الله، ذئب يتكلم؟ قال: «**فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم**»[٣]. ومن شدة إيمانه والتزامه بشرع الله (تعالى) وصدقه وإخلاصه للإسلام أحبه النبي (ﷺ)، وأصبحت تلك المحبة مقدمة عند النبي (ﷺ) على غيره من الصحابة، فعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه):

---

(١) فضائل الصحابة - للإمام أحمد (١/ ١٧٣).
(٢) أبو داود - رقم ٤٦٣٤، الترمذي - رقم ٢٢٨٨.
(٣) مسلم - رقم ,٢٣٨٨

أن النبي (ﷺ) بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». فقلت من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «عمر بن الخطاب» فعد رجالاً[١]. وبسبب هذا الإيمان العظيم والتزامه بشرع الله القويم وجهوده التي بذلها لنصرة دين رب العالمين استحق بشارة رسول الله (ﷺ) بالجنة وأنه يدعى من جميع أبوابها، فعن أبي موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ولأكونن معه يومي هذا. قال فجاء المسجد فسأل عن النبي (ﷺ) فقالوا: خرج ووجه هنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وباب من جريد حتى قضى رسول الله (ﷺ) حاجته فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «ائذن له، وبشره بالجنة»، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله (ﷺ) معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي (ﷺ) وكشف عن ساقيه... [٢]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر (رضي الله عنه) ما على هذا يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم! وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[٣].

٢-علمه (رضي الله عنه):

كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له[٤]، وقد اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد[٥]، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي (ﷺ)، فقد كان أدوم اجتماعًا به ليلاً ونهارًا، وسفرًا وحضرًا، وكان يسمر عند النبي (ﷺ) بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، دون غيره من أصحابه، وكان إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما تكلم غيره، وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه[٦]،

---

(١) صحيح البخاري - رقم ٣٦٦٢ .
(٢) البخاري - رقم ٣٦٧٤ .
(٣) البخاري - رقم ٣٦٦٦ .
(٤) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٥٩ .
(٥) الفتاوى (١٣/١٢٧) .
(٦) أبو بكر الصديق - محمد مال الله ص٣٣٤،٣٣٥ .

وقد استعمله النبي (ﷺ) على أول حجة حجت من مدينة النبي (ﷺ) وعلم المناسك أدق ما في العبادات، ولولا سعة علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفه عليها ولولا علمه لم يستخلفه، ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله (ﷺ) أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ما روى فيها[1] وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابة ما هو متقدم منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصًا، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم، وفي الجملة لا يعرف لأبي بكر مسألة في الشريعة غلط فيها، وقد عرف لغيره مسائل كثيرة[2]، وكان (رضي الله عنه) يقضي ويفتي بحضرة النبي (ﷺ) ويقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيره وقد بينت ذلك في سلب أبي قتادة بحنين[3]، وقد ظهر فضل علمه وتقدمه على غيره بعد وفاة الرسول (ﷺ)، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم يبينه لهم وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، وذلك لكمال علم الصديق وعدله، ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع، وكان إذا أمرهم أطاعوه. كما بين لهم موت النبي (ﷺ) وتثبيتهم على الإيمان ثم بين لهم موضع دفنه، وبين لهم ميراثه، وبين لهم قتال مانعي الزكاة لما استراب فيه عمر، وبين لهم أن الخلافة في قريش، وتجهيز جيش أسامة، وبين لهم أن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة هو رسول الله (ﷺ)[4] وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه بإذن الله (تعالى).

ولقد رأى رسول الله (ﷺ) له رؤيا تدل على علمه، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): **«رأيت كأني أعطيت عُسًا مملوءًا لبنًا، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر»**. قالوا: يا رسول الله! هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه، فضلت فضلة، فأعطيتها أبا بكر، فقال (ﷺ): «قد أصبتم»[5].

وكان الصديق (رضي الله عنه) يرى أن الرؤيا حق، وكان يجيد تأويلها وكان يقول إذا أصبح: من رأى رؤيا صالحة فليحدثنا بها، وكان يقول: لأن يرى رجل مسلم مسبغ الوضوء رؤيا صالحة أحب إلي من كذا وكذا[6]، ومما عبره (رضي الله عنه) من الرؤى ما يلي:

عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن رجلاً أتى رسول الله (ﷺ) فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلّة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم

(١) البخاري – رقم ١٤٤٨ .
(٢) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة ص٦٠ .
(٣) نفس المصدر ص٥٧ .
(٤) المصدر السابق ص٥٩ .
(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/٢٦٩) .
(٦) خطب أبي بكر الصديق – محمد عاشور، جمال الكومي ص١٥٥ .

وُصِلَ، فقال أبو بكر: يا رسـول الله! بأبي أنت، والله لتدَعنِّي فأعبُـرَها. فقال النبي (ﷺ): «اعْـبُـرْ». قال: أما الظُّلَّة فالإسلام، وأما الذي ينطف مـن العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف فالمسـتكثر من القرآن، والمستـقل، وأما السبب الواصل من السمـاء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعليك الله، ثم يأخـذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ رجل آخر فـيعلو به، فـأخبرني يا رسـول الله! بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قـال النبي (ﷺ): «أصبت بعضًـا، وأخطأت بعضًا» قال: فوالله لتحَدِّثَنِّي بالذي أخطأت. قال: «لا تُقـسم»[1]

وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها رأت كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمـار، فقصتها على أبي بكر- وكان من أعبر الناس فـقال: إن صدقت رؤياك ليُدْفَنَنَّ في بيتك من خـير أهل الأرض ثلاثة. فلما قبض النبي (ﷺ) قال: «يا عائشة! هـذا خيرُ أقمارك[2]، فقد كان الصديق (رضي الله عنه) أعبر هـذه الأمة بعد نبيها»[3].

ومع كونه (رضي الله عنه) من أعلم الصحابة إلا أنه من أبعد الناس عن التكلف، فعن إبراهيم النخعي قال: قـرأ أبو بكر الصديق ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقيل مـا الأب؟ فقيل كذا وكذا، فقـال أبو بكر: إن هـذا لهو التكلف، أي أرض تقلني وأي سـماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[4].

٣-دعاؤه وشدة تضرعه (رضي الله عنه):

إن الدعاء باب عظيم، فـإذا فتح للعبـد تتابعت عليه الخـيرات وانهالت عليه البـركات، ولذلك حرص الصديق على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، كما أن الدعاء من أعظم وأقوى عوامل النصر على الأعداء قال (تعالى): ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] . وقال (تعالى): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولقد لازم الصديق رسول الله (ﷺ) ورأى كيف كان رسول الله يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص الصديق على أن يتعلم هـذه العبادة من رسول الله، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصـيغة التي يأمر بها رسول الله (ﷺ) ويرتضيهـا، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبي (ﷺ) صيغًا أخرى، مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله (ﷺ) هو معلم الخير، والهادي إلى الصراط المستقـيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل[5]، وقد جاء في الصـحيحين: أن أبا

---

(١) البخاري - كتاب التعبير - رقم ٧٠٤٦ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٢٩ .

(٣) نفس المصدر ص١٣٠ .

(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٨٥) فيه انقطاع بين إبراهيم النخعي وأبي بكر .

(٥) أبو بكر الصديق - علي طنطاوي ص٢٠٧ .

بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله! علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»(١).

ففي هذا الدعاء وصف العبد لنفسه المقتضي حاجته إلى المغفرة، وفيه وصف ربه الذي يوجب، أنه لا يقدر على هذا المطلوب غيره، وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه، وفيه بيان المقتضي للإجابة، وهو وصف الرب بالمغفرة، والرحمة، فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب(٢) وجاء في السنن عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله! علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «قل: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»(٣).

فقد تعلم الصديق من رسول الله (ﷺ) أنه ليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائمًا قال (تعالى): ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣] فالإنسان ظالم جاهل وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر الله (تعالى) في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم. وثبت في الصحيحين عن النبي (ﷺ) أنه قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»(٤) وهذا لا ينافي قوله (تعالى): ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، فإن الرسول نفى باء المقابلة والمعادلة والقرآن أثبت باء السبب، وقول من قال: إذا أحب الله عبدًا لم تضره الذنوب، معناه: أنه إذا أحب عبدًا ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السلف والأئمة، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره(٥).

كان أبو بكر دائم الذكر لله (تعالى) شديد التضرع كثير التوجه لله، لا ينفك عن الدعاء في كل أحيانه وقد نقل إلينا بعض أدعيته وتضرعاته ومنها:

أ- أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى، وبعد الرضى،

---

(١) مسلم - الذكر والدعاء - رقم ٢٧٠٥، البخاري - رقم ٨٤٣ .

(٢) الفتاوى (٩/١٤٦) .

(٣) أبو داود - في الأدب - رقم ٥٠٦٧، الترمذي - في الدعوات - رقم ٣٥٢٩ .

(٤) البخاري - في الرقاق - رقم ٦٤٦٣ .

(٥) الفتاوى (١١/١٤٢) .

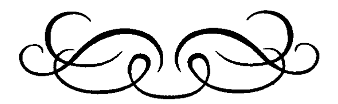
والخيرة في جميع ما تكون إليه الخَيَرةُ، بجميع ميسور الأمور كلها، لا بمعسورها يا كريم[١].

ب- وكان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك الذي هو خير لي في عاقبة الخير، اللهم اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلا من جنات النعيم[٢].

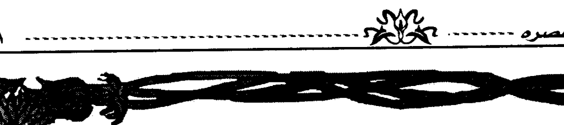
جـ- وكان يقول في دعائه: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك[٣].

د- وكان إذا سمع أحدًا يمدحه من الناس يقول: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون[٤].

هذه بعض أهم صفاته وشيء من فضائله مررنا عليها بالإيجاز وسوف نرى أثر التربية النبوية على الصديق بعد وفاته، وكيف قام مقامًا لم يقمه غيره بفضل الله وتوفيقه ثم تربيته العميقة وإيمانه العظيم وعلمه الراسخ وتتلمذه على يدي رسول الله (ﷺ) فقد أحسن الجندية وقطع مراحلها وأشواطها برفقة قائده العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما أصبح خليفة للأمة استطاع أن يقود سفينة الإسلام إلى شاطئ الأمان، رغم العواصف الشديدة، والأمواج المتلاطمة، والفتن المظلمة.



(١) الشكر - لابن أبي الدنيا - رقم ١٠٩ نقلاً عن خطب أبي بكر ص٣٩.
(٢) خطب أبي بكر الصديق ص١٣٩
(٣) كنز العمال - رقم ٥٠٣٠ نقلاً عن خطب أبي بكر ص٣٩.
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣٢٤).



الفصل الثاني

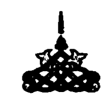
وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

وسقيفة بني ساعدة

وجيش أسامة



المبحث الأول



وفاة الرسول وسقيفة بني ساعدة

أولاً: وفاة الرسول (ﷺ):

إن الأرواح الشفافة الصافية لتدرك بعض ما يكون مخبوءًا وراء حجب الغيب بقدرة الله (تعالى)، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدِّث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان، والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات ولنبينا محمد (ﷺ) من هذه الصفات الحظ الأوفر، وهو منها بالمحل الأرفع الذي لا يسامى ولا يطاول[1] ولقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي (ﷺ)، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني سكراته كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء ولقد فهم (ﷺ) من بعض الآيات اقتراب أجله، وقد أشار (ﷺ) في طائفة من الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته، منها ما هو صريح الدلالة على الوفاة ومنها ما ليس كذلك، حيث لم يشعر ذلك منها إلا الآحاد من كبار الصحابة الأجلاء كأبي بكر والعباس ومعاذ (رضي الله عنهم)[2].

١- مرض رسول الله (ﷺ) وبدء الشكوى:

رجع رسول الله (ﷺ) من حجة الوداع في ذي الحجة، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفرًا، من العام العاشر فبدأ بتجهيز جيش أسامة وأمّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار وكان أسامة ابن زيد ابن ثماني عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار فلم يقبل الرسول (ﷺ) طعنهم في إمارة أسامة[3]، فقال (ﷺ): «إنِ يطعنوا فيِ إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»[4].

---

(١) انظر: السيرة النبوية - لأبي شهبة (٢/ ٥٨٧) .

(٢) انظر: مرض النبي ووفاته - خالد أبو صالح ص٣٣ .

(٣) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٥٢) .

(٤) البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي (٤/ ٢١٣) - رقم ٤٤٦٩ .

وبينما الناس يستعدون للجهاد في جيش أسامة ابتدئ رسول الله (ﷺ) شكواه الذي قبضه فيه، وقد حدثت حوادث ما بين مرضه ووفاته منها: زيارته قتلى أحد وصلاته عليهم[(١)]، واستئذانه أن يمرض في بيت عائشة وشدة المرض الذي نزل به[(٢)]، وأوصى (ﷺ) بإخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد[(٣)]، ونهى عن اتخاذ قبره مسجداً[(٤)]، وأوصى بإحسان الظن بالله[(٥)]، وأوصى بالصلاة وما ملكت أيمانكم[(٦)]، وبين بأنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا[(٧)]، وأوصى بالأنصار خيراً[(٨)]، وخطب (ﷺ) في أيام مرضه فقال: «**إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ذلك العبد ما عند الله**» . فبكى أبو بكر فقال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) : فعجبنا لبكائه أن يخبر الرسول (ﷺ) عن عبد خير، فكان رسول الله (ﷺ) هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله (ﷺ) : «**إن أمَنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر**»[(٩)].

قال الحافظ ابن حجر: وكأن أبا بكر (رضي الله عنه) فهم الرمز الذي أشار به النبي (ﷺ) من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه أنه أراد نفسه فلذلك بكى[(١٠)] ولما اشتد المرض بالنبي (ﷺ) وحضرته الصلاة فأذّن بلال قال النبي (ﷺ) : «**مروا أبا بكر فليصلّ**» ، فقيل: إن أبا بكر رجل أسيف[(١١)]، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «**إنكن صواحب يوسف**[(١٢)]**، مروا أبا بكر فليصل بالناس**» ، فخرج أبو بكر فوجد النبي (ﷺ) في نفسه خفّة فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي (ﷺ) أن مكانك ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه. قيل للأعمش: فكان النبي (ﷺ) يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر! فقال برأسه: نعم![(١٣)] واستمر أبو بكر يصلي بالمسلمين، حتى إذا كان يوم

---

(١) البخاري - كتاب الجنائز - باب الصلاة على الشهيد - رقم ١٣٤٤ .
(٢) صحيح السيرة النبوية ص٦٩٥ .
(٣) البخاري - كتاب الجهاد والسير - رقم ٣٠٣٥ .
(٤) صحيح السيرة النبوية ص٧١٢، البخاري - كتاب الصلاة - رقم ٤٣٥ .
(٥) مسلم - كتاب الجنة - رقم ٢٨٨ .
(٦) سنن ابن ماجه - كتاب الوصايا (٢/ ٩٠٠، ٩٠١) - رقم ٢٦٩٧ .
(٧) مسلم - كتاب الصلاة (١/ ٣٤٨) .
(٨) البخاري - كتاب مناقب الانصار - رقم ٣٧٩٩ .
(٩) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٥٤ .
(١٠) فتح الباري (٧/ ١٦) .
(١١) أسيف: من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب .
(١٢) والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن .
(١٣) البخاري - كتاب الأذان - رقم ٧١٢ .

الاثنين، وهم صفوف في صلاة الفجر، كشف النبي (ﷺ) ستر الحجرة، ينظر إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربهم، ورأى كيف أثمر غرس دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة، وتواظب عليها بحضرة نبيها وغيبته، وقد قرت عينه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذي لم يقدر لنبي أو داع قبله، واطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله (تعالى)، صلة دائمة، لا تقطعها وفاة نبيها، فملئ من السرور ما الله به عليم واستنار وجهه وهو منير[١]، يقول الصحابة (رضي الله عنهم): كشف النبي (ﷺ) ستر حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح، وظننا أن النبي (ﷺ) خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة، وأرخى الستر[٢]، وانصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال: ما أرى رسول الله (ﷺ) إلا قد أقلع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة- إحدى زوجتيه - وكانت تسكن بالسُّنح[٣]، فركب على فرسه وذهب إلى منزله[٤].

واشتدت سكرات الموت بالنبي (ﷺ)، ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، فعرف أنه يدعو له، وأخذت السيدة عائشة رسول الله (ﷺ) وأوسدته إلى صدرها بين سحرها[٥]، ونحرها، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك، فجعل رسول الله ينظر إليه، فقالت عائشة: آخذه لك، فأشار برأسه نعم، فأخذته من أخيها ثم مضغته ولينته وناولته إياه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله: «**في الرفيق الأعلى**»[٦]، وكان (ﷺ) بجانبه ركوة ماء أو علبة فيها ماء، فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله .. إن للموت سكرات**» ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» . . حتى قبض ومالت يده[٧]، وفي لفظ أن النبي (ﷺ) كان يقول: «**اللهم أعني على سكرات الموت**»[٨].

وفي رواية: أن عائشة سمعت النبي (ﷺ) وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند الظهر يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**»[٩].

وقد ورد أن فاطمة (رضي الله عنها) قالت: واكرب أباه. فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه . . أجاب الله دعاه، يا أبتاه . . جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه

---

(١) السيرة النبوية - للندوي ص٤٠١ .
(٢) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٤٨ .
(٣) السنح: خارج المدينة كان للصديق مال فيه وبيت .
(٤) انظر: السيرة النبوية - لأبي شهبة (٥٩٣/٢) .
(٥) السحر: الرئة، النحر: الثغرة في أسفل العنق .
(٦) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٣٧ .
(٧) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٤٩ .
(٨) الترمذي - كتاب الجنائز - رقم ٩٧٨ .
(٩) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٤٠ .

. . إلى جبريل ننعاه فلما دفن (ﷺ) قالت لأنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (ﷺ) التراب[١].

فـارق رسـول الله (ﷺ) الدنيا وهو يحكم جـزيرة العرب ويرهبه ملوك الدنيـا ، ويفديه أصحابه بنفـوسهم وأولادهم وأموالهم، وما ترك عند موته دينارًا ولا درهمًـا، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا، إلا بغلته البيضـاء، وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة[٢] وتوفـي (ﷺ) ودرعـه مرهونة عند يهودي بثلاثين صـاعًا من شعير[٣]، وكـان ذلك يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ للهجـرة بعد الزوال[٤]، وله ثلاث وستـون سنة[٥]، وكان أشد الأيام سـوادًا ووحشة ومصـابًا على المسلمين، ومحنة كـبرى للبشـرية، كما كـان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فـيه الشمس[٦]، يقول أنس (رضي الله عنه): كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (ﷺ) المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان الذي مات فيه أظلم منها كل شيء[٧] وبكت أم أيمن فقيل لها ما يبكيك على النبي؟ قالت: إني قـد علمت أن رسول الله (ﷺ) سيـموت ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا[٨].

ثانيًا: هول الفاجعة وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله (ﷺ) اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط ومنهم من أقعـد فلم يُطق القيام، ومـنهم من اعتُقل لسـانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية[٩].

قال القـرطبي مبينًا عـظم هـذه المصيـبة وما ترتب عليـها من أمور: مـن أعظم المصائب المصيبة في الدين . . قال رسول الله (ﷺ): «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها أعظم المصـائب**»،[١٠] وصدق رسول الله (ﷺ)، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطـع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه[١١].

وقال ابن اسحاق: ولما توفي رسول الله (ﷺ) عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة

---

(١) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٦٢ .
(٢) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٦١ .
(٣) السيرة النبوية - للندوي ص٤٠٣ .
(٤) البداية والنهاية (٤/ ٢٢٣).
(٥) مسلم - كتاب الفضائل (٤/ ٨٢٥) .
(٦) انظر: السيرة النبوية - للندوي ص٤٠٤ .
(٧) الترمذي (٥/ ٥٤٩) رقم ٣٦١٨ .
(٨) مسلم (٤/ ١٩٠٧) .
(٩) لطائف المعارف ص١١٤ .
(١٠) السلسلة الصحيحة - للألباني رقم ١١٠٦ .
(١١) تفسير القرطبي (٢/ ١٧٦) .

فيما بلغني تقول: لما توفي النبي (ﷺ) ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية، والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم(١).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ... واضطربت الحال .. فكان موت النبي (ﷺ) قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر وقال: ما مات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم(٢) ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلّم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمّم رسول الله (ﷺ) وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها(٣)، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر، وهو ماضي في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد: فإن من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فنشج الناس يبكون(٤).

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ما تحملني قدماي، وعلمت أن رسول الله قد مات(٥)، قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجرأة حدُّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي (ﷺ) فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله (ﷺ) منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى عليّ، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُّنح(٦).

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعًا جميلاً، فالله هو الحي وحده الذي لا يموت، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، وأن الإسلام باق بعد موت محمد (ﷺ)(٧)، كما جاء في رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره، ومعز

(١) ابن هشام (٤/ ٣٢٣).
(٢) القواصم من العواصم ص٣٨.
(٣) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٥٢.
(٤) البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٦٨.
(٥) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٤٥٤.
(٦) تفسير القرطبي (٤/ ٢٢٢).
(٧) استخلاف أبو بكر الصديق - جمال عبد الهادي ص١٦٠.

دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا، وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمد (ﷺ) وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغين أحد إلا على نفسه[١].

كان موت محمد (ﷺ) مصيبة عظيمة، ابتلاءً شديدًا، ومن خلاها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لا نظير له ولا مثيل[٢]، فقد أشرق اليقين في قلبه وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته (رضي الله عنه)، فانحاز بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) وما زال التوحيد في قلوبهم غضًا طريًا، فما إن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق[٣]، تقول عائشة (رضي الله عنها): فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر (رضي الله عنه) فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها[٤].

ثالثًا: سقيفة بني ساعدة:

لما علم الصحابة (رضي الله عنهم) بوفاة رسول الله (ﷺ) اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه وهو يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده[٥].

والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة (رضي الله عنه) ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لترشيح من يتولى الخلافة[٦]، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيبًا[٧]، قال عمر (رضي الله عنه): فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكر ما تمالأ عليه القوم. فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينّهم[٨]، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمَّلٌ بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: يُوعَك، فلما جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم -معشر المهاجرين- رهط، وقد دفت دافة من قومكم[٩]، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر[١٠]، فلما سكت أردت أن أتكلم- وكنت قد

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢١٨).
(٢) أبو بكر رجل الدولة - مجدي حمدي ص٢٥،٢٦.
(٣) استخلاف أبو بكر الصديق ص١٦٠.
(٤) البخاري - كتاب الجنائز - رقم ١٢٤١، ١٢٤٢.
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢١).
(٦) عصر الخلافة الراشدة - للعمري ص٤٠.
(٨) الرجلان هما: عويم بن ساعدة، معن بن عدي رضي الله عنهما
(٩) أي عدد قليل. (١٠) أي يخرجوننا من أمر الخلافة.

زوَّرتُ مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر- وكنت أداري منه بعض الحدِّ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم -فأخذ بيدي ويد أبي عُبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا- فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسَوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن.

فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقُها المرجَّب[1]، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار[2].

وفي رواية أحمد: . . . فتكلم أبو بكر (رضي الله عنه) فلم يترك شيئًا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله (ﷺ) من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله (ﷺ) قال: «**لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار**»، ولقد علمت يا سعد[3] أن رسول الله (ﷺ) قال وأنت قاعد: «**قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرِّهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم**»، قال فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[4].

رابعًا: أهم الدروس والعبر والفوائد في هذه الحادثة:

١- الصديق وتعامله مع النفوس وقدرته على الإقناع:

من رواية الإمام أحمد يتضح لنا كيف استطاع الصديق أبو بكر (رضي الله عنه) أن يدخل إلى نفوس الأنصار فيقنعهم بما رآه هو الحق من غير أن يُعرِّض المسلمين للفتنة، فأثنى على الأنصار ببيان ما جاء في فضلهم من الكتاب والسنة، والثناء على المخالف منهج إسلامي يقصد منه إنصاف المخالف وامتصاص غضبه وانتزاع بواعث الأثرة والأنانية في نفسه ليكون مهيّأ لقبول الحق إذا تبين له، وقد كان في هدي النبي (ﷺ) الكثير من الأمثلة التي تدل على ذلك ثم توصل أبو بكر من ذلك إلى أن فضلهم وإن كان كبيرًا لا يعني أحقيتهم في الخلافة لأن النبي (ﷺ) قد نص على أن المهاجرين من قريش هم المقدَّمون في هذا الأمر[5]، وقد ذكر ابن العربي المالكي أن أبا بكر استدل على أن أمر الخلافة في قريش بوصية رسول الله (ﷺ)

---

(١) الجزيل: عود ينصب للإبل الجَرَبَى لتحتك به، والمحكك: الذي يحتك به كثيرًا، أراد أن يستشفى برأيه، والعذيق النخلة: أي الذي يعتمد عليه .

(٢) البخاري - كتاب الحدود - رقم ٦٨٣٠ .

(٣) يعني سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه.

(٤) مسند أحمد (١/٥)، الخلافة والخلفاء - البهنساوي ص٥٠ .

(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٤) .

بالأنصار خيرًا، وأن يقبلوا من محسنهم ويتجاوزوا عن مسيئهم، احتج به أبو بكر على الأنصار قوله: إن الله سمانا (الصادقين) وسمّاكم (المفلحين) إشارة إلى قوله (تعالى): ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩]. وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية. فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه[١]، وبين الصديق في خطابه أن من مؤهلات القوم الذين يرشحون للخلافة أن يكونوا ممن يدين لهم العرب بالسيادة وتستقر بهم الأمور، حتى لا تحدث الفتن فيما إذا تولى غيرهم، وأبان أن العرب لا يعترفون بالسيادة إلا للمسلمين من قريش لكون النبي (ﷺ) منهم ولما استقر في أذهان العرب من تعظيمهم واحترامهم.

وبهذه الكلمات النيرة التي قالها الصديق اقتنع الأنصار بأن يكونوا وزراء مُعينين وجنودًا مخلصين كما كانوا في عهد النبي (ﷺ) وبذلك توحد صف المسلمين[٢].

٢- زهد عمر وأبي بكر (رضي الله عنهما) في الخلافة وحرص الجميع على وحدة الأمة:

بعد أن تمّ أبو بكر حديثه في السقيفة قدّم عمر وأبا عبيدة للخلافة، ولكن عمر كره ذلك وقال فيما بعد: فلم أكره مما قال غيرها. كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر[٣].

وبهذه القناعة من عمر بأحقية أبي بكر بالخلافة قال له: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، قال: فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار وجاء في رواية قال عمر: .. يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر (رضي الله عنه) فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[٤].

وهذا ملحظ مهم وُفِّق إليه عمر (رضي الله عنه)، وقد اهتم بذلك النبي (ﷺ) في مرض موته فأصرّ على إمامة أبي بكر، وهو من باب الإشارة بأنه أحق من غيره بالخلافة وكلام عمر في غاية الأدب والتواضع والتجرد من حظ النفس، ولقد ظهر زهد أبي بكر في الإمارة في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبًا ولا سألتها الله (عزّ وجلّ) في سرّ وعلانية، ولكني أشفقت من

---

(١) العواصم من القواصم ص١٠ .
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٤) .
(٣) البخاري - كتاب المحاربين - رقم ٦٨٣٠ .
(٤) مسند أحمد (١/ ٢١) وصحح إسناده أحمد شاكر (١/ ٢١٣) رقم ١٣٣ .

الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله (عز وجل)، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني[١].

وقد ثبت أنه قال: وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، أبي عبيدة أو عمر فكان أمير المؤمنين وكنت وزيرًا[٢]، وقد تكررت خطب أبي بكر في الاعتذار عن تولي الخلافة وطلبه بالتنحي عنها.

فقد قال: . . . أيها الناس هذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم على ذلك وأكون كأحدكم فأجابه الناس رضينا بك قسمًا وحظًا وأنت ثاني اثنين مع رسول الله (ﷺ)[٣]، وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس أذكر الله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقام علي بن أبي طالب، ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك[٤]، ولم يكن أبو بكر وحده الزاهد في أمر الخلافة والمسؤولية بل إنها روح العصر. ومن هذه النصوص التي تمّ ذكرها يمكن القول: إن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة لا يخرج عن هذا الاتجاه، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واستعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها، فما اطمأنوا على ذلك حتى استجابوا سراعًا لبيعة أبي بكر الذي قبل البيعة لهذه الأسباب، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير مما جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمي، والدراسة الموضوعية، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله من الأنصار وغيرهم، وإذا كان اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم[٥]، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر ونفروا في جيوش الخلافة شرقًا وغربًا مجاهدين لتثبيت أركانها؟ لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها[٦].

فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين، وأنه لم يتخلف أحد من الأنصار عن بيعة أبي بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكبر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم في رواياتهم[٧] المغرضة.

٣- سعد بن عبادة (رضي الله عنه) وموقفه من خلافة الصديق:

إن سعد بن عبادة (رضي الله عنه) قد بايع أبا بكر (رضي الله عنه) بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار

---

(١) المستدرك (٣/٦٦) قال الحاكم: حديث صحيح وأقره الذهبي.

(٢) الأنصار في العصر الراشدي - حامد محمد الخليفة ص١٠٨، تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص٩١.

(٣) الخلافة الراشدة - للعمري ص١٣.

(٤) الأنصار في العصر الراشدي ص١٠٨.

(٥) انظر: الإسلام وأصول الحكم - محمد عمارة ص٧١ ـ ٧٤.

(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص١٠٩.

(٧) نفس المصدر ص١٠٩.

في سقيفة بني ساعدة إذ أنه نزل عن مقـامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق (رضي الله عنهم) في اجتماع السقيفة ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات، لا بسيطة ولا خطيـرة ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافـة كما زعم بعض كتـاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلاميـة ظلت كما هي، بل ازدادت توثقًا كما يثبت ذلك النقل الصحـيح، ولم يثبت النقل الصحيح تآمرًا حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله (ﷺ)[١]. فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك.

وقد حـاول بعض الكتّاب من المؤرخين أصحـاب الأهواء أن يجعلوا من سعد ابن عـبادة (رضي الله عنه) منافسًا للمهاجرين يسعى للخلافـة بشره، ويدبر لها المؤامرات، ويستعمل في الوصول إليها كل أساليب التفرقة بين المسلمين. هـذا الرجل- إذا راجعنا تاريخه وتتبعنا مسلكه، وجدنا مواقفـه مع الرسول (ﷺ) تجعله من الصفوة الأخيـار، الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، فهو النقيب في بيعة العقبة الثانية حتى لجأت قريش إلى تعقبه قرب مكة وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسير حتى أنقذه منهم جبير بن مطعم بن عدي حيث كان يجيرهم في المدينة وهو من الذين شـهدوا بدرًا[٢] وحظى بمقام أهل بدر ومنزلتـهم عند الله، وكان من بيت جود وكرم وشهد له ذلك رسول الله (ﷺ) وكان رسول الله (ﷺ) يعتمد عليه -بعد الله- وعلى سعد بن معاذ كما في غزوة الخندق عندمـا استشارهم في إعطاء ثلث ثمار المدينة لعيينة ابن حصن الفزاري، فكان رد السعدين يدل على عمق الإيمـان وكمال التضحية[٣]، فمـواقف سعد مـشهورة ومعلومـة، فهـذا الصحـابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خـدمة الإسلام والصحبـة الصادقة لرسول الله لا يعقل ولم يثـبت أنه كان يريد أن يحي العصبيـة الجاهلية في مؤتمر السقـيفة لكي يحصل في غمـار هذه الفرقة على منصب الخلافة، كـما أنه لم يثبت ولم يصح ما ورد في بعض المراجع من أنه -بعد بيعة أبي بكر- كان لا يصلي بصلاتهم ولا يفيض في الحج بإفاضتهم[٤] كأنما انفصل سعد بن عبادة (رضي الله عنه) عن جماعة المسلمين[٥]، فهـذا باطل ومحض افتراء، فـقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعـدًا بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله (ﷺ) قال: «**لـو سلك النـاس واديًا، وسلكت الأنصـــار واديًا أو شعـــبًا لسـلكت وادي الأنصار أو شـــعب الأنصـــار**»[٦] ثم ذكرّ سعد بن عبادة بقول فصل وحـجة لا ترد فقال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله (ﷺ) قال وأنت قاعد: «**قريش ولاة هـذا الأمر، فبـر الناس تبع لبرهـم، وفاجرهم**

---

(١) استخلاف أبو بكر - جمال عبد الهادي ص٥٠، ٥١، ٥٣.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٩٤).
(٣) الخلافة والخلفاء الراشدون - سالم البهنساوي ص٤٨.
(٤) نفس المصدر ص٤٩.
(٥) المصدر السابق ص٤٩.
(٦) البخاري - كتاب التمني - رقم ٧٢٤٤.

تبع لفاجرهم» قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[١]، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد،[٢] وبهذا تثبت بيعة سعد بن عبادة، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة الخليفة أبي بكر، ولا يعود أي معنى للترويج لرواية باطلة، بل سيكون ذلك مناقضًا للواقع واتهامًا خطيرًا، أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إليه من قول: لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي، فكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضي بقضائهم ولا يفيض بإفاضتهم[٣] أي في الحج.

إن هذه الرواية التي استغلت للطعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم ما هي إلا رواية باطلة للأسباب التالية:

أن الراوي صاحب هوى وهو (إخباري تالف لا يوثق به)[٤] ولا سيما في المسائل الخلافية.

قال الذهبي عن هذه الرواية: وإسنادها كما ترى[٥]، أي في غاية الضعف أما متنها فهو يناقض سيرة سعد بن عبادة: وما في عنقه من بيعة على السمع والطاعة، ولما روي عنه من فضائل[٦].

٤-ما يروى من خلاف بين عمر والحباب بن المنذر:

أما ما يروى عن تنازع في السقيفة بين عمر وبين الحباب بن المنذر السلمي الأنصاري، فالراجح أنه غير صحيح، وأن عمر لم يُغضب الحباب بن المنذر منذ عهد رسول الله (ﷺ)، فقد روى عن عمر قال: فلما كان الحباب بن المنذر هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله فنهاني عنه فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه أبدًا[٧].

كما أن ما يروى عن الحباب في هذه المنازعة مخالف لما عُهد عنه من حكمة، ومن حسن تأنيه للأمور، إذ كان يلقب (بذي الرأي)[٨] في عهد رسول الله (ﷺ) وذلك لقبول مشورته في

---

(١) مسند الإمام أحمد - رقم ١٨ صحيح لغيره.
(٢) الأنصار في العصر الراشدي ص١٠٢.
(٣) تاريخ الطبري (٤٢/٤).
(٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - للذهبي (٣/ ٢٩٩٢) والراوي هو لوط بن يحيى أبو مخنف متروك، ولم يعتد بأبي مخنف ويعتبر برواياته ويعتمد عليها سوى الشيعة؛ فقد كان من أعظم مؤرخي الشيعة على قول ابن القمي. انظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري للدكتور يحيى اليحيى ص٤٥،٤٦.
(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٧).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص١٠٢،١٠٣.
(٧) الأنصار في العصر الراشدي ص١٠٠.
(٨) الاستيعاب (١/ ٣١٦).

بدر وخيبر[١]، وأما قول الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير، فقد سوغ ذلك وأوضح أنه لا يقصد بذلك الوصول إلى الإمارة، فقال: فإنا والله ما ننفس عليكم هذا الأمر ولكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوانهم[٢]، فقبل المهاجرون قوله وأقروا عذره ولا سيما أنهم شركاء في دماء من قتل من المشركين[٣].

٥- حديث الأئمة من قريش وموقف الأنصار منه:

ورد حديث الأئمة من قريش في الصحيحين، وكتب الحديث الأخرى، بألفاظ متعددة، ففي صحيح البخاري عن معاوية قال: قال رسول الله (ﷺ): **«إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين»**[٤] وفي صحيح مسلم: **«لا يزال الإسلام عزيزًا بخلفاء كلهم من قريش»**[٥].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): **«لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»**[٦]، وقال رسول الله (ﷺ): **«الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم»**[٧] وعن بكير بن وهب الجزري قال: قال لي أنس بن مالك الأنصاري: أحدثك حديثًا ما أحدثه كل أحد، كنا في بيت من الأنصار فجاء النبي (ﷺ) حتى وقف فأخذ بعضادتي الباب[٨]، فقال: **«الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقا، ولكم عليهم حقا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا وإن عاهدوا أوفوا وإن حكموا عدلوا»**[٩].

وفي فتح الباري أورد ابن حجر أحاديث كثيرة تحت باب الأمراء من قريش أسندها إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات[١٠]، فالأحاديث في هذا الباب كثيرة لا يكاد يخلوا منها كتاب من كتب الحديث، وقد رويت بألفاظ متعددة، إلا أنها متقاربة تؤكد جميعها أن الإمرة المشروعة في قريش، ويقصد بالإمرة الخلافة فقط أما ما سوى ذلك فتساوى فيه جميع المسلمين[١١]، وبمثل ما أوضحت الأحاديث النبوية الشريفة أن أمر الخلافة في قريش فإنها حذرت من الانقياد الأعمى لهم، وأن هذا الأمر فيهم ما أقاموا الدين كما سلف في حديث معاوية وكما جاء في حديث أنس: **«إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا أوفوا، وإن حكموا**

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص١٠٠ .
(٢) نفس المصدر ص١٠٠ .
(٣) المصدر السابق ص١٠٠ .
(٤) البخاري - كتاب الأحكام - رقم ٧١٣٩ .
(٥) مسلم - كتاب الإمارة - رقم ١٨٢١ .
(٦) البخاري - كتاب الأحكام - رقم ٧١٤٠ .
(٧) مسلم - كتاب الإمارة - رقم ١٨١٨ .
(٨) الفتح الرباني - للساعاتي - باب الخلافة (٢٣/ ٦٥)، ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٤) .
(٩) المصنف - لأبي شيبة (٥/ ٥٤٤) .
(١٠) الأنصار في العصر الراشدي ص١١١ .
(١١) نفس المصدر ص١١١ .

عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١]، وبهذا حذرت الأحاديث من اتباع قريش إن زاغوا عن الحكم بما أنزل الله فإن لم يمتثلوا ويطبقوا مثل هذه الشروط، فإنهم سيصبحون خطرًا على الأمة وحذرت الأحاديث الشريفة من اتباعهم على غير ما أنزل الله ودعت إلى اجتنابهم والبعد عنهم واعتزالهم، لما سيترتب على مؤازرتهم آنذاك من مخاطر على مصير الأمة قال (ﷺ): «**إن هلاك أمتي أو فساد أمتي رؤوس أغيلمة سفهاء من قريش**[٢]»، وعندما سئل (ﷺ): فما تأمرنا قال (ﷺ): «**لو أن الناس اعتزلوهم**»[٣].

ومن هذه النصوص تتضح الصورة لمسألة الأئمة من قريش، وأن الأنصار انقادوا لقريش ضمن هذه الضوابط وعلى هذه الأسس، وهذا ما أكدوه في بيعاتهم لرسول الله على السمع والطاعة، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان[٤]، فقد كان للأنصار تصور تام عن مسألة الخلافة، وأنها لم تكن مجهولة عندهم، وأن حديث الأئمة من قريش كان يرويه كثير منهم، وأن الذين لا يعلمونه سكتوا عندما رواه لهم أبو بكر الصديق ولهذا لم يراجعه أحد من الأنصار عندما استشهد به، فأمر الخلافة تم بالتشاور والاحتكام إلى النصوص الشرعية والعقلية التي أثبتت أحقية قريش بها، ولم يسمع عن أحد من الأنصار بعد بيعة السقيفة أنه دعا نفسه بالخلافة، مما يؤكد اقتناع الأنصار وتصديقهم لما تمّ التوصل إليه من نتائج[٥].

وبهذا يتهافت ويسقط قول من قال أن حديث الأئمة من قريش شعار رفعته قريش لاستلاب الخلافة من الأنصار أو أنه: رأي لأبي بكر وليس حديثًا رواه عن الرسول، وإنما كان فكرًا سياسيًا قرشيًا، كان شائعًا في ذلك العصر يعكس ثقل قريش في المجتمع العربي في ذلك الحين، وعلى هذا فإن نسبة هذه الأحاديث إلى أبي بكر وأنها شعار لقريش، ما هي إلا صورة من صورة التشويه التي يتعرض لها تاريخ العصر الراشدي وصدر الإسلام الذي قام أساسًا على جهود المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وعلى روابط الأخوة المتينة بين المهاجرين والأنصار حتى قال فيهم أبو بكر نحن والأنصار كما قال القائل:

أبو أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذين يلقون منا لملت[٦]

٦- الآيات القرآنية التي فيها إشارة إلى خلافة الصديق:

وردت آيات في كتاب الله (عزَّ وجلَّ) فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) أحق الناس في هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين وتلك الآيات هي:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٤) .
(٢) البخاري – كتاب الفتن – رقم ٧٠٥٨ .
(٣) دلائل النبوة – للبيهقي (٦/ ٤٦٤)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – رقم ٦٧١٣ .
(٤) البخاري – كتاب الفتن – رقم ٧٠٥٦ .
(٥) الأنصار في العصر الراشدي ص١١٦ .
(٦) نفس المصدر ص١١٦ .

أ- قوله (تعالى): ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. ووجه الدلالة أن أبا بكر (رضي الله عنه) فيمن أمر الله - جلَّ وعلا - عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك بهم سبيلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصديقين في قوله (تعالى): ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وقد أخبر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أن أبا بكر (رضي الله عنه) من الصديقين، فدل ذلك على أنه واحد منهم بل هو المقدم فيهم ولما كان أبو بكر (رضي الله عنه) ممن طريقهم هو الصراط المستقيم فلا يبقى أي شك لدى العاقل في أنه أحق خلق الله في هذه الأمة بخلافة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)[١]. قال محمد بن عمر الرازي: قوله: ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ يدل على إمامة أبي بكر (رضي الله عنه) لأنا ذكرنا أن تقدير الآية: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، والله (تعالى) قد بين في آية أخرى أن الذين أنعم الله عليهم من هم؟ فقال: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الآية ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فكان معنى الآية أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ضالاً لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر (رضي الله عنه)[٢].

وقال محمد الأمين الشنقيطي: يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم -أعني الفاتحة- بأن نسأله أن يهدينا صراطهم فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله (تعالى): ﴿اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين وقد بين (صلى الله عليه وسلم) أن أبا بكر (رضي الله عنه) من الصديقين فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) على الصراط المستقيم وإن إمامته حق[٣].

ب- قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات ووجه دلالة الآية على خلافة الصديق أنه كان في علم الله (سبحانه وتعالى) ما يكون بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(١) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة - ناصر حسن الشيخ (٢/ ٥٣٢).
(٢) تفسير الرازي (١/ ٢٦٠).
(٣) أضواء البيان (١/ ٣٦).

من ارتداد قوم فوعد سبحانه -ووعده صدق- أنه يأتي بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فلما وجد ما كان في علمه من ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله (ﷺ) آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة الصديق (رضي الله عنه)[1].

جـ- قال (تعالى): ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال أبو عبد الله القرطبي قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي (ﷺ) أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لأن الخليفة لا يكون أبدًا إلا ثانيًا وسمعت شيخنا أبا العباس أحمد بن عمر يقول: إنما استحق أن يقال ثاني اثنين لقيامه بعد النبي (ﷺ) بالأمر كقيام النبي (ﷺ) به أولاً، وذلك أن النبي (ﷺ) لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة وجواثا[2]، فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي (ﷺ) فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين[3].

حـ- قال (تعالى): ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية ووجه دلالة الآية على أحقية الصديق بالإمامة بعد النبي (ﷺ) أن الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع فمن أقدم عليه أولاً صار قدوة لغيره في هذه الطاعة وكان ذلك مقويًا لقلب الرسول (ﷺ) وسببًا لزوال الوحشة عن خاطره وكذلك السبق في النصرة فإن الرسول (ﷺ) لما قدم المدينة فلا شك أن الذين سبقوا إلى النصرة والخدمة فازوا بمنصب عظيم وإذا ثبت هذا فإن أسبق الناس إلى الهجرة أبو بكر الصديق فإنه كان في خدمة المصطفى (ﷺ) وكان مصاحبًا له في كل مسكن وموضع فكان نصيبه من هذا المنصب أعلى من نصيب غيره وإذا ثبت هذا صار محكومًا عليه بأنه (رضي الله عنه) ورضي هو عن الله وذلك في أعلى الدرجات من الفضل، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون إمامًا حقًا بعد رسول الله (ﷺ) فصارت هذه الآية من أدل الدلائل على فضل أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وعلى صحة إمامتهما[4].

خـ- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص١٧٣-١٧٤ .
(٢) جواثا: قرية بالبحرين . انظر: معجم البلدان (٢/ ١٧٤) .
(٣) تفسير القرطبي (٨/ ١٤٧-١٤٨) .
(٤) تفسير الرازي (١٦/ ١٦٨-١٦٩) .

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق (رضي الله عنه) وعلى خلافة الثلاثة بعده فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي دل ذلك على أن خلافتهم حق،[١] وقال الحافظ ابن كثير: وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية[٢].

د- قال (تعالى): ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦] قال أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله (تعالى) ـ: وقد دل على إمامة أبي بكر في سورة «براءة» فقال للقاعدين عن نصرة نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]. وقال في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يعني إلى قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ ثم قال الله (تعالى): ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال (تعالى): ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ ـ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالكم ـ كما ﴿تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٥، ١٦]. والداعي لهم إلى ذلك غير النبي (صلى الله عليه وسلم) قال الله (عزَّ وجلَّ) له: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ وقال في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ فمنعهم عن الخروج مع نبيه - عليه السلام - وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه (صلى الله عليه وسلم)[٣]، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم فارس والروم وبه قال الحسن البصري. قال عطاء: هم فارس وهو أحد قولي ابن عباس (رضي الله عنه)، وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو حنيفة يوم اليمامة فإن كانوا أهل اليمامة فقد قوتلوا في أيام أبي بكر: وهو الداعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة، وإن كانوا أهل فارس والروم[٤]، فقد قوتلوا في أيام أبي بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر لأنه العاقد له الإمامة فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق (رضي الله عنهما)، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجب أنه أفضل المسلمين (رضي الله عنه)[٥].

(١) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٥/ ١٢١).
(٢) نفس المصدر (٥/ ١٢١).
(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص٦٧، مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٤).
(٤) جامع البيان - للطبري (٢٦/ ٨٢-٨٤)، الاعتقاد - للبيهقي ص١٧٣.
(٥) الإبانة في أصول الديانة ص٦٧.

هـ- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وجه دلالة هذه الآية على خلافته (رضي الله عنه) أن الله (عزَّ وجل) سماهم «صادقين» ومن شهد له الرب (جل وعلا) بالصدق فإنه لا يقع في الكذب ولا يتخذه خلقًا بحال وقد أطبق هؤلاء الموصوفون بالصدق على تسمية الصديق (رضي الله عنه): خليفة رسول الله (ﷺ)[١]، ومن هنا كانت الآية دالة على ثبوت خلافته (رضي الله عنه)[٢].

٧- الأحاديث التي أشارت إلى خلافة أبي بكر (رضي الله عنه):

وأما الأحاديث النبوية التي جاء التنبيه فيها على خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) فكثيرة شهيرة متواترة ظاهرة الدلالة إما على وجه التصريح أو الإشارة ولاشتهارها وتواترها صارت معلومة من الدين بالضرورة بحيث لا يسع أهل البدعة إنكارها[٣] ومن تلك الأحاديث:

أ- عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة النبي (ﷺ) فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال (ﷺ): «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[٤].

قال ابن حجر: وفي الحديث أن مواعيد النبي (ﷺ) كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس[٥].

ب- عن حذيفة قال: كنا عند النبي (ﷺ) جلوسًا فقال: «**إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي**» وأشار إلى أبي بكر وعمر «**وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه**»[٦].

فقوله (ﷺ): «اقتدوا باللذين من بعدي» أي: بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي وهما أبو بكر وعمر وحث على الاقتداء بهما لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما، وفي الحديث إشارة لأمر الخلافة[٧].

جـ- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: «**بينما أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقي الناس فجاءني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني فنزع الدلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، فجاء ابن الخطاب فأخذ منه فلم أر نزع رجلٍ قط أقوى منه حتى تولى الناس والحوض ملئان يتفجر**»[٨].

---

(١) منهاج السنّة (١/ ١٣٥)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٠٧).
(٢) عقيدة أهل السنّة والجماعة (٢/ ٥٣٨) - ناصر حسن الشيخ.
(٣) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (٢/ ٥٣٩).
(٤) مسلم (٤/ ١٨٥٦-١٨٥٧)، البخاري - رقم ٣٦٥٩.
(٥) فتح الباري (٧/ ٢٤).
(٦) سلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني (٣/ ٢٣٣-٢٣٦).
(٧) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي (١٠/ ١٤٧).
(٨) مسلم (٤/ ١٨٦١-١٨٦٢).

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: رؤيا الأنبياء وحي وقوله (ﷺ): وفي نزعه ضعف قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته[١].

حـ- قالت عائشة: قال لي رسول الله (ﷺ) في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٢].

دل هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الصديق (رضي الله عنه) حيث أخبر النبي (ﷺ) بما سيقع في المستقبل بعد التحاقه بالرفيق الأعلى وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره (رضي الله عنه) وفي الحديث إشارة أنه سيحصل نزاع ووقع كل ذلك كما أخبر (ﷺ) ثم اجتمعوا على أبي بكر (رضي الله عنه)[٣].

ج- عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله (ﷺ) قالت: بلى ثقل النبي (ﷺ) فقال: «أَصَلَّى الناس»؟ قلنا: لا! وهم ينتظرونك يا رسول الله! قال: «ضعوا لي ماء في المخضب»[٤]. ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء،[٥] فأغمي عليه ثم أفاق فقال: «أصلى الناس»؟ قلنا: لا! وهم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلى الناس»؟ قلنا: لا! وهم ينتظرونك يا رسول الله! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله (ﷺ) لصلاة العشاء الآخرة قالت: فأرسل رسول الله (ﷺ) إلى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتانا الرسول فقال: إن رسول الله (ﷺ) يأمرك أن تصلي بالناس فقال: أبو بكر، وكان رجلاً رقيقًا: يا عمر صل بالناس قال: فقال: عمر أنت أحق بذلك قالت: فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام ثم إن رسول الله (ﷺ) وجد في نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي (ﷺ) أن لا يتأخر وقال لهما: «أجلساني إلى جنبه». فأجلساه إلى جنب أبي بكر وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي (ﷺ) والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي (ﷺ) قاعد. قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله (ﷺ) قال: هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت: لا، قال: هو علي[٦].

---

(١) الاعتقاد - للبيهقي ص١٧١ .
(٢) مسلم (٤/١٨٥٧) .
(٣) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (٢/٥٤٢) .
(٤) المخضب: هي إجانة تغسل فيها الثياب .
(٥) ينوء: أي يقوم وينهض (شرح النووي ٤/١٣٦) .
(٦) مسلم - رقم ٤١٨، البخاري - رقم ٦٨٧ .

هذا الحديث اشتمل على فوائد عظيمة منها: فضيلة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله (ﷺ) من غيره ومنها أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم، ومنها فضيلة عمر بعد أبي بكر (رضي الله عنه) لأن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يعدل إلى غيره[1].

د- قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): لما قبض رسول الله (ﷺ) قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير قال: فأتاهم عمر (رضي الله عنه) فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله (ﷺ) قد أمر أبا بكر يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر (رضي الله عنه) فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[2].

هـ- روى ابن سعد بإسناده إلى الحسن قال: قال عليّ: لما قبض النبي (ﷺ) نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي (ﷺ) قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله (ﷺ) لديننا فقدمنا أبا بكر[3].

وقد علق أبو الحسن الأشعري على تقديم رسول الله (ﷺ) لأبي بكر في الصلاة فقال: وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام قال: وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء: أن رسول الله (ﷺ) قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأكبرهم سنًا، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلامًا**» - قال ابن كثير- وهذا من كلام الأشعري - رحمه الله - مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق (رضي الله عنه) وأرضاه[4].

هذا ولأهل السنّة قولان في إمامة أبي بكر (رضي الله عنه) من حيث الإشارة إليها بالنص الخفي أو الجلي، فمنهم من قال: إن إمامة أبي بكر (رضي الله عنه) ثابتة بالنص الخفي والإشارة وهذا القول ينسب إلى الحسن البصري - رحمه الله (تعالى) - وجماعة من أهل الحديث[5]، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل[6] - رحمة الله عليه - واستدل أصحاب هذا القول بتقديم النبي (ﷺ) له في الصلاة وبأمره (ﷺ) بسد الأبواب إلا باب أبي بكر، ومنهم من قال: إن خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) ثابتة بالنص الجلي وهذا قول طائفة من أهل الحديث[7]، وبه قال أبو محمد ابن حزم

---

(١) شرح النووي (٤/ ١٣٧) .
(٢) المستدرك (٣/ ٦٧) .
(٣) الطبقات - لابن سعد (٣/ ١٨٣) .
(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٦٥) .
(٥) منهاج السنّة - لابن تيمية (١/ ١٣٤-١٣٥) .
(٦) نفس المصدر (١/ ١٣٤) .
(٧) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (٢/ ٥٤٧) .

الظاهري[١]، واستدل هذا الفريق بحديث المرأة التي قال لها: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[٢]، وبقوله لعائشة (رضي الله عنها): «**ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٣]، وحديث رؤياه (ﷺ): «**أنه على حوض يسقي الناس فجاء أبو بكر فنزع الدلو من يده ليروحه**»[٤].

والذي أميل إليه ويظهر لي من خلال البحث: أن المصطفى (ﷺ) يأمر المسلمين بأن يكون الخليفة عليهم من بعده أبا بكر (رضي الله عنه) وإنما دلهم عليها لإعلام الله (سبحانه وتعالى) له بأن المسلمين سيختارونه لما له من الفضائل العالية التي ورد بها القرآن والسنّة وفاق بها غيره من جميع الأمة المحمدية (رضي الله عنه) وأرضاه[٥].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: والتحقيق أن النبي (ﷺ) دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار رضي بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك... فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله (ﷺ) بيانًا قاطعًا للعذر ولكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر... إلى أن قال: خلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله (ﷺ) له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارًا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعًا لكن النص دل على رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص[٦].

٨- انعقاد الإجماع على خلافة الصديق (رضي الله عنه):

أجمع أهل السنّة والجماعة سلفًا وخلفًا على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي (ﷺ) أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لفضله وسابقته ولتقديم النبي (ﷺ) إياه في الصلوات على جميع

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٠٧).
(٢) مسلم (٤/١٨٥٦-١٨٥٧).
(٣) مسلم (٤/١٨٥٧) حديث رقم ٢٣٨٧.
(٤) مسلم (٤/١٨٦١-١٨٦٢).
(٥) عقيدة أهل السنّة والجماعة (٢/٥٤٨).
(٦) منهاج السنّة (١/١٣٩-١٤١)، مجموع الفتاوى (٣٥/٤٧-٤٩).

الصحابة وقد فهم أصحاب النبي (ﷺ) مراد المصطفى (ﷺ) من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته ولم يتخلف منهم أحد ولم يكن الرب (جل وعلا) ليجمعهم على ضلالة فبايعوه طائعين وكان لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد في تقديمه[١]، فعندما سئل سعيد بن زيد متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله (ﷺ): كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة[٢]، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنّة والجماعة على أن أبا بكر (رضي الله عنه) أولى بالخلافة من كل أحد[٣]، **وهذه بعض أقوال أهل العلم:**

أ- قال الخطيب البغدادي -رحمه الله - أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر قالوا له: يا خليفة رسول الله (ﷺ)! ولم يسم أحد بعده خليفة، وقيل: إنه قبض النبي (ﷺ) عن ثلاثين ألف مسلم كلٌ قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله (ﷺ)! ورضوا به من بعده (رضي الله عنهم)[٤].

ب- وقال أبو الحسن الأشعري: أثنى الله - (عزَّ وجلَّ) - على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال - (عزَّ وجلَّ) -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وسموه خليفة رسول الله (ﷺ) وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك[٥].

جـ- وقال عبد الملك الجويني: أمّا إمامة أبي بكر (رضي الله عنه) فقد ثبتت بإجماع الصحابة فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والانقياد لحكمه . . . وما تخرص به الروافض من إبداء عليّ شراسًا[٦]، وشماسًا[٧] في عقد البيعة له كذب صريح، نعم لم يكن (رضي الله عنه) في السقيفة وكان مستخليًا بنفسه قد استفزه الحزن على رسول الله (ﷺ) ثم دخل فيما دخل الناس فيه وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد[٨].

د- وقال أبو بكر الباقلاني في معرض ذكره للإجماع على خلافة الصديق (رضي الله عنه): وكان

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٥٥٠).
(٢) أباطيل يجب أن تمح من التاريخ - إبراهيم شعوط ص١٠١.
(٣) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (٢/ ٥٥٠).
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٠-١٣١).
(٥) الإبانة عن أصول الديانة ص٦٦.
(٦) الشراس: شدة المعاملة. مختار الصحاح ص٣٤٦.
(٧) وشماسًا: أي صعب الخلق. لسان العرب (٦/ ١١١).
(٨) كتاب الإرشاد ص٣٦١.

(رضي الله عنه) مفروض الطاعة لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته وانقيادهم له حتى قال أمير المؤمنين عليّ (رضي الله عنه) مجيبا لقوله (رضي الله عنه) لما قال: أقيلوني فلست بخيركم، فقال: لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله (ﷺ) لديننا ألا نرضاك لدنيانا يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره واستنابته في إمارة الحج فأمرك علينا وكان (رضي الله عنه) أفضل الأمة وأرجحهم إيمانًا وأكملهم فهمًا وأوفرهم علمًا[١].

٩- منصب الخلافة والخليفة:

الخلافة الإسلامية هي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية وأجمعت عليه طريقةً وأسلوبًا للحكم تنظم من خلاله أمورها وترعى مصالحها، وقد ارتبطت نشأة الخلافة بحاجة الأمة لها واقتناعها بها، ومن ثم كان إسراع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله (ﷺ)، يقول الإمام أبو الحسن الماوردي: إن الله (جلّت قدرته) ندب للأمة زعيمًا خلف به النبوة وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلاً عليه استقرت قواعد الملّة وانتظمت به مصالح العامة حتى استتبت به الأمور العامة، وصدرت عنه الولايات الخاصة[٢].

لقد كان على الأمة الإسلامية أن تواجه الموقف الصعب الذي نشأ عن انتقال الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، وأن تحسم أمورها بسرعة وحكمة وألا تدع مجالاً لانقسام قد يتسرب منه الشك إلى نفوس أفرادها أو للضعف أن يتسلل إلى أركان البناء الذي شيده رسول الله (ﷺ)[٣].

ولما كانت الخلافة هي نظام حكم المسلمين فقد استمدت أصولها من دستور المسلمين، من القرآن الكريم ومن سنّة النبي (ﷺ)،[٤] وقد تحدث الفقهاء عن أسس الخلافة الإسلامية فقالوا بالشورى والبيعة وهما أصلاً قد أشير إليهما في القرآن الكريم[٥]، ومنصب الخلافة أحيانًا يطلق عليه لفظ الإمامة أو الإمارة وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين يرعى شؤون الأمة ويقيم الحدود ويعمل على نشر الدعوة الإسلامية وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد.

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٦٥ .
ومما تجدر الإشارة إليه: أن الذي ذكرت فيه النصوص التي فيها الإشارة إلى خلافة الصديق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وذكر الإجماع، اختصرتها من الكتاب القيم عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام - للدكتور ناصر بن عائض حسن الشيخ .
(٢) الأحكام السلطانية ص٣ .
(٣) عصر الخلفاء الراشدين - د. فتحية النبراوي ص٢٢ .
(٤) عصر الخلفاء الراشدين ص٢٣ .
(٥) نفس المصدر ص٢٣ .

وهذا ثابت بالقرآن والسنّة والإجماع[١].

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال (ﷺ): «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له[٢] ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[٣].

وأما الاجماع فالصحابة (رضي الله عنهم) لم ينتظروا حتى يتم دفن الرسول (ﷺ) وتوافدوا للاتفاق على إمام أو خليفة وعلل أبو بكر قبول هذه الأمانة وهو خوفه أن تكون فتنة أي من عدم تعيين خليفة للمسلمين[٤]، قال الشهرستاني في ذلك: (ما دار في قلبه ولا في قلب أحد أنه يجوز خلو الأرض من إمام) فدل ذلك كله على أن الصحابة وهم الصدر الأول كانوا على بكرة أبيهم متفقين على أنه لابدَّ من إمام، فذلك الإجماع على هذا الوجه دليل قاطع على وجوب الإمام[٥].

هذا وليس صحيحًا ما يروجه الحاقدون أن الطمع في الرئاسة سبب الانشغال بالخلافة عن دفن النبي (ﷺ)[٦].

هذا وقد عرّف ابن خلدون الخلافة: (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة هذا الدين وسياسة الدنيا به)[٧].

وقد تحدث العلامة أبو الحسن الندوي عن شروط خلافة النبي ومتطلباتها، وقد أثبت بالأدلة والحجج من خلال سيرة الصديق بأن أبا بكر كانت شروط خلافة النبي (ﷺ) متحققة فيه ونذكر هذه الشروط بإيجاز وبدون ذكر الشواهد التي ذكرها الندوي وقد بينتها في هذا الكتاب متناثرة، **فأهم هذه الشروط:**

أ- يمتاز بأنه ظل طول حياته بعد الإسلام متمتعًا بثقة رسول الله (ﷺ) به وشهادته له،

---

(١) الخلافة والخلفاء الراشدون ص٥٨ .
(٢) لا حجة له في فعله ولا عدالة تنفعه .
(٣) مسلم (٣/١٤٧٨) رقم ١٨٥١ .
(٤) الخلافة والخلفاء الراشدون ص٥٩ .
(٥) الملل والنحل - للشهرستاني (٧/٨٣)، نظام الحكم - محمود الخالدي ص٢٣٧ ـ ٢٤٨ .
(٦) الخلافة والخلفاء والراشدون ص٤٩ .
(٧) المقدمة ص١٩١ .

واستخلافه إياه في القيام ببعض أركان الدين الأساسية، وفي مهمات الأمور، والصحبة في مناسبات خطرة دقيقة لا يستصحب فيها الإنسان إلا من يثق به كل الثقة، ويعتمد عليه كل الاعتماد.

ب- يمتاز هذا الفرد بالتماسك والصمود في وجه الأعاصير والعواصف التي تكاد تعصف بجوهر الدين ولُبه، وتحبط مساعي صاحب رسالته، وتنخلع لها قلوب كثير ممن قوي إيمانهم وطالت صحبتهم، ولكن يثبت هذا لفرد في وجهها ثبوت الجبال الراسيات، ويمثل دور خلفاء الأنبياء الصادقين الراسخين، ويكشف الغطاء عن العيون، وينفض الغبار عن جوهرة الدين وعقيدته الصحيحة.

جـ- يمتاز هذا الفرد في فهمه الدقيق للإسلام، ومعايشته له في حياة النبي (ﷺ) على اختلاف أطواره وألوانه من سلم وحرب، وخوف وأمن ووحدة واجتماع، وشدة ورخاء.

د- يمتاز بشدة غيرته على أصالة هذا الدين وبقائه على ما كان عليه في عهد نبيِّه، غيرة أشد من غيرة الرجال على الأعراض والكرامات، والأزواج والأمهات، والبنين والبنات، لا يحوله عن ذلك خوف أو طمع أو تأويل أو عدم موافقة من أقرب الناس وأحبهم إليه.

س- يكون دقيقًا كل الدقة وحريصًا أشد الحرص في تنفيذ رغبات الرسول الذي يخلفه في أمته بعد وفاته، لا يحيد عن ذلك قيد شعرة، ولا يساوم فيه أحدًا، ولا يخاف لومة لائم.

و- يمتاز بالزهد في متاع الدنيا والتمتُّع به، زهدًا لا يُتصوَّر فوقه إلا عند إمامه وهاديه سيد الانبياء (ﷺ)، وأن لا يخطر بباله تأسيس الملك والدولة وتوسيعهما لصالح عشيرته وورثته، كما اعتادت ذلك الأسر الملوكية الحاكمة في أقرب الدول والحكومات من جزيرة العرب، كالروم والفرس[(١)].

وقد اجتمعت هذه الصفات والشروط كلها في سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه)، كما تمثلت في حياته وسيرته في حياة الرسول (ﷺ) قبل الخلافة وبعد الخلافة إلى أن توفاه الله (تعالى)، بحيث لا يسع منكرًا أن ينكره أو مشككًا يشكك في صحته، فقد تحقق بطريق البداهة والتواتر[(٢)].

هذا وقد قام أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة ببيعة الصديق بيعة خاصة، ثم رشحوه للناس في اليوم الثاني وبايعته الأمة في المسجد البيعة العامة[(٣)].

وقد أفرز ما دار في سقيفة بني ساعدة مجموعة من المبادئ منها: أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هي أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب دينًا والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية،

---

(١) المرتضى - سير أبي الحسن علي بن أبي طالب ص٦٥، ٦٦ .
(٢) سيرة أبي الحسن علي بن أبي طالب ص٦٧ .
(٣) الخلافة والخلفاء الراشدون ص٦٦، ٦٧ .

وأخلاقية، وأن الخلافة لا تدخل ضمن مبدأ الوراثة النسبية أو القبلية، وإن إثارة (قريش) في سقيفة بني ساعدة باعتباره واقع يجب أخذه في الحسبان، ويجب اعتبار أي شيء مشابه ما لم يكن متعارضًا مع أصول الإسلام، وأن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسي السائد بين المسلمين حيث لا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات ولا نقض للاتفاق، ولكن تسليم للنصوص التي تحكمهم حيث المرجعية في الحوار إلى النصوص الشرعية(١).

وقد استدل الدكتور توفيق الشاوي على بعض الأمثلة التي صدرت بالشورى الجماعية في عهد الراشدين من حادثة السقيفة حيث قال:

• أول ما قرره اجتماع يوم السقيفة هو أن (نظام الحكم ودستور الدولة) يقرر بالشورى الحرة، تطبيقًا لمبدأ الشورى الذي نص عليه القرآن، ولذلك كان هذا المبدأ محل إجماع، وسند هذا الإجماع النصوص القرآنية التي فرضت الشورى، أي أن هذا الإجماع كشف وأكد أول أصل شرعي لنظام الحكم في الإسلام وهو الشورى الملزمة، وهذا أول مبدأ دستوري تقرر بالإجماع بعد وفاة رسولنا (ﷺ) ، ثم إن هذا الإجماع لم يكن إلا تأييدًا وتطبيقًا لنصوص الكتاب والسنّة التي أوجبت الشورى .

• تقرر يوم السقيفة أيضًا أن اختيار رئيس الدولة أو الحكومة الإسلامية وتحديد سلطاته يجب أن يتم بالشورى، أي البيعة الحرة التي تمنحه تفويضًا ليتولى الولاية بالشروط والقيود التي يتضمنها عقد البيعة الاختيارية الحرة - الدستور في النظم المعاصرة -، وكان هذا ثاني المبادئ الدستورية التي أقرها الإجماع، وكان قرارًا إجماعيًا كالقرار السابق.

• تطبيقًا للمبدأين السابقين، قرر اجتماع السقيفة اختيار أبي بكر ليكون الخليفة الأول للدولة الإسلامية(٢).

ثم إن هذا الترشيح لم يصح نهائيًا إلا بعد أن تمت له البيعة العامة، أي موافقة جمهور المسلمين في اليوم التالي بمسجد الرسول (ﷺ) ، ثم قبوله لها بالشروط التي ذكرها في خطابه الذي ألقاه(٣)، وسنأتي على ذلك بالتفصيل بإذن الله (تعالى)



(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة - للشجاع ص٢٥٦ .
(٢) فقه الشورى والاستشارة - د. توفيق الشاوي ص١٤٠ .
(٣) نفس المصدر ص١٤٢ .



المبحث الثاني



البيعة العامة، وإدارة الشئون الداخلية

أولاً: البيعة العامة:

بعد أن تمت بيعة أبي بكر (رضي الله عنه) البيعة الخاصة في سقيفة بني ساعدة، كان لعمر (رضي الله عنه) في اليوم التالي موقف في تأييد أبي بكر وذلك في اليوم التالي حينما اجتمع المسلمون للبيعة[١] العامة قال أنس بن مالك: لما بويع أبي بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهده إليّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكني قد كنت أرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدبر أمرنا - يقول يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة السقيفة فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[٢].

وقال عمر لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة[٣].

وتعتبر هذه الخطبة الرائعة من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها وقد قرر الصديق فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم وركز على أن طاعة ولي الأمر مترتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة، وعلى

(١) عصر الخلفاء الراشدين - د. فتحية النبراوي ص٣٠ .
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥،٣٠٦) إسناده صحيح .
(٣) البخاري - الأحكام - رقم ٧٢١٩ .

اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد[(١)]، من خلال الخطبة والأحداث التي تمت بعد وفاة الرسول يمكن للباحث أن يستنبط بعض ملامح نظام الحكم في بداية عهد الخلافة الراشدة والتي من أهمها:

١- مفهوم البيعة:

عرّف العلماء البيعة بتعاريف عدة منها تعريف ابن خلدون: العهد على الطاعة لولي الأمر[(٢)]، وعرفها بعضهم بقوله: البيعة على التعاقد على الإسلام[(٣)]، وعرفت كذلك بأنها أخذ العهد والميثاق والمعاقدة على إحياء ما أحياه الكتاب والسنّة، وإقامة ما أقامه[(٤)]، وكان المسلمون إذا بايعوا الأمير جعلوا أيديهم في يده، تأكيدًا للعهد والولاء، فأشبه ذلك الفعل البائع والمشتري، فسمى هذا الفعل بيعة[(٥)].

ونتعلم من مبايعة الأمة للصديق بأن الحاكم في الدولة الإسلامية إذا وصل إلى الحكم عن طريق أهل الحل والعقد وبايعته الأمة بعد أن توفرت فيه الشروط المعتبرة، فيجب على المسلمين جميعًا مبايعته والاجتماع عليه، ونصرته على من يخرج عليه، حفاظًا على وحدة الأمة وتماسك بنيانها أمام الأعداء في داخل الدولة الإسلامية وخارجها[(٦)].

قال (ﷺ): «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[(٧)]، فهذا الحديث فيه حث على وجوب إعطاء البيعة والتوعد على تركها، فمن مات ولم يبايع عاش على الضلال ومات على الضلال[(٨)].

وقال رسول الله (ﷺ): «**ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فيطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**»[(٩)].

فالشارع الحكيم قد رتب القتل وأمر به، نتيجة الخروج على الإمام مما يدل على حرمة هذا الفعل؛ لأنه يطلب بيعة أخرى بالبيعة الأولى التي هي فرض على المسلمين[(١٠)].

والذي يأخذ البيعة في حاضرة الدولة هو الخليفة. وأما في الأقاليم فقد يأخذها الإمام، وقد يأخذها نواب الإمام، كما حدث في بيعة الصديق (رضي الله عنه)، فأهل مكة والطائف أخذها نواب الخليفة.

---

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٨).
(٢) المقدمة ص٢٠٩.
(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٢٥٢).
(٤) نظام الحكم في الإسلام - عارف أبو عيد ص٢٤٨.
(٥) نفس المصدر ص٢٥٠.
(٦) المصدر السابق ص٢٥٠.
(٧) مسلم - كتاب الإمارة - رقم ١٨٥١.
(٨) نظام الحكم في الإسلام ص٢٥٠.
(٩) مسلم - كتاب الإمارة - رقم ١٨٥٢.
(١٠) نظام الحكم في الإسلام ص٢٥٣.

والذي تجب بيعتهم للإمام هم أهل الحل والعقد، وأهل الاختيار من علماء الأمة وقادتها، وأهل الشورى وأمراء الأمصار وأما سائر الناس وعامتهم فيكفيهم دخولهم تحت بيعة هؤلاء، ولا يمنع العامة من البيعة بعد بيعة أهل الحل والعقد[١]، وهناك من العلماء من قال لابدَّ من البيعة العامة؛ لأن الصديق لم يباشر مهامه كخليفة للمسلمين إلا بعد البيعة العامة له من المسلمين[٢].

والبيعة بهذا المعنى الخاص الذي تمّ للصديق لا تعطي إلا للإمام الأعظم في الدولة الإسلامية ولا تعطى لغيره من الأشخاص سواءً في ظل الدولة الإسلامية أو عند فقدها، لما يترتب على هذه البيعة من أحكام[٣]، وخلاصة القول أن البيعة بمعناها الخاص هي إعطاء الولاء والسمع والطاعة للخليفة مقابل الحكم بما أنزل الله (تعالى)، وأنها في جوهرها وأصلها عقد وميثاق بين طرفين؛ الإمام من جهة وهو الطرف الأول، والأمة من جهة ثانية وهي الطرف الثاني، فالإمام يبايع على الحكم بالكتاب والسنّة والخضوع التام للشريعة الإسلامية عقيدة وشريعة ونظام حياة، والأمة تبايع على الخضوع والسمع والطاعة للإمام في حدود الشريعة.

فالبيعة خصيصة من خصائص نظام الحكم في الإسلام تفرد به عن غيره من النظم الأخرى في القديم والحديث. ومفهومه أن الحاكم والأمة كليهما مقيد بما جاء به الإسلام من الأحكام الشرعية، ولا يحق لأحدهما سواء كان الحاكم أو الأمة ممثلة بأهل الحل والعقد، الخروج على أحكام الشريعة أو تشريع الأحكام التي تصادم الكتاب والسنّة، أو القواعد العامة في الشريعة ويعد فعل مثل ذلك خروجًا على الإسلام، بل إعلان الحرب على النظام العام للدولة الإسلامية بل أبعد من هذا نجد أن القرآن الكريم نفى عنهم صفة الإيمان[٤]، قال (تعالى): ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فهذا مفهوم البيعة من خلال عصر أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

٢- مصدر التشريع في دولة الصديق:

قال أبو بكر (رضي الله عنه): أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[٥]، فمصدر التشريع عند الصديق :

أ- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ

(١) نفس المصدر ص٢٥٣ .
(٢) فقه الشورى - د. الشاوي ص٤٣٩، عصر الخلفاء الراشدين ص٣٠ .
(٣) نظام الحكم في الإسلام ص٢٥٤ .
(٤) نظام الحكم في الإسلام ص١٥٢، ١٥٣ .
(٥) البداية والنهاية (٦/٣٠٦) .

خصيماً ﴾ [النساء: ١٠٥].

فهو المصدر الأول الذي يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكامًا قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بيّن القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم.

ب- السنة المطهرة:

هي المصدر الثاني الذي يستمد منه الدستور الإسلامي أصوله ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن(١).

إن دولة الصديق خضعت للشريعة وأصبحت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون وأعطت لنا صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة، والحاكم فيها مقيد بأحكامها لا يتقدم ولا يتأخر عنها(٢).

ففي دولة الصديق وفي مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم؛ ولهذا قيد الصديق طاعته التي طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله، لأن رسول الله (ﷺ) قال: «**لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف**»(٣).

٣- حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته:

قال أبو بكر (رضي الله عنه): فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني(٤).

فهذا الصديق يقرّ بحق الأمة وأفرادها في الرقابة على أعماله ومحاسبته عليها، بل وفي مقاومته لمنع كل منكر يرتكبه وإلزامه بما يعتبرونه الطريق الصحيح والسلوك الشرعي(٥)، وقد أقرّ الصديق في بداية خطابه للأمة أن كل حاكم معرض للخطأ والمحاسبة، وأنه لا يستمد سلطته من أي امتياز شخصي يجعل له أفضلية على غيره؛ لأن عهد الرسالات والرسل المعصومين قد انتهى، وإن آخر رسول كان يتلقى الوحي انتقل إلى جوار ربه، وقد كانت له سلطة دينية مستمدة من عصمته كنبي ومن صفته كرسول يتلقى التوجيه من السماء، ولكن هذه العصمة قد انتهت بوفاته (ﷺ) وبعد وفاته (ﷺ) أصبح الحكم والسلطة مستمدة من عقد البيعة وتفويض الأمة له(٦).

إن الأمة في فقه أبي بكر لها إدارة حية واعية لها القدرة على المناصرة والمناصحة والمتابعة والتقويم، فالواجب على الرعية نُصرة الإمام الحاكم بما أنزل الله ومعاضدته ومناصرته في أمور

---

(١) فقه التمكين في القرآن الكريم - للصّلابي ص٤٣٢.
(٢) نظام الحكم في الإسلام ص٢٢٧.
(٣) البخاري رقم ٧١٤٥.
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).
(٥) فقه الشورى والاستشارة ص٤٤١.
(٦) فقه الشورى والاستشارة ص٤٤١.

الدين والجهاد، ومن نصرة الإمام ألا يهان، ومن معاضدته أن يحترم، وأن يكرّم فقوامته على الأمة وقيادته لها لإعلاء كلمة الله، تستوجب تبجيله وإجلاله وإكرامه وتبجيله، إجلالاً وإكرامًا لشرع الله الذي ينافع عنه ويدافع عنه. قال رسول الله (ﷺ) : «**إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[١]، والأمة واجب عليها أن تُناصح ولاة أمرها قال (ﷺ): «الدين النصحية» - ثلاثًا - قال الصحابة: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله -(عزّ وجلّ)- **ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢]، ولقد استقر في مفهوم الصحابة أن بقاء الأمة على الاستقامة رهن باستقامة ولاتها، ولذلك كان من واجبات الرعية تجاه حكامهم نصحهم وتقويمهم ولقد أخذت الدولة الحديثة تلك السياسة الرائدة للصديق (رضي الله عنه) وترجمت ذلك إلى لجان متخصصة ومجالس شورية، تمد الحاكم بالخطط، وتزوده بالمعلومات، وتشير عليه بما يحسن أن يقرره، والشيء المحزن أن كثيرًا من الدول الإسلامية تعرض عن هذا النظام الحكيم، فعظم مصيبتها في تسلط الحكام وجبروتهم، والتخلف الذي يعم معظم ديار المسلمين ما هو إلا نتيجة لتسلط بغيض، (ودكتاتورية) لعينة، أماتت في الأمة روح التناصح والشجاعة، وبذرت فيها، وزرعت بها الجبن والفزع إلا من رحم ربي، وأما الأمة التي تقوم بدورها في مراقبة الحاكم ومناصحته تأخذ بأسباب القوة والتمكين في الأرض، فتنطلق إلى آفاق الدنيا تبلغ دعوة الله[٣].

٤- إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس:

قال أبو بكر (رضي الله عنه) : الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله[٤].

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم ومن أهم هذه القواعد، الشورى والعدل، والمساواة والحريات، ففي خطاب الصديق للأمة أقرّ هذه المبادئ، فالشورى تظهر في طريقة اختياره وبيعته وفي خطبته في المسجد الجامع، بحضر من جمهور المسلمين وأما عدالته فتظهر في نص خطابه ولا شك أن العدل في فكر أبي بكر هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

إن إقامة العدل بين الناس أفرادًا وجماعات ودولاً، ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها، وقد أجمعت الأمة على وجوب العدل[٥] قال الفخر الرازي - رحمه الله - أجمعوا على أن من كان حاكمًا وجب عليه أن يحكم بالعدل[٦].

---

(١) صحيح سنن أبي داود - رقم ٣٥٠٤ .
(٢) مسلم - كتاب الإيمان - باب أن الدين النصحية - رقم ٥٥ .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٤٩ .
(٤) فقه التمكين في القرآن الكريم ص٤٥٥ .
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥) .
(٦) تفسير الرازي (١٠/ ١٤١) .

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية والسنة النبوية، إن من أهداف دولة الإسلام إقامة المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربته، بكافة أشكاله وأنواعه، وعليها أن تفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إليه بأيسر السبل وأسرعها دون أن يكلفه ذلك جهد أو مال وعليها أن تمنع أي وسيلة من الوسائل من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إلىٰ حقه.

لقد أوجب الإسلام علىٰ الحكام أن يقيموا العدل بين الناس دون النظر إلىٰ لغاتهم أو أوطانهم أو أحوالهم الاجتماعية فهو يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق، ولا يهمه أن يكون المحكوم لهم أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء عمالاً أو أصحاب عمل[1]، قال تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: ٨].

لقد كان الصديق (رضي الله عنه) قدوة في عدله يأسر القلوب ويبهر الألباب، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام فيه تفتح قلوب الناس للإيمان، لقد عدل بين الناس في العطاء، وطلب منهم أن يكونوا عونًا له في هذا العدل، وعرض القصاص من نفسه في واقعة تدل علىٰ العدل والخوف من الله (سبحانه)[2]، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه): أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قام يوم جمعة فقال: إذا كنا بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسمها، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن، فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملاً، فأتىٰ الرجل فوجد أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد دخلا إلىٰ الإبل فدخل معهما، فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا الرجل فأعطاه الخطام وقال: استقد . . فقال عمر: والله لا يستقد ولا تجعلها سنة، قال أبو بكر فمن لي من الله يوم القيامة؟ قال عمر: أرضه، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها[3].

وأما مبدأ المساواة الذي أقره الصديق في بيانه الذي ألقاه علىٰ الأمة، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم وسبق به تشريعات وقوانين العصر الحاضر، ومما ورد في القرآن الكريم تأكيدًا لمبدأ المساواة قول الله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣].

إن الناس جميعًا في نظر الإسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب

---

(١) فقه التمكين في القرآن الكريم ص٤٥٩ .

(٢) تاريخ الدعوة إلىٰ الإسلام في عهد الخلفاء ص٤١٠ .

(٣) نفس المصدر ص٤١١ .

والعجم، الأبيض والأسود، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون أو النسب أو الطبقة، والحكام والمحكومون كلهم في نظر الشرع سواء[١]، وجاءت ممارسة الصديق لهذا المبدأ خير شاهد على ذلك حيث يقول: وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه[٢].

وكان (رضي الله عنه) ينفق من بيت مال المسلمين فيعطي كل ما فيه سواسية بين الناس، فقد روى ابن سعد وغيره أن أبا بكر (رضي الله عنه)، كان له بيت مال بالسُّنح معروف، ليس يحرسه أحد، فقيل له: ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يخاف عليه، قيل له: ولم؟ قال: عليه قفل! وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيئًا، فلما تحوّل إلى المدينة حوّله معه فجعله في الدار التي كان فيها، وقدم عليه مال من معدن من معادن جُهينة، فكان كثيرًا، وانفتح معدن بني سليم في خلافته، فقدم عليه منه بصدقة فكان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويًّا، بين الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السواء. قالت عائشة (رضي الله عنها): فأعطى أول عام الحرّ عشرة والمملوك عشرة، وأعطى المرأة عشرة، وأمتها عشرة، ثم قسّم في العام الثاني، فأعطاهم عشرين عشرين، فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله: إنك قسمت هذا المال فسوّيت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل. فقال: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جلّ ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة فيه خير من الأثرة[٣] فقد كان توزيع العطاء في خلافته على التسوية بين الناس، وقد ناظر الفاروق عمر (رضي الله عنه) أبا بكر في ذلك فقال: أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح؟ فقال أبو بكر: إنما عملوا لله، وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا بلاغ للراكب.

ورغم أن عمر (رضي الله عنه) غيّر في طريقة التوزيع فجعل التفضيل بالسابقة إلى الإسلام والجهاد إلا أنه في نهاية خلافته قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لرجعت إلى طريقة أبي بكر فسويت بين الناس[٤].

وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، واشترى عامًا قطائف (القطيفة كساء مخمل) أتى بها من البادية، ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء وقد بلغ المال الذي ورد على أبي بكر في خلافته مائتي ألف وُزعت في أبواب الخير[٥].

---

(١) فقه التمكين في القرآن الكريم ص٤٦٠، ٤٦١ .
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥) .
(٣) أبو بكر الصديق - طنطاوي ص١٨٧، ١٨٨، ابن سعد (٣/ ١٩٣) .
(٤) الأحكام السلطانية - للماوردي ص٢٠١ .
(٥) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٥٨ .

لقد اتبع أبو بكر (رضي الله عنه) المنهج الرباني في إقرار العدل، وتحقيق المساواة بين الناس وراعى حقوق الضعفاء فرأى أن يضع نفسه في كفة هؤلاء الواهنة أصواتهم فيتبعهم بسمع مرهف وبصر حاد وإرادة واعية لا تستذلها عوامل القوة الأرضية فتملي كلمتها . . إنه الإسلام في فقه رجل دولته النابه الذي قام يضع القهر تحت أقدام قومه، ويرفع بالعدل رؤوسهم فيؤمن به كيان دولته ويحفظ لها دورها في حراسة الملة والأمة[١].

لقد قام الصديق منذ أول لحظة بتطبيق هذه المبادئ السامية، فقد كان يدرك أن العدل عزٌّ للحاكم والمحكوم، ولهذا وضع الصديق سياسته تلك موضع التنفيذ وهو يردد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

أكان أبو بكر يريد أن يطمئن المسلمون إلى دينهم، وحرية الدعوة إليه، وإنما تتم الطمأنينة للمسلمين ما قام الحاكم فيهم على أساس من العدل المجرد عن الهوى.

والحكم على هذا الأساس يقتضي الحاكم أن يسمو فوق كل اعتبار شخصي وأن يكون العدل والرحمة مجتمعين، وقد كانت نظرية أبي بكر في تولي أمور الدولة قائمة على إنكار الذات، والتجرد لله تجردًا مطلقًا جعله يشعر بضعف الضعيف، وحاجة المجتمع ويسمو بعدله على كل هوى، وينسى في سبيل ذلك نفسه وأبناءه، وأهله، ثم يتتبع أمور الدولة جليلها، ورقيقها بكل ما أتاه الله من يقظة وحذر[٢].

وبناء على ما سبق يرفع العدل لواءه بين الناس، فالضعيف آمن على حقه، وكله يقين أن ضعفه يزول حينما يحكم العدل، فهو به قوي لا يمنع حقه ولا يضيع، والقوي حين يظلم يردعه الحق، وينتصف منه للمظلوم، فلا يحتمي بجاه أو سلطان أو قرابة لذي سطوة أو مكانة، وذلك هو العز الشامخ، والتمكين الكامل في الأرض[٣].

وما أجمل ما قاله ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، . . . بالعدل تستصلح الرجال، وتستغزر الأموال[٤].

٥- الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم:

قال أبو بكر (رضي الله عنه): الصدق أمانة والكذب خيانة[٥] أعلن الصديق (رضي الله عنه) مبدءًا أساسيًا تقوم عليه خطته في قيادة الأمة وهو: أن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، وهذا المبدأ السياسي الحكيم له الأثر الهام في قوة الأمة حيث ترسيخ جسور الثقة بينها وبين حاكمها

(١) أبو بكر رجل الدولة ص٤٦ .
(٢) الصديق - لهيكل باشا ص٢٢٤ .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٤٦ .
(٤) السياسة الشرعية ص١٠ .
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥) .

إنه خلق سياسي منطلق من دعوة الإسلام إلى الصدق قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، ومن التحذير منه كقول رسول الله (ﷺ): **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ وملك كذابٌ وعائل مستكبر»**[١].

فهذه الكلمات (الصدق أمانة) اكتست بالمعاني، فكأن لها روحًا تروح بها وتغدو بين الناس، تلهب الحماس، وتصنع الأمل، (والكذب خيانة) وهكذا يأبى أبو بكر إلا أن يمس المعاني، فيسمي الأشياء بأسمائها، فالحاكم الكذاب هو ذلك الوكيل الخائن الذي يأكل خبز الأمة ثم يخدعها، فما أتعس حاكم يتعاطى الكذب فيسميه بغير اسمه، لقد نعته الصديق بالخيانة، وأنه عدو أمته الأول . . وهل بعد الخيانة من عداوة؟ حقًّا لا زال الصديق يطل على الدنيا من موقفه هذا فيرفع أقوامًا ويسقط آخرين! . . وتظل صناعة الرجال أرقى فنون الحكم! إذ هم عدة الأمة ورصيدها الذي تدافع به عن نفسها ملمات الأيام، ولا شك أن من تأمل كلمات أبي بكر تلك أصدقته الخبر بأن الرجل كان رائدًا في هذا الفن الرفيع، فقد كان يسير على النهج النبوي الكريم[٢].

إن شعوب العالم اليوم تحتاج إلى هذا المنهج الرباني في التعامل بين الحاكم والمحكوم لكي تقاوم أساليب تزوير الانتخابات وتلفيق التهم، واستخدام الإعلام وسيلة لترويج اتهامات باطلة لمن يعارضون الحكام أو ينتقدونهم، ولابدَّ من إشراف الأمة على التزام الحكام بالصدق والأمانة من خلال مؤسساتها التي تساعدها على تقويم ومحاسبة الحكام إذا انحرفوا[٣]، فتمنعهم من سرقة إرادتها، وشرفها، وحريتها وأموالها.

٦-إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك:

قال أبو بكر (رضي الله عنه): وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل[٤]، لقد تلقى أبو بكر تربيته الجهادية مباشرة من نبيه وقائده العظيم (ﷺ)، تلقاها تربية حية في ميادين الصراع بين الشرك والإيمان، والضلال والهدى، والشر والخير ولقد ذكرت مواقف الصديق في غزوات الرسول (ﷺ)، ولقد فهم الصديق (رضي الله عنه) من حديث رسول الله (ﷺ): **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم»**[٥]، إن الأمة تصاب بالذل إذا تركت الجهاد فلذلك جعل الصديق الجهاد إحدى حقائق الحكم في دولته[٦]؛ ولذلك حشد طاقات الأمة من أجل الجهاد، لكي

---

(١) مسلم – كتاب الإيمان – رقم ١٧٢ .
(٢) أبو بكر رجل الدولة – مجدي حمدي ص٣٦،٣٧ .
(٣) فقه الشورى والاستشارة ص٤٤٢ .
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥) .
(٥) سنن أبي داود رقم ٣٤٦٢ صححه الألباني .
(٦) أبو بكر رجل الدولة ص٧٣ .

يرفع الظلم عن المظلومين ويزيل الغشاوة عن أعين المقهورين ويعيد الحرية للمحرومين، وينطلق بدعوة الله في آفاق الأرض يزيل كل عائق ضدها.

٧-إعلان الحرب على الفواحش:

قال أبو بكر (رضي الله عنه): ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء[١]، والصديق هنا يذكر الأمة بقول النبي (ﷺ): «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...**»[٢] إن الفاحشة هي داء المجتمع العضال الذي لا دواء له، وهي سبيل تحلله وضعفه حيث لا قداسة لشيء، فالمجتمع الفاحش لا يغار ويقر الدنية ويرضاها، إنه مجتمع الضعف والعار والأوجاع والأسقام، وحال الناس أدل شاهد. لقد وقف أبو بكر يحفظ قيم الأمة وأخلاقها[٣]، فقد حرص في سياسته على طهر الأمة ونقائها، وبعدها عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو (رضي الله عنه) يريد بذلك أمة قوية لا تشغلها شهواتها، ولا يضلها شيطانها، لتعيش أمة منتجة تعطي الخير، وتقدم الفضل لكل الناس.

إن علاقة الأخلاق بقيام الدول وظهور الحضارة علاقة ظاهرة، فإن فسدت الأخلاق، وخربت الذمم، ضاعت الأمم، وعمها الفساد والدمار والدارس لحياة الأمم السابقة والحضارات السالفة بعين البصيرة، يدرك كيف قامت حضارات على الأخلاق الكريمة والدين الصحيح كالحضارة التي قامت في زمن داود وسليمان (عليهما السلام) والتي قامت في زمن ذي القرنين وكثير من الأمم التي التزمت بالقيم والأخلاق فظلت قوية طالما حافظت عليها، فلما دب سوس الفواحش إليها استسلمت للشياطين، وبدلت نعمة الله كفرًا، وأحلت قومها دار البوار، فزالت قوتها، وتلاشت حضارتها[٤] إن الصديق (رضي الله عنه) استوعب سنن الله في المجتمعات وبناء الدول وزوالها وفهم أن زوال الدول يكون بالترف والفساد والانغماس في الفواحش والموبقات قال (تعالى): ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء:١٦]، أي أمرناهم بالأمر الشرعي من فعل الطاعات وترك المعاصي فعصوا وفسقوا فحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم.

وفي قراءة: ﴿**أَمَّرْنَا**﴾[٥] بالتشديد أي جعلناهم أمراء.

والترف وإن كان كثرة المال والسلطان من أسبابه إلا أنه حالة نفسية ترفض الاستقامة على منهج الله وليس كل ثراء ترف[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).
(٢) صحيح الألباني (٢/ ٣٧٠) رقم الحديث في ابن ماجه ٤٠١٩.
(٣) أبو بكر رجل الدولة ص٦٦.
(٤) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٥٢.
(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٨).
(٦) منهج كتابة التاريخ الإسلامي - محمد هامل ص٦٥.

إن سياسة الصديق في حربه للفواحش حرى بحكام المسلمين أن يقتدوا به، فالحاكم التقي الذكي العادل هو الذي يربي أمته على الأخلاق القويمة لأنه حينئذ سيقود شعبًا أحس طعم الآدمية، وجرى في عروقه دم الإنسانية.. وأما إن سلب الحاكم الذكاء، وصار من الأغبياء.. أشاع الفاحشة في قومه وعمل على حمايتها بالقوة والقانون، وحارب القيم والأخلاق الحميدة ودفع بقومه إلى مستنقعات الرذيلة ليصبحوا كالحيوانات الضالة، والقطعان الهائمة لا همَّ لها إلا المتاع، والزينة الخادعة، فيصبحوا بعد ذلك أقزامًا، قد ودّعوا الرجولة والشهامة[(١)] ويصدق فيهم قول الله (تعالى): ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

هذه بعض التعليقات التي فتح الله بها بما ترى على البيان الذي ألقاه الصديق للأمة والذي رسم فيه سياسة الدولة، فحدد مسؤولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين وغير ذلك من القواعد المهمة في بناء الدولة وتربية الشعوب وهكذا قامت الخلافة الإسلامية، وتحدد مفهوم الحكم تحديدًا عمليًا وكان حرص الأمة على منصب الخلافة واختيار الخليفة على هذه الصورة ومسارعة الناس إلى الرضا بذلك دليلاً على أنهم كانوا يسلمون بأن النظام الذي أنشأه النبي (ﷺ) واجب البقاء، وأن النبي (ﷺ) وإن مات فإنه خلف فيهم دينًا وكتابًا يسيرون على هديه فرضاء الناس يومئذ يعبر عن إرادة الاستمرار في ظل النظام الذي أنشأه النبي (ﷺ)[(٢)].

إن حكومة الصديق (رضي الله عنه) تمتع بها المسلمون زمنًا ليس بكثير وعيَّن أبو بكر حد السلطة العليا فيها بتلك الخطبة الراقية على مستوى أنظمة الحكم في ذلك العصر وفي هذا الزمن فهي حكومة شورية قل أن يجد طلاب الحرية والعدل في كل عصر أحسن لسياسة الأمم منها[(٣)] قادها التلميذ الأنجب والأذكى والأعلم والأعظم إيمانًا للحبيب المصطفى (ﷺ) أبو بكر (رضي الله عنه).

وقد بين الإمام مالك بأنه لا يكون أحد إمامًا أبدًا إلا على هذا الشرط[(٤)] يقصد بالمضامين العظيمة التي ألقاها الصديق في بيانه السياسي الأول.

ثانيًا: إدارة الشؤون الداخلية:

أراد الصديق (رضي الله عنه) أن ينفذ السياسة التي رسمها لدولته واتخذ من الصحابة الكرام أعوانًا يساعدونه على ذلك، فجعل أبا عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة (وزير المالية) فأسند إليه شؤون بيت المال، وتولى عمر بن الخطاب القضاء (وزارة العدل) وباشر الصديق القضاء بنفسه أيضًا، وتولى زيد بن ثابت الكتابة (وزير البريد والمواصلات)[(٥)] وأحيانًا يكتب له من

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٢٥٣ .
(٢) دراسات في الحضارة الإسلامية - أحمد إبراهيم الشريف ص٢١٠، ٢١٩ .
(٣) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة ص١٢٠ .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٩٢ .
(٥) في التاريخ الإسلامي - أبو مجليل ص٢١٨ .

يكون حاضر من الصحابة كعليّ بن أبي طالب أو عثمان بن عفان (رضي الله عنهم)، وأطلق المسلمون على الصديق لقب خليفة رسول الله (ﷺ) ورأى الصحابة ضرورة تفريغ الصديق للخلافة، فقد كان أبو بكر (رضي الله عنه) رجلاً تاجرًا يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع فلما استُخلف أصبح غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد يا خليفة رسول الله (ﷺ)؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقالا: (انطلق معنا حتى نفرض لك شيئًا، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاه،[(١)] وجاء في الرياض النضرة أن رزقه الذي فرضوه له خمسون ومائتا دينار في السنة وشاة يؤخذ من بطنها ورأسها وأكارعها، فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله، قالوا وقد كان قد ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت مَال المسلمين، فخرج إلى البقيع فتصافق (بايع) فجاء عمر (رضي الله عنه) فإذا هو بنسوة جلوس، فقال: (ما شأنكن؟) قلن: نريد خليفة رسول الله (ﷺ) يقضي بيننا، فانطلق فوجده في السوق فأخذه بيده فقال: (تعالى ههنا). فقال: لا حاجة لي في إمارتكم،[(٢)] رزقتموني ما لا يكفيني ولاعيالي قال: (فإنّا نزيدك). قال أبو بكر: (ثلاثمائة دينار والشاة كلها) قال عمر: أما هذا فلا، فجاء علي (رضي الله عنه) وهما على حالهما تلك، قال: (أكملها له) قال: (ترى ذلك؟) قال: نعم، قال: (قد فعلنا)[(٣)] وانطلق أبو بكر (رضي الله عنه) فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس فقال: (أيها الناس إن رزقي كان خمسين ومائتي دينار وشاة يؤخذ من بطنها ورأسها وأكارعُها وإن عمر وعليا كمّلا لي ثلاثمائة دينار والشاة أفرضيتم؟ قال المهاجرون: (اللهم نعم، قد رَضينا)[(٤)].

وهكذا وقف الصحابة في فهمهم الراقي لولاية الدين وأمانة الحكم يفرضون لإمامهم رزقًا يغتني به عن التجارة بعد إذ صار عاملاً للأمة تملك منه الوقت والجهد والفكر .. ومن ثم يقررون معنى في الإسلام بديعًا يفصل الذمة المالية للأمة عن ذمة الحاكم.

هذا المعنى الذي لم يعرفه الغرب إلا في عهوده القريبة، إذ ظلت راية ما لقيصر لقيصر مشرعة خفاقة يقاتل الناس دونها أزمانًا طويلة، إن أصدق تعبير نقف به على دخول الذمة المالية للدولة بأسرها في ذمة الحاكم لهو مقالة لويس الخامس عشر: (أنا الدولة والدولة أنا) لقد كان لويس تاجر غلال معروفًا يتجر في قوت أمته وهي تتضور جوعًا ثم لا يرى أحد في ذلك شيئًا من العار .. أليس هو الأصل والأمة فرع عنه؟[(٥)].

أين البشرية اليوم من أولئك الصحابة (رضي الله عنهم)؟ فإن الخزينة قد أضحت بعدهم بيد أشخاص ينفقون كيف يشاءون، ويتصرفون كما يريدون، كما أصبحت لهم نفقات مستورة لا حصر لها، وفوق هذا فقد تكدست لهم الأموال في المصارف خارج البلاد، حتى غدت دول

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة ص٢٩١ .
(٢) نفس المصدر ص٢٩١ .
(٣) المصدر السابق ص٢٩١ .
(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة ص٢٩١ .
(٥) أبو بكر رجل الدولة ص٣٥ .

أجنبية تعيش على هذه الأموال لكثرتها وأكثرها يعود إلى الحكام وأمراء الشعوب المستضعفة، مع أنه قد ظهر أن هذه الأموال مهما بلغت، والعقارات مهما كثرت، فإنها لا تكفي شيئًا، ولا تغني صاحبها شيئًا، فإن شاه إيران مع ضخامة ما يملك لم يجد أرضًا تقبله ليأوي إليها هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فالأمر أشد والحساب عظيم[١].

فعلى حكام المسلمين أن يقتدوا بهذا الصحابي الجليل الذي أدار دولة الإسلام بعد وفاة الرسول (ﷺ)، فما أجمل قوله (رضي الله عنه): (لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه)[٢].

إن الصديق يؤكد معاني بديعة، فولاية الدين ليست في حد ذاتها مغنمـا، أما ما يفرض لها من رزق فلما تقضي إليه من اشتغال عامل الأمة عن أمر نفسه[٣].

لقد سطَّر الصديق والصحابة الكرام صفحات رائعة في جبين الزمن حتى أن البشرية تسعى في سلم التطور وتسعى ثم إذا هي قابعة عند أقدامهم[٤].

سار الصديق في بناء دولة الإسلام بجد ونشاط واهتم بالبناء الداخلي، ولم يترك أي ثغرة يمكن أن تؤثر في ذلك البناء الشامخ الذي تركه رسول الله (ﷺ)، فاهتم بالرعية وله مواقف مشرفة في هذا الباب، وأعطى للقضاء اهتمامًا خاصًا، وتابع أمر الولاة وسار على المنهج النبوي الكريم في كل خطواته وإليك شيء من التفصيل عن تلك السياسة الرشيدة:

١- الصديق في المجتمع:

عاش الصديق (رضي الله عنه) بين المسلمين كخليفة لرسول الله (ﷺ)، فكان لا يترك فرصة تمر إلا علّم الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكانت مواقفه تشع على من حوله من الرعية بالهدى والإيمان والأخلاق فمن هذه المواقف:

أ- حلبه للأغنام، والعجوز العمياء، وزيارة أم أيمن:

كان قبل الخلافة يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منايح (أغنام) دارنا فسمعها أبو بكر فقال: لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهنَّ، وكنَّ إذا أتينه بأغنامهنَّ يقول: أنضح أم ألبد؟ فإن قالت: انضح باعد الإناء من الضرع حتى تشتد الرغوة، وإن قالت ألبد أدناه منه حتى لا تكون له رغوة، فمكث كذلك بالسُّنح ستة أشهر ثم نزل إلى المدينة[٥].

ففي هذا الخبر بيان شيء من أخلاق أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فهذا تواضع كبير من رجل كبير، كبير في سنه، وكبير في منزلته وجاهه، حيث كان خليفة المسلمين، وكان حريصًا

---

(١) التاريخ الإسلامي - محمود شاكر ص١١ .
(٢) البخاري - كتاب البيوع - باب كسب الرجل وعلمه - رقم ٢٠٧٠ .
(٣) أبو بكر رجل الدولة ص٣٥ . (٤) نفس المصدر ص٣٦ .
(٥) ابن سعد في الطبقات (١٨٦/٣) وله شواهد، فإسناده حسن لغيره .

على أن لا تغير الخلافة شيئًا من معاملته للناس وإن كان ذلك سيأخذ عليه وقتا هو بحاجة إليه، كما أن هذا العمل يدلنا على مقدار تقدير الصحابة (رضي الله عنهم) لأعمال البر والإحسان وإن كلفتهم الجهد والوقت[1].

هذا أبو بكر (رضي الله عنه) غلب بعزيمته الصادقة، وثباته العجيب الجزيرة العربية، وأخضعها لدين الله، ثم بعث بها فقاتلت تحت ألويته الدولتين الكبريين على وجه الأرض، وتغلبت عليها. أبو بكر.. يحلب لجواري الحي أغنامهنّ، ويقول: أرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه. وليس الذي دخل فيه بالأمر الهين، بل هو خلافة رسول الله (ﷺ)، وسيادة العرب، وقيادة الجيوش التي ذهبت لتقلع من الأرض الجبروت الفارسي، والعظمة الرومانية، وتنشئ مكانهما صرح العدل، والعلم والحضارة، ثم يرجو ألاّ يغيره هذا كله، ولا يمنعه من حلب أغنام الحي[2].

إن من ثمار الإيمان بالله (تعالى) أخلاق حميدة منها خلق التواضع الذي تجسد في شخصية الصديق في هذا الموقف وفي غيره من المواقف وكان عندما يسقط خطام ناقته ينزل ليأخذه فيقال له: لو أمرتنا أن نناولكه، فيقول: أمرنا رسول الله (ﷺ) ألا نسأل الناس شيئًا[3]، لقد ترك لنا الصديق مثالاً حيًا في فهم وتطبيق خلق التواضع المستمد من قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٤٠]، ومن قوله (ﷺ): «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلاّ عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[4]. ولقد دفعه هذا الخلق إلى خدمة المسلمين وبخاصة أهل الحاجة منهم والضعفاء فعن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقي لها، ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة[5]، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه): قال أبو بكر (رضي الله عنه) بعد وفاة رسول الله (ﷺ) لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله (ﷺ) يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله (ﷺ)، فقالت: ما أبكي أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله (ﷺ)، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[6].

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٩/٨).
(٢) أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) - طنطاوي ص١٨٦.
(٣) التاريخ الإسلامي - محمود شاكر ص٨.
(٤) مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - رقم ٢٥٨٨.
(٥) أبو بكر الصديق - طنطاوي ص٢٩.
(٦) مسلم - فضائل الصحبة - رقم ٢٤٥٤.

ب- نصحه لامرأة نذرت أن لا تحدث أحداً:

كان أبو بكر (رضي الله عنه) ينهى عن أعمال الجاهلية، والابتداع في الدين، ويدعو إلى أعمال الإسلام، والتمسك بالسنّة[١]، فعن قيس بن أبي حازم: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس[٢]، يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم. فقال أبو بكر: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: نوت حجه مصمتة[٣] فقال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل[٤]، هذا من عمل الجاهلية. قال: فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: أنا امرؤ من المهاجرين. قالت: أيُّ المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: من أيِّ قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر. قالت: يا خليفة رسول الله! : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح، الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت به أئمتكم.

قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟

قالت: بلى! قال: فهم أولئك على الناس[٥].

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ: كان من نسك الجاهلية الصمت، فكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة، ويصمت، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالنطق بالخير، وقد استدل بقول أبي بكر هذا من قال بأن من حلف أن لا يتكلم استحب له أن يتكلم، ولا كفارة عليه، لأن أبا بكر لم يأمرها بالكفارة، وقياسه أن من نذر أن لا يتكلم لم ينعقد نذره، لأن أبا بكر أطلق أن ذلك لا يحل، وأنه من فعل الجاهلية، وأن الإسلام هدم ذلك، ولا يقول مثل هذا إلا عن علم من النبي (صلى الله عليه وسلم) فيكون في حكم المرفوع[٦].

وقال ابن حجر: وأما الأحاديث الواردة في الصمت وفضله، فلا يعارض لاختلاف المقاصد في ذلك، فالصمت المرغب فيه: ترك الكلام بالباطل، وكذا المباح إن جر إلى شيء من ذلك، والصمت المنهي عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه، وكذا المباح المستوي الطرفين، والله أعلم[٧].

جـ- اهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الصديق (رضي الله عنه) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبين للناس ما التبس عليهم من الفهم فعن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:

(١) صحيح التوثيق في سيرة حياة الصديق ص١٤٠ – مجدي فتحي السيد.
(٢) نفس المصدر ص١٤٠. وقيل الأحمس: المتشدد على نفسه في الدين والورع.
(٣) أي: ساكنة.
(٤) أي: ترك الكلام.
(٥) البخاري – رقم ٣٨٣٤.
(٦) فتح الباري (٧/ ١٥٠).
(٧) فتح الباري (٧/ ١٥١).

«إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه عمهم الله بعقاب». وفي رواية: يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية، وتضعونها على غير مواضعها، وإنا سمعنا النبي (ﷺ) يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب»[(١)] قال النووي: وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية. فليس مخالفًا لوجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر:١٨]، فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا فعله، ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه[(٢)].

وكان (رضي الله عنه) يحث الناس على الصواب، فعن ميمون بن مهران أن رجلاً سلّم على أبي بكر فقال: السلام عليك يا خليفة رسول الله! قال: من بين هؤلاء أجمعين[(٣)]، وكان (رضي الله عنه) يترك السنة مخافة أن يظن ما لا علم له أنها فريضة أو واجبة، فعن حذيفة بن أسيد (رضي الله عنه) أنه قال: رأيت أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، وما يضحيان مخافة أن يستن بهما وفي رواية: كراهية أن يقتدي بهما[(٤)]، وكان يوصي ابنه عبد الرحمن بحسن المعاملة لجيرانه، فقد قال له ذات يوم وهو يخاصم جارًا له: لا تماظ جارك، فإنّ هذا يبقى ويذهب الناس[(٥)]، وكان بارًا بوالده فلما اعتمر في رجب سنة اثنتي عشر من الهجرة، دخل مكة ضحوة فأتى منزله وأبوه أبو قحافة جالس على باب داره، معه فتيان يحوشهم، فقيل له: هذا ابنك فنهض قائمًا، وعجل أبو بكر أن ينيخ ناقته فنزل عنها وهي قائمة -ليقابل أباه في بر وطاعة، وجاء الناس يسلمون عليه، فقال أبو قحافة يا عتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم فقال أبو بكر: يا أبة لا حول ولا قوة إلا بالله، طوقت أمرًا عظيمًا لا قدرة لي به ولا يدان إلا بالله..)[(٦)] وكان يهتم بالصلاة والخشوع فيها ويحرص على حسن العبادة، وكان لا يلتفت في صلاته[(٧)]، وكان أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء، وأخذها عطاء من ابن الزبير، وأخذها ابن الزبير من أبي بكر، وأخذها أبو بكر من النبي (ﷺ)، وكان عبد الرزاق يقول: ما رأيت أحدًا أحسن صلاة من ابن جريج[(٨)] وعن أنس (رضي الله عنه) قال: صلى أبو بكر بالناس الفجر فاقترأ البقرة في ركعتيه، فلما انصرف قال له عمر: يا خليفة رسول الله! ما انصرفت حتى رأينا أن الشمس قد طلعت قال: لو طلعت لم تجدنا غافلين[(٩)]، وكان يحث الناس على الصبر في المصائب ويقول لمن مات له أحد: ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون مما

---

(١) حديث صحيح سنن أبي داود - رقم ٤٣٣٨ .
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/٣٢٩) .
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - للخطيب (١/١٧٢) رقم ٢٥٥ .
(٤) إسناده صحيح أخرجه الطبراني في الكبير - رقم ٣٠٥٧ .
(٥) الزهد - لابن المبارك (١/٥٥١) . (٦) صفة الصفوة (١/٢٥٨) .
(٧) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/٢٥٤) . (٨) نفس المصدر (١/٢٥٥) .
(٩) الرياض النضرة في مناقب العشرة ص٢٢٤ .

قبله وأشدُّ مما بعده، اذكروا فقد رسول الله تصغر مصيبتكم، وعظم الله أجركم[١]، وعزّى عمر (رضي الله عنه) عن طفل أصيب به فقال: عوَّضك الله منه ما عوضك منك[٢]، وكان (رضي الله عنه) يحذر الناس من البغي، والنكث، والمكر[٣] ويقول ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي، والنكث والمكر وكان يعظ الناس ويذكرهم بالله ومن مواعظه (رضي الله عنه): الظلمات خمس والسُّرُج خمس: حب الدنيا ظلمة والسراج له التقوى، والذنب ظلمة والسراج له التوبة، والقبر ظلمة والسراج له لا إله إلا الله محمد رسول الله، والآخرة ظلمة والسراج لها العمل الصالح، والصراط ظلمة والسراج لها اليقين[٤]، وكان (رضي الله عنه) من خلال منبر الجمعة يحث على الصدق والحياء ويحث على الاعتبار والاستعداد للقدوم على الله ويحذر من الغرور، فعن أوسط بن إسماعيل رحمه الله قال: سمعت أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) يخطب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسنة فقال: قام فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مقامي هذا عام أول، ثم بكى أبو بكر.

ثم قال وفي رواية: ثم ذرفت عيناه، فلم يستطع من العبرة أن يتكلم، ثم قال: أيها الناس: اسألوا الله العافية، فإنه لم يعط أحد خير من العافية بعد اليقين، وعليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار ولا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا[٥].

وقال الزبير بن العوام (رضي الله عنه): إن أبا بكر قال وهو يخطب الناس: يا معشر المسلمين: استحيوا من الله (عزَّ وجلَّ)، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياء من ربي (عزَّ وجلَّ)[٦] وعن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر (رضي الله عنه) فقال: أما بعد:

فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاح بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾، ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، فاشترى القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستوضئوا منه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن

---

(١) عيون الأخبار (٣/٦٩، ٧٠).
(٢) عيون الاخبار (٣/٦٢).
(٣) مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٤٥٠).
(٤) فوائد الكلام للخلفاء الكرام - قاسم عاشور ص٢٩.
(٥) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق ص١٧٩.
(٦) نفس المصدر ص١٨٢.

تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا مثلهم. فالوحا الوحا[١]، ثم النجا النجا، فإن وراءكم طلبًا حثيثًا مَرّه[٢] سريع وفي رواية أخرى: أين من تعرفون من إخوانكم؟! ومن أصحابكم؟! قد وردوا على ما قدموا، قدموا ما قدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة والسعادة. أين الجبارون الذين بنوا المدائن، وحفوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار. أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك وأين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا في ظلمات القبور. لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم.

إن الله (تعالى) ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرًا، ولا يصرفه عن سوءًا، إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، واعلموا أنكم ما أخلفتم لله (عزَّ وجلَّ) فربكم أطعتم، وحقكم حفظتم، وأوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفارًا، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم[٣].

وهكذا كان الصديق يهتم بالمجتمع فيوعظ المسلمين، ويحثهم على الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا غيض من فيض، وقليل من كثير.

٢-القضاء في عهد الصديق:

يعتبر عهد الصديق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة، والجانب القضائي خاصة، امتدادًا للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، وتظهر أهمية العهد الراشدي في القضاء بأمرين أساسيين:

- المحافظة على نصوص العهد النبوي في القضاء، والتقيد بما جاء فيه، والسير في ركابه، والاستمرار في الالتزام به.
- وضع التنظيمات القضائية الجديدة لترسيخ دعائم الدولة الإسلامية الواسعة ومواجهة المستجدات المتنوعة[٤].

كان أبو بكر (رضي الله عنه) يقضي بنفسه إذا عرض له قضاء، ولم تفصل ولاية القضاء عن الولاية العامة في عهده، ولم يكن للقضاء ولاية خاصة مستقلة كما كان الأمر في عهد رسول

---

(١) الوحا الوحا: السرعة السرعة، يقال: توحيت أي أسرعت.

(٢) مره: مروره.

(٣) إسناده حسن لغيره، مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٤٤)، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق ص١٨١.

(٤) تاريخ القضاء في الإسلام - للزحيلي ص٨٣، ٨٤.

الله (ﷺ)، إذ كان الناس على مقربة من النبوة، يأخذون أنفسهم بهدي الإسلام، وتقوم حياتهم على شريعته، وقلما توجد بينهم خصومة تذكر، ففي المدينة عهد أبو بكر إلى عمر بالقضاء، ليستعين به في بعض الأقضية ولكن هذا لم يعطي لعمر صفة الاستقلال بالقضاء[١]، وأقر أبو بكر (رضي الله عنه) معظم القضاة والولاة الذين عينهم رسول الله واستمروا على ممارسة القضاء والولاية أو أحديهما في عهده[٢] وسوف نأتي على ذكر الولاة وأعمالهم بإذن الله تعالى.

وأما مصادر القضاء في عهد الصديق (رضي الله عنه) هي:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية ويندرج فيها قضاء رسول الله (ﷺ).

٣- الإجماع، باستشارة أهل العلم والفتوى.

٤- الاجتهاد والرأي، وذلك عند عدم وجود ما يحكم به من كتاب أو سنة أو إجماع[٣].

فكان أبو بكر (رضي الله عنه) إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله (تعالى)، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى، فإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله (ﷺ)، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس، هل علمتم أن رسول الله (ﷺ) قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا أو بكذا، فيأخذ بقضاء رسول الله، يقول عندئذ: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا (ﷺ)، وإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به[٤]، ويظهر أن الصديق يرى الشورى ملزمة إذا اجتمع رأي أهل الشورى على أمر، إذ لا يجوز للإمام مخالفتهم وهذا ما حكي عنه في القضاء فإنه كان إذا اجتمع رأي المستشارين على الأمر قضى به وهذا ما أمر به عمرو بن العاص عندما أرسل إليه خالد بن الوليد مددًا حيث قال له: شاورهم ولا تخالفهم[٥].

وكان (رضي الله عنه) يتثبت في قبول الأخبار، فعن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله (تعالى) شيئًا، وما علمت أن رسول الله (ﷺ) ذكر لك شيئًا، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله (ﷺ) يعطيها السدس فقال أبو بكر: هل معك أحد؟ فشهد ابن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر (رضي الله عنه)[٦]، وكان يرى أن القاضي لا يحكم بعلمه الشخصي، إلا إذا كان معه شاهد آخر يعزز

---

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية أبو ظبي (١/ ٣٦٦).

(٢) تاريخ القضاء في الإسلام ص١٣٤.

(٣) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/ ٣٩٠).

(٤) موسوعة فقه أبي بكر الصديق - قلعجي ص١٥٥.

(٥) نفس المصدر ص١٥٦.

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢).

هـذا العلم، فقد روي عن أبي بكر (رضي الله عنه) أنه قال: لو رأيت رجلاً على حد، لم أعاقبه حتى تقوم البينة عليه، أو يكون معي شاهد آخر[١]، وهذه بعض الأقضية التي صدرت في عهد أبي بكر (رضي الله عنه):

أ- قضيه قصاص:

قال علي بن ماجدة السـهمي: قاتلت رجلاً، فقطعت بعض أذنه، فـقدم أبو بكر حاجا، فرفع شأننا إليه، فقال لعمر: انظر هل بلغ أن يقتص منه، قال: نعم، عليَّ بالحجّام، فلما ذكر الحجام قال أبو بكـر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقـول: «**إني وهبت لخالتي غُـلاما، أرجو أن يبارك لها فيه، وإني نهيتها أن تجعله حجامًا، أو قصّابًا، أو صانعًا**»[٢].

٢- نفقة الوالد على الولد:

عن قيس بن حـازم قال: حضـرت أبا بكر الصديق (رضي الله عنه)، فقـال له رجل: يا خليـفة رسول الله: هـذا يريد أن يأخذ مالي كله ويجتاحه، فقال أبو بكر (رضي الله عنه): إنما لك من ماله ما يكفيك، فـقال: يا خليفـة رسول الله (ﷺ)، أليس قـال رسـول الله (ﷺ): «أنت ومـــالك لأبيك؟» فقال أبو بكر (رضي الله عنه): ارض بما رضي الله به، ورواه غيره عن المنذر بن زياد، وقال فيه: إنما يعني بذلك النفقة[٣].

٣- الدفاع المشروع:

عن أبي مليكة عن جـده أن رجـلاً عضَّ يد رجلٍ فأنـدَرَ ثنيتـه (قلع سنه) فـأهدرها أبو بكر[٤].

٤- الحكم بالجلد:

روى الإمام مالك عن نافع أن صفية بنت أبي عبيد أخبرته: أن أبا بكر الصديق أتى برجل قد وقع على جارية بكر فأحبلها، ثم اعتـرف على نفسه بالزنا، ولم يكن أحصن، فأمر به أبو بكر فـجلد الحـدَّ، ثم نُفي إلى فـدك[٥]، وفي رواية بأنه لم يجلد الجـارية ولم ينفـها لأنهـا استكرهت، ثم زوجـها إياه أبو بكر وأدخله عليـها[٦]، وعندما سـئل الصديق عن رجل زنى بامرأة، ثم يريد أن يتزوجـها قال: ما من توبة أفـضل من أن يتزوجها، خرجـا من سفاح إلى نكاح[٧].

---

(١) تراث الخلفاء الراشدين - د. صبحي محمصاني ص١٨٦ .
(٢) أخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٠٢) نقلاً عن تاريخ القضاء للزحيلي ص١٣٦ .
(٣) السنن الكبـرى (٧/ ٤٨١) نقلاً عن تاريخ القـضاء - للزحـيلي ص١٣٦ . ضعـيف جدًا بل قـد تكون موضوعة . الألباني ارواء (٣/ ٣٢٩) .
(٤) تاريخ القضاء - للزحيلي ص١٣٧ .
(٥) الموطأ - كتاب الحدود - رقم ٨٤٨ .
(٦) مصنف عبد الرزاق - رقم ١٢٧٩٦ .
(٧) نفس المصدر رقم ١٢٧٩٦، الرواية فيها راوي مجهول .

٥- الحضانة للأم ما لم تتزوج:

طلق عمر بن الخطاب امرأته الأنصارية- أم ابنه عاصم - فلقيها تحمله بمُحَسِّر[١]، ولقيه قد فُطم ومشى، فأخذ بيديه لينتزعه منها، ونازعها إياه حتى أوجع الغلام وبكى، وقال: أنا أحق بابني منك. فاختصما إلى أبي بكر، فقضى لها به، وقال: ريحها، وحجرُها وفرشها خير له منك حتى يشب ويختار لنفسه[٢] وفي رواية: هي أعطف وألطف وأرحم وأحْنا وأرأف، وهي أحق بولدها ما لم تتزوج[٣].

هذه بعض الأقضية والأحكام التي حدثت في عهد الصديق (رضي الله عنه) هذا وقد تميز القضاء في عهد الصديق بعدة أمور منها:

أ- كان القضاء في عهد الصديق امتدادًا لصورة القضاء في العهد النبوي، بالالتزام به، والتأسي بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والارتباط بالإيمان والعقيدة والاعتماد على الوازع الديني، والبساطة في سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات.

ب- أصبحت الأحكام القضائية في عصر الصديق موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية، مصدرًا للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية، والآراء الفقهية في مختلف العصور.

جـ- مارس الصديق وبعض ولاته النظر في المنازعات، وتولي القضاء بجانب الولاية.

د- ساهمت فترة الصديق في ظهور مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي، وصارت مصادر الأحكام القضائية هي: القرآن الكريم، والسنة الشريفة، الإجماع، القياس، السوابق القضائية، الرأي الاجتهادي مع المشورة[٤].

هـ- كانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعًا واختيارًا، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فورًا[٥].

٣- الولاية على البلدان:

كان أبو بكر يستعمل الولاة في البلدان المختلفة ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة، وجباية الصدقات، وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار

(١) محسر: موضع بين مكة وعرفة. معجم البلدان (٥/ ٦٢).
(٢) مصنف عبد الرزاق (٧/ ٥٤) رقم ١٢٦٠١.
(٣) نفس المصدر (٧/ ٥٤) رقم ١٢٦٠٠.
(٤) تاريخ القضاء في الإسلام ص١٥٧، ١٥٨.
(٥) نفس المصدر ص١٦٠.

الرسول (ﷺ) للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول (ﷺ) الذين توفي الرسول (ﷺ) وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحدًا منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه كما حدث لعمرو بن العاص[١] وكانت مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بالدرجة الأولى امتدادًا لصلاحياتهم في عصر الرسول (ﷺ) خصوصًا الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول ويمكن تلخيص أهم مسئوليات الولاة في عصر أبي بكر وهي:

أ- إقامة الصلاة وإمامة الناس وهي المهمة الرئيسية لدى الولاة نظرًا لما تحمله من معان دينية ودنيوية سياسية واجتماعية حيث الولاة يؤمون الناس وعلى وجه الخصوص في صلاة الجمعة، والأمراء دائمًا كانت توكل إليهم الصلاة سواء كانوا أمراء على البلدان أم أمراء على الأجناد.

ب- الجهاد كان يقوم به أمراء الأجناد في بلاد الفتح، فكانوا يتولون أموره وما فيه من مهام مختلفة بأنفسهم أو ينيبون غيرهم في بعض المهام كتقسيم الغنائم أو المحافظة على الأسرى، أو غير ذلك، وكذلك ما يتبع هذا الجهاد من مهام أخرى كمفاوضة الأعداء وعقود المصالحة معهم وغيرها، ويتساوى في المهمات الجهادية أمراء الأجناد في الشام والعراق وكذلك الأمراء في البلاد التي حدثت فيها الردة كاليمن والبحرين وعمان ونجد، نظرًا لوجود تشابه في العمليات الجهادية مع اختلاف الأسباب الموجهة لهذه العمليات.

ت- إدارة شؤون البلاد المفتوحة وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم، وبإقرار من الخليفة أبي بكر، أو تعيين من أبي بكر (رضي الله عنه)، عن طريق هؤلاء العمال[٢].

جـ- أخذ البيعة للخليفة، فقد قام الولاة في اليمن وفي مكة والطائف وغيرها بأخذ البيعة لأبي بكر (رضي الله عنه) من أهل البلاد التي كانوا يتولون عليها.

حـ- كانت هناك أمور مالية توكل إلى الولاة أو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء أو أخذ الجزية من غير المسلمين وصرفها في محلها الشرعي وهي امتداد لما قام به ولاة الرسول في هذا الخصوص.

خـ- تجديد العهود القائمة من أيام الرسول (ﷺ) حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين أهلها وبين الرسول (ﷺ) بناء على طلب نصارى نجران[٣].

د- كانت من أهم مسؤوليات الولاة إقامة الحدود وتأمين البلاد وهم يجتهدون رأيهم فيما لم يكن فيه نص شرعي، كما فعل المهاجر بن أبي أمية بالمرأتين اللتين تغنتا بذم الرسول (ﷺ) وفرحتا بوفاته (ﷺ) وسيأتي بيان ذلك - بإذن الله (تعالى) - في جهاد الصديق لأهل الردة.

---

(١) الولاية على البلدان - عبد العزيز إبراهيم العمري (١/ ٥٥).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ٥٩).
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ١٦٥).

س- كان للولاة دور رئيسي في تعليم الناس أمور دينهم وفي نشر الإسلام في البلاد التي يتولون عليها وكان الكثير من هؤلاء الولاة يجلسون في المساجد يعلمون الناس القرآن والأحكام وذلك عملاً بسنة الرسول (ﷺ) وتعتبر هذه المهمة من أعظم المهام وأجلها في نظر الرسول (ﷺ) وخليفته أبي بكر، وقد اشتهر عن ولاة أبي بكر ذلك حيث يتحدث أحد المؤرخين عن عمل زياد والي أبي بكر على حضرموت فيقول: فلما أصبح زياد غدا يقرئ الناس كما كان يفعل قبل ذلك[١].

وبهذا التعليم كان للولاة دور كبير في نشر الإسلام في ربوع البلاد التي يتولونها، وبهذا التعليم تثبت أقدام الإسلام سواء في البلاد المفتوحة الحديثة عهد بالإسلام أو في البلاد التي كانت مسلمة وارتدت، وهي حديثة عهد بالردة جاهلة بأحكام دينها، إضافة إلى أن البلاد المستقرة كمكة والطائف والمدينة، كان بها من يقرئ الناس بأمر من الولاة أو الخليفة نفسه، أو من يعينه الخليفة على التعليم في هذه البلدان[٢].

وقد كان الوالي هو المسؤل مسئولية مباشرة عن إدارة الإقليم الذي يتولاه وفي حالة سفر هذا الوالي فإنه يتعين عليه أن يستخلف أو ينيب عنه من يقوم بعمله حتى يعود هذا الوالي إلى عمله، ومن ذلك أن المهاجر بن أبي أمية عينه الرسول (ﷺ) على كندة ثم أقره أبو بكر بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ولم يصل المهاجر إلى اليمن مباشرة وتأخر نظرًا لمرضه فأرسل إلى (زياد ابن لبيد) ليقوم عنه بعمله حتى شفائه وقدومه، وقد أقرّ أبو بكر ذلك[٣]، كذلك كان خالد أثناء ولايته للعراق ينيب عنه في الحيرة من يقوم بعمله حتى عودته.

وكان أبو بكر (رضي الله عنه) يشاور الكثير من الصحابة قبل اختيار أحد من الأمراء سواء على الجند أو على البلدان، ونجد في مقدمة مستشاري أبي بكر في هذا الأمر عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وغيرهم[٤]، كما كان أبو بكر (رضي الله عنه) يشاور الشخص الذي يريد توليته قبل أن يعينه وعلى وجه الخصوص إذا أراد أن ينقل الشخص من ولاية إلى أخرى كما حدث حينما أراد أن ينقل عمرو بن العاص من ولايته التي ولاه عليها الرسول (ﷺ) إلى ولاية جند فلسطين، فلم يصدر أبو بكر قراره إلا بعد أن استشاره وأخذ منه موافقة على ذلك[٥]، كذلك الحال بالنسبة للمهاجر بن أمية الذي خيّره أبو بكر بين اليمن أو حضرموت فاختار المهاجر اليمن فعينه أبو بكر عليها[٦].

ومن الأمور التي سار عليها أبو بكر (رضي الله عنه) أنه كان يعمل بسنة النبي (ﷺ) في تولية

(١) الولاية على البلدان (١/ ٦٠).
(٢) نفس المصدر (١/ ٦١).
(٣) المصدر السابق (١/ ٥٥).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ٥٥).
(٥) نفس المصدر (١/ ٥٥).
(٦) المصدر السابق (١/ ٥٥).

بعض الناس على قومهم إذا وجد فيهم صلحاء، كالطائف وبعض القبائل وكان أبو بكر (رضي الله عنه) عندما يريد أن يعين شخصًا على ولاية يكتب للشخص المعين عهدًا له على المنطقة التي ولاه عليها، كما أنه في كثير من الأحيان قد يحدد له طريقه إلى ولايته وما يمر عليه من أماكن خصوصًا إذا كان التعيين مختصًا بمنطقة لم تفتح بعد ولم تدخل ضمن سلطات الدولة ويتضح ذلك في حروب الردة، وفتوح الشام والعراق وقام الصديق (رضي الله عنه) أحيانًا بضم بعض الولايات إلى بعض، خصوصًا بعد الانتهاء من قتال المرتدين فقد ضم أبو بكر كندة إلى زياد ابن لبيد البياضي، وكان واليًا على حضرموت واستمر بعد ذلك واليًا لحضرموت وكندة[1].

وكانت معاملة أبي بكر للولاة تتسم بالاحترام المتبادل الذي لم تشبه شائبة، وأما عن الاتصالات بين الولاة وبين الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) فقد كانت تجري بصفة دائمة وكانت هذه الاتصالات تختص بمصالح الولاية ومهام العمل، فقد كان الولاة كثيرًا ما يكتبون لأبي بكر في مختلف شئونهم يستشيرونه، وكان أبو بكر يكتب لهم الإجابة على استفساراتهم، أو يوجه لهم أوامره وكانت الرسل تأتي بالأخبار من الولاة سواء أخبار الجهاد أو قبل ذلك على جبهات حروب المرتدين كذلك كان الولاة يبعثون بأخبار ولاياتهم من تلقاء أنفسهم[2]، وكان الولاة يتصل بعضهم ببعض عن طريق الرسل أو عن طريق الاتصال المباشر واللقاءات، وتتمثل هذه اللقاءات والاتصالات بالدرجة الأولى بين ولاة اليمن وحضرموت بعضهم مع بعض، وكذلك الحال بالنسبة لولاة الشام، الذين كانوا كثيرًا ما يجتمعون لتدارس أمورهم العسكرية بالدرجة الأولى، وكانت كثير من مراسلات أبي بكر (رضي الله عنه) تختص بحث الولاة على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وكانت بعض هذه النصائح تصدر على شكل كتب عامة رسمية من الخليفة نفسه إلى مختلف الولاة وأمراء الأجناد[3] هذا وقد قسمت الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر إلى عدة ولايات وهذه أسماء الولايات والولاة:

أ- المدينة: عاصمة الدولة وبها الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه).

ب- مكة: وأميرها عتاب بن أسيد وهو الذي ولاه الرسول (ﷺ) واستمر مدة حكم أبي بكر (رضي الله عنه)

ت- الطائف: وأميرها عثمان بن أبي العاص، ولاه رسول الله (ﷺ) وأقره أبو بكر (رضي الله عنه) عليها.

ث- صنعاء: وأميرها المهاجر بن أبي أمية، وهو الذي فتحها ووليها بعد انتهاء أمر الردة.

جـ- حضرموت: ووليها زياد بن لبيد.

حـ- زبيد ورقع: ووليها أبو موسى الأشعري.

---

(١) الولاية على البلدان (١/٥٦).

(٢) نفس المصدر (١/٥٧).

(٣) المصدر السابق (١/٥٧).

خـ- **خولان**: ووليها يعلى بن أبي أمية.

ذ- **الجند**: وأميرها معاذ بن جبل.

س- **نجران**: ووليها جرير بن عبد الله.

ش- **جرش**: ووليها عبد الله بن نور.

ك- **البحرين**: ووليها العلاء بن الحضرمي.

ل- **العراق والشام**: كان أمراء الجند هم ولاة الأمر فيها.

و- **عمان**: ووليها حذيفة بن محصن.

هـ- **اليمامة**: ووليها سليط بن قيس[١].

٤- موقف علي والزبير (رضي الله عنهما) من خلافة الصديق (رضي الله عنه):

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر عليّ عن مبايعة الصديق (رضي الله عنهما) وكذا تأخر الزبير بن العوام وجُلّ هذه الأخبار ليس بصحيح إلا ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: إن عليًّا والزبير، ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)[٢]، فقد كان انشغال جماعة من المهاجرين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بأمر جهاز رسول الله (ﷺ) من تغسيل، وتكفين، ويبدو ذلك واضحًا فيما رواه الصحابي سالم بن عبيد (رضي الله عنه) من أن أبا بكر قال لأهل بيت النبي (ﷺ)، وعلى رأسهم عليّ: عندكم صاحبكم، فأمرهم يغسلونه[٣].

وقد بايع الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) أبا بكر في اليوم التالي لوفاة الرسول (ﷺ)، وهو يوم الثلاثاء، قال أبو سعيد الخدري: لما صعد أبو بكر المنبر، نظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير بن العوام فدعا بالزبير فجاء، فقال له أبو بكر: يا ابن عمة رسول الله (ﷺ)، وحواريّه، أتريد أن تشقّ عصا المسلمين؟ فقال الزبير: لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله! فقام الزبير، فبايع أبا بكر، ثم نظر أبو بكر في وجوه القوم، فلم ير عليّ بن أبي طالب فدعا بعلي فجاء، فقال له أبو بكر: يا ابن عمّ رسول الله (ﷺ)، وختنه عليٍّ ابنته، أتريد أن تشق عصا المسلمين؟

فقال علي: لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله (ﷺ)! فقام علي، فبايع أبا بكر (رضي الله عنه)[٤].

ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام (مسلم بن الحجاج) صاحب الجامع الصحيح الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري- ذهب إلى شيخه الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة - صاحب صحيح ابن خزيمة - فسأله عن

---

(١) الدول العربية الإسلامية - منصور الحرابي ص٩٦،٩٧.

(٢) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق ص٩٨.

(٣) نفس المصدر ص٩٨.

(٤) صححه ابن كثير في البداية والنهاية (٥/٢٤٩).

هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بَدَنَة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بَدَنَة[1] فقط، إنه يساوي بدرة[2] مال، وعلق على هذا الحديث ابن كثير (رحمه الله) فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة عليّ بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن عليّ بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه[3]، وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان عليٌّ بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكرٍ للبيعة، فخرج علي إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعجِّل، كراهة أن يبطئ عن البيعة. فبايع أبا بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه، فجاؤوه به، فلبسه فوق قميصه[4] وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد (رضي الله عنه)، فقال له: أشهِدْتَ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟

قال: نعم!

قال له: متى بويع أبو بكر؟

قال سعيد: يوم مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟

قال سعيد: لا، لم يخالفه إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه.

قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟

قال سعيد: لا! لقد تتابع المهاجرون على بيعته[5].

وأما عليّ (رضي الله عنه) فلم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين[6].

ويرى ابن كثير وكثير من أهل العلم أن عليًا جدّد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى أي بعد وفاة فاطمة (رضي الله عنها)، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[7].

---

(١) البدنة: نقاة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.
(٢) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار والمعنى: أنه كنز ثمين.
(٣) البداية والنهاية (٥/٢٤٩).
(٤) الخلفاء الراشدون - للخالدي ص٥٦.
(٥) الخلفاء الراشدون ص٥٦.
(٦) نفس المصدر ص٥٦.
(٧) البداية والنهاية (٥/٤٩).

وكان علي في خلافة أبي بكر عيبة نصح له، مرجِّحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر (رضي الله عنه) بنفسه إلى ذي القصة[١]، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[٢]، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته أخذ عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) بزمامها، وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله (ﷺ)؟ أقول لك ما قال رسول الله (ﷺ) يوم أحد: لمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا فرجع[٣].

فلو كان عليّ (رضي الله عنه) - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبي بكر (رضي الله عنه) وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها عليّ، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك -حاشاه عنه- من كراهته له وحرصه على التخلّص منه، أغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعله الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[٤].

٥- «إنا معشر الأنبياء لا نورَث ما تركنا صدقة»[٥]:

قالت عائشة (رضي الله عنها): أن فاطمة والعباس (رضي الله عنهم): أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (ﷺ) وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»[٦]، وفي رواية قال أبو بكر (رضي الله عنه): . . . لست تاركًا شيئًا كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[٧].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: إن أزواج النبي (ﷺ)، حين توفي رسول الله (ﷺ)، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى أبي بكر، يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قال رسول الله (ﷺ): «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[٨]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): «**لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة**»[٩].

---

(١) ذي القصة: من المدينة على مراحل .
(٢) المرتضى سيرة علي بن أبي طالب ص٩٧ - للندوي .
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤-٣١٥) .
(٤) المرتضى سيرة علي بن أبي طالب ص٩٧ .
(٥) البخاري - رقم ٦٧٢٥ .
(٦) البخاري - رقم ٦٧٢٦ .
(٧) مسلم - رقم ١٧٥٩ بصيغة أخرى وبنفس المعنى .
(٨) البخاري - رقم ٦٧٣٠، مسلم - رقم ١٧٥٨ .
(٩) البخاري - رقم ٦٧٢٩ .

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مع فاطمة (رضي الله عنها) امتثالاً لقوله (ﷺ) لذلك قال الصديق: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله يعمل به إلا عملت به[١]، وقال: والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله (ﷺ) يصنعه فيه إلا صنعته[٢].

وقد تركت فاطمة (رضي الله عنها) منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله (ﷺ): قال ابن قتيبة[٣]، وأما منازعة فاطمة أبا بكر (رضي الله عنهما) في ميراث النبي (ﷺ) فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله (ﷺ) وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم فلما أخبرها بقوله كفت[٤].

وقال القاضي عياض: وفي ترك فاطمة منازعة أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث التسليم للإجماع على قضية، وأنها لما بلغها الحديث وبيّن لها التأويل تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك طلب ميراث ثم ولي علي الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر وعمر (رضي الله عنهم)[٥].

وقال حماد بن إسحاق: والذي جاءت به الروايات الصحيحة فيما طلبه العباس وفاطمة وعلي لها وأزواج النبي (ﷺ) من أبي بكر (رضي الله عنهم) جميعًا إنما هو الميراث حتى أخبرهم أبو بكر والأكابر من أصحاب رسول الله (ﷺ) أنه قال: **«لا نورث ما تركنا صدقة»** فقبلوا بذلك وعلموا أنه الحق ولو لم يقل رسول الله (ﷺ) ذلك كان لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) فيه الحظ الوافر بميراث عائشة وحفصة (رضي الله عنهما) فآثروا أمر الله وأمر رسوله، ومنعوا عائشة وحفصة، ومن سواهما ذلك، ولو كان الرسول يورث، لكان لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) أعظم الفخر به أن تكون ابنتاهما وارثتي محمد (ﷺ)[٦].

وأما ما ذكره من الرواة في كون فاطمة (رضي الله عنها) غضبت وهجرت الصديق حتى ماتت فبعيد جدًا لعدة أدلة منها:

أ- ما رواه البيهقي من طريق الشعبي: أن أبا بكر عاد فاطمة، فقال لها علي: هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت: أتحب أن آذن له قال: نعم فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت[٧]، وبهذا يزول الإشكال الوارد في تمادي فاطمة (رضي الله عنها) لهجر أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، كيف وهو القائل: والله لقرابة رسول الله (ﷺ)، أحب إليّ أن أصل من قرابتي[٨]،

(١) مسلم - رقم ١٧٥٨ .
(٢) البخاري رقم ٦٧٢٦ .
(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩) .
(٤) تأويل مختلف الحديث ص١٨٩ .
(٥) شرح صحيح مسلم - للنووي (١٢/ ٣١٨) .
(٦) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢-٢٥٣) وقال: إسناده جيد قوي .
(٧) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٠٩ .
(٨) البخاري رقم ٤٠٣٦ .

وما فعل (رضي الله عنه) إلا امتثالاً وإتباعًا لأمر رسول الله (ﷺ)[(١)].

ب- لقد انشغلت عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أي مشاركة في أي شأن من الشؤون، فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول -لكل لحظة من لحظاته- بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها، فقد أخبرها رسول الله (ﷺ) بأنها أول من يلحق به من أهله -ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا ، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد، أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[(٢)].

هذا ومن الثابت تاريخيًا أن أبا بكر دام أيام خلافته يعطي أهل البيت حقهم في فيء رسول الله (ﷺ) في المدينة، ومن أموال فدك وخمس خيبر، إلا أنه لم ينفذ فيها أحكام الميراث، عملاً بما سمعه من رسول الله (ﷺ) وقد روي عن محمد بن عليّ بن الحسين المشهور بمحمد الباقر، وعن زيد بن عليّ أنهما قالا: إنه لم يكن من أبي بكر - فيما يختص بآبائهم - شيء من الجور أو الشطط، أو ما يشكونه من الحيف أو الظلم[(٣)].

ولما توفيت فاطمة (رضي الله عنها) بعد رسول الله (ﷺ) بستة أشهر على الأكثر، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عهد إليها أنها أول أهله لحوقًا به، وقال لها مع ذلك: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة»[(٤)]، وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليّ بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف، فلما وُضعَتْ ليُصَلَّى عليها، قال عليّ: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر: وأنت شاهد يا أبا الحسن؟ قال: نعم تقدم، فوالله لا يصلي عليها غيرك؛ فصلى عليها أبو بكر ودفنت ليلاً، وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق على فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) فكبر عليها أربعًا[(٥)]، وفي رواية مسلم: صلى عليها عليّ بن أبي طالب[(٦)].

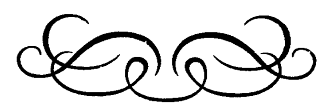
هذا وقد كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ﷺ) بأعضاء أهل البيت،

---

(١) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط - د. سالم السحيمي ص٢٩١ .
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٠٨ .
(٣) المرتضى - لأبي الحسن الندوي ص٩٠،٩١ نقلاً عن نهج البلاغة شرح أبي الحديد .
(٤) المرتضى - للندوي ص٩٤ .
(٥) المرتضى - للندوي ص٩٤ نقلاً عن الطبقات الكبرى (٧/ ٢٩) .
(٦) مسلم - رقم ١٧٥٩ .

صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، وقـد كانت هذه المودة والثقة متـبادلتين بين أبي بكر وعلي، فقـد سمَّى عليّ أحـد أولاده بأبي بكر[١]، وقد احتـضن علي ابن أبي بكر محمـدًا بعد وفاة الصديـق وكفله بالرعـاية ورشحـه للولاية في خلافـته حـتى حسب عليـه، وانطلقت الألسنة بانتقاده من أجله[٢].

هذا بعض القضايا الداخلية التي عالجها الصديق (رضي الله عنه) والتزم فيها بمتابعة الرسول (ﷺ) بكل دقة وحرص (رضي الله عنه) وعن جميع الصحابة الكرام الطيبين الأبرار.

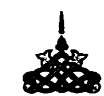


(١) المرتضى - للندوي ص٩٨ .
(٢) نفس المصدر ص٩٨ .



الفصل الثالث

جيش أسامة
وجهاد الصديق لأهل الردة




المبحث الأول

جيش أسامة

أولاً: إنفاذ أبي بكر الصديق جيش أسامة (رضي الله عنهما):

كانت الدولة الرومانية إحدى الدولتين المجاورتين للجزيرة العربية في عهد النبي (ﷺ)، وكانت تحتل أجزاء كبيرة من شمال الجزيرة، وكان أمراء تلك المناطق يعينون من قبل الدولة الرومانية وينصاعون لأوامرها.

بعث النبي الكريم (ﷺ) الدعاة والبعوث إلى تلك المناطق، وأرسل دحية الكلبي (رضي الله عنه) بكتاب إلى هرقل ملك الروم، يدعوه فيه إلى الإسلام[1]، ولكنه عاند وأخذته العزة بالإثم وكانت خطة الرسول (ﷺ) واضحة المعالم لهز هيبة الروم في نفوس العرب ومن ثم تنطلق جيوش المسلمين لفتح تلك الأراضي، فأرسل (ﷺ) في العام السابع للهجرة جيشًا واشتبك مع نصارى العرب والروم في معركة مؤتة واستشهد قادة الجيش على التوالي، زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة (رضي الله عنهم)، وتولى قيادة الجيش بعدهم سيف الله خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، فعاد بالجيش إلى المدينة النبوية[2]، وفي العام التاسع للهجرة خرج رسول الله (ﷺ) بجيش عظيم إلى الشام ووصل إلى تبوك[3]، ولم يشتبك جيش المسلمين بالروم ولا القبائل العربية، وآثر حكّام المدن الصلح على الجزية، وعاد الجيش إلى المدينة بعدما مكثوا عشرين ليلة بتبوك[4] وفي العام الحادي عشر ندب النبي (ﷺ) الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، وأمر عليهم أسامة (رضي الله عنهما)[5] قال الحافظ ابن حجر: جاء أنه كان تجهيز جيش أسامة (رضي الله عنه) يوم السبت قبل موت النبي (ﷺ) بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي (ﷺ)، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة (رضي الله عنه) فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش»[6]،

---

(١) البخاري - كتاب الوحي - رقم ٧ .
(٢) السيرة النبوية الصحيحة - للعمري ص(٢/٤٦٧- ٤٧٠) .
(٣) مسلم - كتاب الفضائل - (٤/ ٤٧٨٤) .
(٤) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٣٥) .
(٥) قصة بعث جيش أسامة - د. فضل إلهي ص٨ .
(٦) فتح الباري (٨/ ١٥٢) .

وطعن بعض الناس في إمارة أسامة (رضي الله عنه)، فردّ عليهم رسول الله (ﷺ) فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وايم الله! إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده**»[1].

ومرض النبي (ﷺ) بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين، واشتدّ وجعه (ﷺ)، فلم يخرج هذا الجيش وظل معسكرًا بالجرف[2]، ورجع إلى المدينة بعد وفاة النبي الكريم (ﷺ)[3]، وتغيرت الأحوال مع انتقال الرسول الكريم (ﷺ) إلى رحمة ربه، وصارت كما تصف أم المؤمنين عائشة الصديقة (رضي الله عنها) بقولها: لما قبض رسول الله (ﷺ) ارتدت العرب قاطبة، واشرأبت[4] النفاق والله! قد نزل بي[5]، ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها[6] وصار أصحاب محمد (ﷺ) كأنهم معزى[7]، مطيرة في حش[8] في ليلة مطيرة بأرض مسبعة[9][10] ولما تولى الخلافة الصديق (رضي الله عنه) أمر رجلاً في اليوم الثالث من مُتَوفَّى رسول الله (ﷺ) أن ينادي في الناس: ليُتمّ بعث أسامة (رضي الله عنه)، ألا لا يبيتنّ في المدينة أحد من جند أسامة (رضي الله عنه) إلا خرج إلى عسكره بالجرف[11] ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس: إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله (ﷺ) يطيق، إن الله اصطفى محمدًا على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست مبتدعًا، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله (ﷺ) قبض وليس لأحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة - ضربة سوط فما دونها- ألا وإن لي شيطانًا يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإنه ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في جهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قومًا نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا مثلهم، الجد الجد، والوحا الوحا، والنجا النجا، فإن وراءكم طالبا حثيثا- مره سريع - احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والأخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات[12]

---

(١) البخاري - كتاب المغازي رقم ٤٤٦٩ .

(٢) الجرف: بالضم ثم السكون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

(٣) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٥٢)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٦٨٥ .

(٤) اشرأبت: ارتفعت وعلت . انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٥) .

(٥) نزل (بي): وفي تاريخ خليفة بن خياط: نزل بأبي ص١٠٢ .

(٦) لهاضها: كسرها . النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٨) .

(٧) معزى: المعز من الغنم خلاف الضأن، وهو اسم جنس .

(٨) حش: بستان .

(٩) مسبعة: أرض ذات سباع .

(١٠) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٩) .

(١١) نفس المصدر (٦/ ٣٠٧) .

(١٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٧) .

وقام أيضًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، فإنما أخلصتم لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميمًا، قد تولت عليهم العالات . . . وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء، إلا أن الله (عز وجل) قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبعثنا خلفًا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن انحدرنا كنا مثلهم، أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم:٩٨] أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم فردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقاوة أو السعادة بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف به عنه سوءًا، إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النار ولا تبعد عنه الجنة[١]، وفي هذه الخطبة دروس وعبر منها:

أ- بيان طبيعة خليفة رسول الله (ﷺ)، وأنه ليس خليفة عن الله، بل عن رسوله (ﷺ) وأنه بشر غير معصوم لا يطيق مقام رسول الله (ﷺ) بنبوته ورسالته، ولذلك فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع أي أنه على نهج النبي (ﷺ) في الحكم بالعدل والإحسان[٢].

ب- بيان واجب الأمة في مراقبة الحاكم لتعينه في إحسانه وصلاحه وتقومه وتنصحه في غير ذلك، ليظل على الطريق متبعًا غير مبتدع.

جـ- بيان أن النبي (ﷺ) عدل بين الأمة فلم يظلم أحدًا؛ ولذلك ليس لأحد عند النبي (ﷺ) مظلمة صغيرة أو كبيرة ومعنى هذا أنه سوف يسير على نفس النهج، ينشر العدل ويبتعد عن الظلم، ومن ثم على الأمة أن تعينه على ذلك، وإذا رآه أحد غاضبًا فعليه أن يجتنبه حتى لا يؤذي أحدا، فيخالف ما رآه في سياسة الاتباع[٣] للنبي (ﷺ)، والشيطان الذي يعتري الصديق يعتري جميع بني آدم، فإنه ما من أحد إلا وقد وكّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن[٤]، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فقد قال رسول الله (ﷺ): **«ما من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن»**، قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال:

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٤٢٣.

(٣) نفس المصدر ص٤٢٣.

(٤) أبو بكر الصديق - محمد مال الله ص١٩٦.

«وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[١]، وقد جاء في الحديث أيضًا: لما مرّ به بعض الأنصار وهو يتحدث مع صفية ليلاً، فقال: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي». ثم قال: «إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئًا، إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٢] ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصومًا كالرسول (ﷺ) وهذا حق[٣].

د- حرص الصديق على وعظ المسلمين وتذكيرهم بالموت وحال الملوك الذين مضوا، وحثهم على العمل الصالح ليستعدوا للقاء الله (عز وجل) ويستقيموا في حياتهم على منهج الله (تعالى)[٤]، وهنا نلحظ توظيف الصديق لقوة البيان في خطبه وفي حديثه للأمة وقد كان (رضي الله عنه) أفصح خطباء النبي (ﷺ) يقول عنه الأستاذ العقاد: أما كلامه فهو من أرجح ما قيل في موازين الخلق والحكمة، وله من مواقع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة منها على ملكة صاحبها فيغني القليل منها عن الكثير، كما تغني السنبلة الواحدة عن الجرين الحافل، فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة كقوله (احرص على الموت توهب لك الحياة) أو قوله: أصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة. الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، فهي كلمات تتسم بالقصد والسداد، كما تتسم بالبلاغة وحسن التعبير، وتنبئ عن المعدن الذي نجمت منه، فتغني عن علامات التثقيف التي يستكثر منها المستكثرون؛ لأن هذا الفهم الأصيل هو اللباب المقصود من التثقيف وكانت له (رضي الله عنه) لباقة في الخطاب إلى جانب البلاغة في الكلام[٥].

ثانيًا: ما تمّ بين الصديق والصحابة في أمر إنفاذ الجيش:

اقترح بعض الصحابة على الصديق (رضي الله عنه) بأن يبقى الجيش فقالوا: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب كما ترى - قد انتفضت بك فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين[٦] وأرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إنّ معي وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله (ﷺ)، وحرم رسول الله (ﷺ)، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[٧].

ولكن أبا بكر خالف ذلك وأصرّ على أن تستمر الحملة العسكرية في تحركها إلى الشام مهما كانت الظروف والأحوال والنتائج، ولم يرتاح أسامة وهيئة أركان حربه لإصرار الخليفة

---

(١) مسلم (٤/ ٢١٦٧، ٢١٦٨).
(٢) البخاري - كتاب بدء الخلق (٤/ ١٢٤).
(٣) أبو بكر الصديق - محمد مال الله ص١٩٧.
(٤) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٤٢٣.
(٥) عبقرية الصديق ص١٣٩.
(٦) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨).
(٧) الكامل - لابن الأثير (٢/ ٢٢٦).

على رأيه وقد بذلوا لدى الخليفة عدة محاولات كي يقنعوه بصواب فكرتهم، وعندما كثر الإلحاح على أبي بكر، دعا عامة المهاجرين والأنصار إلى اجتماع في المجلس لمناقشة هذا الأمر معهم، وفي هذا الاجتماع دار نقاش طويل متشعب وكان أشد المعارضين لاستمرار حملة الشام عمر بن الخطاب، مبديًا تخوفه الشديد على الخليفة وحرم رسول الله (ﷺ) وكل المدينة وأهلها من أن تقع في قبضة الأعراب المرتدين المشركين، وعندما أكثر وجوه الصحابة بهذا الصدد على الخليفة وخوفوه مما ستتعرض له المدينة من أخطار جسام إن هو أصرّ على تحريك جيش أسامة لغزو الروم أمر بفض الاجتماع الأول[١]، بعد أن سمع الصديق لرأيهم واستوضح منهم إن كان لأحدهم ما يقول وذلك حتى يعطي إخوانه وأهل الرأي كامل الفرصة لبيان رأيهم[٢] أمر بفض الاجتماع الأول ثم دعاهم إلى اجتماع عام آخر في المسجد، وفي هذا الاجتماع طلب من الصحابة أن ينسوا فكرة إلغاء مشروع وضعه رسول الله (ﷺ) بنفسه وأبلغهم أنه سينفذ هذا المشروع حتى لو تسبب تنفيذه في احتلال المدينة من قبل الأعراب المرتدين، فقد وقف خطيبًا وخاطب الصحابة[٣] قائلاً: والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله (ﷺ). ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[٤].

نعم لقد كان أبو بكر مصيبًا فيما عزم عليه من بعث أسامة مخالفًا بذلك رأي جميع المسلمين، لأن في ذلك أمرًا من رسول الله، وقد أثبتت الأيام والأحداث سلامة رأيه وصواب قراره الذي اعتزم تنفيذه[٥].

وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سنًا من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق في ذلك، فقال عمر (رضي الله عنه): فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنًا من أسامة (رضي الله عنه) فوثب أبو بكر (رضي الله عنه) وكان جالسًا وأخذ بلحية عمر (رضي الله عنه) وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله (ﷺ) وتأمرني أن أعزله[٦]، فخرج عمر (رضي الله عنه) إلى الناس فقالوا: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله (ﷺ)[٧].

ثم خرج أبو بكر الصديق (ﷺ) حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيعهم، وهو ماش راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر (رضي الله عنه)، فقال له أسامة (رضي الله عنه): يا خليفة رسول الله (ﷺ)! والله لتركبن أو لأنزلن. فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب. وما عليَّ أن أُغَبِّرَ

(١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة - عز الدين التميمي ص٨٢، ٨٣ .
(٢) ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية - عدنان النحوي ص٢٥٧ .
(٣) الشورى بين الأصالة والمعاصرة ص٨٣ .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥) .
(٥) الشورى بين الأصالة والمعاصرة ص٨٣ .
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦) .
(٧) نفس المصدر (٤/ ٤٦) .

قدميَّ في سبيل الله[١].

ثم قال الصديق (رضي الله عنه) لأسامة (رضي الله عنه): إن رأيت تعينني بعمر (رضي الله عنه) فافعل، فأذن له[٢]. ثم توجه الصديق (رضي الله عنه) إلى الجيش فقال: يا أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني:

لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا[٣]، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منه شيئًا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقوامًا قد فحصوا[٤] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم[٥] بالسيف خفقًا. اندفعوا باسم الله[٦] وأوصى الصديق أسامة (رضي الله عنه) أن يفعل ما أمر به النبي الكريم (ﷺ) قائلاً: اصنع ما أمرك به نبي الله (ﷺ)، ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إيت آبل[٧]، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله (ﷺ) ولا تعجلنّ لما خلّفت عن عهده[٨]، ومضى أسامة (رضي الله عنه) بجيشه، وانتهى إلى ما أمر به النبي (ﷺ) من بث الخيول في قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسَلِم وغنم[٩]، وكان مسيره ذاهبًا وقافلاً أربعين يومًا[١٠].

وقدم بنعي رسول الله (ﷺ) على هرَقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبرًا واحدًا، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا[١١]، وقال العرب: لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش[١٢]، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[١٣].

ثالثًا: أهم الدروس والعبر والفوائد من إنفاذ الصديق جيش أسامة:

١- الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين:

ما أشد التحول وأخطره! وما أسرعه كذلك! سبحان الله الذي يقلّب الأحوال كيفما

---

(١) المصدر السابق (٤/٤٦).
(٢) تاريخ الطبري (٤/٤٦).
(٣) ولا تمثلوا: يقال مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوّهت به.
(٤) فحصوا: حلقوا.
(٥) فأخفقوهم: من أخفق فلانًا أي: صرعه.
(٦) تاريخ الطبري (٤/٤٦).
(٧) آبل: منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم.
(٨) تاريخ الطبري (٤/٤٧).
(٩) نفس المصدر (٤/٤٧).
(١٠) المصدر السابق (٤/٤٧)، تاريخ خليفة بن خياط ص١٠١.
(١١) عهد الخلفاء الراشدين للذهبي ص٢٠.
(١٢) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة - د. فضل إلهي ص١٤.
(١٣) الكامل - لابن الأثير (٢/٢٢٧).

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. تأتي وفود العرب مذعنة منقادة، مطيعة، وبهذه الكثرة حتى سمّي العام التاسع عام الوفود، ثم تتقلب الأحوال فيخشى من أن تأتي القبائل العربية للإغارة على المدينة المنورة عاصمة الإسلام[١]، بل قد جاءت للإغارة للقضاء - على حسب زعمها الباطل - على الإسلام والمسلمين [٢] ولا غرابة في هذا، فإن من سنن الله الثابتة في الأمم أن أيامها لا تبقى ثابتة على حالة، بل تتغير وتتبدل، وقد أخبر بذلك الذي يقلب الأيام ويصرِّفها (عز وجل) بقوله: ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال الرازي في تفسيره: والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس، لا يدوم مسارها ولا مضارها. فيوم يحصل فيه سرور له، والغم لعدوه، ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها، ولا يستقر أثر من آثارها[٣].

وجاءت صيغة المضارع: ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ للدلالة على تجدّد سنة مداولة الأيام من الأمم واستمرارها. وفي هذا قال القاضي أبو السعود: وصيغة المضارع الدالة على التجدّد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها[٤] وقد قيل: الأيام دول والحرب سجال[٥].

وقال الشاعر:

فيوم لنا ويوم علينا ∴ ويوم نساء ويوم نسرّ[٦]

فالصديق (رضي الله عنه) يعلّم الأمة إذا نزلت بها الشدة وألمت بها المصيبة أن تصبر، فالنصر مع الصبر، وأن لا تيأس ولا تقنط من رحمة الله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وليتذكر المسلم دائمًا أن الشدة مهما عظمت، والمصيبة مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥، ٦] وإن المسلم لأمره عجيب في هذه الدنيا فقد بين رسول الله (ﷺ) ذلك في قوله: «**عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[٧].

ومن الدروس المستفادة من بعث جيش أسامة:

أن الشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين. إن وفاة

---

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص١٨ .
(٢) نفس المصدر ص١٨ .
(٣) تفسير الرازي (٩/ ١٥)، تفسير القرطبي (٤/ ٢١٨) .
(٤) تفسير أبي السعود (٢/ ٨٩)، روح المعاني - للآلوسي (٤/ ٦٨) .
(٥) روح المعاني - للآلوسي (٤/ ٦٨) .
(٦) تفسير القرطبي (٤/ ٢١٨) .
(٧) مسلم (٤/ ٢٢٩٥) .

الرسول الكريم (ﷺ) لم تشغل الصديق عن أمر الدين وأمر ببعث أسامة في ظروف كالحة مظلمة بالنسبة للمسلمين ولكن ما تعلمه الصديق من رسول الله (ﷺ) من الاهتمام بأمر الدين مقدم على كل شيء وبقي هذا الأمر حتى ارتحل من هذه الدنيا[١].

٢- المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي:

وفي قصة إنفاذ أبي بكر الصديق جيش أسامة (رضي الله عنهما) نجد أن الصديق (رضي الله عنه) بين بقوله وعمله أن مسيرة الدعوة لم ولن تتوقف، حتى بموت سيد الخلق، وإمام الأنبياء وقائد المرسلين (ﷺ) وأثبت مواصلة العمل الدعوي بالمبادرة إلى تنفيذ هذا الجيش حيث نادى مناديه في اليوم الثالث من وفاة رسول الله(ﷺ) بخروج جند أسامة (رضي الله عنه) إلى عسكره بالجرف. وقد كان الصديق (رضي الله عنه) قبل ذلك قد بين في خطبته التي ألقاها إثر بيعته عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين[٢]، وقد جاء في رواية قوله: فاتقوا الله أيها الناس! واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم، وإنَّ كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه. والله! لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله. إن سيوف الله لمسلولة، ما وضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله (ﷺ)، فلا يبغينَّ أحد إلا على نفسه[٣].

ومن الدروس المستفادة من قصة إنفاذ الصديق جيش أسامة (رضي الله عنهما) أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبي (ﷺ) في السراء والضراء، فقد بين الصديق من فعله أنه عاض على أوامر النبي (ﷺ) بالنواجذ ومنفِّذها مهما كثرت المخاوف وشدّت المخاطر، وقد تجلّى هذا أثناء هذه القصة عدة مرات منها:

أ- لما طلب المسلمون إيقاف جيش أسامة (رضي الله عنه) نظرًا لتغير الأحوال وتدهورها أجاب (رضي الله عنه) بمقولته الخالدة: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله (ﷺ)، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[٤].

ب- ولما استأذنه أسامة (رضي الله عنهما) في الرجوع بجيشه من الجرف إلى المدينة خوفًا على الصديق وأهل المدينة، لم يأذن له، بل أبدى عزمه وتصميمه على تنفيذ قضاء النبي الكريم (ﷺ) بقوله: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضى به رسول الله (ﷺ)[٥]، وقدّم (رضي الله عنه) بموقفه هذا صورة تطبيقية لقول الله (عز وجل): ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٢٤ .
(٢) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٢٧ .
(٣) البداية والنهاية (٥/٢١٣، ٢١٤) .
(٤) تاريخ الطبري (٤/٤٥) .
(٥) تاريخ الطبري (٤/٤٦) .

جـ- وعندما طلب منه تعيين رجل أقدم سنًا من أسامة (رضي الله عنه) أبدى غضبه الشديد على الفاروق (رضي الله عنه) بسبب جرأته على نقل مثل هذا الاقتراح[١]، وقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتأمرني أن أنزعه[٢].

د- وتجلى اهتمام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) باتباع النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) كذلك في خروجه لتشييع الجيش، ومشيه مع أسامة (رضي الله عنه) الذي كان راكبًا[٣]. ولقد كان الصديق (رضي الله عنه) في عمله هذا مقتديًا بما فعله سيد الأولين والآخرين رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه مع معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لما بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى اليمن[٤] فقد روى الامام أحمد عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لما بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى اليمن خرج معه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوصيه، ومعاذ (رضي الله عنه) راكب، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمشي تحت راحلته[٥]. قال الشيخ أحمد البنا تعليقًا على هذا الحديث: وقد فعل ذلك أبو بكر (رضي الله عنه) بأسامة بن زيد (رضي الله عنهما) مع صغر سنة، فقد عقد له النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته لواء على جيش، ولم يسافر إلا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فشيعه أبو بكر (رضي الله عنه) ماشيًا، وأسامة (رضي الله عنه) راكبًا، اقتداءً بما فعله النبي بمعاذ (رضي الله عنه)[٦].

س- وظهرت عناية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بالاقتداء بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أيضًا في قيامه بتوصيه الجيش عند توديعهم حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوصي الجيوش عند توديعهم، ولم يقتصر الصديق على هذا؛ بل إن معظم ما جاء في وصيته لجيش أسامة كان مقتبسًا من وصايا النبي (صلى الله عليه وسلم) للجيوش[٧].

ولم يقف أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في الاقتداء بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فيما قاله وفعله فحسب؛ بل أمر أمير الجيش أسامة (رضي الله عنه) بتنفيذ أمره (صلى الله عليه وسلم)، ونهاه عن التقصير فيه[٨] فقد قال له (رضي الله عنهما): اصنع ما أمرك به نبي الله (صلى الله عليه وسلم). ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إيت آبل، ولا تقصرنَّ شيئًا من أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٩]، وفي رواية أخرى أنه قال (رضي الله عنه): امض يا أسامة للوجه الذي أمرت به ثم اغز حيث أمرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة فإن الله سيكفي ما تركت[١٠]، وفي رواية عند ابن الأثير: وأوصى أسامة (رضي الله عنه) أن يفعل به ما

---

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٣٠ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/٤٦) .
(٣) نفس المصدر (٤/٤٦) .
(٤) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٣١ .
(٥) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢١/ ٢١٥) .
(٦) بلوغ الأماني (٢١/ ٢١٥) .
(٧) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٣٢ .
(٨) نفس المصدر ص٣٢ .
(٩) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧) .
(١٠) عهد الخلفاء الراشدين - للذهبي ص٢٠ .

أمر به رسول الله (ﷺ)[١].

لقد انقاد الصحابة (رضي الله عنهم) لرأي الصديق وشرح الله صدورهم لذلك، وتمسكوا بأمر الرسول الكريم (ﷺ)، وبذلوا المستطاع لتحقيقه فنصرهم الله (تعالى)، ورزقهم الغنائم، وألقى في قلوب الناس هيبتهم، وكفّ عنهم كيد الأعداء وشرهم[٢].

وقد تحدث «توماس آرنولد» عن بعث جيش أسامة فقال: بعد وفاة محمد (ﷺ) أرسل أبو بكر (رضي الله عنه) الجيش الذي كان النبي (ﷺ) قد عزم على إرساله إلى مشارف الشام، على الرغم من معارضة بعض المسلمين، بسبب الحالة المضطربة في بلاد العرب، إذ ذاك، فأسكت احتجاجهم بقوله: أرى قضاءً قضى به رسول الله (ﷺ)، ولو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة (رضي الله عنه) كما أمر النبي (ﷺ)[٣]... ثم قال: وكانت هذه هي أولى تلك السلسلة الرائعة من الحملات التي اجتاح العرب فيها سورية وفارس وإفريقية الشمالية، فقوضوا دولة فارس القديمة، وجردوا الإمبراطورية الرومانية من أجمل ولاياتها[٤].

وهكذا نرى أن الله (تعالى) قد ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبي الكريم (ﷺ)، فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان، فسر حياة الأمة في طاعتها لربها واقتدائها بسنّة نبيها (ﷺ)[٥].

٣- حدوث الخلاف بين المؤمنين وردُّه إلى الكتاب والسنة:

ومما نستفيد من هذه القصة أنه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور، فقد اختلفت الآراء حول تنفيذ جيش أسامة (رضي الله عنه) في تلك الظروف الصعبة، وقد تعددت الأقوال حول إمارته ولم يجرهم الخلاف في الرأي إلى التباغض والتشاجر، والتدابر، والتقاطع، والتقاتل، ولم يصر أحد على رأي بعد وضوح فساده وبطلانه[٦]، وعندما ردّ الصديق الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبي (ﷺ) ببعث أسامة وبين (رضي الله عنه) أنه ما كان ليفرّط فيما أمر به رسول (ﷺ) مهما تغيرت الأحوال وتبدلت واستجاب بقية الصحابة لحكم النبي (ﷺ) بعد ما وضحه لهم الصديق، كما أنه لا عبرة لرأي الأغلبية إذا كان مخالفًا للنص، فقد رأى عامة الصحابة حبس جيش أسامة، وقالوا للصديق: إن العرب قد انتقصت عليك وإنك لا تضع بتفريق الناس شيئًا[٧]، فأولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس بل كانوا من الصحابة الذين هم خير البشر وجدوا على الأرض بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، لكن الصديق

(١) الكامل (٢/ ٢٣٧).
(٢) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٣٦.
(٣) الدعوة إلى الإسلام ص٦٣.
(٤) نفس المصدر ص٦٣.
(٥) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٣٩.
(٦) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٤٧، ٤٨.
(٧) تاريخ خليفة بن خياط ص١٠٠.

(رضي الله عنه) لم يستجب لهم مبينًا أن أمر رسول الله (ﷺ) أجل وأكرم، وأوجب وألزم من رأيهم كلهم[١] وقد تجلت هذه الحقيقة في حادثة وفاة النبي (ﷺ) حيث رأى عامة الصحابة (رضي الله عنهم) وفيهم عمر (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) لم يمت ورأى عدد قليل من الصحابة (رضي الله عنهم) أنه (ﷺ) قد مات، منهم أبو بكر (رضي الله عنه)، وقد رأينا أن أبا بكر تمسك بالنص وبين خطأ من قال أن رسول الله (ﷺ) لم يمت[٢].

قال الحافظ ابن حجر: تعليقًا على رأي الأكثرين حول وفاته (ﷺ): فيؤخذ منه أن الأقل عددًا في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثرية، فلا يتعين الترجيح بالأكثر[٣]، فخلاصة الكلام أن مما نستفيده من قصة تنفيذ الصديق جيش أسامة (رضي الله عنهما) أن تأييد الكثرة لرأي ليس دليلاً على إصابته[٤]، ومما يستفاد من هذه القصة انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتضح لهم، فعندما ذكرهم الصديق أن النبي (ﷺ) قد أمر بتنفيذ جيش أسامة وهو الذي عين أسامة أميرًا على الجيش، انقاد أولئك الأبرار للأمر النبوي الكريم[٥].

٤- جعل الدعوة مقرونة بالعمل، ومكانة الشباب في خدمة الإسلام:

لما أصر أبو بكر (رضي الله عنه) على إبقاء أسامة بن زيد (ﷺ) أميرًا للجيش حرصًا منه على التمسك بما قرره رسول الله (ﷺ) لم يقتصر على الإصرار على إمارته فحسب بل قدم اعترافًا عمليًا بإمارته وقد تجلى ذلك في أمرين:

أ- مشى أبو بكر (رضي الله عنه) مع أسامة (رضي الله عنه)، وهو راكب وقد كان ابن عشرين سنة أو ثماني عشرة سنة، وكان الصديق (رضي الله عنه) قد تجاوز ستين سنة من عمره وأصر على المشي مع أسامة (رضي الله عنه)، كما أصر على بقاء أسامة (رضي الله عنه) راكبًا لما طلب منه أسامة (رضي الله عنه) إما أن يركب هو، أو يأذن له بالنزول؛ فلم يوافق (رضي الله عنه) لا على هذا ولا على ذاك، وبهذا قدّم (رضي الله عنه) باستمراره في مشيه ذلك دعوة لجيش أسامة (رضي الله عنه) إلى الاعتراف بإمارة أسامة (رضي الله عنه)، ورفع الحرج عنها من صدورهم، وكأن الصديق (رضي الله عنه) بمشيه ذلك يخاطب الجيش فيقول: انظروا أيها المسلمون أنا أبو بكر رغم كوني خليفة رسول الله (ﷺ) أمشي مع أسامة وهو راكب إقرارًا وتقديرًا لإمارته، حيث أمره رسولنا الكريم إمامنا الأعظم وقائدنا الأعلى صلوات ربي وسلامه عليه، فكيف تجرّأتم أنتم على الانتقاد على إمارته[٦].

ب- كان أبو بكر الصديق يرغب في بقاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمدينة نظرًا لحاجته إليه. لكنه لم يأمره بذلك، بل استأذن من أسامة (رضي الله عنه) في تركه إياه بالمدينة إن رأى هو ذلك

---

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٤٤ .
(٢) نفس المصدر ص٤٥ .
(٣) فتح الباري (٨/ ١٤٦) .
(٤) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٤٦ .
(٥) نفس المصدر ص٥٢ .
(٦) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٦٦ .

مناسبًا، وبهذا قدّم الصديق (رضي الله عنه) صورة تطبيقية أخرى لاعترافه واحترامه لإمارة أسامة (رضي الله عنه)، وفيها بلا شك دعوة قوية للجيش إلى الإقرار والانقياد لإمارته.

وهذا الذي اهتم به الصديق (رضي الله عنه) من جعل دعوته مقرونة بالعمل هو الذي أمر به الإسلام، ووبّخ الرب عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[1]، قال (تعالى): ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

ومما يتجلى في هذه القصة كذلك منزلة الشباب العظيمة في خدمة الإسلام، فقد عين رسول الله (ﷺ) الشاب أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) أميرًا على الجيش المعدّ لقتال الروم - القوة العظيمة في زعم الناس في ذلك الوقت- وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثماني عشرة سنة، وأقره أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على منصبه رغم انتقاد الناس، وعاد الأمير الشاب بفضل الله (تعالى) من مهمته التي أسندت إليه غانمًا ظافرًا وفي هذا توجيه للشباب في معرفة مكانتهم في خدمة الإسلام، ولو نعيد النظر في تاريخ الدعوة الإسلامية في المرحلتين المكية والمدنية، لوجدنا شواهد كثيرة تدل على ما قام به شباب الإسلام في خدمة القرآن والسنّة، وإدارة أمور الدولة، والمشاركة في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله (تعالى)[2].

٥- صورة مشرقة من آداب الجهاد في الإسلام:

ومن فوائد قصة بعث أبي بكر (رضي الله عنه) لجيش أسامة أنها تقدم لنا صورة مشرقة للجهاد الإسلامي، وقد تجلت تلك الصورة في وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة عند توديعه إياهم، ولم يكن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في وصاياه للجيوش إلا مستنًا بسنّة المصطفى (ﷺ) حيث كان (ﷺ) يوصي الأمراء والجيوش عند توديعهم[3] ومن خلال فقرات الوصية التي جاءت في البحث تظهر الغاية من حروب المسلمين فهي دعوة إلى الإسلام، فإذا ما رأت الشعوب جيشًا يلتزم بهذه الوصايا لا تملك إلا الدخول في دين الله طواعية واختيارًا:

أ- إنها ترى جيشًا لا يخون، بل يصون الأمانة، ويفي بالعهد، ولا يسرق مال الناس أو يستولي عليه دون حق.

ب- جيشًا لا يمثل بالآدميين بل هو يحسن القتل كما يحسن العفو يحترم الطفل ويرحمه، ويبر الشيخ الكبير ويكرمه، ويصون المرأة ويحفظها.

جـ- جيشًا لا يبدد ثروة البلاد المفتوحة، بل تراه يحفظ النخيل ولا يحرقه ولا يقطع شجرة مثمرة، ولا يدمر المزروعات أو يخرب الحقول.

د- وإذا ما حافظ على الثروة الآدمية فلم يغدر، ولم يخن، ولم يغل، ولم يمثل بقتيل، ولم يقتل طفلاً، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، وحافظ على الثروة الزراعية، فلم يعقر نخلاً،

(١) نفس المصدر ص٦٦ .
(٢) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٧٠ .
(٣) نفس المصدر ص٨٠ .

أو يقطع شجرة مثمرة، فهو يحافظ في نفس الوقت على الثروة الحيوانية فلا يذبح شاة أو بقرة أو بعيرًا إلا للأكل فقط، فهل تحافظ الجيوش على واحد من هذه الأشياء؟ أم أنها تحول البلاد التي تحاربها إلى خراب ودمار؟ والمثال قائم في العدوان الشيوعي الملحد على أفغانستان[١]، وفي البوسنة من قبل الصرب، وكذلك كوسوفا، وفي كشمير من قبل الهند على المسلمين، وفي الشيشان، وفي فلسطين من قبل اليهود، ألا ما أعظم الفرق بين هداية الله، وضلال الملحدين.

هـ- وهو جيش يحترم العقائد والأديان السابقة عليه، فيحافظ على العباد في صوامعهم، ولا يتعرض لهم بأذى.. وتلك دعوة عملية تدل على سماحة الإسلام وعدالته، أما من يعبثون فيهم في الأرض فسادًا، ويحاربون الحق فجزاؤهم القتل ليكونوا عبرة لغيرهم[٢].

وما جاء في وصية الصديق (رضي الله عنه) لم يكن كلمات قيلت بل طبقها المسلمون في عصره وبعده[٣] وسنرى ذلك بإذن الله في فتوحاته (رضي الله عنه).

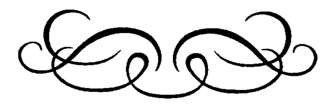
٦- أثر جيش أسامة على هيبة الدولة الإسلامية:

عاد جيش أسامة ظافرًا غانمًا بعد ما أرهب الروم حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعدما جمع بطارقته: هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوا مني!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم. قال أخوه (يناف): فابعث رباط (جندا مرابطين) تكون بالبلقاء، فبعث رباطًا واستعمل عليهم رجلاً من أصحابه فلم يزل مقيمًا حتى تقدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)[٤]. ثم تعجب الروم بأجمعهم وقالوا: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا؟[٥]، وأصاب القبائل العربية في الشمال الرعب والفزع من سطوة الدولة[٦]، وعندما بلغ جيش أسامة الظافر إلى المدينة، تلقاه أبو بكر، وكان قد خرج في جماعة من كبار المهاجرين والأنصار للقائه وكلهم خرج وتهلل، وتلقاه أهل المدينة بالإعجاب والسرور والتقدير، ودخل أسامة المدينة وقصد مسجد رسول الله (ﷺ) وصلى لله شكرًا على ما أنعم به عليه وعلى المسلمين، وكان لهذه الغزوة أثر في حياة المسلمين وفي حياة العرب الذين فكروا في الثورة عليهم، وفي حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم[٧]، فقد فعل هذا الجيش بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع، وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبة

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٦٩ .
(٢) نفس المصدر ص٢٦٩ .
(٣) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ص٨١ .
(٤) المغازي (٣/ ١١٢٤)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٩٢) .
(٥) تهذيب ابن عساكر (١/ ١٢٥)، تاريخ ابن عساكر (١/ ٤٣٩) .
(٦) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٧٠ .
(٧) الصديق - لهيكل باشا ص١٠٧ .

صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يضع السلاح[(١)].

حقًا لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين، إذ أمست جبهة الردة في الشمال أضعف الجبهات، ولعل من آثار هذا أن هذه الجبهة في وقت الفتوحات كان كسرها أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو في العراق، كل ذلك يؤكد أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان في الأزمات، من بين جميع الباحثين عن الحل، أثقبهم نظرًا، وأعمقهم فهمًا[(٢)].



(١) عبقرية الصديق - للعقاد ص١٠٩ .
(٢) حركة الردة - د. علي العتوم ص١٦٨ .





جهاد الصديق لأهل الردة

أولاً: الردة اصطلاحًا وبعض الآيات التي حذرت من الردة:

١- الردة إصطلاحًا:

عرف النووي الردة بأنها : قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل، سواء قاله استهزاءً أو عنادًا أو اعتقادًا، فمن نفى الصانع أو الرسل أو كذب رسولاً أو حلل محرمًا بالإجماع كالزنا وعكسه، أو نفى وجوب مجمع عليه أو عكسه، أو عزم على الكفر أو تردد فيه، كفر(١)، وعرفها عليش المالكي: بأنها كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو بفعل يتضمنه(٢)، وعرف ابن حزم الظاهري (المرتد) بأنه: كل من صح عنه أنه كان مسلمًا متبرئًا من كل دين حاش دين الإسلام، ثم ثبت عنه أنه ارتد عن الإسلام وخرج إلى دين كتابيّ أو غير كتابيّ أو إلى غير دين(٣)، وعرفه عثمان الحنبلي: بأنه لغة الراجع. قال (تعالى): ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] وشرعًا من أتى بما يوجب الكفر بعد إسلامه(٤).

ومعنى هذا أن المرتد هو كل من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، كالصلاة والزكاة والنبوة وموالاة المؤمنين، أو أتى بقول أو فعل لا يحتمل تأويلاً غير الكفر(٥).

٢- بعض الآيات التي أشارت إلى المرتدين:

أطلق الله (سبحانه وتعالى) على المرتدين عن دينه عبارات تشير إلى هذا المرتكس الوبئ الذي تحولوا إليه. منها الردة على الأعقاب أو على الأدبار، والانقلاب بالخسران، وطمس الوجوه، وردّ الأيدي في الأفواه، والارتياب والتردد، واسوداد الوجوه(٦)، قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] وجاء

(١) محمد الزهري الغمراوي – شرح على متن المنهاج لشرف الدين النووي ص٥١٩ .
(٢) أحكام المرتد – للسامرائي ص٤٤ .
(٣) المحلى (١١/١٨٨) المطبعة المنيرية ١٣٥٢هـ .
(٤) أحكام المرتد – للسامرائي ص٤٤ .
(٥) حركة الردة – د. علي العتوم ص١٨، وهو من أهم المراجع في بحث الردة .
(٦) نفس المصدر ص١٨ .

في تفسير ابن كثير: وطمسها أن تعمى، وقوله: فنردها على أدبارها أي نجعل لأحدهم عينين من قفاه، وهذا أبلغ من العقوبة والنكال وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقري على أدبارهم[١].

وقال (تعالى): ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

نقل القرطبي فيها جملة آراء منها رأي قتادة أنها في المرتدين كما نقل حديثًا لأبي هريرة، وقال عنه قد يستشهد به بأن الآية في الردة وهو (يرد على الحوض يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: «**يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري**»[٢]، وفي رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات اليمين، فأقول: أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول، كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم، فلما توفيتني، كنت أنت الرقيب عليهم. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»[٣].

ثانيًا: أسباب الردة وأصنافها:

إن الردة التي قامت بها القبائل العربية بعد وفاة رسول الله (ﷺ) لها أسباب منها، هو الصدمة بموت رسول الله (ﷺ)، رقة الدين والسقم في فهم نصوصه، الحنين إلى الجاهلية ومقارفة موبقاتها، التفلت من النظام والخروج على السلطة الشرعية، العصبية القبلية، الطمع في الملك، التكسب بالدين والشح بالمال، التحاسد، المؤثرات الأجنبية[٤] كدور اليهود والنصارى، والمجوس وسنتحدث عن كل سبب في البحث بإذن الله (تعالى).

وأما أصنافها، فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلاً وعاد إلى الوثنية، وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة، ولكنه امتنع عن أداء زكاته، ومنهم من شمت بموت الرسول (ﷺ) وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد وانتظر على من تكون الدبرة، وكل ذلك وضحه علماء الفقه والسير[٥].

قال الخطابي: إن أهل الردة كانوا صنفين: صنفًا ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٧، ٥٠٨) طبعة الحلبي.
(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٦٦).
(٣) الخصائص الكبرى - للسيوطي (٢/ ٤٥٦).
(٤) حركة الردة - علي العتوم ص ١١٠ إلى ١٣٧.
(٥) حركة الردة - للعتوم ص ٢٠.

الكفر. وهذه الفرقة طائفتان: إحداهما أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة وأصحاب الأسود العنسي ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة سيدنا محمد (ﷺ) مدعية النبوة لغيره، والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية، والصنف الآخر هم الذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام[١]، . . . وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح (بها) ولا يمنعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك وقبضوا أيديهم على ذلك[٢]، وقريب من هذا التقسيم لأصناف المرتدين تقسيم القاضي عياض، غير أنهم عنده ثلاثة: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي. وكل منهما ادعى النبوة، وصنف ثالث استمروا على الإسلام ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي (ﷺ)[٣].

وقسّم الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود المرتدين إلى أربعة أصناف: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام، وصنف اتبعوا المتنبئين بالكذبة، الأسود العنسي ومسيلمة وسجاح، وصنف أنكروا وجوب الزكاة وجحدوها، وصنف لم ينكروا وجوبها، ولكنهم أبوا أن يدفعوها إلى أبي بكر (رضي الله عنه)[٤].

ثالثاً: الردة أواخر عصر النبوة:

بدأت هذه الردة منذ العام التاسع للهجرة المسمى بعام الوفود. وهو العام الذي أسلمت فيه الجزيرة العربية قيادها للرسول (ﷺ) ممثلة بزعمائها الذين قدموا عليه من أصقاعها المختلفة، وكانت حركة الردة في هذه الأثناء لما تستَعلن، بشكل واسع حتى إذا كان أواخر العام العاشر الهجري، وهو عام حجة الوداع التي حجهَا رسول الله (ﷺ)، ونزل به وجعه الذي مات فيه وتسامع بذلك الناس، بدأ الجمر يتململ من تحت الرماد، وأخذت الأفاعي تطل برؤوسها من جحورها، وتجرأ الذين في قلوبهم مرض على الخروج، فوثب الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة، وطليحة الأسدي في بلاد قومه[٥]. ولما كان أخطر متمردين على الإسلام، وهما الأسود العنسي ومسيلمة وأنهما مصممان - كما يبدو- على المضي في طريق ردتهما قدمًا دون أن يفكرا في الرجوع، وأنهما مشايعان بقوى غفيرة وإمكانيات وفيرة، فقد أرى الله نبيه (ﷺ) من أمرهما ما تقر به عينه، ومن ثم ما تقر به عيون أمته من بعده. فقد قال يومًا وهو يخطب على منبره: «**أيها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر، ثم أُنستها، ورأيت في**

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٢٠٢) .

(٢) نفس المصدر (١/ ٢٠٣) .

(٣) فتح الباري (١٢/ ٢٧٦) .

(٤) الحكم بغير ما أنزل الله - د. عبد الرحمن المحمود ص٢٣٩ .

(٥) حركة الردة ص٦٥ .

ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما الكذابين: صاحب اليمن وصاحب اليمامة»[١].

وقد فسر أهل العلم بالتعبير هذه الرؤيا على هذه الصورة فقالوا: إن نفخه (ﷺ)، لهما يدل على أنهما يقتلان بريحه، لأنه لا يغزوهما بنفسه، وإن وصفه لهما بأنهما من ذهب دلالة على كذبهما لأن شأنهما زخرف وتمويه، كما دل لفظ السوارين على أنهما ملكان؛ لأن الأساورة هم الملوك، ودلاً بكونهما يحيطان باليدين أن أمرهما يشتد على المسلمين فترة، لكون السوار مضيقًا على الذراع[٢].

وعبّر الدكتور علي العتوم بقوله: . . . بأن طيرانهما بالنفخ دلالة على ضعف كيدهما مهما تضاخم فشأنهما زبد لابد أن يؤول إلى جُفاء ما دام هذا الكيد مستمدًا من الشيطان، فهو واهن لا محالة، إذ أقل هجمة مركزة في سبيل الله تحيلهما أثرًا بعد عين، وكونهما من ذهب دلالة على أنهما يقصدان من عملهما الدنيا لأن الذهب رمز لحطامها الذي يسعى المغترون بها خلفه، وأنهما سواران إشارة إلى محاولتهما الإطاحة بكيان المسلمين عن طريق الإحاطة بهم من كل جانب، تمامًا كم يحيط السوار بالمعصم[٣].

رابعًا: موقف الصديق من المرتدين:

لما كانت الردة قام أبو بكر (رضي الله عنه) في الناس خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمدًا (ﷺ) والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قدرت حبله، وخلق ثوبه، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرًا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشر عندهم، وقد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله، لا يعبدونه، ولا يدعونه، فأجهدهم عيشًا، وأظلهم دينًا في ظلف الأرض مع ما فيه من سحاب، فختمهم الله بحمد وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه (ﷺ) فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

إن من حولكم من الأعراب قد منعوا شاتهم، وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما تقدم من بركة نبيكم وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه ﴿**وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) البخاري - رقم ٣٦٢١، مسلم - رقم ٢٢٧٣.
(٢) حركة الردة ص٦٦.
(٣) نفس المصدر ص٦٦.

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل شهيدًا من أهل الجنة، ويبقى منها خليفته وذريته في أرضه قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١] [النور: ٥٥].

وقد أشار بعض الصحابة ومنهم عمر (رضي الله عنه) على الصديق (رضي الله عنه) بأن يترك مانعي الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق عن ذلك وأباه[٢]، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لما توفي رسول الله (ﷺ)، وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال (ﷺ): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه[٣]، وحسابه على الله»، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا[٤] كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها وفي رواية: والله لو منعوني عقالاً[٥]، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه. قال عمر فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفت أنه الحق[٦]، ثم قال عمر بعد ذلك؛ والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعًا في قتال أهل الردة[٧]، وبذلك يكون أبو بكر قد كشف لعمر (وهو يناقشه) عن ناحية فقهية مهمة أجلاها له، وكانت قد غابت عنه وهي أن جملة جاءت في الحديث النبوي الشريف الذي احتج به عمر هي الدليل على وجوب محاربة من منع الزكاة حتى وإن نطق بالشهادتين وهي قول النبي (ﷺ): «فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»[٨]، وفعلاً كان رأي أبو بكر في حرب المرتدين رأيًا ملهمًا، وهو الرأي الذي تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأي موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله، ثم هذا القرار الحاسم من أبي بكر لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادت الجاهلية تعيث في الأرض فسادًا[٩].

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣١٦).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣١٥).
(٣) بحقه حق الإسلام.
(٤) عناقًا: الأنثى من ولد المعز
(٥) عقالاً: هو الحبل الذي يعقل به البعير.
(٦) البخاري - رقم ٦٩٢٤، مسلم - رقم ٢٠.
(٧) حروب الردة - محمد أحمد باشميل ص٢٤.
(٨) مسلم - رقم ٢١.
(٩) الشورى بين الأصالة والمعاصرة ص٨٦.

لقد تجلى فهمه الدقيق للإسلام، وشدة غيرته على هذا الدين، وبقائه على ما كان عليه في عهد نبيه (ﷺ) في الكلمة التي فاض بها لسانه ونطق بها جنانه، وهي الكلمة التي تساوي خطبة بليغة طويلة وكتابًا حافلاً، وهي قوله عندما امتنع كثير من قبائل العرب أن يدفعوا الزكاة إلى بيت المال، أو منعوها مطلقًا وأنكروا فرضيتها: قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا حي؟ [١]وفي رواية قال عمر: فقلت يا خليفة رسول الله: تألف الناس وارفق بهم، فقال لي: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام، قد انقطع الوحي، وتم الدين أينقص وأنا حي؟[٢].

لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين وما عزم على خوض الحرب إلا بعد أن سمع وجهات النظر بوضوح، إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأي فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر - هذا الخليفة العظيم - في حياته كلها[٣]، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه.

لقد كان أبو بكر (رضي الله عنه) أبعد الصحابة نظرًا، وأحقهم فهمًا، وأربطهم جنانًا في هذه الطامة العظيمة[٤]، والمفاجئة المذهلة، ومن هنا أتى قول سعيد بن المسيب رحمه الله: وكان أفقهم، يعني الصحابة، وأمثلهم رأيًا[٥].

إن أبا بكر كان أنفذ بصيرة من جميع من حوله؛ لأنه فهم بإيمانه الذي فاق إيمانهم جميعًا، أن الزكاة لا تنفصل عن الشهادتين؛ فمن أقر لله بالوحدانية لابد أن يقر له بما يفرض من حق في ماله الذي هو مال الله أصلاً وأن لا إله إلا الله بغير زكاة لا وزن لها في حياة الشعوب، وأن السيف يشرع دفاعًا عن أدائها تمامًا كما يشرع دفاعًا عن لا إله إلا الله، تمامًا هذه كتلك.

هذا هو الإسلام وغير هذا ليس من الإسلام[٦]، فقد توعد الله أولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض قال (تعالى): ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

كان موقف أبي بكر (رضي الله عنه) الذي لا هوادة فيه ولا مساومة فيه ولا تنازل، موفقًا ملهمًا من الله، يرجع إليه الفضل الأكبر - بعد الله تعالى- في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية، ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة، موقف الأنبياء والرسل في عصورهم،

---

(١) المرتضى لأبي الحسن الندوي ص٧٠ .
(٢) مشكاة المصابيح - كتاب المناقب - رقم ٦٠٣٤ .
(٣) الشورى بين الأصالة والمعاصرة ص٨٧ .
(٤) حركة الردة ص١٦٥ .
(٥) البدر والتاريخ - للمقدسي (٥/ ١٥٣) .
(٦) حياة أبي بكر - محمود شلبي ص١٢٣ .

وهذه خلافة النبوة التي أدئ أبو بكر حقها واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها[١].

خامساً: خطة الصديق لحماية المدينة:

انصرفت وفود القبائل المانعة للزكاة من المدينة بعدما رأت عزم الصديق وحزمه وقد خرجت بأمرين:

أ- أن قضية منع الزكاة لا تقبل المفاوضة وأن حكم الإسلام فيها واضح ولذلك لا أمل في تنازل خليفة المسلمين عن عزمه ورأيه وخاصة بعدما أيده المسلمون وثبتوا على رأيه بعد وضوح الرؤية وظهور الدليل.

ب- أنه لابد من اغتنام فرصة ضعف المسلمين - كما يظنون- وقلة عددهم لهجوم كاسح على المدينة يسقط الحكم الإسلامي فيها ويقضي على هذا الدين[٢].

قرأ الصديق في وجوه القوم ما فيها من الغدر، ورأى فيها الخسة وتفرس فيها اللؤم فقال لأصحابه: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً! وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا[٣]، ووضع الصديق خطته على الوجه التالي:

أ- ألزم أهل المدينة بالمبيت في المسجد حتى يكونوا على أكمل استعداد للدفاع.

ب- نظم الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها حتى يدفعوا أي غارة قادمة.

جـ- عيّن على الحرس أمراؤهم: عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنهم)[٤].

س- وبعث أبو بكر (رضي الله عنه) إلى من كان حوله من القبائل التي ثبتت على الإسلام، من أسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة وكعب، يأمرهم بجهاد أهل الردة فاستجابوا له، حتى امتلأت المدينة المنورة بهم، وكانت معهم الخيل والجمال التي وضعوها تحت تصرف الصديق (رضي الله عنه)[٥]، ومما يدل على كثرة رجال هذه القبائل وكبر حجم دعمها للصديق (رضي الله عنه)، أن جهينة وحدها قدمت إلى الصديق (رضي الله عنه) في أربعمائة من رجالها ومعهم الظهر والخيل، وساق عمرو بن مرة الجهني مائة بعير لإعانة المسلمين، فوزعها أبو بكر (رضي الله عنه) في الناس[٦].

(١) المرتضى - للندوي ص٧٢.
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٨٠.
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤).
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤).
(٥) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة - د. مهدي رزق الله ص٢١.
(٦) نفس المصدر ص٢١.

هـ- ومن ابتعد من المرتدين عن المدينة، وأبطأ خطره، حاربه بالكتب يبعث بها إلى الولاة المسلمين في أقاليمهم كما كان رسول الله يفعل، يحرضهم على النهوض لقتال المرتدين، ويذمر الناس للقيام معهم في هذا الأمر، ومن أمثلة ذلك رسالته لأهل اليمن حيث المرتدة من جنود الأسود العنسي التي قال فيها: (أما بعد، فأعينوا الأبناء على من ناوأهم، وحوطوهم، واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فإني قد وليته)[١]، وقد أثمرت هذه الرسالة، وقام المسلمون من أبناء الفرس بزعامة فيروز، يعاونهم إخوانهم من العرب بشن غارة شعواء على العصاة المارقين حتى رد الله كيدهم إلى نحورهم، وعادت اليمن بالتدرج إلى جادة الحق[٢].

و- وأما من قرب منهم من المدينة واشتد خطره كبني عبس وذبيان، فإنه لم ير بدا من محاربتهم على الرغم من الظروف القاسية التي كانت تعيشها مدينة رسول الله (ﷺ)، فكان أن آوى الذراري والعيال إلى الحصون والشعاب، محافظة عليهم من غدر المرتدين[٣]، واستعد للنزال بنفسه ورجاله.

سادسًا: فشل أهل الردة في غزو المدينة:

بعد ثلاثة أيام من رجوع وفود المرتدين طرقت بعض قبائل أسد وغطفان وعبس وذبيان وبكر المدينة ليلاً وخلفوا بعضهم بذي حُسىً، ليكونوا لهم ردءًا، وانتبه حرس الأنقاب لذلك وأرسلوا للصديق بالخبر، فأرسل إليهم أن الزموا أماكنكم، ففعلوا، وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم فانفشّ العدو، فاتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسىً، فخرج عليهم الرّدء بأنحاء[٤] قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها[٥]، بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نحْي في طوله[٦]، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها - ولا تنفر الإبل في شيء نفارَها من الأنحاء- فعاجت بهم ما يملكونها، حتى دخلت بهم المدينة فلم يُصرع مسلم ولم يُصَب[٧]، وقال عبد الله الليثي وكانت بنو عبد مناة من المرتدة - وهم بنو ذبيان- في ذلك الأمر بذي القصة وبذي حسى:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ∴ فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكرا إذا مات بعده ∴ وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلا رددتم وفدنا بزمانه ∴ وهلا خشيتم حسَّ راغبة البكر

وإنّ التي سالوكمُ فمنعتمُ ∴ لكالتَّمْر أو أحلى إليّ من التمر[٨]

---

(١) البدء والتاريخ - للمقدسي (١٥٧/٥).
(٢) حركة الردة ص١٧٤.
(٣) نفس المصدر ص١٧٤.
(٤) الأنحاء: هي القِرَب.
(٥) أي دفعوها.
(٦) أي في حبله.
(٧) تاريخ الطبري (٦٥/٤).
(٨) تاريخ الطبري (٦٥/٤).

فظنّ القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصَّة بالخبر، فقدموا عليهم اعتمادًا في الذين أخبروهم، وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراده، وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهيأ، فعبّى الناس، ثم خرج على تعبية من أعجاز ليلته يمشي، وعلى ميمنته النعمان بن مُقرِّن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سُويد بن مقرن معه الرِّكاب فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًا حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامّة ظهرهم، وقتل حبالُ - أخو طليحة الأسدي- واتبعهم أبو بكر، حتى نزل بذي القَصَّة - وكان أول الفتح- ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة فذل بها المشركون، فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين، فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم، وعزَّ المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة، وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة[1].

وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم .:. كما يسعى لموتته جلال

أراح على نواهقها عليا .:. ومج لهن مهجته حبال[2]

وصمم الصديق (رضي الله عنه) على أن ينتقم للمسلمين الشهداء، وأن يؤدب هؤلاء الحاقدين ونفذ قسمه وازداد المسلمون في بقية القبائل ثباتًا على دينهم، وازداد المشركون ذلاً وضعفًا وهوانًا وبدأت صدقات القبائل تفد على المدينة، فطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان ثم الزبرقان، ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث[3] في آخره، وفي ليلة واحدة أثرت المدينة بأموال زكاة ستة أحياء من العرب، وكان كلما طلع على المدينة أحد جباة الزكاة قال الناس: (نذير) فيقول أبو بكر: (بل بشير) وإذا بالقادم يحمل معه صدقات قومه، فيقول الناس لأبي بكر: طالما بشرتنا بالخير[4]، وخلال هذه البشائر التي تحمل معها بعض العزاء، وشيئًا من الثراء، عاد أسامة بن زيد بجيشه ظافرًا، وصنع كل ما كان الرسول قد أمره به، وما أوصاه به أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)[5]، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده أريحوا وأريحوا ظهركم[6]، ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تُعرض

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٦٦) .
(٢) نفس المصدر (٤/ ٦٦) .
(٣) المصدر السابق (٤/ ٦٦) .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٦٧) .
(٥) الصديق أول الخلفاء - للشرقاوي ص٧٥ .
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧) .

نفسك! فإنك إن تُعَب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد من العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمّرت آخر، فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينّكم بنفسي[1].

لقد ظهر معدن الصديق (رضي الله عنه) النفيس في محنة الردة على أجلى صورة للقائد المؤمن الذي يقتدي قومه بنفسه، فالقائد في فهم المسلمين قدوة في أعماله، فكان من آثار هذه السياسة الصديقية أن تقوّى المسلمون وتشجعوا لحرب عدوهم، واستجابوا لتطبيق الأوامر الصادرة إليهم من القيادة[2].

لقد خرج الصديق (رضي الله عنه) في تعبيته إلى ذي حُسَ وذي القصة، والنُّعمان وعبد الله وسُويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربّذة بالأبرق، فهزم الله الحارث وعوفًا وأخذ الحطيئة أسيرًا، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر (رضي الله عنه) على الأبرق أيامًا، وقد غلب بني ذبيان على البلاد، وقال: حرام على ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله وأجلاها فلما غلب أهل الردة، ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه، وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة، وهي كانت منازلهم لينزلوها، فمنعوا منها فأتوه في المدينة، فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا! فقال: كذبتم، ليست لكم ببلاد، ولكنها مَوْهبي ونَقَذي[3]، ولم يُعْتبهم[4]، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربّذة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتال كان وقع بين الناس، وأصحاب الصدقات، وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ∴ على ذبيان يلتهب التهابا
أتيناهم بداهية نسوف[5] ∴ مع الصديق إذ ترك العتابا[6]

وهكذا يتعلم المسلمون من سيرة الصديق (رضي الله عنه) بأنه لم يكن يرغب بنفسه عن نفوس أتباعه بأي أمر من أمور الدنيا، وما اضطربت أمور المسلمين منذ زمن إلا لأنهم كانوا يعدون الرئاسة وسيلة للجاه، وبابًا لجلب المغانم ودرء المغارم، وإيثارًا للعافية، والاكتفاء بالكلمات تزجى من وراء أجهزة الإعلام، أو من غرف العمليات، بعيدًا عن المشاركة مشاركة حقيقية في قضايا الأمة المختلفة[7].

---

(١) نفس المصدر (٤/ ٦٧).
(٢) حركة الردة ص٣١٩.
(٣) النقذ: ما استنقذ من الأعداء.
(٤) أي لم يُقل عشرتهم.
(٥) أي شاقة.
(٦) أي ترك إقالة العثرات، تاريخ الطبري (٤/ ٦٧).
(٧) حركة الردة ص٣٢١.

إن خروج الصديق (رضي الله عنه) للجهاد ثلاثة مرات متتالية، يعتبر تضحية كبيرة وفدائية عالية، فقد ناشده المسلمون أن يبقى في المدينة ويبعث قائدًا على الجيش فلم يقبل بل قال: لا والله لا أفعل ولأواسينَّكم بنفسي، وهذا يدل على تواضعه الجمِّ، واهتمامه الكبير بمصلحة الأمة، وتجرده من حظ النفس، وقد أصبح بذلك قدوة صالحة لغيره، فلا شك أن خروجه للجهاد ثلاث مرات متتاليات وهو الشيخ الذي بلغ الستين من عمره قد أعطى بقية الصحابة دفعات قوية من النشاط والحيوية(١).

وقد جاء في إحدى هذه الروايات أن ضرار بن الأزور حينما أخبر أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) بخبر تجمع طليحة الأسدي قال: فما رأيت أحد - ليس رسول الله - أملأ بحرب شعواء من أبي بكر، فجعلنا نخبره ولكأنما نخبر بما له ولا عليه(٢).

وهذا وصف بليغ لما كان يتصف به أبو بكر (رضي الله عنه) من اليقين الراسخ والثقة التامة بوعد الله (تعالى) لأوليـاءه بالنصر على الأعداء والتمكين في الأرض، فأبو بكر (رضي الله عنه) لم يفُق الصحابة بكبير عمل وإنما فاقهم بحيازة الدرجات العلى من اليقين (رضي الله عنهم) أجمعين(٣).

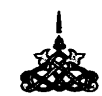
وقد روى أنه لما قيل له: لقد نزل بك ما لو نزل بالجبال لهاضها وبالبحار لغاظها وما نراك ضعفت. فقال: ما دخل قلبي رعب بعد ليلة الغار، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما رأى حزني قال: «لا عليك يا أبا بكر، فإن الله قد تكفل لهذا الأمر بالتمام»(٤)، فكان له (رضي الله عنه) مع الشجاعة الطبيعية شجاعة دينية، وقوة يقينية في الله (عزّ وجلّ)، وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين، وهذه الشجاعة لا تحصل إلا لمن كان قوي القلب، وتزيد بزيادة الإيمان وتنقص بنقص ذلك، فقد كان الصديق أقوى قلبًا من جميع الصحابة لا يقاربه في ذلك أحد منهم(٥).



(١) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/٤٨).
(٢) نفس المصدر (٩/٤٨).
(٣) المصدر السابق (٩/٤٨).
(٤) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة ص٦٩.
(٥) نفس المصدر ص٧٠.



المبحث الثالث



الهجوم الشامل على المرتدين

تعددت وسائل وطرق التصدي والمواجهة للمرتدين فكان للثابتين دور في مواجهة أقوامهم، فوقف بعض الثابتين في وجه أقوامهم واعظين لهم ومنبهين إلى خطورة ما هم مقدمون عليه من نقض ما يؤمنون به وكانت الخطوة الأولى بالكلمة، ولم تكن الكلمة في يوم من الأيام هي أضعف المواقف وإنما هي أقواها؛ لأنها تستتبع مواقف جادة لتحديد مصداقية الكلمة، وقد تؤدي الكلمة بصاحبها إلى الذبح من أجل الشهادة للكلمة التي قالها، ففي كل قبيلة حصلت فيها ردة كانت هناك بعض المواقف للذين انفعلت قلوبهم للحق وتغذت به وعاشت عليه هي التي رأت باطل ما يفعله كل قوم؛ ولهذا وقفوا لهم بالمرصاد يحذرون أقوامهم من سوء المصير الذي ينتظرهم، فما كان من قومهم إلا أن وقفوا في وجوههم ساخرين مستهزئين، ثم تمادوا إلى مطاردتهم وإخراجهم بل وقتلهم في بعض الأحيان، ونجح بعضهم بالكلمة، كعدي بن حاتم مع قومه، والجارود مع أهل البحرين[١] وسترى تفاصيل ذلك بإذن الله وعندما فشل بعض المسلمين في وعظ أقوامهم، تحولوا إلى تجمعات مسلمة ثابتة على إسلامها واتخذت لها الموقف المناسب ضد أقوامهم المرتدين، وكثير من المواقف بدأت بالكلمة، ثم انتهت إلى العمل، كما حصل لمن ثبت من بني سليم فقد حذرهم قومهم فانقسموا إلى قسمين، ثابت ومرتد.

فتجمع الثابتون وصاروا يجالدون قومهم المرتدين، وقام الأبناء في اليمن سراً بتدبير قتل الأسود العنسي - كما سيأتي تفصيله - بعد أن كان موقفهم سلبيًا في بطش الأسود العنسي، ووقف مسعود أو مسروق القيسي بن عابس الكندي ينصح الأشعث بن قيس ويدعوه لعدم الردة، ودخل بينهما حوار طويل وتحد متبادل، وهكذا صارت بعض المواقف سببًا في إرجاع قومهم عن الردة أو في تسهيل مهمة جيوش الدولة الإسلامية القادمة للقضاء على الردة[٢].

لقد اعتمدت سياسة الصديق في القضاء على الردة على الله (تعالى) ثم على ركائز قوية من القبائل والزعماء والأفراد الذين انبثوا في كافة أنحاء الجزيرة العربية، وثبتوا على إسلامهم،

---

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة - للشجاع ص٣١٣، ٣١٤ .

(٢) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣١٤، ولقد اعتمد الشجاع على كتاب الكلاعي الأندلسي في الردة .

وقاموا بأدوار هامة ورئيسية في القضاء على فتنة الردة، ولقد أخطأ بعض الكتاب عندما تناولوا فتنة الردة بشيء من التعميم أو عدم الدقة أو عدم الموضوعية أو سوء الفرض أو النظرة الجزئية[١].

إن من الحقائق الأساسية حول هذه الفتنة أنها لم تكن شاملة لكل الناس كشمولها الجغرافي، بل إن هناك قادة وقبائل وأفراد وجماعات وأفراد تمسكوا بدينهم في كل منطقة من المناطق التي ظهرت فيها الردة[٢] ولقد قام الدكتور مهدي رزق الله أحمد بدراسة عميقة وأجاب على سؤال طرحه وهو: هل كانت الردة في عهد الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) شاملة لكل القبائل العربية والأفراد والزعماء الذين كانوا مسلمين؟ أم أن هذه الفتنة قد وقعت فيها بعض القبائل وبعض الزعماء وبعض الأفراد في مناطق جغرافية مختلفة؟ وبعد البحث قال: إن أول حقيقة تستخلص من المصادر التي أشرت إليها سابقًا هي أنني لم أجد ما يدل على أن القبائل والزعماء والأفراد قد ارتدوا جميعًا على الإسلام، كما ذكر أولئك النفر الذين جعلناهم مثالاً[٣]، بل وجدت أن الدولة الإسلامية اعتمدت على قاعدة صلبة من الجماعات والقبائل والأفراد الذين ثبتوا على الإسلام وانبثوا في كافة أنحاء الجزيرة وكانوا سندًا قويًا للإسلام ودولته في قمع حركة المرتدين منهم[٤].

أولاً: المواجهة الرسمية من الدولة:

١- وسيلة الإحباط من الداخل:

كان رسول الله (ﷺ) قد استعمل هذه الوسيلة فقام بمراسلة وبعث الرسل إلى قبائل المتنبئين لتجميع الثابتين على الإسلام، وليشكل بهم جماعة تحارب الردة، وسار الصديق (رضي الله عنه) على نفس المنهج، وحاول أن يحجم ويقضي على ما يمكن القضاء عليه من بؤر المرتدين، وقام بالتوعية ضدها والتخذيل منها وتنفير الناس عنها، واستطاع أن يتصل بالثابتين على الإسلام وجعل منهم رصيدًا للجيوش المنظمة، فقد كان يعد الأمة لمواجهة منظمة مع المرتدين بعد عودة جيش أسامة، فقد راسل الصديق (رضي الله عنه) زعماء الردة والثابتين على

---

(١) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة ص٤ .

(٢) نفس المصدر ص١٩ .

(٣) التاريخ السياسي للدولة العربية - للدكتور عبد المنعم ماجد ص١٤٦، التاريخ الإسلامي العام: الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية - علي إبراهيم حسن ص٢١٩، تاريخ الدولة العربية - السيد عبد العزيز سالم ص٤٣٢، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين - الدكتور محمد السيد الوكيل ص٢١، الخلفاء الراشدون - محمد أسعد طلس ص٢٠، أبو بكر الصديق - لعلي الطنطاوي ص١٦، إتمام الوفاء في سير الخلفاء - محمد الخضري بك ص٢١، عصر الصديق - شبير أحمد محمد علي الباكستاني ص١٥٩، ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي الأول - محمد بريغش ص١٠٠-١٠١، الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل ص١٧٣ .

(٤) الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة ص١٩ .

الإسلام ليحقق بعض الأهداف، ككسب الوقت حتى يرجع جيش أسامة، فكتب إلى من كتب إليهم رسول الله (ﷺ) باليمن وغيرها[١]، ليبذلوا جهدهم لدعوة الثابتين إلى الإسلام، وطلب من الثابتين التجمع في مناطق حددها لهم حتى يأتيهم أمره، وكان هذا الترتيب بداية للخطة العسكرية القادمة[٢]، وقد حالف التوفيق بعض الثابتين بالوصول إلى المدينة ومعهم صدقاتهم مثل عدي بن حاتم الطائي، والزبرقان بن بدر التميمي[٣]، وتمكن الثابتون من إفشال حركة قيس بن مكشوح المرادي، وبعض التجمعات القبلية في تهامة وبلاد السراة ونجران وقد حققت هذه الوسيلة بعض النتائج منها:

أ- نجحت خطة الصديق في تحقيق حملات التوعية والدعاية والتعضيد للمسلمين، والتخذيل لقوى المرتدين، تمهيدًا لاتخاذ الوسيلة الأخرى حينما تتوفر لها الإمكانات: وهي أداة الجيوش المنظمة.

ب- أنها حققت أغراضها من حيث التربية وإعداد الثابتين على الإسلام ليكونوا قوادًا في حركة الفتوح الإسلامية فيما بعد، كعدي بن حاتم الطائي أحد قواد فتوح العراق.

جـ- تكوين قوى مسلمة مرابطة في بعض المراكز التي حددها لهم الصديق (رضي الله عنه) لتنضم بعد ذلك إلى الجيوش القادمة.

د- القضاء على بعض مناطق الردة ولو بمحدودية ضيقة مثل ما حصل في جنوب الجزيرة العربية.

٢- إرسال الجيوش المنظمة:

لما وصل جيش أسامة بعد شهرين وقيل أربعين يومًا - من مسيرهم واستراحوا خرج أبو بكر الصديق بالصحابة (رضي الله عنهم) إلى (ذي القَصَّة) وهي على مرحلة من المدينة، وذلك لقتال المرتدين والمتمردين، فعرض عليه الصحابة أن يبعث غيره على القيادة وأن يرجع إلى المدينة ليتولى إدارة أمور الأمة وألحّوا عليه بذلك، ومما رُوي في هذا الموضوع ما قالته عائشة: خرج أبي شاهرًا سيفه راكبا راحلته إلى وادي ذي القصة، فجاء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد[٤]، لُمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا، فرجع[٥] وقد قسم أبو بكر (رضي الله عنه) الجيش الإسلامي إلى أحد عشر لواء وجعل على كل لواء أميرًا[٦]،

---

(١) دراسات في عهد النبوة - للشجاع ص٣١٩ .

(٢) نفس المصدر ص٣١٩ .

(٣) المصدر السابق ص٣١٩ نقل عن الكلاعي: تاريخ الردة ص١٠، ١٢ .

(٤) يقصد قوله لأبي بكر لما أراد أن يبارز ابنه عبد الرحمن شمّ سيفك وارجع إلى مكانك .

(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣١٩) .

(٦) التاريخ الإسلامي (٩/ ٤٩) .

وأمر كل أمير جند باستنفار من مرّ به من المسلمين التابعين من أهل القرى التي يمر بها وهم:

١- جيش خالد بن الوليد إلى بني أسد، ثم إلى تميم، ثم إلى اليمامة.

٢- جيش عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة في بني حنيفة، ثم إلى عمان والمهرة، فحضرموت، فاليمن.

٣- جيش شرحبيل بن حسنة إلى اليمامة في إثر عكرمة ثم حضرموت.

٤- جيش طريفة بن حاجز إلى بني سليم من هوازن.

٥- جيش عمرو بن العاص إلى قضاعة.

٦- جيش خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.

٧- جيش العلاء بن الحضرمي إلى البحرين.

٨- جيش حذيفة بن محصن الغلفاني إلى عمان.

٩- جيش عرفجة بن هرثمة إلى مهرة.

١٠- جيش المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن (صنعاء ثم حضرموت).

١١- جيش سويد بن مقرن إلى تهامة اليمن[١].

وهكذا اتخذت قرية (ذي القصة) مركز انطلاق أو قاعدة تحرك للجيوش المنظمة التي ستقوم بالتحرك إلى مواطن الردة للقضاء عليها، وتنبئ خطة الصديق (رضي الله عنه) عن عبقرية فذة، وخبرة جغرافية دقيقة،[٢] ومن خلال تقسيم الألوية وتحديد المواقع، يتضح أن الصديق (رضي الله عنه) كان جغرافيًا دقيقًا خبيرًا بالتضاريس، والتجمعات البشرية، وخطوط مواصلات جزيرة العرب، فكأن الجزيرة العربية صوّرت مجسم واضح نصب عينيه في غرفة عمليات مجهزة بأحدث وسائل التقنية، فمن يتمعّن تسيير الجيوش ووجهه كلٍ منها، واجتماعها بعد تفرقها، وتفرقها لتجتمع ثانية، يرى تغطية سليمة رائعة صحيحة مثالية لجميع أرجاء الجزيرة، مع دقة في الاتصال مع هذه الجيوش، فأبو بكر في كل ساعة يعلم أين مواقع الجيوش، ويعلم دقائق أمورها وتحركاتها، وما حققت، وما عليها في غد من واجبات، والمراسلات دقيقة وسريعة، تنقل أخبار الجبهات إلى مقرِّ القيادة في المدينة حيث الصديق وكان على صلة مستمرة مع جيوشه كلها، وبرز من المراسلين العسكريين ما بين الجبهات وبين مقرِّ القيادة: أبو خيثمة النجّاري الأنصاري، وسلمة بن سلامة، وأبو برزة الأسلمي، وسلمة بن وقش[٣].

وكانت الجيوش التي بعثها الصديق متماسكة وهي إحدى إنجازات الدولة الهامة، إذ جمعت تلك الجيوش بين مهارة القيادة وبراعة التنظيم، فضلاً عن الخبرة في القتال صهرتها

---

(١) تاريخ الطبري (٤/٦٨)، دراسات في عصر النبوة ص٣٢١ .

(٢) دراسات في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص٣٢١ .

(٣) في التاريخ الإسلامي - شوقي أبوخليل ص٢٢٦، ٢٢٧ .

الأعمال العسكرية في حركة السرايا والغزوات التي تعدى بعضها شبه الجزيرة في زمن النبي (ﷺ)، فقد كان الجهاز العسكري لدولة الصديق (رضي الله عنه) متفوقًا على كل القوى العسكرية في الجزيرة[١]، وكان القائد العام لهذه الجيوش سيف الله المسلول خالد بن الوليد صاحب العبقرية الفذة في حروب الردة، والفتوحات الإسلامية كان هذا التوزيع للجيوش وفق خطة استراتيجية هامة مفادها، أن المرتدين لا زالوا متفرقين كلٌّ في بلده ولم يحصل منهم تحزب ضد المسلمين بالنسبة للقبائل الكبيرة المتباعدة في المكان أولاً، لأن الوقت لم يكن كافيًا للقيام بعمل كهذا حيث لم يمضي على ارتدادهم إلا ما يقرب من ثلاثة شهور، وثانيًا لأنهم لم يدركوا خطر المسلمين عليهم وأنهم باستطاعتهم أن يكتسحوهم جميعًا في شهور معدودة، ولذلك أراد الصديق أن يعاجلهم بضربات مفاجئة تقضي على شوكتهم وقوتهم قبل أن يجتمعوا في نصرة باطلهم[٢]، فعالجهم قبل استفحال فتنتهم ولم يترك لهم فرصة يطلون منها برؤوسهم، ويمدون ألسنتهم يلذعون بها الجسم الإسلامي وبذلك طبق الحكمة القائلة:

لا تقطعنّ ذنب الأفعى وترسلها ∴ إن كنت شهمًا فاتبع رأسها الذنبا[٣]

فقد أدرك حجم الحدث وأبعاده، ومدى خطورته، وعلم أنه إن لم يفعل كذلك فسيوشك الجمر أن ينتفض من تحت الرماد فيحرق الأخضر واليابس كما قال الأول:

أرى تحت الرماد وميض نار ∴ ويوشك أن يكون له ضرام[٤]

فقد كان (رضي الله عنه) السياسي الماهر والعسكري المحنَّك الذي يقدر الأمور ويضع لها الخطط المباشرة.

انطلقت الألوية التي عقدها الصديق ترفرف عليها أعلام التوحيد مصحوبة بدعوات خالصة من قلوب تعظم المولى (عزَّ وجلَّ) وتشربت معاني الإيمان ومن حناجر لم تلهج إلا بذكر الله تعالى، فاستجاب الله جلَّ وعلا هذه الدعوات النقية، فأنزل عليهم نصره وأعلى بهم كلمته وحمى بهم دينه حتى دانت جزيرة العرب للإسلام في شهور معدودة[٥].

هذا وقد كتب أبو بكر الصديق كتابًا واحدًا إلى قبائل العرب من المرتدين والمتمردين، فدعاهم إلى العودة إلى الإسلام وتطبيقه كاملاً كما جاء من عند الله (تعالى) ثم حذرهم من سوء العاقبة فيما لو ظلوا على ما هم عليه في الدنيا والآخرة، وكان قويًا في إنذارهم، وهذا هو المناسب لشدة انحرافهم وقوة تصلبهم في التمسك بباطلهم، فكان لابد من إنذار شديد يتبعه عمل جريء قوي لإزالة الطغيان الذي عشَّش في أفكار زعماء تلك القبائل والعصبية

---

(١) من دولة عمر إلى دولة عبد الملك - إبراهيم بيضون ص٢٨ .
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ٥١) .
(٣) حركة الردة ص٣١٢ - للعتوم .
(٤) نفس المصدر ص٣١٣ .
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٥١) .

العمياء التي سيطرت على أفكار أتباعهم[١].

٣- نص الخطاب الذي أرسله للمرتدين والعهد الذي كتبه للقادة:

بعد التنظيم الدقيق، وحسن الإعداد للجيوش الإسلامية التي عقد لها الصديق الألوية، نجد الدعوة البيانية القولية تطل لتقوم بدورها، وتدلي بدلوها، فقد حرر الصديق كتابًا عامًا ذا مضمون محدد سعى إلى نشره على أوسع نطاق ممكن في أوساط من ثبتوا على الإسلام ومن ارتدوا عنه جميعًا قبل تسيير قواته لمحاربة الردة وبعث رجالاً إلى محل القبائل وأمرهم بقراءة كتابه في كل مجمع وناشد من يصله مضمون الكتاب بتبليغه لمن لم يصل إليه وحدد الجمهور المخاطب به بأنه: العامة والخاصة، من أقام على إسلامه أو رجع عنه[٢] وهذا نص الكتاب الذي بعثه الصديق (رضي الله عنه):

بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، نُقرُّ بما جاء به، ونكفِّر من أبى ونجاهده. أما بعد، فإن الله (تعالى) أرسل محمدًا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله (ﷺ) بإذنه[٣] من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكَرهًا، ثم توفى الله رسوله (ﷺ) وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فمن كان إنما يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، يجريه وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم (ﷺ)، وأن تهتدوا بهُداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من يعافه مُبتلى، وكل من لم يُعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديًا ومن أضله كان ضالاً، قال الله (تعالى): ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به اغترارًا بالله،

---

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ٥٥).

(٢) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام - السيد عمر ص٢٦٢.

(٣) بإذن الله (تعالى).

وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله (تعالى): ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال الله (تعالى): ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وإني بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكفّ وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن تبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان: فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم، وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم[1].

ونلحظ في خطاب أبي بكر أنه كان يدور حول محورين:

أ- بيان أساس مطالبة المرتدين بالعودة إلى الإسلام.

ب- بيان عاقبة الإصرار على الردة[2].

وقد أكد الكتاب على عدة حقائق هي:

- أن الكتاب موجه إلى العامة والخاصة ليسمع الجميع دعوة الله.
- بيان أن الله بعث محمدًا بالحق فمن أقر به كان مؤمنًا، ومن أنكر كان كافرًا يجاهد ويقاتل.
- بيان أن محمدًا، بشر قد حق عليه قول الله: إنك ميت، وأن المؤمن لايعبد محمدًا (ﷺ) وإنما يعبد الله الحي الباقي الذي لا يموت أبدًا؛ ولذلك لا عذر لمرتد[3].
- إن الرجوع عن الإسلام جهل بالحقيقة واستجابة لأمر الشيطان، وهذا يعني أن يتخذ العدو صديقًا، وهو ظلم عظيم للنفس السوية، إذ يقودها صاحبها بذلك إلى النار عن طواعية.
- إن الصفوة المختارة من المسلمين وهم المهاجرون والأنصار وتابعوهم هم الذين ينهضون لقتال المرتدين غيرة منهم على دينهم، وحفاظًا عليه من أن يهان.
- إن من رجع إلى الإسلام، وأقر بضلاله، وكف عن قتال المسلمين وعمل من الأعمال ما يتطلبه دين الله، فهو من مجتمع المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٦٩، ٧٠، ٧١).

(٢) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ص٢٦٢.

(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٠.

● إن من يأبى الرجوع إلى صف المسلمين، ويثبت على ردته، إنما هو محارب لابد من شن الغارة عليه: تقتله أو تحرقه وتسبي نساءه وذراريه، ولن يعجز الله بأية حال، لأنه أنى ذهب، في ملكه.

● إن الشارة التي ينجو بها المرتدون من غارة المسلمين أن يعلن فيهم الأذان، وإلا فالمعالجة بالقتال هي البديل[١] وحتى لا يترك الخليفة الأمر للقادة والجند بغير انضباط، كتب للقواد جميعًا كتابًا واحدًا، يدعوهم فيه إلى الالتزام بمضمون كتابه السابق هذا نصه: ... هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجدّ في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا يُنظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله (عز وجل) وأقرّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يتقبل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسربه، ومن لم يجب داعية الله قُتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغَمهُ، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرّ قبلٍ منه وعلّمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسّم ما أفاء الله عليهم، إلا الخُمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يُدخل فيهم حَشْوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونًا، ولئلا يُؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يُعجِّل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول[٢].

وفي هذا العهد الذي ألزم به قوّاده يظهر حرص الصديق على إلزام أمرائه في حرب الردة بتعليمات أساسية مكتوبة موحدة نصت بوضوح لا يحتمل اللبس على حظر القتال قبل الدعوة إلى الإسلام، والإمساك عن قتال من يجيب والحرص على إصلاحهم وحظر مواصلة القتال بعد أن يقروا بالإسلام والتحول عند هذه النقطة من القتال إلى تعليمهم أصول الإسلام وتبصيرهم بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وحظر المهادنة أو رد الجيش عن محاربة المرتدين ما لم يفيئوا إلى أمر الله.

والتزم الجيش الإسلامي في التنفيذ بمبدأ الدعوة قبل القتال والإمساك عن القتال بمجرد إجابة الدعوة باعتبار أن الغاية الوحيدة هي عودة المرتدين إلى الذي خرجوا منه، وتلمسًا لتحقيق أقصى درجة من التوافق في صفوف القوات الإسلامية التي نيط بها القضاء على ظاهرة الردة أمضى الصديق هذا العهد مع أمراء الجيوش الإسلامية، يطلب من الجيش أن يكون

---

(١) حركة الردة - للعتوم ص١٧٦، ١٧٧ .

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٧١، ٧٢) .

سلوكه ذاته خير دعوة للمهمة المسندة إليه، وأن يتطابق تمامًا مع هدف واحد هو الدفاع عن الإسلام(١).

إن اقتداء أبي بكر (رضي الله عنه) برسول الله (ﷺ) علمه فن القيادة، ونجاح القائد في قيادته يتوقف على مدى نجاحه في جنديته، ولقد كان أبو بكر نعم الجندي في جيش المسلمين، مخلصًا في ولائه لرسول الله (ﷺ)، يطبق ما يقوله بحذافيره، مضحيًا في سبيله لم يفر عنه في معركة قط، ونستطيع أن ندرك دقة آرائه القيادية وبعد مرماها من وصاياه لقواده وخططه العامة التي رسمها لهم أثناء تحركهم لضرب قوات العدو(٢). لقد كانت أول وصية أوصاهم بها تتركز على النقاط التالية:

- أن يلزموا أنفسهم تقوى الله (عز وجل) ومراقبته في السر والعلن، وهذا عين الصواب في هذه السياسة الرشيدة لأن القائد إذا ألزم نفسه تقوى الله (عز وجل) كان معه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].
- الجد والاجتهاد وإخلاص النية لله (سبحانه)، وتلك أخلاق المنصورين الفائزين(٣) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].
- أن لا يقبل من المرتدين إلا الإسلام أو القتل، إذ لا مهادنة في أمر العقيدة.
- تقسيم الغنائم بين الجند مع الاحتفاظ بحق بيت المال منها وهو خمسها.
- أن لا يتعجلوا في التصرف حيال القضايا التي تواجههم، حتى لا تأتي حلولهم فجة.
- أن يحذروا من أن يدخل بينهم غريب ليس منهم، كيلا يكون جاسوسًا عليهم.
- أن يرفقوا بجندهم ويتفقدوهم في المسير والنزول، وأن لا ينفرط بعضهم عن بعض.
- وأن يستوصوا بهؤلاء الجند خيرًا في الصحبة(٤).

ويمكننا من خلال الدراسة أن نستخلص الخطة العامة بعد أن عقد الصديق الألوية لقادة الجيوش والتي تتلخص في النقاط الآتية:

أ- ضمنت الخطة أحكام التعاون بين هذه الجيوش جميعها بحيث لا تعمل كأنها منفصلة تحت قيادة مستقلة وإنما هي رغم تباعد المكان جهاز واحد، وقد تلتقي - أو يلتقي بعضها ببعض - لتفترق، ثم تفترق لتلتقي، كان ذلك والخليفة بالمدينة يدير حركة القتال ومعاركه.

ب- احتفظ الصديق بقوة تحمي المدينة - عاصمة الخلافة- واحتفظ بعدد من كبار الصحابة ليستشيرهم، وليشاركوه في توجيه سياسة الدولة.

---

(١) الدور السياسي للصفوة ص٢٦٣ .
(٢) حركة الردة - للعتوم ص١٧٩ .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩١، ٢٩٢ .
(٤) حركة الردة - للعتوم ص١٧٩ .

جـ- أدرك الصديق أن هناك جيوشًا من المسلمين داخل المناطق التي شملتها حركة العصيان والردة، وقد حرص على هؤلاء المسلمين من أن يتعرضوا لنقمة المشركين، ولذلك فإنه أمر قادته باستنفار من يمرون بهم من أهل القوة من المسلمين من جهة، وبضرورة تخلف بعضهم لمنع بلادهم وحمايتها من جهة أخرى.

د- طبق الخليفة مبدأ الحرب خدعة مع المرتدين، حتى أظهر أن الجيوش تنوي شيئًا وهي في حقيقة الأمر كانت تستهدف شيئًا آخر، زيادة في الحيطة والحذر من اكتشاف خطته[١] وهكذا تظهر الحنكة السياسية، والتجربة العملية، والعلم الراسخ، والفتح الرباني في قيادة الصديق (رضي الله عنه)

ثانيًا: القضاء على فتنة الأسود العنسي وطليحة الأسدي ومقتل مالك بن نويرة:

١- القضاء على الأسود العنسي وردة اليمن الثانية:

اسمه: عبهلة بن كعب ويكنى بذي الخمار؛ لأنه كان دائمًا معتمًا متخمرًا بخمار[٢]، ويعرف بالأسود العنسي لاسوداد في وجهه وتكمن قوة الأسود في ضخامة جسمه وقوته وشجاعته، واستخدم الكهانة والسحر والخطابة البليغة، فقد كان كاهنًا مشعوذًا، وكان يري قومه الأعاجيب، ويسبي قلوب من سمع منطقه، واستخدم الأموال للتأثير على الناس[٣].

وما أن انتشر خبر مرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد مقدمه من حجة الوداع حتى ادعى الأسود العنسي النبوة، وقيل: إنه أطلق على نفسه (رحمان اليمن) كما تسمى (مسيلمة) (رحمان اليمامة).[٤] وأنه كان يدعي النبوة ولا ينكر نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكان يزعم أن ملكين يأتيانه بالوحي وهما: سحيق وشقيق - أو شريق[٥]- وكان قبل أن يظهر مخفيًا أمره يجمع حوله من يراه مناسبًا، حتى فاجأ الناس بظهوره[٦]، وكان أول من تبعه: أبناء قبيلته وهم (عنس)[٧]، ثم كاتب زعماء قبيلة (مَذحِج) فتبعه العوام منهم[٨]، وبعض زعمائهم من طالبي الزعامة وقد عمل على إثارة العصبية القبلية؛ لأنه من (عنس) وهي بطن من بطون قبيلة (مذحج) وقد راسله بنو الحارث بن كعب من أهل نجران وهم يومئذ - مسلمون- فطلبوا منه أن يأتيهم في بلادهم فجاءهم فاتبعوه لكونهم لم يسلموا رغبة، وتبعه أناس من (زبيد) و(أود) (مَسْلِيَة)، و(حكم بنى سعد العشيرة)، ثم أقام بنجران بعض الوقت، وقوى أمره بعد أن انضم إليه عمرو

(١) الأبعاد لمفهوم الأمن في الإسلام - مصطفى محمود منجود ص١٦٩ .
(٢) الكامل في التاريخ (٢/١٧) .
(٣) عصر الخلافة الراشدة - للعمري ص٣٦٤ .
(٤) اليمن في صدر الإسلام - للشجاع ص٢٥٦ .
(٥) البدء والتاريخ (٥/ ١٥٤) .
(٦) اليمن في صدر الإسلام ص٢٥٧ .
(٧) فتوح البلدان - للبلاذري (١/ ١٢٥) .
(٨) تاريخ الردة - للكلاعي ص١٥١، ١٥٢ .

ابن معد يكرب الزبيدي، وقيس بن مكشوح المرادي، وتمكن من طرد فروة بن مسيك من مراد، وعمرو بن حزم من نجران، واستهوته فكرة السيطرة على صنعاء فخرج إليها بست مائة - أو سبع مائة- فارس معظمهم من (بني الحارث بن كعب) و(عنس)[١].

فتقابل مع أهل صنعاء وعليهم (شهر بن باذان الفارسي)، وكان قد أسلم مع أبيه - في منطقة خارج صنعاء تسمى منطقة (شعوب)، فتقاتلوا قتالاً شديدًا فقتل (شهر بن باذان) وانهزم أهل صنعاء أمام الأسود العنسي فغلب عليها ونزل قصر (غمدان) بعد خمسة وعشرين يومًا من ظهوره[٢].

وكان له مواقف بشعة في تعذيب المستمسكين بالإسلام فقد أخذ أحد المسلمين ويسمى - النعمان - فقطعه عضوًا عضوًا[٣]، ولهذا تعامل معه المسلمون الذين كانوا في المناطق التي يديرها بالتَّقِيَّة[٤].

أما بقية المسلمين خارج نطاق سيطرته، فقد حاولوا التجمع وإعادة الانتظام إلى صفوفهم، فكان فروة بن مسيك المرادي قد انحاز إلى مكان يسمى (الأحسية)[٥]، وانضم إليه من انضم من المسلمين، وكتب إلى رسول الله (ﷺ) بخبر الأسود العنسي فكان أول من أبلغ الرسول (ﷺ) بذلك، وانحاز كل من أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى حضرموت في جوار (السَّكاسك والسَّكون)[٦].

وقد راسل رسول الله (ﷺ) الثابتين على الإسلام لمواجهة ردة الأسود وأمرهم بالسعي للقضاء عليه إما مصادمة أو غيلة، ووجه كتبه ورسله إلى بعض زعماء (حمير)، و(همدان) بأن يتكاتفوا ويتوحدوا ويساعدوا (الأبناء)[٧] ضد (الأسود العنسي)، فأرسل (وبر بن يخنس) إلى (فيروز الديلمي، وجشيمش الديلمي، وداذويه الأصطخري) وبعث (جرير البجلي) إلى (ذي الكلاع، وذي ظليم) الحميريين، وبعث (الأقرع بن عبد الله الحميري) إلى (ذي زود، وذي مران) الهمدانيين، وكذلك كتب إلى أهل نجران من الأعراب وساكني الأرض من غيرهم[٨]، وبعث (الحارث بن عبد الله الجهني) إلى اليمن قبيل وفاته فبلغته وفاة الرسول (ﷺ) وهو في اليمن[٩] ولم تبين المصادر إلى أين بعث إلا أنه من الممكن أنه بعث إلى (معاذ

---

(١) تاريخ الردة - للكلاعي ص١٥١، ١٥٢ .
(٢) البدء والتاريخ (٥/ ٢٢٩) .
(٣) ابن سعد - في الطبقات (٥/ ٥٣٥) .
(٤) اليمن في صدر الإسلام - للشجاع ص٢٥٨ .
(٥) الأحسية: موضع باليمن . انظر: ياقوت - المعجم (١/ ١١٢) .
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ٤٩، ٥٠) .
(٧) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧١ .
(٨) تاريخ الطبري (٤/ ٥٢) .
(٩) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧١ .

ابن جبل) لأنه تلقى كتابًا من رسول الله (ﷺ) يأمره فيه بأن يبعث الرجال لمحاولة ومصاولة (الأسود العنسي) للقضاء عليه[١]، كما تلقى (أبو موسى الأشعري) و(الطاهر بن أبي هالة) كتابًا من رسول الله (ﷺ) ليواجهوا (الأسود) بالغَيْلَة أو المصادمة[٢]، وكان لهذا العمل من جانب الرسول (ﷺ) أثر كبير، فقد تماسك من بعث إليهم في حياته وبعد موته، فلم يَعهد عنهم أنهم ارتدوا أو تزلزلوا، فقد كتب زعماء (حمير) وزعماء (همدان) إلى الأبناء باذلين لهم المعونة والمساعدة، وفي الوقت نفسه تجمع أهل (نجران) في مكان واحد للتصدي لأي حركة من جانب (الأسود العنسي)، وحينئذ أيقن هذا أنه إلى هلاك[٣].

وظلت المكاتبات تتولى بين (الهمدانيين) و(الحميريين) وبين (معاذ بن جبل) وبعض الزعماء اليمنيين، ومن المحتمل أن بعض المكاتبات تمت بين (الأبناء) وبين (فروة بن مسيك)؛ لأنه كان له دور في قتل (الأسود العنسي)[٤]، ولكن كان أول من أعترض على (العنسي) هو (عامر بن شهر الهمداني).

وهكذا تجمعت كل قوى الإسلام في اليمن للقضاء على (الأسود العنسي) ويظهر أنهم كانوا مجمعين على أن يقوموا بمقتله لعلمهم أنه بمجرد أن يقتل لن يبقى لأتباعه أي كيان فيسهل التخلص منهم حينئذ، ولهذا وافقوا على خطة (الأبناء) بأن لا يقوموا بأي شيء حتى يبرموا الأمر من داخلهم.

واستطاع (الأبناء) فيروز وداذويه أن يتفقوا مع (قيس بن مكشوح المرادي) - وكان قائد جند العنسي- للتخلص من (الأسود العنسي)؛ لأنه كان على خلاف معه ويخشى أن يتغير عليه[٥]، وقد ضموا إلى صفهم زوجة (الأسود العنسي) (آزاد الفارسية) والتي كانت زوج شهر ابن باذان وابنة عم فيروز الفارسي، فقد اغتصبها كذّاب اليمن بعد أن قتل زوجها، فهبت لإنقاذ دينها من براثن وحوش الجاهلية بكل عزم وتصميم، فدبرت مع المسلمين المناوئين للأسود خطة اغتيال هذا الطاغية المتأله[٦]، ومهدت لهم السبيل لقتله على فراش نومه[٧]، وحينما قتل (الأسود) ألقي برأسه بين أصحابه فانتابهم الرهبة وعمهم الخوف، ففروا هاربين[٨].

وأتى الخبر النبي (ﷺ) من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا، فقال: «**قتل**

---

(١) نفس المصدر ص٢٧٢ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥١).
(٣) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٢ .
(٤) نفس المصدر ص٢٧٢ .
(٥) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٢، ٢٧٣ .
(٦) حركة الردة - للعتوم ص٣٠٩ .
(٧) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٣ .
(٨) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٣ .

العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين». قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز، فاز فيروز»[١].

وقد فصَّل خطة اغتيال الأسود العنسي الدكتور صلاح الخالدي في كتابه «صور من جهاد الصحابة» عمليات جهادية خاصة تنفذها مجموعة خاصة من الصحابة[٢] وظل أمر (صنعاء) مشتركًا بين (فيروز، وداذويه، وقيس بن مكشوح) إلى أن جاء معاذ بن جبل إلى (صنعاء) فارتضوا أن يكون هو الأمير عليهم ولكنه لم يمكث إلا ثلاثة أيام يصلي بهم حتى بلغهم خبر وفاة رسول الله (ﷺ)[٣]، وكانت تفاصيل مقتل (العنسي) قد خرجت من صنعاء، فوصلت إلى الصديق بعد أن خرج جيش أسامة وكان هذا أول فتح أتى أبا بكر وهو في المدينة[٤].

ب- وعين أبو بكر (فيروز الديلمي) واليًا على صنعاء وكتب إليه بذلك، ولم يول (أبو بكر) (قيسًا) لأنه كان ممن مالأ الأسود العنسي وتابعه مخلصًا، عصبية لمذحج أو رغبة في الزعامة - وكان مبدأ أبي بكر عدم الاستعانة بمن ارتد[٥]، وجعل كل من داذويه، وجشيش، وقيس بن مكشوح مساعدين لفيروز، فتغيرت نفس قيس بن مكشوح المرادي، فعمل على قتل زعماء الأبناء الثلاثة، وقد تمكن من قتل (داذويه) سواء بنفسه أو بإيعاز منه- فتنبه لذلك (فيروز) فهرب إلى أخواله في (خولان)[٦]، فما كان من قيس إلا أن أثارها عصبية (جنسية) فحاول جمع زعماء بعض القبائل ضد (الأبناء) مدعيًا أنهم متحكمون فيهم، وأنه يرى قتل رؤسائهم وإجلاء بقيتهم، ولكن أولئك الزعماء وقفوا على الحياد فلم ينحازوا إليه ولا إلى الأبناء وقالوا له: أنت صاحبهم وهم أصحابك؛ فلما يئس منهم عاد فكاتب فلول (الأسود العنسي) سواء الذين بقوا متذبذبين بين صنعاء ونجران، أو ممن انحاز إلى لحج، فطلب منهم الالتقاء بهم - ليكونوا جميعًا- على أمر واحد وهو نفي (الأبناء) فلم يشعر أهل صنعاء إلا وهم محاطون بتلك الفلول، ثم حرص (قيس) على تجميع (الأبناء) تمهيدًا لنفيهم[٧].

وعندما وصل فيروز الديلمي إلى خولان كتب من هناك إلى أبي بكر (رضي الله عنه) يخبره بما حصل من قيس، فما كان منه إلا أن كتب إلى الزعماء الذين كتب إليهم رسول الله (ﷺ)، وكانت صيغة الكتاب واضحة صريحة وهي: (أعينوا الأبناء على من ناوأهم، وحوطوهم، واسمعوا من فيروز، وجدوا معه فإني قد وليته)[٨].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥).
(٢) صور من جهاد الصحابة - للخالدي ص٢١١ إلى ٢٢٨.
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٦).
(٤) البلاذري - فتوح البلدان (١/ ١٢٧).
(٥) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٥.
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ١٤٠).
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ١٤٠)، اليمن في صدر الإسلام ص٢٦٤.
(٨) تاريخ الطبري (٤/ ١٤١).

كان الصديق في نهجه هذا يستهدف أمرين متلازمين:

• أنه جعله خطة حربية حيث كان جيش أسامة بن زيد قد خرج إلى الشام، وكان الخليفة ينتظر عودته حتى يتسنى له مواجهة أعنف موجات الردة في اليمامة والبحرين وعمان وتميم، وهي أشد وأعنف من موجات الردة في اليمن التي اكتفى بمعالجة بعضها بالرسائل والرسل.

• وأما الهدف الآخر فهو إعطاء الفرصة لمن ثبت على الإسلام لكي يبرهن على صدق إسلامه، ولكي يزداد ثباتًا واستمساكًا بدينه ما دام هو صاحب المسؤولية والمتحمل لأمانة إقرار الإسلام فيمن حوله، خاصة أن من راسلهم أبو بكر كانوا هم الذين راسلهم رسول الله (ﷺ) من قبل، وقد ثبتوا وقاموا بما طُلب منهم[١]، وقام فيروز بالاتصال ببعض القبائل يستمدهم ويستنصرهم وعلى رأس هؤلاء (بنو عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ثم أرسل إلى قبيلة[٢] للغرض نفسه، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) قد أرسل إلى الطاهر بن أبي هالة[٣] وإلى مسروق العكي - وكانا بين عك والأشعريين- أن يمدا الأبناء بالمعونة، فخرج كل من جهته وعملوا جميعًا للحيلولة دون تنفيذ مخطط قيس وهو طرد الأبناء وإخراجهم من اليمن فأنقذوهم ثم تكتلوا وتوجهوا نحو صنعاء جميعًا، فاصطدموا به حتى اضطر إلى ترك صنعاء، وعاد إلى ما كان عليه أصحاب الأسود العنسي وهو التذبذب بين نجران وصنعاء ولحج إلا أنه انضم إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وبهذا عادت صنعاء للمرة الثانية إلى الهدوء والاستقرار عن طريق الرسل والكتب[٤].

ج- واستمر الصديق (رضي الله عنه) يتابع سياسة الإحباط من الداخل وهي ما يعبر عنها المؤرخون بقولهم: (ركوب من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الإسلام)[٥].

ففي ردة (تهامة اليمن) تم القضاء عليها بدون مجهود يذكر من قبل الخليفة، فقد تولاها المسلمون من أبناء تهامة مثل (مسروق) العكي الذي قاتل المرتدين بقومه من عك، وكان على رأس من قضى على ردة تهامة (الطاهر بن أبي هالة) الذي كان واليًا للرسول (ﷺ) على جزء من تهامة وهي موطن (عك والأشعريين)[٦]، ثم أمر أبو بكر (عكاشة بن ثور) أن يقيم في (تهامة) ليجمع حوله أهلها حتى يأتيه أمره[٧]، وأما بجيلة فإن أبا بكر (رضي الله عنه) رد جرير بن عبد الله[٨]، وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام

---

(١) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٥ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٤٤) .
(٣) نفس المصدر (٤/ ١٤٢) .
(٤) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٧ .
(٥) اليمن في صدر الإسلام ص٢٧٧ .
(٦) نفس المصدر ص٢٧٧ .
(٧) نفس المصدر السابق .
(٨) البجلي يكنى أبو عمرو: أسلم في السنة العاشرة من الهجرة .

وأن يأتي خشعم فيقاتل من ارتد منهم، فخرج جرير وفعل ما أمره به الصديق (رضي الله عنه)، فلم يقم له أحد إلا نفر يسير، فقتلهم وتتبعهم[١].

وكان بعض (بني الحارث بن كعب) بنجران قد تابعوا الأسود العنسي وبعد وفاة رسول الله (ﷺ) بقوا مترددين فخرج إليه (مسروق العكي) وهو يزمع مقاتلتهم فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا من غير قتال، فأقام فيهم ليعمل على استتباب الأمور فلم يأته (المهاجر بن أبي أمية) إلا وقد ضبط نجران[٢].

وقد نجحت سياسة الإحباط من الداخل وتوّجه الصديق بإرسال الجيوش بعد عودة جيش أسامة.

جيش عكرمة:

بعد أن شارك في القضاء على ردة أهل عمان توجه نحو مهرة حسب أمر أبي بكر وكان معه سبع مئة فارس[٣]، فوق ما جمع حوله من قبائل عمان، وحينما دخل مهرة وجدها مقسمة بين زعيمين متناحرين: أحدهما يسمى شخريت ويتمركز في الساحل الساحلي، وهو أقل الجمعين عددًا وعدة. والآخر يسمى المصبح ونفوذه على المناطق المرتفعة وهو أكبر الجمعين، فدعاهما عكرمة إلى الإسلام فاستجاب صاحب السهل الساحلي، وأما الآخر فقد اغتر بجموعه فأبى، فصادمه عكرمة ومعه (شخريت) فلحقته الهزيمة وقتل ومعه الكثير من أصحابه، ثم أقام عكرمة فيهم يجمعهم ويقيم شؤونهم حتى جمعهم على الذي يجب، حيث بايعوا على الإسلام وأمنوا واستقروا[٤]. وكان قد تلقى كتابًا من أبي بكر يأمره بالاجتماع مع المهاجر بن أبي أمية القادم من (صنعاء) ليتوجها معًا إلى كندة، فخرج من مهرة حتى نزل أبين وبقي هناك ينتظر المهاجر، وعمل وهو هناك على جمع (النَخَع) وحمير وتثبيتهم على الإسلام[٥]، وكان لوصول عكرمة إلى أبين أثر على بقية فلول الأسود العنسي وعلى رأسهم قيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب، فبعد هروب قيس من صنعاء بقي مترددًا بينهما وبين نجران، وكان (عمرو بن معد يكرب) قد انضوى إلى فلول العنسي التي أطلق عليها الفلول اللحجية؛ لأن وجهتهم كانت إلى لحج، فلما جاء عكرمة انضم قيس إلى عمرو وقد اجتمعا للقتال، ولكن ما لبث أن نشب الخلاف بينهما فتعايرا ففارق كل واحد الآخر، فلما جاء المهاجر بن أمية أسرع عمرو لتسليم نفسه ولحقه قيس فأوثقهما المهاجر وبعث بهما إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، وبعد أن عاتبهما اعتذر كل واحد منهما عن فعله فأطلقهما ورجعا بعد أن تابا وأصلحا[٦].

---

(١) الثابتون على الإسلام في أيام فتنة الردة ص٤٢ .
(٢) تاريخ الردة - للكلاعي ص١٥٦ .
(٣) تاريخ الردة - للكلاعي ص١٧٧ .
(٤) نفس المصدر ص١٥٥ .
(٥) اليمن في صدر الإسلام ص٢٨١ .
(٦) الطبقات - لابن سعد (٥/ ٥٣٤، ٥٣٥) .

وهكذا كان لقـدوم عكرمة من الشرق دور في القضـاء على فلول المرتدين الموجودين في لحج سواء بالمواجهة أو الخوف من هذا الجيش القادم، بينما هم يواجهون جيشًا آخر في الشمال بقيادة المهاجر[١].

جيش المهاجر بن أبي أمية للقضاء على ردة حضرموت وكندة:

كان آخر من خـرج من المدينة من الجيوش الأحد عـشر جيش المهاجر بن أبي أمـية وكان معه سرية من المهاجرين والأنصار، فمـر على مكة فانضم إليه (خالد بن أسد) - أخو (عتّاب ابن أسد أميـر مكة- ومر على الطائف فلحقـه عبد الرحمن بن أبي العـاص، ومن معه، ولما التقى (بجرير بن عبد الله البجلي بنجران ضمه إليه، ضم عكاشة بن ثورالذي جمع بعض أهل تهامة، ثم دخل في جـموعه (فروة بن مسيك المرادي) الذي كـان في أطراف بلاد مذحج ومر على بني الحارث بن كعب بنجران فوجد عليهم مسروق العكي فضمه إليه[٢].

وفي نجران قـسَّم جيـشه إلى فرقـتين: فرقة تـولت القضاء على فلول (الأسـود العنسي) المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان عليها أخوه (عبد الله) وكانت مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من بقية المرتدين[٣].

وحينما استقر المهاجر في صنعـاء كتب إلى أبي بكر بما قام به وبما استقر عليه وبقى ينتظر الرد منه، وفي الوقت نفسه كتب معاذ بن جبل وبقية عمال اليمن الذين كانوا على عهد رسول الله (ﷺ) -ما عدا زياد بن لبيد- إلى أبي بكر يستأذنونه بالعودة إلى المدينة، فجاءت كتب أبي بكر مطلقة حق الاختيـار لمعاذ ومن معه من العمال بالبقاء أو العـودة والاستخلاف على عمل كل من رجع، فرجـعوا جميـعًا،[٤] وأما المهاجـر فقد تلقى الأمر بالتوجـه لملاقاة عكرمة وأن يسيرا معًا إلى حضرموت لمعاونة زياد بن لبيد، وإقراره على ما هو عليه وأمره أن يأذن لمن معه من الذين قاتلوا بين مكة واليمن في العودة إلا أن يؤثر قوم الجهاد[٥].

كان زياد بن لبيد الأنصاري واليًا لرسول الله (ﷺ) على كندة بحضرموت وأقره الصديق (رضي الله عنه) على ذلك وكان حازمًا شديدًا وكان لحزمه وشدته سـبب كبير في أن يتمرد عليه حارثة ابن سراقة، وخلاصـة ذلك كما يذكر الكلاعي، أن زيادًا أعطى من ضمن الصدقـة ناقة معينة لفتى من كندة على سبيل الخطأ، فلما أراد صاحبـها استبدالها بأخرى لم يقبل منه ذلك زياد، فاسـتنجد الفتى بزعيم لهم هو حـارثة بن سراقة، وعندمـا طلب ابن سراقة من زياد استـبدال الناقة، أصر زياد على موقفه، فغضب ابن سراقة وأطلق الناقة عنوة، فوقعت الفتنة بين أنصار زياد وأنصار ابن سراقة، ودارت الحرب، وانهزم ابن سـراقة، وقتل ملوك كندة الأربعة، وأسر

---

(١) اليمن في صدر الإسلام ص٢٨٢ .
(٢) تاريخ الردة - للكلاعي ص١٥٤- ١٥٨ .
(٣) طبقات فقهاء اليمن ص٣٦ .
(٤) طبقات فقهاء اليمن ص٣٦ .
(٥) اليمن في صدر الإسلام ص٢٨٣ .

زياد عددًا من جماعة ابن سراقة، واستنجد الأسرى وهم في طريقهم إلى المدينة بالأشعث بن قيس، فنجدهم حمية وعبية واتسعت رقعتها وتكاثر جمع الأشعث وحصروا المسلمين[١]، فأرسل زياد إلى المهاجر وعكرمة يستعجلهما النجدة، وكانا قد التقيا بمأرب فما كان من المهاجر إلا أن ترك (عكرمة) إلى الجيش وأخذ أسرع الناس وغالبًا من الفرسان - ليكون بجانب زياد، وقد استطاع أن يفك الحصار عنه فهربت كندة إلى حصن من حصونها يسمى النجير، وكان لهذا الحصن ثلاث طرق لا رابع لها، فنزل زياد على إحدهما والمهاجر على الثانية وبقيت الثالثة تحت تصرف كندة حتى قدم عكرمة فنزل عليها، فحاصروهم من جميع الجهات، ثم بعث (المهاجر) الطلائع إلى قبائل كندة والمتفرقة في السهل والجبل يدعوهم إلى الإسلام ومن أبى قاتلوه، ولم يبق إلا في الحصن المحاصر[٢].

وكان جيشا زياد والمهاجر يزيدان على خمسة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار وغيرهم من القبائل، وقد عملا على التضييق على من في الحصن حتى ضجوا بالشكوى إلى زعمائهم متبرمين من الجوع وفضلوا الموت بالسيف بدلاً من ذلك، فاتفق زعماؤهم على أن يقوم الأشعث بن قيس بطلب الأمان والنزول على حكم المسلمين[٣]، وبعد أن فوض الأشعث من قومه لمفاوضة المسلمين لم يوفق لأن الروايات تضافرت على أنه لم يطلب الأمان لجميع من في الحصن، أو أنه لم يصر على ذلك ولم يطلبه إلا لعدد تراوح حسب الروايات بين السبعة والعشرة، وكان الشرط هو فتح أبواب حصن (النُّجَير) وكان من جراء ذلك أن قتل من (كندة) في الحصن سبعمائة قتيل فشابه موقفهم موقف يهود بني قريظة[٤].

وتم القضاء على ردة كندة، وعاد عكرمة بن أبي جهل ومعه السبايا والأخماس، وبرفقتهم الأشعث بن قيس، الذي صار مبغضًا إلى قومه ولا سيما نساؤهم لأنهم عدوه سبب ذلتهم، ولأنه عندما صالح المسلمين كان أول ما بدأ به اسمه، فكانت نساء قومه يسمينه عُرف النار، ومعناه بلغتهم: الغادر[٥] ولما قدم الأشعث على أبي بكر (رضي الله عنه)، قال: ماذا تراني أصنع بك، فإنك قد فعلت ماعلمت! قال: تمنّ عليّ فتفكني من الحديد وتزوجني أختك، فإني قد راجعت وأسلمت. فقال أبو بكر (رضي الله عنه): قد فعلت فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة، فكان بالمدينة حتى فتح العراق[٦] وفي رواية جاء فيها : فلما خشي أن يقع به قال: أو تحتسب في خيرًا فتطلق إساري وتقيلني عثرتي، وتقبل إسلامي، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد علي زوجتي - وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة مقدمه على رسول الله (ﷺ)، فزوجه

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٩)، الثابتون على الإسلام ص٦٦ .
(٢) اليمن في صدر الإسلام ص٢٨٤، تاريخ الطبري (٤/ ١٥٢) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ١٥٢) .
(٤) اليمن في صدر الإسلام ص٢٨٦، تاريخ الردة ص١٦٧ .
(٥) حركة الردة - للعتوم ص١٠٧ .
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ١٥٥) .

وأخرها إلى أن يقدم الثانية، فمات رسول الله (ﷺ)، وفعل الأشعث ما فعل، فخشي ألا ترد عليه- تجدني خير أهل بلادي لدين الله ! فتجافي له عن دمه، وقبل منه، ورد عليه أهله، وقال: انطلق فليبلغني عنك خير، وخلى عن القوم فذهبوا، وقسم أبو بكر في الناس الخمس[١].

دورس وعبر وفوائد:

المرأة بين الهدم والبناء:

وفي حروب الردة باليمن تظهر صورتان مختلفتان للنساء، صورة المراة الطاهرة العفيفة التي تقف مع الإسلام وتحارب الرذيلة، وتقف مع المسلمين لكبح جماح شياطين الإنس والجن، فهذه (آزاد) الفارسية زوج شهر بن باذان، وابنة عم فيروز الفارسي تقف مع الصف الإسلامي بكل عزم وتصميم وتدبر مع المسلمين خطة محكمة لاغتيال الأسود العنسي كذّاب اليمن فالمسلم في كل عصر يكبر في آزاد المسلمة غيرتها على دينها وينظر باستهجان إلى ما وجه قلم الدكتور محمد حسين هيكل، عندما تحدث عن موقف آزاد من كذاب اليمن وحاول أن يرجع ما قامت به المرأة المسلمة آزاد الفارسية إلى عصبية شهوانية وذلك في قوله عن الأسود:

ولما استغلظ أمره وأثخن في الأرض استخف بقيس وبفيروز وجعل يرى في الأخيرين وفي سائر الفرس من تنطوي أضالعهم على المكر به، وعرفت زوجته الفارسية ذلك منه، فثار في عروقها دم قومها، وتحركت في نفسها عوامل الحقد على الكاهن القبيح، قاتل زوجها الشاب الفارسي الذي كانت تحبه من أعماق قلبها ولقد استطاعت بسجيتها النسوية أن تخفي ذلك عنه، وأن تسخوا له في البذل له من أنوثتها سخاءً جعله يركن إليها ويطمع في وفائها[٢].

إنه أسلوب فيه لمز بالفارسية المؤمنة آزاد، وكأنه يتهمها بالغدر لفارسيتها بالأسود العربي، ويأخذ عليها هذا الصنيع الذي كانت تظهر له فيه ما لا تخفي، إنه توجيه للحدث في غير محله[٣]، وهذه المرأة الصالحة المسلمة قتل الأسود زوجها المسلم وتزوجها غصبًا وهي التي وصفت الأسود الكذاب بقولها: والله ما خلق الله شخصًا أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حق ولا ينتهي عن محرم[٤]، وهي التي جعلها الله (تعالى) سببًا لهلاك الطاغية الأسود العنسي، فلولا الله ثم جهودها الميمونة ما استطاع فيروز وأصحابه قتل الأسود[٥]، فالذي حركها لذلك العمل العظيم الذي فيه حتفها وموتها، هو حبها لدينها وعقيدتها وإسلامها وبغضها للأسود العنسي الكذاب الذي أراد أن يقضي على الإسلام في اليمن فهذه صورة مشرقة مضيئة لما قامت به المرأة المسلمة في اليمن من الجهاد من أجل دينها.

---

(١) نفس المصدر (٤/ ١٥٥).
(٢) الصديق أبو بكر ص٧٩.
(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٣١٠).
(٤) نفس المصدر (٢/ ٣١٠).
(٥) حركة الردة ص٣٠٨.

أما الصورة الكالحة المظلمة التي قامت به بعض بنات اليمن من يهود أو من لفَّ لفهم، في حضرموت فقد طرن فرحًا بموت رسول الله (ﷺ)، فأقمن الليالي الحمراء مع المجّان والفسّاق، يشجعن على الرذيلة، ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطان فيها معهنّ وأتباعه طربًا لنكوص الناس عن الإسلام والدعوة إلى التمرد عليه وحرب أهله[١]، لقد حنت تلك البغايا إلى الجاهلية وما فيها من المنكرات وانجذبن إليها انجذاب الذباب إلى أكوام من الأقذار، فقد تعودن على الفاحشة في حياتهن الجاهلية، فلما جاء الإسلام حجزتهن نظافته عنها، فشعرن وكأنهن بسجن ضيق يكدن يختنقن فيه، ولذا ما إن سمعن بموته (ﷺ) حتى أظهرن الشماتة فخضبن أيديهن بالحناء وقمن يضربن بالدفوف، ويغنين فرحتهن، فقد تحقق لهن ما كنّ يتمنينه على السلطة الجديدة، وكان معظمهن من علية القوم هناك، وبعضهن يهوديات وقد كان لكلا الطرفين: أشراف القوم من العرب، واليهود مصلحة في الانتقاض على مبادئ الإسلام، والانقضاض على كيانه، لقد عرفت هذه الحركة في التاريخ بحركة البغايا، وكن نيفًا وعشرين بغيًا متفرقات في قرى حضرموت، وأشهرهن هر بنت يامن اليهودية التي ضرب المثل بها في الزنا، فقيل: أزنى من هر، ويذكر التاريخ أن الفساق كانوا يتناوبونها لهذا الغرض في الجاهلية، ولكن هؤلاء السواقط لم يتركن وشأنهن يفسدن في المجتمع كما يحلو لهن[٢]، فقد وصل الخبر إلى الصديق وأرسل رجل من أهل اليمن إليه هذه الأبيات:

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته ∴ أن البغايا رمن أي مرام

أظهرن من موت النبي شماتة ∴ وخضبن أيديهن بالعلام[٣]

فاقطع هديت كفهن بصارم ∴ كالبرق أو مضى من متون غمام[٤]

فكتب أبو بكر (رضي الله عنه) إلى عامله هناك المهاجر بن أبي أمية كتابًا في منتهى الحزم والصرامة جاء فيه: (فإذا جاءك كتابي هذا فسر إليهن بخيلك ورجلك حتى تقطع أيديهن، فإن دفعك عنهن دافع فاعذر إليه باتخاذ الحجة عليه وأعلمه عظيم ما دخل فيها من الإثم والعدوان، فإن رجع فاقبل منه، وإن أبى فانبذه على سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين . . .) فلما قرأ المهاجر الكتاب جمع خيله ورجله وسار إليهنّ فحال بينه وبينهن رجال من كندة وحضرموت فأعذر إليهم فأبوا إلا قتاله ثم رجع عنه عامتهم، فقاتلهم فهزمهم وأخذ النسوة فقطع أيديهن، فمات عامتهن وهاجر بعضهن إلى الكوفة[٥]. لقد نلن جزاءهن في محكمة

---

(١) حركة الردة - للعتوم ص١١٩ .
(٢) حركة الردة - للعتوم ص١١٩ .
(٣) العلاّم: الحنّاء .
(٤) عيون الأخبار (٣/١٣٣) .
(٥) حروب الردة - للعتوم ص١٨٤ .

الإسلام العادلة، إذ أخذهن عامل أبي بكر على تلك البلاد، وطبق عليهن حد الحرابة[1].

ونقلت الأخبار للخليفة في امرأتين من بلاد حضرموت تغنتا بهجاء رسول الله (ﷺ)، والمسلمين، وكان قد عاقبهما المهاجر بن أبي أمية والي تلك البلاد، بقطع يديهما ونزع ثنيتيهما، فلم يرض أبا بكر (رضي الله عنه) وعدها عقوبة خفيفة في حق هاتين المجرمتين، وقد وجه إليه كتابًا بهذا الخصوص قال فيه بحق الناعقة بشتم صاحب الرسالة: (بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشتيمة رسول الله (ﷺ)، فلولا ما قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلها، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مستسلم فهو مرتد، أو معاهد فهو محارب غادر[2]. وقال في الأخرى: (بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتها، فإن كانت ممن تدعي الإسلام، فأدب وتقدمة دون المثلة، وإن كانت ذمية لعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروها فاقبل الدعة، وإياك والمثلة في الناس فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص)[3].

من خطباء الإيمان:

كان بعض أهل اليمن لهم مواقف عظيمة في الثبات على الحق والدعوة إلى الإسلام وتحذير قومهم من خطورة الردة، ومن هؤلاء كان مران بن ذي عمير الهمداني أحد ملوك اليمن الذي كان قد أسلم ممن أسلم من أهل اليمن فلما ارتد الناس هناك، وتكلم سفهاؤهم بما لا يليق وقف فيهم خطيبًا وقال لهم: يا معشر همدان، إنكم لم تقاتلوا رسول الله (ﷺ)، ولم يقاتلكم، فأصبتم بذلك الحظ ولبستم به العافية، ولم يعمكم بلعنة تفضح أوائلكم وتقطع دابره، وقد سبقكم قوم إلى الإسلام وسبقتم قومًا فإن تمسكتم لحقتم من سبقكم، وإن أضعتموه لحقكم من سبقتموه، فأجابوا إلى ما أحب وأنشد أبياتًا رثى فيها النبي (ﷺ) يقول فيها:

إن حزني على الرسول طويل ∴ ذاك مني على الرسول قليل
بكت الأرض والسماء عليه ∴ وبكاه خديمه جبريل[4]

وقام عبد الله بن مالك الأرحبي، وكان من أصحاب النبي (ﷺ)، له هجرة وفضل في دينه فاجتمع إليه همدان فقال: يا معشر همدان، إنكم لم تعبدوا محمدًا، إنما عبدتم رب محمد وهو الحي الذي لا يموت، غير أنكم أطعتم رسوله بطاعة الله، واعلموا أنه استنقذكم من النار، ولم يكن الله ليجمع أصحابه على ضلالة وذكر له خطبة طويلة يقول فيها:

لعمري لئن مات النبي محمد ∴ لما مات يا ابن القيل رب محمد
دعاه إليه ربه فأجابه ∴ يا خير غوري[5] ويا خير منجد[6]

(١) نفس المصدر ص١١٩ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/١٥٧) .
(٣) نفس المصدر (٤/١٥٧) .
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٢٢٣) رقم ٨٤٠٠ .
(٥) غوري: نسبة إلى الغور وهي أرض تهامة ما بين البحر والحجاز .
(٦) ديوان الردة - للعتوم ص٨١، منجد نسبة إلى نجد وهي الأرض المرتفعة .

ووقف شرجبيل بن السِّمط وابنه في بني معاوية من كندة عندما أطبقوا كلهم على منع الصدقة وقالا لبني معاوية: إنه لقبيح بالأحرار التنقل، إن الكرام ليلزمون الشُّبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق إلى الباطل القبيح؛ اللهم إنا لا نمالي قومنا على ذلك، وانتقل ونزل مع زيد ومعهما امرؤ القيس بن عابس، وقالا له: بيّت القوم فإن أقوامًا من السكاسك والسكون قد انضموا إليهم وكذلك شُذَّاذ من حضرموت، فإن لم تفعل خشينا أن تتفرق الناس عنا إليهم، فأجابهم إلى تبييت القوم، فاجتمعوا وطرقوهم في محاجرهم فوجدوهم جلوسًا حول نيرانهم، فأكبوا على بني عمرو وبني معاوية وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجه، فأصابوا الملوك الأربعة من كندة وأختهم العمّردة، وقتلوا فأكثروا، وهرب من أطاق الهرب، وعاد زياد بن لبيد بالأموال والسبي،[1] فهذه بعض النماذج من أهل الإيمان الذين كانت لهم مواقف تدل على عمق إيمانهم وشدة انتمائهم إلى الإسلام، فكانوا من خطباء الإيمان.

كرامات الأولياء:

عندما تمكن الأسود العنسي باليمن وتنبأ بالنبوة، بعث إلى أبي مسلم الخولاني، فلما جاء قال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم. فردد ذلك عليه، وفي كله يقول مثل قوله الأول قال: فأمر به فألقي في نار عظيمة، فلم تضره، فقيل له: انفه عنك، وإلا أفسد عليك من اتبعك، قال: فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله (ﷺ) واستخلف أبو بكر (رضي الله عنه)، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، ودخل المسجد فقام يصلي إلى سارية، وبصر به عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن قال: ما فعل الرجل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: أنشدك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه عمر (رضي الله عنه) وبكى ثم ذهب به فأجلسه فيما بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله (ﷺ)[2].

فهذه كرامة لهذا العبد الصالح الذي التزم بحدود الله، وأحب في الله، وأبغض في الله، وتوكل على الله في كل شيء، وبذلك وفقه الله في القول والعمل ورزقه الأمن والطمأنينة وأجرى الله على يديه هذه الكرامة قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

العفو عند الصديق:

كان لأبي بكر بُعد نظر، وبصيرة نافذة، ونظر بعواقب الأمور ولذلك كان يستعمل الحزم

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/٤٨).

(٢) أسد الغابة (٦/٣٠٤) رقم ٦٢٤٧، الاستيعاب (٤/١٧٥٨).

في محله، والعفو عندما تقتضي إليه الحاجة، فقد كان حريصًا على جمع شتات القبائل تحت راية الإسلام، فكان من سياسته الحكيمة عفوه عن زعماء القبائل المعاندة بعد رجوعهم إلى الحق، فإنه لما استخضع قبائل اليمن المرتدة، وأراهم سطوة دولة المسلمين وقوة شكيمتهم ومضاء عزيمتهم واعترفت القبائل بما أنكرت، واستكانت لحكم الإسلام، وأطاعوا خليفة رسول الله (ﷺ)، رأى أبو بكر أنه من تأليف القلوب ترك استعمال القوة مع زعماء هذه القبائل بل اللين هنا والرفق أوفق، فرفع العقوبة عنهم وألان القول لهم، ووظف نفوذهم في قبائلهم لصالح الإسلام والمسلمين[١]، فعفا عن زلتهم وأحسن إليهم، فقد فعل ذلك مع قيس بن يغوث المرادي، وعمرو بن معد يكرب، فقد كانوا من صناديد العرب وأفرسهم، وأكثرهم شجاعة، فعزّ على أبي بكر أن يخسرهم وحرص على أن يستخلصهم للإسلام، ويستنقذهم من التردد بين الإسلام والردة. فقد قال أبو بكر لعمرو: أما تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرت هذا الدين لرفعك الله، فقال عمرو: لا جرم لأفعلن ولن أعود) فأطلقه الصديق، ولم يرتد عمرو بعدها قط، بل أسلم وحسن إسلامه، ونصره الله وأصبح له بلاء عظيمًا في الفتوحات، وندم قيس، على ما فعل، فعفا عنه الصديق، وكان للعفو عن هذين البطلين من أبطال عرب اليمن آثاره العميقة والعريضة فقد تألف به الصديق قلوب أقوام قد عادوا إلى الإسلام بعد الردة خوفًا أو طمعًا، وعفا عن الأشعث بن قيس[٢] وبذلك أسر الصديق قلوبهم، وامتلك أفئدتهم، فكانوا في مستقبل الأيام نصرًا للإسلام وقوة للمسلمين، وأصبحت لهم يد عظيمة في هذا المجال[٣].

وصية الصديق لعكرمة ومحاسبته لمعاذ:

كان أبو بكر (رضي الله عنه) حين بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مُسيلمة وأتبعه شرحبيل بن حسنة، عجّل عكرمة، فوافته بنو حنيفة فنكبوه، فكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان من أمره، فكتب إليه أبو بكر، يابن أم عكرمة، لا أرينَّك ولا تراني على حالها لا ترجع فتوهن الناس، امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة فقاتل معهما أهل عُمان ومَهرة، وإن شغلا فامض أنت، ثم تسير وتُسيِّر جندك تستبرئون من مررتم به، حتى تلتقوا أنتم والمهاجر ابن أبي أمية باليمن وحضرموت[٤].

ونلحظ أن الصديق حينما وجه الجيوش لقتال المرتدين وجه إلى مسيلمة الكذاب جيشين، أحدهما بقيادة عكرمة بن أبي جهل والثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة وهذا دليل على خبرة أبي بكر الدقيقة بدرجات القوة عند الأعداء ومقدار مقدرتهم على الصمود، وحينما تعجل عكرمة لحرب مسيلمة فنُكب هو وجيشه أرسل إليه أبو بكر يقول له: (لا أرينَّك ولا تراني على

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٥٦ .
(٢) الصديق أول الخلفاء - للشرقاوي ص١١٥، ١١٦ .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٥٦ .
(٤) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٤)، البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤) .

حالها، لا ترجع فتوهن الناس) وهذا أيضًا من خبرة أبي بكر الحربية، فإن الروح المعنوية لها أثر كبير في نتائج المعارك، فإذا قدم هؤلاء المنهزمون فقابلوا الجيش المتوجه لقتال الأعداء أنفسهم، فإن نفوس أفراد هذا الجيش سيكون فيها شيء من التخوف والضعف خصوصًا فيما إذا روى لهم المنهزمون شيئًا عن ضخامة جيش الأعداء وقوته[١] وقد كان البعد الحربي عند الصديق واضحًا، فأرسل عكرمة وجيشه إلى مناطق أخرى وحقق نجاحًا باهرًا فارتفعت معنويته وجيشه.

وعندما رجع معاذ من اليمن إلى المدينة واستقبله الصديق وكان من عادته مراقبة عماله ومحاسبتهم بعد فراغهم من عملهم قال الصديق لمعاذ: ارفع حسابك فقال معاذ: أحسابان حساب الله وحساب منكم؟ والله لا آلي لكم عملاً أبدًا[٢].

توحيد اليمن ووضوح الإسلام عند أهله، وطاعتهم للخليفة:

وبعد انتهاء حروب الردة تجمعت اليمن تحت قيادة مركزية عاصمتها المدينة المنورة، وقسم اليمن إلى أقسام إدارية لا وحدات قبلية، فقد قسم إلى ثلاثة أقسام إدارية: صنعاء والجند، وحضرموت ولم تعد العصبية القبلية أساسًا في الزعامة أو في التولية، ولم تعد القبيلة سوى وحدة عسكرية لا سياسية، وأصبحت المقاييس المعتبرة هي المقاييس الإيمانية: التقوى، والإخلاص، والعمل الصالح[٣].

وتخلصت اليمن من بقايا الشرك ومن جميع مظاهره - شرك في الاعتقاد أو شرك في القول، أو شرك في الفعل: تركًا أو إتيانًا، وأدركوا أن النبوة أرفع من أن يدعيها مدع عابث ويتخذها وسيلة إلى غرضه ورغبته[٤]، وأيقنوا أن الإيمان لا يلتقي مع المطامع، وأن الإسلام لا يتفق مع الجاهلية، عرفوا ذلك بالدماء والألم والحسرات، فقتل من كلا الطرفين الكثير وتعلم منهم الكثير[٥]، ورجع من كان قد ارتد إلى الإسلام يرجو التكفير عما بدر[٦] وأذن لهم بالجهاد في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقد برزت قيادات يمنية إسلامية في الفتوحات قد تربت وانصهرت في أحداث الردة، وكانوا من الثابتين على الإسلام كجرير بن عبد الله البجلي، وذو الكلاع الحميري، ومسعود بن العكي، وجرير بن عبد الله الحميري وغيرهم، وكان لهذه القيادات أدوار بارزة في الفتوحات الإسلامية وفي عمران مدن جديدة، في الكوفة والبصرة والعراق، والفسطاط بمصر، وبرزت - أيضًا- شخصيات يمنية عينت في

---

(١) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/ ٨٣).
(٢) عيون الأخبار (١/ ١٢٥).
(٣) اليمن في صدر الإسلام ص٢٩٠.
(٤) الخلافة الراشدة والخلفاء الراشدون - يوسف علي ص٣٩.
(٥) ظاهرة الردة - محمد بريغش ص١٥٩.
(٦) اليمن في صدر الإسلام ص٢٨٩.

اليمن وغير اليمن قضاة وولاة مثل حشك عبد الحميد، وسعيد بن عبد الله الأعرج، وشرحبيل ابن السمط الكندي وغيرهم[١].

والتحم أهل اليمن بالدولة الإسلامية وبقيادتها سواء التي عليهم مباشرة أو القيادة العامة (الخليفة) في المدينة ولهذا حينما دعاهم الخليفة للجهاد سارعوا طواعية ورغبة في الجهاد - كما سيأتي تفصيله بإذن الله تعالى- لقد تربوا في أحداث الردة تربية كافية جعلتهم موصولين بالقيادة واثقين بها؛ ولذا ساد الهدوء والاستقرار وأصبحوا خير مدد للإسلام والمسلمين[٢].

٢- القضاء على فتنة طليحة الأسدي:

طليحة الأسدي هو المتنبئ الثالث من المتنبئة الذين ظهروا في الإسلام أواخر عهد رسول الله (ﷺ) بالحياة، وطليحة هذا هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي، ولقد قدم مع وفد قومه أسد على رسول الله (ﷺ) في عام الوفود سنة تسع للهجرة، فسلموا عليه، وقالوا له ممتنين: جئناك نشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، ولم تبعث إلينا، ونحن لمن وراءنا، فأنزل الله (عز وجل) قوله: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]. ولما عادوا ارتد طليحة وتنبأ[٣]، وعسكر في سميراء (منطقة في بلادهم)، واتبعه العوام واستكشف أمره (وأول ما صدر عنه - وكان سببًا لضلال الناس- أنه كان مع بعض قومه في سفر، فأعوزهم الماء وغلب العطش على الناس، فقال: اركبوا أعلالاً (اسم فرسه) واضربوا أميالاً، تجدوا بلالاً، ففعلوا فوجدوا الماء فكان ذلك سبب وقوع الأعراب في الفتنة)[٤].

ومن خزعبلاته أنه رفع السجود من الصلاة، وكان يزعم أن الوحي يأتيه من السماء، ومن أسجاعه التي ادعى أنه يوحي له بها قوله: (والحمام واليمام، والصرد الصوّام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكُنا العراق والشام)[٥] وغرته نفسه واشتد أمره وقوت شوكته، فبعث رسول الله (ﷺ) ضرار بن الأزور الأسدي لمقاتلته لما سمع من أمره. ولكن ضرارًا لم يكن له به قبل، وذلك لتعاظم قوته مع الزمن ولا سيما بعد أن آمن به الحليفان: أسد وغطفان[٦].

وتقول عنه دائرة المعارف الإسلامية: (ويروى عنه أنه كان يرتجل الشعر ويخطب عفو الساعة في ميدان القتال. ويبدو أنه كان مثالاً - حقًا- للزعيم القبلي الجاهلي. وقد اجتمعت فيه صفات: العرّاف والشاعر والخطيب والمقاتل[٧]. ويشمّ من هذا النص رائحة المدح المبطن

---

(١) اليمن في صدر الإسلام ص٢٩١ .
(٢) نفس المصدر ص٢٩١ .
(٣) أسد الغابة (٣/ ٩٥) .
(٤) حروب الردة - لمحمد أحمد باشميل ص٧٩ .
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٣) .
(٦) أسد الغابة (٣/ ٩٥) .
(٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة (طليحة) نقلاً عن حركة الردة ص٧٨ .

لطليحة من قبل هذه الموسوعة الشهيرة، فهو في نظرها الزعيم القبلي المثال، يرتجل الشعر والخطابة، وهما أهم ما كان يحرص عليه العربي آنذاك، ولا يستغرب هذا الاتجاه من هذه الموسوعة التي جعلت من اللمز في الإسلام ديدنها، سواء أعرفت أن طليحة عاد فأسلم وحسن إسلامه أم لم تعرف.

وتوفي رسول الله (ﷺ) ولم يحسم أمر طليحة[١]، وتولى الخلافة الصديق (رضي الله عنه) وعقد الألوية للجيوش والأمراء للقضاء على المرتدين، وكان من ضمنهم طليحة ووجه إليه الصديق (رضي الله عنه) جيشًا بقيادة خالد بن الوليد، روى الإمام أحمد: . . . أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: نَعْمَ عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين[٢]. ولما توجه خالد من ذي القَصَّة وفارقه الصديق واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم، وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان، وبعث إلى بني جَديلة والغوث من طيئ يستدعيهم إليه، فبعثوا أقوامًا منهم بين أيديهم، ليلحقوهم على أثرهم سَريعًا، وكان الصديق (رضي الله عنه) قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بني طيئ فأمرهم أن يبايعوا الصديق (رضي الله عنه)[٣]، وأن يراجعوا أمر الله فقالوا: لا نبايع أبا الفَصيل[٤] أبدًا - يعنون أبا بكر (رضي الله عنه) - فقال والله ليأتينكم جيشه فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يَفْتِل لهم في الذِّروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه: ثابت بن قيس بن شمّاس، وبعث بين يديه، ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن، طليعة، فتلقاهما حِبَال - ابن أخي طليحة، فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة، فلما وجدا ثابتًا وعُكّاشة تبارزوا، وحمل طليحة على عُكاشة فقتله، وقتل سلمة، ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدهما صريعين، فشق ذلك المسلمين، ومال خالد إلى بني طيئ، فخرج إليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى من تعجّل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحبّ إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد وقصد خالد بني جَديلة فقال له: يا خالد، أجّلني أيامًا حتى آتيهم، فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ الغوث[٥]، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء بإسلامهم، ولحق

---

(١) حركة الردة - للعتوم ص٧٨ .

(٢) مسند أحمد (١/١٧٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٣) ترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر - د. محمد بن صامل السُّلمي ص١٠١ .

(٤) الفصيل: ولد الناقة .

(٥) البداية والنهاية - تهذيب وترتيب محمد السلمي، خلافة أبي بكر ص١٠٢ .

بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه (رضي الله عنه)[١].

أ- معركة بُزَاخَة والقضاء على بني أسد:

ثم سار خالد حتى نزل بأجا وسلمى، وعبّى جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له: بُزَاخة ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه، ومن التف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عُيَيْنة بن حصْن، في سبعمائة من قومه بني فزارة، واصطف الناس، وجلس طليحة ملتفا في كساء له يتنبأ لهم، ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال جاء إلى طليحة وهو ملتف في كسائه وقال له: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك، ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحا كرحاه، وحديثًا لا تنساه، قال يقول عيينة: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديثًا لا تنساه، ثم قال: يا بني فزارة انصرفوا، وانهزم، وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون، ركب على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النّوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه[٢].

وقد كتب أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه) حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه، وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله به خيرًا، واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جدّ في أمرك ولا تلن، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكّلت به، فأقام خالد ببزاخة شهرًا يُصَعد عنها ويصوّب، ويرجع إليها في طلب الذي وصاه الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهرًا يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرّقه بالنار، ومنهم من رَضَخه بالحجارة، ومنهم من رَمَى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب[٣].

ب- وفد بني أسد وغطفان إلى الصديق وحكمه عليهم:

لما قدم وفد بزاخة - أسد وغطفان - على أبي بكر (رضي الله عنه) يسألونه الصلح، خيّرهم أبو بكر (رضي الله عنه) بين حرب مُجلية أو خطة مخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله (ﷺ)! أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكُرَاع، وتتركون أقوامًا تتبعون أذناب الإبل، حتى يُرِيَ الله خليفة نبيه والمؤمنين أمرًا يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا نؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتدون

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٢).
(٢) البداية والنهاية (٢/ ٣٢٢).
(٣) نفس المصدر (٢/ ٢٢٣).

قتلانا، ولا ندي قتلاكم، فقال عمر (رضي الله عنه) : أما قولك تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع عمر (رضي الله عنه) وقال عمر (رضي الله عنه) في الثاني: نِعْمَ ما رأيت[١].

جـ- قصة أم زمل:

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الضُلاّل من أصحاب طليحة من بني غطفان إلى امرأة يقال لها: أم زمْل - سلمى بنت مالك بن حذيفة في مكان يسمى ظَفَر[٢]- وكانت من سيدات العرب كأمها أم قِرْفة،[٣] وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها، وعزة قبيلتها وبيتها، فلما اجتمعوا إليها ذمرتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وناشب إليهم آخرون من بني سُلَيم، وطيئ، وهوازن، وأسد، فصاروا جيشًا كثيفًا، وتفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالاً شديدًا، وهي راكبة على جمل أمها الذي كان يقال له: من نخسه فله مائة من الإبل، وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق (رضي الله عنه) [٤].

د- دروس وعبر وفوائد:

ثقة الصديق بالله وخبرته الحربية:

قول الصديق (رضي الله عنه) لعدي بن حاتم: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم. فيه مثال على قوة يقين أبي بكر (رضي الله عنه) وثقته بنصر الله فقد حكم على نتيجة المعركة مع طيئ قبل الدخول فيها، وفي أمر أبي بكر خالدًا (رضي الله عنهما) بأن يبدأ بحرب قبيلة طيئ مع أنها أبعد من تجمع طليحة خطة حربية ناجحة، وذلك ليحول دون انضمام طيئ إلى طليحة وليضطر من انضم إليه منهم إلى التخلي عنه، للدفاع عن قبيلتهم، ثم في إظهار أبي بكر أنه خارج جهة خيبر ليلاقي خالدًا ببلاد طيئ تخطيط حربي بارع، وذلك لإرهاب تلك القبيلة والقبائل المجاورة، وتظهر براعة الصديق في اختيار الرجال أن اختار لهذه المهمة التي لها ما بعدها أبا سليمان خالد بن الوليد، الذي لم تنتكس له راية[٥].

وفي خطاب الصديق (رضي الله عنه) لخالد (رضي الله عنه) بعد انتهاء معركة بزاخة فوائد منها: الدعاء لخالد (رضي الله عنه) الذي يفهم منه الثناء عليه بإحسان، كما يتضمن أمره بتقوى الله، وذلك فيه العصمة من الوقوع في الزلل، واتباع الهوى، كما أمره بالجد والحزم مع الأعداء لأنهم ما زالوا في فورة طغيانهم، وهذا موقف قوي يدل على حزم الصديق (رضي الله عنه) وبصيرته النافذة، فهناك قبائل لا تزال متحيرة ومترددة بين الحق والباطل، والهدى والضلال والخير والشر، والإيمان

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٢٣) .

(٢) ظَفَر: اسم موضع قرب الحوأب في طريق البصرة إلى المدينة .

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٣) .

(٤) نفس المصدر (٦/ ٣٢٣) .

(٥) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/ ٦٠، ٦٣) .

والكفر بحاجة إلى تأديب وردع حتى يزول طغيانهم، فالموقف من أبي بكر يقتضي أعلى درجات القوة والحزم والسرعة، فكانت منه القوة في محل القوة كما كان منه اللين في محل اللين. قال الشاعر:

ووضع النَّدى في موضع السيف للندى ∴ مُضرٌ كوضع السيف في موضع الندى[١]

وفي موقف الصديق في عدم قبول استلام هؤلاء المحاربين، وعدم قبول الصلح إلا بحرب مجلية أو خطة مخزية إظهار عزة الإسلام وهيبة دولته فكانت شروطه في الصلح قوية وكان من أشدها عليهم مصادرة أسلحتهم وخيولهم، وكان هذا الشرط مؤقت بظهور صدق توبتهم وخضوعهم لدولة الإسلام، وقد كان لابد منه لضمان عدم عودتهم إلى التمرد مرة أخرى[٢].

نصح عدي بن حاتم (رضي الله عنه) لقومه والحرب النفسية التي شنها عليهم:

قدم عدي (رضي الله عنه) على قومه طيئ، فدعاهم للرجوع للإسلام فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبـدًا[٣] فقال: لقد أتاكم قوم لَيُبيحُنَّ حريـكم، ولتكنُّنه بأبو الفحل الأكبر، فشأنكم به فقالوا له: فاستقبل الجيش فنهنهه[٤] عنّا حتى نستخرج من لحق بالبُزاخة منّا، فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم. فاستقبل عدي (رضي الله عنه) خالدًا (رضي الله عنه) وهو بالسُّنح، فقال: يا خالد! أمسك عني ثلاثًا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك، وذلك خير من أن تُعْجلهم إلى النار وتتشاغل بهم ففعل، فعاد عدي (رضي الله عنه) بإسلامهم إلى خالد (رضي الله عنه)[٥]، فهذا موقف استطاع فيه عدي (رضي الله عنه) أن يقنع قبيلته بفرعيها بني الغوث وبني جديلة بالتخلي عن معكسر طليحة والانضمام إلى جيش خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، وهذا تحول مهم في تقرير نتائج معركة بزاخة الحاسمة، فهذا موقف عظيم يسجل لعدي (رضي الله عنه) إلى جانب موقفه الأول حينما قدم على الصديق (رضي الله عنه) بصدقات قومه، وكان المسلمون بأمس الحاجة إلى المال آنذاك، ولقد كان إسلامه من أول يوم إسلام رجل العلم والفهم فكان عن قناعة واختيار، وكان واثقًا من انتصار الإسلام والمسلمين في النهاية كما بشره بذلك النبي (ﷺ) يوم إسلامه، فكان لإيمانه القوي أثر في إقناع قومه في العدول عما توجهوا إليه من مناصرة أعداء الإسلام ولم تكن قناعتهم إلى حد الحياد والانتظار حتى يروا لمن تكون الدائرة، بل انضم منهم ألف وخمسمائة إلى جيش المسلمين مما يدل على مبلغ أثره فيهم[٦].

وجاء في رواية: أن قومه طلبوا من خالد (رضي الله عنه) بأن يقاتلوا قيسًا لأن بني أسد حلفاؤهم، فقال لهم خالد (رضي الله عنه): والله ما قيس بأوهن الشوكتين اصمدوا إلى أي القبيلتين

---

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ٦٤، ٦٥).
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ٦٦).
(٣) يريدون بذلك أبا بكر (رضي الله عنه) والبكر والفيصل: اسمان لولد الناقة.
(٤) أي ادفعه وكفه.
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٥٧).
(٦) التاريخ الإسلامي (٩/ ٦١).

أحببتـم، فقال عدي (رضي الله عنه): لو ترك هذا الدين أسرتي الأدنى فـالأدنى من قومي لجاهدتهم عليه، فـأنا امتنع من جهاد بني أسـد لحلفهم! لا لعمر الله لا أفـعل فقال له خالـد: إن جهاد الفريقين جـميعًا جهـاد لا تخالف رأي أصحابك، امض إلى أحـد الفريقين، وامض بهم إلى القـوم الذين هم لقتـالهم أنشط[١]، وفي إنكار عدي على قـومه دليل على قـوة إيمانه وغزارة علمه حيث والى أولياء الله وإن كانوا بعيدين عنه في النسب وتبرأ من أعداء الله وإن كانوا من أقـاربه[٢]، كما تظهر خبـرة خالد بن الوليد الحربية حينما أمر عـديا بأن لا يخالف قومه في تمنعهم من مـواجهة حلفـائهم بني أسد، وأن يوجههم إلـى الوجه الجهادي الذي يكونون فـيه أنشط على القتال[٣] لقد كان الدور الذي قام به عدي في دعوة قبيلته إلى الانضمام إلى جيش المسلمين عظيمًـا، فكان دخول طيئ في جيش خـالد أول وهن أصيب به الأعداء؛ لأن قـبيلة طيئ من أقوى قـبائل جـزيرة العرب، وممن كـانت القبائل تحـسب لها حـسابا، وتنظر إليـها باعتبارها على درجـة من القوة بحيث كانت مرهوبة الجانب، عزيزة في بلادها، تتـقرب إليها جاراتها بالتحـالف معها، لقد التقى الجمعـان بعد أن دبَّ الوهن في نفوس الأعداء فكتب الله النصر لجيش المسلمـين فسرعان ما طفقـوا يقتلون ويأسرون حتى أبادوا جـميع أعدائهم وهرب قائدهم طليحة على فرسه، ولم يسلم منهم إلا من اسـتسلم أو هرب، وبعد هذه الوقعة انتشر الضعف في نفوس المرتدين من قبائل الجزيرة، فأصبح الجيش الإسلامي لا يجد عناءً في هزيمة من تجمع منهم في أماكن أخرى[٤].

أسباب هزيمة طليحة بن خويلد الأسدي:

كانت هناك مجموعة من الأسباب ساهمت في هزيمة طليحة الأسدي منها:

إن المسلمين كانوا يقاتلون مدفوعين بعقيدة راسخة، ويقين بنصر الله، وحب في الشهادة، فكان حب الموت في سبيل الله (تعالى) سلاحًا مـعنويًا فتاكًا، فكان خالد يرسل للمرتدين هذه الكلمات القلائل: لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة[٥]، ولقد عرف العدو نفسه من خلال تعـامله مع قوات المسلمين في المعارك التـي خاضوها معـه، صدقهم في تنفـيذ هذا المبدأ، فقد سأل طليحـة الأسدي قومه لما انهزموا في موقعة بزاخة مع جـيش خالد بشيء كبير من الحنق والتعجب: (ويلكم ما يهزمكم؟) فقال رجل منهم: أنا أخبركم، إنه ليس رجل (منّا) إلا وهو يحب أن يموت قبل صاحبه وإن نلقى أقوامًا كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه[٦].

كان لانضمام طيئ أثره في تقوية المسلمين وإضعاف أعدائهم، كما كان مقتل الصحابيين،

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٧٥).
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ٦١).
(٣) نفس المصدر (٩/ ٦١).
(٤) الحرب النفسية من منظور إسلامي - د. أحمد نوفل (٢/ ١٤٣، ١٤٤).
(٥) حركة الردة ص٢٨٩.
(٦) تاريخ الخمسين - للديار بكري (٢/ ٢٠٧) نقلاً عن حركة الردة - للعتوم ص٢٨٩.

عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم قد زاد من غيظ المسلمين ودفـعهم إلى قتال أعدائهم، كما كـان لتورية أبي بكر الصـديق تأثيـر على طيئ، في عدم التعـاون مع حلفائهـا وبقائهـا في مواضعها الأصلية، وأما التورية المشار إليهـا فإن الصديق أوهم الناس أنه متوجه إلى خيبر بدلاً من الجهة الأصليـة التي حُدِّدت للجيش، كما كان لإفسـاح المجال لطيئ كي تقاتل قيـسًا كما أرادت شجعهـا على الاستقلال في الحرب، إذ لو أمر خـالد على أن يقاتلوا حلفائهم من بني أسد كما أراد عدي بن حاتم لقصرت طيئ في حربها أيما تقصير[١]، وغير ذلك من الأسباب.

من نتائج معركة بزاخة:

القضاء على قوة أحد الأدعياء الأقوياء، وعودة فريق كبير من العرب إلى حظيرة الإسلام، فقد أقبلت بنو عامـر بعد هزيمة بزاخة يقولون : ندخل فيما خرجنا منه فـبايعهم خالد على ما بايع عليه أهل بزاخة من أسد وغطفـان وطيئ قبلهم وأعطوه بأيديهم على الإسلام، ولم يقبل أحـد من أسد ولا غطفـان ولا هوازن ولا سليم ولا طيئ إلا أن يأتوه بالذين حـرقوا ومـثلوا وعدوا على أهـل الإسلام في حال ردتهم. فـأتوه بهم . . . فمـثل خالد بن الوليـد - بالذين عدوا على الإسلام، فأحـرقهم بالنيران ورضخهم بالحجارة، ورمـى بهم في الجبال، ونكسهم في الآبار، وخزق بالنبال وبعث بقرة بن هبيـرة والأسارى، وكتب إلى أبي بكر: إن بني عامر أقبلت بعد إعراض، ودخلت في الإسلام بعـد تربص وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئًا حتى يجـيئوني بمن عدا على المسلمين فقتلتهم كل قتلة، وبـعثت إليك بقرة وأصحابه[٢]، وكان عيينة بن حصن من بين الأسرى فأمـر خالد بشد وثاقه تنكيلاً به، وبعثه إلى المدينة ويداه إلى عنقه، إزراءً عليه وإرهابًا لسواه، فلما دخل المدينة على هيئته تلقاه صبيان المدينة مستهزئين وأخذوا يلكزونه بأيديهم الصغيرة قائلين: (أي عدو الله! ارتددت عن الإسلام!!) فيقول: والله ما كنت آمنت قط، وجيئ به إلى خليفة رسول الله، ولقي من الخليفة سماحة لم يصدقها وأمر بفك يديه، ثم اسـتتابه، فـأعلن عيـينة توبة نصوحـًا، واعتذر عـما كان منـه وأسلم وحسن إسلامه[٣].

ومضى طليحـة، حتى، نزل كلب [٤] على النَّقع، فأسلم ولم يزل مقـيمًا في كلب حتى مات أبو بكر، وكـان إسلامه هنالك حـين بلغه أن أسدًا، وغطفـان، وعامرًا قـد أسلموا، ثم خرج نحو مكة معتمرًا في إمارة أبي بكر، ومرّ بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة، فقال: ما أصنع به! خلوا عنه، فقد هداه الله للإسلام[٥].

وقد جاء عند ابن كثـير: وأما طليحة فإنه راجع الإسـلام بعد ذلك أيضًا وذهب إلى مكة معتمرًا أيام الصديق واستحيَ أن يواجهه مدة حياته، وقد منع الصديق المرتدين من المشاركة في

---

(١) خالد بن الوليد - شيت خطاب ص٩٦، ٩٧ نقلاً عن حروب الردة - أحمد سعيد ص١٢٤ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٨٢) .
(٣) الصديق أول الخلفاء ص٨٧ .
(٤) أي نزل في قبيلة كلب .
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٥٩) .

فتوحاته بالعراق والشام ويحتمل أن يكون ذلك من باب الاحتياط لأمر الأمة؛ لأن من كان له سوابق في الضلال والكيد للمسلمين لا يُؤمن أن يكون رجوعه من باب الاستسلام لقوة المسلمين فأبو بكر (رضي الله عنه) من الأئمة الذين يرسمون للناس خط سيرهم ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم، فهو لذلك يأخذ بمبدأ الاحتياط لما فيه صالح الأمة، وإن كان في ذلك وضع من شأن بعض الأفراد [1] وهذا درس عظيم تتعلمه الأمة في عدم وضع الثقة بمن كانت لهم سوابق في الإلحاد ثم ظهر منهم العودة إلى الالتزام بالدين.

إن وضع الثقة الكاملة بهؤلاء وإسناد الأعمال القيادية لهم قد جرَّ على الأمة أحيانًا ويلات كثيرة وأوصلها إلى مآزق خطيرة، على أن أخذ الحذر من مثل هؤلاء لا يعني اتهامهم في دينهم ولا نزع الثقة منهم بالكلية، وهذا معلم من سياسة الصديق في التعامل مع أمثال هؤلاء[2].

هذا وقد حسن إسلام طليحة وأتى عمر إلى البيعة حين استخلف. وقال له عمر: أنت قاتل عكاشة وثابت[3]، والله لا أحبك أبدًا. فقال: يا أمير المؤمنين، ما تهتم من رجلين أكرمهما الله بيدي، ولم يُهنّي بأيديهما! فبايعه عمر ثم قال له: يا خُدَع، ما بقي من كهانتك؟ قال: نفخة أو نفختان بالكير. ثم رجع إلى دار قومه، فأقام بها حتى خرج إلى العراق[4]، وقد كان إسلامه صحيحًا ولم يُغْمض [5] عليه فيه وقال يعتذر ويذكر ما كان منه:

ندمت على ما كان من قتل ثابت ∴ وعُكَّاشة الغنمِّي ثم ابن معبد
وأعظم من هاتين عندي مصيبةً ∴ رجوعي عن الإسلام، فعل التعمُّد
وتركي بلادي والحوادث جَمَّةٌ ∴ طريدًا، وقد ما كنت غير مطرَّد
فهل يقبل الصديق أني مراجع ∴ ومُعط بما أحدثتُ من حدث يدي
وأني من بعد الضلالة شاهد ∴ شهادة حقٍّ ليس فيها بملّحد
بأن إله الناس ربي وأنني ∴ ذليل وأن الدين دينُ محمد [6]

هـ- قصة الفجاءة:

واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عمير بن خُفَاف من بني سُليم، قاله ابن إسحاق. وقد كان الصديق حرّق الفجاءة بالبقيع في المدينة، وكان سببه أنه قدم عليه فزعم أنه أسلم، وسأل منه أن يجهز معه جيشًا يقاتل به أهل الردة، فجهز معه جيشًا، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشًا فردّه، فلما

---

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ٦٧) . (٢) نفس المصدر (٩/ ٦٧) .
(٣) عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم (رضي الله عنهما). (٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ٥٩)، تاريخ الطبري (٤/ ٨١).
(٥) بطعن فيه . (٦) ديوان الردة - للعتوم ص٨٦ .

أمكنه الله منه، بعث به إلى البقيع، فجمعت يداه إلى قفاه وألقى في النار، فحرقه وهو مقموط [١] [٢] وكان الذي ألقى القبض عليه طريفة بن حاجز وهذا يظهر لنا دور مسلمي سليم في محاربة المفسدين في الأرض والمرتدين [٣].

وهذه العقوبة بسبب غدر الفجاءة، أو لأنه قد يكون ارتكب مع ضحاياه من المسلمين جريمة الإحراق مرة أو مرات [٤].

و- ما قاله حسان في من قال لا نطيع أبا الفصيل، يعنون أبا بكر:

ما البكرُ إلا كالفصيل وقد ترى ∴ إن الفصيل عليه ليس بعار

إنا وما حج الحجيج لبيته ∴ ركبان مكة معشر الأنصار

نفري جماحكم بكلٍّ مهند ∴ ضرب القُدار [٥] مبادي الأيسار [٦]

حتى تكنّوه بفحْل هنيدة [٧] ∴ يحمي الطروقة بازل هدّار [٨]

٣- سجاح وبنو تميم ومقتل مالك بن نويرة اليربوعي:

أ- كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر في أمره فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفان التغلبية من الجزيرة، وهي من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التف بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها، مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بني تميم، وتخلّف آخرون منهم عنها، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم، إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عزمها، وحرّضها على بني يربوع، ثم اتفق الجميع على قتال الناس، وقالوا: بمن نبدأ فقالت لهم فيما تسجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب [٩] فليس دونها حجاب.

ثم استطاع بنو تميم اقناعها بقصد اليمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب، فهابه قومها وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة دفوا دفيف

---

(١) أي شدت يداه ورجلاه كهيئة المهاد للطفل.
(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٠٦.
(٣) الثابتون على الإسلام ص٢٧.
(٤) حركة الردة - للعتوم ص١٨٥.
(٥) القدار: الجزار.
(٦) المباديء: الظواهر وهي مفاصل الجزور وما عليها عن اللحم - جمع بدء. والأيسار: جمع يَسرَ وهو الجزور.
(٧) هنيدة: اسم لمئة ناقة من الإبل.
(٨) ديوان الردة - للعتوم ص١٣٧.
(٩) الرباب: فرع من بني تميم.

الحمامة، فإنها غزوة صرّامة لا تلحقكم بعدها ملامة. فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال، وقد ساعده عكرمة بن أبي جهل بجنود المسلمين، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فحباك به، وراسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه، فركب إليها في أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض، وقبلت ذلك، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطعمه بالخير، إذا طمع، ولا يزال أمره في كل ما يسر مجتمع، ثم قال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: أصدقك؟ فقالت: لم يصدقني شيئًا، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق، فبعثت إليه تسأله صداقًا، فقال: أرسلي إليّ مؤذنك، فبعثته إليه، وهو شبث بن ربعي الرياحي- فقال: ناد في قومك: أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد - يعني صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة- فكان هذا صداقها عليه- ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة فكرّت راجعة إلى الجزيرة بعدما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت في قومها بني تغلب، إلى زمان معاوية، فأجلاهم منها عام الجماعة[١] .

كان مالك قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة ثم ترحلت إلى بلادها، ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له: البُطاح[٢]، فقصده خالد بجنوده وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق، فقال لهم خالد: إن هذا أمر لا بد من فعله، وفرصة لا بد من انتهازها، وإنه لم يأتيني فيها كتاب، وأنا الأمير وإليّ ترد الأخبار، ولست بالذي أجبركم على المسير، وأنا قاصد البُطاح، فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به، فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة، بَثّ خالد السرايا في البُطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحير في أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة- الحارث بن ربعي الأنصاري- أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا، فيقال إن الأسارى باتوا في كبولهم في ليلة شديدة البرد، فنادى منادي خالد: أن أدفئوا أسراكم. فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك ابن نويرة، فلما سمع خالد الواعية خرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمرًا أصابه. ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك،

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٦) .

(٢) البطاح: ماء من ديار بني أسد بأرض نجد .

فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه، وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر مع أبي قتادة في خالد، وقال للصديق: اعزله فإن في سيفه رَهقًا، فقال أبو بكر: لا أشيم سيفًا سله الله على الكفار، وجاء متمم بن نويرة، فجعل يشكو إلى الصديق خالدًا، وعمر يساعده، وينشد الصديق ما قال في أخيه من المراثي، فوداه الصديق من عنده[1].

دروس وعبر وفوائد:

أ- من ثبت على الإسلام من بني تميم:

لم يرتد عن الإسلام كل قبائل أو كل أفراد أو كل رؤساء بني تميم، كما حاول أن يصور ذلك بعض من المؤرخين المحدثين، والحقيقة أنه لقوة إسلام وثبات بعض بطون وأفراد ورؤساء بني تميم فقد استطاع مالك بن نويرة إقناع سجاح التميمية بقتالهم قبل قتالها أبي بكر الصديق، وعندما واجهت مسلمي تميم تلقت على أيديهم هزيمة نكراء فعدلت بعدها عن الذهاب إلى المدينة، وتوجهت إلى اليمامة، وقد تضافرت الروايات التاريخية لتؤكد هذه الحقيقة التي ذكرناها[2] بل إن التدقيق في الروايات يبين أن من ثبت على الإسلام من بني تميم كان أكثر من المترددين والمرتدين، وتعكس بعض الرواية دور قبيلة الرباب بصفة خاصة في الوقوف في وجه المرتدين؛ ولذلك استحقت من سجاح وجماعتها الحرب، وتشير بعض الروايات إلى المواجهة العظيمة التي وقعت بين الرباب وسجاح وانتهت أخيرًا بالصلح، عندما فشلت سجاح في إخضاع مسلمي تميم، وإلى ندم قيس بن عاصم على متابعة المرتدين، وسوقه صدقات قومه إلى المدينة وكانت الدائرة على سجاح وجماعتها[3].

ب- خالد ومقتل مالك بن نويرة:

اختلفت الآراء في مقتل مالك بن نويرة اختلافًا كثيرًا: أقتل مظلومًا أم مستحقًا، أي أكافرًا قتل أم مسلمًا؟ وقام الدكتور علي العتوم بتحقيق هذه المسألة في كتابه حركة الردة، وتعرض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم لهذه القضية[4]، وقام الشيخ محمد زاهر الكوثري [5] بالدفاع عن خالد في كتابه مقالات الكوثري وغير ذلك من الباحثين واخترت من بين من بحث هذا الموضوع ما ذهب إليه الدكتور علي العتوم لأنه حقق المسألة تحقيقًا علميًا متميزًا، واهتم بأحداث الردة اهتمامًا لم أجده - على حسب اطلاعي- عند أحد من الباحثين المعاصرين وخرج بنتيجة أوافقه عليها: أن الذي أردى مالكًا: كِبْره، وتردده فقد بقي للجاهلية في نفسه نصيب، وإلا لما ماطل هذه المماطلة في التبعية للقائم بأمر الإسلام بعد رسول الله (ﷺ)، وفي تأدية حق بيت مال المسلمين عليه، المتمثل بالزكاة، وفي تصوري أن الرجل كان يحرص على زعامته، ويناكف - في الوقت

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٧).
(٢) الثابتون على الإسلام ص٤٤.
(٣) نفس المصدر ص٤٨.
(٤) نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم ص٣٣.
(٥) مقالات الكوثري ص٣١٢ نقلاً عن الخلفاء الراشدون للذهبي ص٣٦.

نفسه- بعض أقربائه من زعماء بني تميم الذين وضعوا عصا الطاعة للدولة الإسلامية، وأدوا ما عليهم لها من واجبات، ولقد كانت أفعاله وأقواله على السواء تؤيد هذا التصور فارتداده، ووقوفه بجانب سجاح، وتفريقه إبل الصدقة على قومه، بل ومنعهم من أدائها لأبي بكر، وعدم إصاخته لنصائح أقربائه المسلمين في تمرده. كل ذلك يدينه ويجعل منه رجلاً أقرب إلى الكفر منه إلى الإسلام.

ولو لم يكن مما يحتج به على مالك إلا منعه للزكاة لكفى ذلك مسوِّغًا لإدانته وهذا المنع مؤكد عند الأقدمين فقد جاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام قوله: والمجمع عليه: أن خالدًا حاوره وراده، وإن مالكًا سمح بالصلاة والتوى بالزكاة [1] جاء في شرح النووي لصحيح مسلم قوله عن المرتدين: كان في ضمن هؤلاء من يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك وقبضوا على أيديهم في ذلك، كبني يربوع، فإنهم قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوها إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرّقها[2].

جـ- زواج خالد بأم تميم:

أم تميم هي ليلى بنت سنان المنهال، زوج مالك بن نويرة وهذا الزواج حدث حوله جدل كثير واتهم من لهم أغراض خالدًا بعدة تهم لا تصح ولا تثبت أمام البحث العلمي النزيه وخلاصة القصة فهناك من اتهم خالدًا بأنه تزوج أم تميم فور وقوعها في يده لعدم صبره على جمالها ولهواه السابق فيها، وبذلك يكون زواجه منها - حاش لله- سفاحًا، فهذا القول مستحدث لا يعتد به[3]، إذ خلت المصادر القديمة من الإشارة إليه، بل هي على خلافه في نصوصها الصريحة، يذكر الماوردي أن الذي جعل خالدًا يقدم على قتل مالك، هو منعه للصدقة التي استحل بها دمه وبذلك فسد عقد المناكحة بينه وبين أم تميم[4]، وحكم نساء المرتدين إذا لحقن بدار الحرب أن يسبين ولا يقتلن، كما يشير إلى ذلك الإمام السرخسي[5]، فلما صارت أم تميم في السبي اصطفاها خالد لنفسه، فلما حلّت بنى بها[6].

ويعلق الشيخ أحمد شاكر على هذه المسألة بقوله: إن خالدًا أخذها هي وابنها ملك يمين بوصفها سبية، إذ إن السبية لا عدة عليها، وإنما يحرم حرمة قطعية أن يقربها مالكها إن كانت حاملاً قبل أن تضع حملها، وإن كانت غير حامل، حتى تحيض حيضة واحدة ثم دخل بها وهو عمل مشروع جائز لا مغمز فيه ولا مطعن، إلا أن أعداءه والمخالفين عليه رأوا في هذا العمل فرصتهم، فانتهزوها، وذهبوا يزعمون أن مالك بن نويرة مسلم وأن خالدا قتله من أجل

---

(١) طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر ص١٧٢ .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) .
(٣) ما قال الجنرال الباكستاني أكرم : ففي نفس الليلة تزوجها خالد ص١٩٨ كتابه سيف الله خالد.
(٤) الأحكام السلطانية ص٤٧ نقلاً عن حركة الردة ص٢٢٩ .
(٥) المبسوط (١٠/ ١١١) نقلاً عن حركة الردة ص٢٢٩ .
(٦) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٦) .

امرأته[١]، وقد اتهم خالد بأنه في زواجه هذا خالف تقاليد العرب، فقد قال العقاد: قتل خالد مالك بن نويرة وبنى بامرأته في ميدان القتال على غير ما تألفه العرب في جاهلية وإسلام، وعلى غير ما يألفه المسلمون، وتأمر به الشريعة[٢]، فهذا القول بعيدًا عن الصحة، فقد كان يحصل كثيرًا في حياة العرب قبل الإسلام إثر حروبهم وانتصاراتهم على أعدائهم أن يتزوجوا من السبايا وكانوا يفخرون بذلك؛ ولذلك كثر فيهم أولاد السبايا وهذا حاتم الطائي يقول:

وما أنكحونا طائعين بناتهم ∴ ولكن خطبناها بأسيافنا قسرًا

وكائن ترى فينا من ابن سبية ∴ إذا لقي الأبطال يطعنهم شزرًا

ويأخذ رايات الطعان بكفه ∴ فيوردها بيضًا ويصدرها حمرا[٣]

وأما من الناحية الشرعية، فقد أتى خالد أمرًا مباحًا وسلك إليه سبيلاً مشروعة أتاه من هو أفضل منه؛ فإذا كان قد أخذ عليه زواجه أبان الحرب أو في أعقابها، فإن رسول الله (ﷺ) تزوج بجويرية بنت الحارث المصطلقية إثر غزوة المريسيع، وقد كانت في سبايا بني المصطلق فقضى عنها كتابتها وتزوجها، وكان بها طابع يمن وبركة على قومها إذ أعتق لهذا الزواج مائة رجل من أسراهم لأنهم أصبحوا أصهارًا لرسول الله (ﷺ)، وكان من آثاره المباركة كذلك إسلام أبيها الحارث بن ضرار[٤]، كما أنه (ﷺ) تزوج بصفية بنت حيي بن أخطب اليهودية إثر غزوة خيبر، وبنى بها في خيبر أو ببعض الطريق[٥]، وإذا كان رسول الله (ﷺ) الأسوة الحسنة، فقد توارى العتاب وانقطع الملام[٦]، ودفاع الدكتور محمد حسين هيكل عن خالد اتبع فيه منهجية غير مقبولة؛ لأنه ينبغي لنا أن لا نغض الطرف عن مخالفات خالد على حساب الإسلام، فخالد وغيره محكوم بالشرع الذي يعلو ولا يعلى عليه وإن تنزيه الأشخاص لا يساوي تشويه المنهج بأية حال، فقد قال الدكتور هيكل: وماالتزوج من امرأة على خلاف تقاليد العرب، بل ما الدخول بها قبل أن يتم تطهيرها، إذا وقع ذلك من فاتح غاز فحق له بحكم الغزو أن تكون له سبايا يصبحن ملك يمينه!! إن التزمت في تطبيق التشريع لا ينبغي أن يتناول النوابغ العظماء من أمثال خالد، وبخاصة إذا كان ذلك يضر بالدولة أو يعرضها للخطر[٧]، ورد الشيخ أحمد شاكر بهذا الخصوص فقال: أشد ما أخشى أن يكون المؤلف تأثر بما قرأ من أخبار نابليون وغيره من ملوك أوروبا، في مباذلهم وإسفافهم، وبما كتب الكاتبون من الإفرنج في الاعتذار عنهم لتخفيف آثامهم بما كان لهم من عظمة وبما أسدوا إلى أممهم من فتوح وأياد حتى يظن بالمسلمين الأولين أنهم أمثال هؤلاء، فيقول: إن التزمت في تطبيق التشريع لا يجب أن يتناول النوابغ العظماء من أمثال خالد، وهذا قول يهدم كل دين وخلق[٨].

---

(١) حركة الردة ص٢٣٠ .
(٢) عبقرية الصديق ص٧٠ .
(٣) العقد الفريد - لابن عبد ربه (٧/ ١٢٣) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٠، ٢٩٥) .
(٥) نفس المصدر (٢/ ٣٣٩) .
(٦) حركة الردة ص٢٣٧ .
(٧) الصديق أبو بكر ص١٤٠ .
(٨) حركة الردة ص٢٣٢ .

د- دعم الصديق للقيادة الميدانية:

كان بعض رجال من جيش خالد قد شهدوا أن القوم أذّنوا حين سمعوا أذان المسلمين، وأنهم بذلك قد حقنوا دماءهم وأن قتلهم لا يحل، ومن أولئك القوم أبو قتادة (رضي الله عنه)، فأكبر الأمر، وزاد ذلك عنده أنه رأى خالد بن الوليد قد تزوج امرأة مالك بن نويرة، ففارق أبو قتادة خالد وقدم على أبي بكر ليشكوا إليه خالدًا فيما خالف فيه. فرأى أبو بكر أن فراق أبي قتادة لخالد خطأ لا ينبغي أن يرخص فيه له ولا لغيره؛ لأنه يكون سببًا للفشل والجيش في أرض العدو، فاشتد على أبي قتادة وردَّه إلى خالد، ولم يرض منه إلا أن يعود فينخرط تحت لوائه[١]، وعمل أبي بكر من أحكم السياسات الحربية.

وقد قام الصديق بالتحقيق في مقتل ابن نويرة وانتهى إلى براءة ساحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة،[٢] وأبو بكر في هذا الشأن أكثر اطلاعًا على حقائق الأمور، وأبعد نظرًا في تصريفها من بقية الصحابة، لأنه الخليفة وإليه تصل الأخبار، كما أنه أرجح إيمانًا منهم، وهو في معاملته لخالد يحتذي على سنن رسول الله (ﷺ)، إذ أنه عليه الصلاة والسلام، لم يعزل خالدًا عما ولاه في الوقت الذي كان يقع منه ما قد لا يرتاح له، وكان يعذره إذ يعتذر، ويقول: «**لا تؤذوا خالدًا، فإنه سيف من سيوف الله، صبه الله على الكفار**»[٣].

إن من كمال الصديق توليته لخالد واستعانته به، لأنه كان شديدًا لا يعتدل به أمره، ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسده، ومجرد الشدة تفسده، فكان يقوم باستشارة عمر وباستنابة خالد وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله (ﷺ) ولهذا اشتد في قتال أهل الردة شدة بَرَزَ بها على عمر وغيره فجعل الله فيه الشدة ما لم يكن فيه قبل ذلك، وأما عمر فكان شديدًا في نفسه، فكان من كماله - في خلافته- استعانته باللين ليعتدل أمره - فكان يستعين بأبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة الثقفي، والنعمان بن مقرن، وسعيد بن عامر، وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظم زهدًا وعبادة من خالد بن الوليد وأمثاله، وقد جعل الله في عمر من الرأفة - بعد الخلافة- ما لم يكن فيه قبل ذلك، تكميلاً له، حتى صار أمير المؤمنين[٤].

وقد ذكر ابن تيمية كلامًا نفيسًا عن ذلك فقال: . . . وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله (ﷺ) ما زال يستعمل خالدًا في حرب أهل الردة، وفي فتوح العراق والشام وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى، فلم يعزله من أجلها، بل عاتبه عليها؛ لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه، لأن المتولي الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين، فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى الشدة، وإذا كان

---

(١) حركة الردة ص٢٣١ .

(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي ص١١٢، الخلفاء الراشدون للنجار ص٥٨ .

(٣) فتح الباري (٧/ ١٠١) .

(٤) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة ص١٩٣، ١٩٤ .

خلقه يميل إلى الشدة، فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى اللين، ليعتدل الأمر، ولهذا كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يؤثر استنابة خالد؛ وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يؤثر عزل خالد، واستنابة أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)؛ لأن خالدًا كان شديدًا، كعمر بن الخطاب، وأبا عبيدة كان لينًا كأبي بكر، وكان الأصلح لكل منهما أن يولي من ولاه؛ ليكون أمره معتدلاً، ويكون بذلك من خلفاء رسول الله الذي هو معتدل[1]، حتى قال النبي (ﷺ): «أنا نبي الرحمة، أنا نبي الملحمة»[2]

٤- ردة أهل عمان والبحرين:

أ- ردة أهل عُمان:

كان أهل عُمان قد استجابوا لدعوة الإسلام وبعث إليهم رسول الله (ﷺ) عمرو بن العاص، ثم بعد وفاته (ﷺ) نبغ فيهم رجل يقال له (ذو التاج)، لقيط بن مالك الأزدي وكان يسمي في الجاهلية الجُلَنْدي ملك عمان[3]، فادعى النبوة، وتابعه الجهلة من أهل عُمان، فتغلب على جيفر وعبّادًا ابني الجُلَندي[4]، وألجأهما إلى أطرافها من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصديق بأميرين، وهما: حذيفة ابن محصن الغلفاني من حميّر، وعرفجة إلى مَهْرة، وأمرها أن يجتمعا ويتفقا ويبدئا بعُمان، وحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مَهرة فعرفجة الأمير، وأرسل عكرمة بن أبي جهل مددًا لهم، وكتب الصديق إلى عرفجة وحذيفة أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير إلى عُمان أو المقام بها، فساروا فلما اقتربا من عُمان راسلوا جيفرا، وبلغ لقيط بن مالك مجيء الجيش، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له دبًا، وهي مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الذراري والأموال وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صُحَار، فعسكروا فيه وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين، فتقابل الجيشان هناك، وتقاتلوا قتالاً شديدًا وابتلي المسلمون وكادوا أن يولوا، فمنّ الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مددًا في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبد القيس، في جماعة من الأمراء، فلما وصلا إليهم كان الفتح والنصر فولى المشركون مدبرين، وركب المسلمين ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل، وسبوا الذراري، وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها وبعثوا بالخمس إلى الصديق مع أحد الأمراء وهو عرفجة[5].

وكان السبب في هذا النصر العظيم وقوف الجماعة الإسلامية في عُمان مع أميرها جَيْفَر وأخيه عباد ضد ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي، واعتصامها بالأماكن الحصينة، حتى أدركتها جيوش المسلمين، كما كان لمواقف بني جُديد وبني ناجية وبني عبد القيس في ثبوتهم على الإسلام ودخلوهم في المعركة في الوقت المناسب أثر في نصر المسلمين[6].

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ١٤٤).
(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٩٥، ٤٠٤، ٤٠٧).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤).
(٤) نفس المصدر (٦/ ٣٣٤).
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٥).
(٦) الثابتون على الإسلام ص٥٩، ٦٠.

ب- ردة أهل البحرين:

أسلم أهل البحرين بعد ما أرسل النبي (ﷺ) العلاء بن الحضرمي إلى ملكها وحاكمها المنذر بن ساوى العبدي، وقد أسلم هو وقومه وأقام فيهم الإسلام والعدل، وقد كان رد المنذر ابن ساوى: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده وإن من إعظام ما جاء به أن يعظم[١].

فلما توفي رسول الله (ﷺ) وتوفي المنذر بعده بمدة قصيرة ارتدَّ أهل البحرين وملَّكوا عليهم المنذر بن النعمان الغرور[٢].

أين هي أرض البحرين؟

أرض البحرين هي شقة ضيقة من الأرض تشاطئ مع هجر خليج العرب، وتمتد من القطيف إلى عُمان، والصحراء في بعض أنحائها تكاد تتصل بماء الخليج وهي تتصل باليمامة في جزئها الأعلى لا يفصل بينهما إلا سلسلة من التلاف يهون لانخفاضها اجتيازها[٣].

فهي إذا تشمل إمارات الخليج العربي والجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية عدا الكويت[٤].

هذا وقد كان لمن ثبت على الإسلام في البحرين دور كبير في إخماد هذه الفتنة وكان للجارود بن المعلى دور متميز، فقد صحب رسول الله (ﷺ) وتفقه في الدين ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فأجابوه كلهم، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى مات النبي (ﷺ)، فقالت عبد القيس: لو كان محمد نبيًا لما مات، وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم، ثم قام فخطبهم. فقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموا. قالوا: سل عما بدا لك. قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترون؟ قالوا: لا بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمدًا (ﷺ) مات كما ماتوا. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنك سيدنا وأفضلنا وثبتوا على إسلامهم، فهذا موقف يُذكر للجارود بن المعلَّى (رضي الله عنه) فقد ثبت الله به قومه عبد القيس فثبتوا على إسلامهم، وقد ألهمه الله (تعالى) بضرب المثل بالأنبياء السابقين عليهم السلام حيث كان نهايتهم الموت فكذلك رسول الله (ﷺ) فاقتنع قومه وزال عنهم الشك، وهذا مما يبين مزية التفقه في الدين وأثر ذلك في توجيه الاعتقاد والسلوك وخاصة عند حدوث الفتن[٥].

---

(١) التراتيب الإدارية (١/ ١٩).
(٢) حروب الردة - أحمد سعيد ص١٤٦.
(٣) نفس المصدر ص١٤٧.
(٤) المصدر السابق ص١٤٧.
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ٩٧).

وقد بقت بلدة جُواثا على الإسلام، وكانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في البخاري عن ابن عباس، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، ومنعوا عنهم الأقوات وجاعوا جوعًا شديدًا حتى فرج الله عنهم، وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتد الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ∴ وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لكم إلى قوم كرام ∴ قعود في جُواثا مُحصَرينا

كأن دماءهم في كل فج ∴ شعاع الشمس يغشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا ∴ وجدنا النصر للمتوكلينا[١]

فهذا موقف يذكر في الثبات على الحق لهؤلاء المسلمين الذين حصرهم الأعداء في (جُواثا) حتى كادوا يهلكون من الجوع، وفي الأبيات المذكورة في الرواية التي قالها عبد الله بن حذف دليل على عمق إيمان هؤلاء المصورين وقوة توكلهم على الله (تعالى) وثقتهم بنصره[٢].

بعث الصديق بجيش إلى البحرين بقيادة العلاء بن الحضرمي فلما دنا من البحرين انضم إليه حُمامة بن أُثَال في محفل كبير من قومه بني سحيم، واستنهض المسلمين في تلك الأنحاء، وأمد الجارود بن المعلى العلاء برجال من قومه، فاجتمع إليه جيش كبير قاتل به المرتدين، ونصر الله به المؤمنين وكان ممن آزر العلاء لقمع فتنة البحرين، قيس بن عاصم النقري، وعفيف بن المنذر، والمثنى بن حارثة الشيباني[٣].

كرامة للعلاء بن الحضرمي:

كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي الدعوة اتفق له في هذه الغزوة أنه نزل منزلا[٤]، فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم - وذلك ليلاً- ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من الهم والغم ما لا يُحَدّ ولا يُوصَف، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض، فنادى منادي العلاء فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس ألستم المسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم، ونودي لصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى الناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه، وجثا الناس، ونصب في الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى، وهو يجتهد في الدعاء ويكرره، فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديرًا عظيمًا من الماء القراح،

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٢).

(٢) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/ ٩٨).

(٣) الثابتون على الإسلام ص٦٣.

(٤) في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦٣) حدد منزله بالدهناء وهي صحراء رملية بين نجد والأحساء.

فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما (تعالى) النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سِلْكًا، فسقوا الإبل عَلَلاً بعد نَهَلٍ[1]، فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية[2].

هزيمة المرتدين:

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة - وقد حشدوا وجمعوا خلقًا عظيمًا- نزل ونزلوا، وباتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتًا عالية في جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبد الله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سُكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فورهم والجيش معه فكسوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيمًا، وقل من هرب منهم واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة، عظيمة جسيمة، وكان الحُطَم بن ضُبيعَة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائمًا، فقام دهشًا حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، ارفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال: أجهز عليّ، فقال: لا أفعل، فوقع صريعًا وكلما مرّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مر به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحُطم فاقتلني فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله وقال: واسوأتاه، لو أعلم ما به لم أحركه.

ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق وذهب من فرّ منه أو أكثر إلى دارين[3]، ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء الحضرمي في قسمة الغنيمة ونَفَل الأنفال ولما فرغ من ذلك قال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعًا، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا[4]. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى رُكب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مخبرًا وانساق الذراري والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئًا عُليقة فرس لرجل من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم، فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفين، مع كثرة الجيشين وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين في

---

(١) العَلَلُ: الشربة الثانية، والنهل: شرب الإبل أول ما ترد الماء .

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٣) . (٣) دارين: بكسر الراء هي فرضة بالبحرين .

(٤) البداية والنهاية (٦/ ١٢١) .

مرورهم في البحر وهو عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلل بحره ∴ وأنزل بالكفار إحدى الجلائل[١]

دعونا إلى شق البحار فجاءنا ∴ بأعجب من فلق البحار الأوائل[٢]

وكان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رأوها من أمر العلاء، وما أجرى الله على يديه من الكرامات، رجل من أهل هجر راهب فأسلم حينئذ، فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام؟ فقال: خشيت إن لم أفعل أن يمسخني الله، لما شاهدت من الآيات: قال: وقد سمعت في الهواء وقت السَّحَر دعاء، قالو: وما هو؟ قال: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شيء والدائم غير الغافل، والذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهم كل شيء علمًا، قال: فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله، فحسن إسلامه وكان الصحابه يسمعون منه[٣].

وبعد هزيمة المرتدين رجع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وضرب الإسلام بجرانة، وعزّ الإسلام وأهله[٤]، وذل الشرك وأهله، ولولا تدخل بعض العناصر الأجنبية لصالح المرتدين، ما تجرأ المرتدون على الموقف في وجه المسلمين مدة طويلة، إذ أن الفرس قد أمدو المرتدين بتسعة آلاف من المقاتلين، وكان عدد المرتدين من العرب ثلاثة آلاف، وعدد المسلمين أربعة آلاف[٥].

وكان للمثنى بن حارثة دور كبير في إخماد فتنة البحرين والوقوف بقواته بجانب العلاء بن الحضرمي، وقد سار بجنوده من البحرين، شمالاً ووضع يده على القطيف وهجر حتى بلغ مصب دجلة وقضى في سيره هذا على قوات الفرس وعمالهم ممن عانوا المرتدين بالبحرين وأنه انضم إلى العلاء بن الحضرمي في مقاتلة المرتدين على رأس من بقي على الإسلام من أهل هذه النواحي وأنه تابع مسيره مع الساحل شمالاً حتى نزل في قبائل العرب الذين يقيمون بدلتا النهرين فتحدث إليهم وتعاهد معهم وعندما سأل الخليفة الصديق (رضي الله عنه) عن المثنى قال له قيس بن عاصم المنقري: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيباني[٦].

---

(١) الجلائل: العظائم.

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤).

(٣) نفس المصدر (٦/ ٣٣٤).

(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٠٥).

(٥) فتوح ابن أعثم ص٤٧، نقلاً عن الثابتون على الإسلام ص٦٤.

(٦) فتوح البلدان - للبلاذري ص٢٤٢، نقلاً عن أبو بكر الصديق - خالد جاسم ص٤٤.

وقد أصـدر الصديق (رضي الله عنه) أمره إلى المثنى بن حارثة أن يتـابع دعوته للعرب في العراق إلى الحق وقد اعتبر أن ما قام بـه المثنى من قبل ما هو إلا الخطوة الأولى في تحرير العراق وأما الخطوة الحاسمة فهي توجيه خالد بن الوليد ليتولى قيادة الجيوش الإسلامية هناك[١].

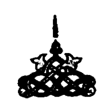
لقد كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يغتنم الفرص ويستنفذ الطاقات ويستحث الهمم ليصل من الأعمـال المقدّمة إلى أعلى النتائج، وكان يسـخر الطاقات الكامـنة في الرجال ويوجهـها لسحق الطغيان الذي عشش في رؤوس زعماء الكفر والطغيان[٢].



(١) أبو بكر الصديق ص٤٤ – خالد الجنابي، نزار الحديثي .
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/٩٨) .



المبحث الرابع



مسيلمة الكذاب وبنو حنيفة

أولاً: التعريف به ومقدمة عنه:

هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي أبو ثمامة، متنبئ من المعمرين، وفي الأمثال: أكذب من مسيلمة، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن وعرف برحمان اليمامة[١]، وأخذ يطوف في ديار العرب والعجم يتعلم الأساليب التي يستطيع بها استغفال الناس واستجرارهم لجانبه كجبل السدنة والحوّاء وأصحاب الزجر والخط، ومذاهب الكهان والعياف والسحرة وأصحاب الجن الذين يزعمون أن لهم تابعات إلى غيرها من الخزعبلات ومن هذه الشعوذات أنه كان يصل جناح الطائر المقصوص في الظاهر، ويدخل البيضة في القارورة[٢]، وكان مسيلمة يدعي النبوة ورسول الله بمكة وكان يبعث بأناس إليها ليسمعوا القرآن ويقرؤوه على مسامعه، فينسج على منواله أو يسمعه هو نفسه للناس زاعمًا أنه كلامه[٣]، وفي العام التاسع للهجرة الذي عم فيه الإسلام ربوع الجزيرة العربية، أقبل وفد بني حنيفة على مدينة الرسول (ﷺ) يعلنون إسلامهم، وكان مسيلمة معهم، فقد ذكر ابن إسحاق: إن مسيلمة كان ضمن المجموعة التي قابلت الرسول (ﷺ)، من وفد بني حنيفة جاؤوا به يسترونه بالثياب، فلما قابله كلمه وكان مع رسول الله (ﷺ) عسيب من سعف النخل، فقال له رسول الله (ﷺ): **«لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه»**[٤]. ويبدو أنه سأله الشركة في النبوة أو الخلافة من بعده، وفي رواية: إن مسيلمة لم يكن في الوفد الذي قابل رسول الله (ﷺ)، لأنه تخلف يحرس رحال القوم، فلما قسّم (ﷺ) الأعطيات أخرج له نصيبًا مثل أنصبائهم، وقال لهم: إنه ليس بشرّكم مكانًا، وذلك لقيامه على حراسة متاعهم[٥].

---

(١) حروب الردة وبناء الدولة - أحمد سعيد ص١٣٣، الزركلي (٢/ ١٢٥).
(٢) حركة الردة - للعتوم ص٧١.
(٣) البدء والتاريخ (٥/ ١٦٠) للمقدسي - نقلاً عن حركة الردة ص٧١.
(٤) السيرة النبوية (٢/ ٥٧٦، ٥٧٧) - لابن هشام.
(٥) نفس المصدر (٢/ ٥٧٧).

وفي الرواية الأولى يبدو مسيلمة الكذاب شخصًا مريبًا مما استدعى ستره بهذه الثياب، وكأنه يخفي في نفسه وتقاطيع وجهه شيئًا مدخولاً. وقد كان الرجل كذلك في حياته وفي قوله (ﷺ): «ليس بشركم» لا تعني أنه خيرهم، بل قد تعني أنهم أشرار وليس هو بأكثر شرًا منهم، بل هو شرير مثلهم والحقيقة التي كشفتها الأيام أن بني حنيفة، كان جُلهم أشرارًا وكان هو الذي يتولى كبر هذا الشر فيهم.

١- رجوع وفد بني حنيفة:

ولما رجع وفد بني حنيفة إلى اليمامة حيث ديارهم، ادعى مسيلمة النبوة وأعلن شركته لرسول الله (ﷺ) فيها، اعتمادًا على قوله (ﷺ): «إنه ليس بشركم» وطفق يتنبأ لقومه ويسجع ويحلل ويحرم كما يشتهي، فكان مما زعم أنه قرآن يأتيه: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى[١]، فمنهم من يموت ويدس إلى الثرى، ومنهم من يبقى إلى أجل مسمى، والله يعلم السر وأخفى[٢].

ومما قاله مسيلمة: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين[٣]، وقد حاول مسيلمة الكذاب أن يسرق أساليب القرآن مع إحالة معانيه، بحيث تخرج شوهاء ممسوخة، مثل قوله: (فسبحان الله، إذا جاءت الحياة كيف تحيون؟ وإلى ملك السماء ترقون، فلو أنها حبة خردلة، لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور، ولأكثر الناس فيها ثبور[٤]، لقد كان هذا الهراء غير خاف على أحد بمن فيهم هم أنفسهم قبل غيرهم، وقد ذكر ابن كثير أن عمرو بن العاص - قبل إسلامه- قابل مسيلمة الكذاب فسأله هذا ماذا أنزل على محمد من القرآن؟ فقال له عمرو: إن الله أنزل عليه سورة العصر، فقال مسيلمة. وقد أنزل الله عليَّ مثلها وهو قوله: يا وبر، يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حفر نقر[٥]، فقال له عمرو بن العاص: والله إنك تعلم أني أعلم أنك تكذب[٦]. وعلقّ ابن كثير - رحمه الله - على قول عمرو هذا من قرآن مسيلمة المزعوم: فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان، ما يعاض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان[٧].

وقال أبو بكر الباقلاني - رحمه الله- فأما كلام مسيلمة الكذاب، وما زعم أنه قرآن، فهو أخسُّ من أن ننشغل به، وأسخف من أن نفكر فيه وإنما نقلنا منه طرفًا ليتعجب القارئ، وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل، وميدان الجهل واسع[٨].

---

(١) حركة الردة ص٧٣ - للعتوم .
(٢) البدء والتاريخ - للمقدسي (٥/ ١٦٢) .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٠٢).
(٤) حركة الردة ص٢٧١ - للعتوم .
(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٧) طبعة الحلبي .
(٦) نفس المصدر (٤/ ٥٤٧) .
(٧) المصدر السابق (٤/ ٥٤٧) . (٨) إعجاز القرآن - تحقيق سيد صقر ص١٥٦ .

٢- كتاب مسيلمة إلى رسول الله (ﷺ) والجواب عنه:

وفي العام العاشر للهجرة، عندما أصيب رسول الله (ﷺ) بمرض موته، تجرأ الخبيث فكتب رسالة إلى رسول الله (ﷺ) يزعم لنفسه فيها الشركة معه في النبوة، كتبها له عمرو بن الجارود الحنفي وبعثها إليه مع عبادة بن الحارث الحنفي المعروف بابن النواحة، هذا نصها: من مسيلمة رسول الله (كذب) إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشًا لا ينصفون[1].

فردَّ عليه رسول الله (ﷺ) برسالة كتبها له أبي بن كعب (رضي الله عنه) نصها: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى**»،[2] وكان مسيلمة قد بعث برسالته إلى الرسول (ﷺ) مع رجلين، أحدهما ابن النواحة المذكور، فلما اطلع عليها رسول الله (ﷺ)، قال لهما: «**وماذا تقولان أنتما؟**» فقالا: نقول كما قال: فقال (ﷺ): «**أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم**»[3].

٣- موقف حبيب بن زيد الأنصاري حامل رسالة رسول الله إلى مسيلمة:

حمل حبيب بن زيد الأنصاري ابن أم عمارة، نسيبة بنت كعب المازنية (رضي الله عنهما) رسالة رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، فعندما سلمه الرسالة قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول له: أو تشهد أني رسول الله؟ فيقول: أنا أصم لا أسمع، ففعل ذلك مرارًا، وكان في كل مرة لا يجيبه فيها حبيب إلى طلبه، يقتطع من جسمه عضوًا، ويبقى حبيب محتسبًا صابرًا إلى أن قطعه إربًا إربا، فاستشهد (رضي الله عنه) بين يديه[4]، ولننظر إلى رسول الله (ﷺ) كيف يحترم المواثيق، والأعراف الدولية، فلا يقتل الرسل ولو كانوا من قبل أعدائه الألداء الكفار، وحتى ولو كفروا أمامه، وما دام لهم هذه الحصانة (الدبلوماسية).

أما مسيلمة فيتعامى عن العهود والمواثيق، فيقتل السفراء، لا قتلاً عاديًا، بل قتل تشويه وتمثيل وتشفٍّ، مع إنه الفارق بين الإسلام الذي يحترم الكلمة، ويحترم الإنسان، ويخاصم بشرف ورجولة، وبين الجاهلية التي لا تعرف إلا الفساد في الأرض وتحكيم الهوى[5].

٤- الرّجال بن عنفوة الحنفي:

استفحل أمر مسيلمة الكذّاب في بني حنيفة، ويبدو أنهم كانوا على استعداد للتجاوب مع زيفه وخداعه، وافتتن به الرجال بن عنفوة الذي هاجر إلى النبي (ﷺ)، وأسلم وقرأ القرآن،

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٦).
(٢) نفس المصدر (٣/ ٣٨٧).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٨٦).
(٤) أسد الغابة - رقم الترجمة ١٠٤٩.
(٥) حركة الردة - للعتوم ص٧٤.

وحفظ بعض سوره، كان قد بعثه رسول الله إلى مسيلمة ليخذل عنه الأتباع، وليوضح جلية الأمر للناس في هذه الفتنة الغاشية، فما كان منه عندما وصل إليه، إلا أن انقلب على وجهه وأخذ يشهد لمسيلمة أمام الناس أن رسول الله، أشركه معه في النبوة، فكان هذا الشقي أشدّ فتنة على الناس من مسيلمة نفسه[١].

وقد ألمح رسول الله في حياته إلى سوء منقلب الرّجال، فقد روى أبو هريرة (رضي الله عنه)، قال: جلست مع النبي (ﷺ)، في رهط معنا الرّجال بن عنفُوة، فقال: «**إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد**»، فهلك القوم، وبقيت أنا والرّجال، فكنت متخوفًا لها، حتى خرج الرّجال مع مسيلمة، فشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرّجال أعظم من فتنة مسيلمة[٢].

ثانيا: الثابتون على الإسلام من بني حنيفة:

طغت أخبار ردة مسيلمة الكذاب باليمامة على غيرها من أخبار ثبات جماعات من المسلمين الصادقين باليمامة بصفة عامة وفي بني حنيفة - قوم مسيلمة بصفة خاصة- ولم يتعرض كثير من الكتّاب المحدثين لذكر المسلمين الذين تمسكوا بإسلامهم من فتنة مسيلمة ووقفوا في وجهه وساندوا جيوش الخلافة للقضاء على فتنته وقد وجدت[٣] روايات معتبرة تلقي الضوء على هذه الحقيقة التي غابت عن الكثيرين[٤].

يذكر ابن أعثم، أن ممن ثبت على الإسلام في اليمامة ثمامة بن آثال[٥]، الذي كان من مشاهير بني حنيفة، ولذا اجتمعت إليه عندما علموا بمسير خالد إليهم لأنه كان واحدًا من أكابرهم، وكان ذا عقل وفهم ورأي، وكان مخالفًا لمسيلمة على ما هو عليه من الردة، وكان مما قاله لمن تابع مسيلمة: ... ويحكم يا بني حنيفة اسمعوا قولي تهتدوا، وأطيعوا أمري ترشدوا، واعلموا أن محمدًا (ﷺ) كان نبيًا مرسلاً لا شك في نبوته، ومسيلمة رجل كذّاب، لا تغتروا بكلامه وكذبه، فإنكم قد سمعتم القرآن الذي أتى به محمد (ﷺ) وآل عن ربه إذ يقول: ﴿**حمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة غافر، آية: ١- ٣) فأين هذا الكلام من كلام مسيلمة الكذاب؟ فانظروا في أموركم ولا يذهبن هذا عنكم، ألا وإني خارج إلى خالد بن الوليد في ليلتي هذه طالبا منه الأمان على نفسي ومالي وأهلي وولدي... وكان جواب من هُدي إليه من قومه: (نحن معك يا أبا عامر فكن من ذلك على علم). ثم خرج ثمامة بن أثال في جوف الليل في نفر من بني حنيفة حتى لحق بخالد بن الوليد واستأمن إليه فأمنه وأمن أصحابه[٦]، وجاء في رواية الكلاعي قوله لهم بأن لا نبي مع محمد (ﷺ) ولا بعده، وتذكر طرفًا من قرآن مسيلمة للتدليل على سخفه[٧] وتروى شعرًا ينسب إلى ثمامة، منه قوله:

---

(١) حركة الردة - للعتوم ص٧٥ . (٢) تاريخ الطبري (١٠٦/٤) .
(٣) وجدتها في كتاب الثابتون على الإسلام - للدكتور مهدي رزق الله .
(٤) الثابتون على الإسلام ص٥١ .
(٥) وقع في الأسر في زمن النبي (ﷺ) لما كان مشرك فعفا عنه رسول الله (ﷺ) وحسن إسلامه .
(٦) الثابتون على الإسلام ص٥٢ . (٧) الكلاعي - حروب الردة ص١١٧ .

مسيلمة ارجع ولا تمحك ∴ فإنك في الأمر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه ∴ فكان هواك هوى الأنوك[١]
ومنّاك قومُك أن يمنعوك ∴ وإن يأتيهم خالد تُترك
فمالك من مصعد في السماء ∴ ولا لك في الأرض من مسلكَ[٢]

وقد جاء في رواية: دور ثمامة في حرب مسيلمة ومساعدة عكرمة بن أبي جهل له في هذه المهمة[٣].

وقد ساهم ثمامة بن أثال في مساعدة العلاء بن الحضرمي في حربه للمرتدين بالبحرين وكان معه مسلمو بني حنيفة من بني سُحيم، ومن أهل القرى من سائر بني حنيفة، وكان ثمامة من أهل البلاء في قتال المرتدين مع العلاء الحضرمي[٤].

وممن ثبت على الإسلام في اليمامة معمر بن كلاب الرِّماني، فقد وعظ مسيلمة وبني حنيفة الذين تابعوه ونهاهم عن الردة، وكان جارًا، لثمامة بن أثال وشهد قتال اليمامة مع خالد ابن الوليد ومن سادات اليمامة الذين كانوا يكتمون إسلامهم: ابن عمرو اليشكري الذي كان من أصدقاء الرجّال بن عنفوة، وقال شعرًا فشا في اليمامة، وأنشده الناس، ومن هذا الشعر قوله:

إن ديني دين النبي وفي القوم ∴ رجال على الهدى أمثالي
أهلك القوم مُحَكَّم بن طُفَيل ∴ ورجال ليسوا لنا برجال
إن تكن ميتتي على فطرة ∴ الله حنيفًا فإني لا أبالي

فبلغ ذلك مسيلمة ومحكما وأشراف أهل اليمامة فطلبوه ولكنه فاتهم، ولحق بخالد بن الوليد، وأخبره بحال أهل اليمامة ودله على عوراتهم[٥].

وممن ثبت على الإسلام في اليمامة أيضا: عامر بن مَسْلَمَة ورهطه[٦].

ولقد أكرم أبو بكر الثابتين على الإسلام من بني حنيفة وذلك في أشخاص ذوي قرابتهم، ومن ذلك تعيينه لمطرف بن النعمان بن مسلمة ابن أخ كل من ثمامة بن أثال وعامر بن مسلمة اللذين كان لهما ثباتا في فتنة الردة - عينه واليًا على اليمامة[٧].

ثالثًا: تحرك خالد بن الوليد بجيشه إلى مسيلمة الكذاب باليمامة:

كان أبو بكر (رضي الله عنه) قد أمر خالدًا إذا فرغ من أسد وغطفان ومالك بن نويرة أن يقصد اليمامة وأكد عليه في ذلك، قال شريك الفزاري[٨]: كنت ممن حضر بزاخة، فجئت أبا بكر، فأمرني بالمسير إلى خالد، وكتب معي إليه: أما بعد فقد جاءني في كتابك مع رسولك تذكر ما

---

(١) نفس المصدر ص١١٧ .
(٢) الثابتون على الإسلام ص٥٣ .
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٦١) .
(٤) الثابتون على الإسلام ص٥٤ .
(٥) حروب الردة ص١٠٤- ١٠٦ - للكلاعي .
(٦) الثابتون على الإسلام ص٥٧ .
(٧) نفس المصدر ص٥٨ .
(٨) شريك بن عبده: صحابي قام بالمراسلة الحربية بين الصديق وخالد.

أظفرك الله بأهل بزاخة، وما فعلت بأسد وغطفان، وأنك سائر إلى اليمامة، وذلك عهدي إليك، فاتق الله وحده لا شريك له، وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين، كن لهم كالوالد، وإياك يا خالد بن الوليد ونخوة بني المغيرة، فإني قد عصيت فيك من لم أعصه في شيء قط، فانظر إلى بني حنيفة إذا لقيتهم إن شاء الله، فإنك لم تلقَ قوما يشبهون بني حنيفة، كلهم عليك ولهم بلاد واسعة، فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسك، واجعل على ميمنتك رجلا، وعلى ميسرتك رجلاً [١]، واجعل على خيلك رجلاً، واستشر من معك من الأكابر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين والأنصار، واعرف لهم فضلهم، فإذا لقيت القوم وهم على صفوفهم، فالقهم إن شاء الله وقد أعددت للأمور أقرانها، فالسهم للسهم، والرمح للرمح، والسيف للسيف، واحمل أسيرهم على السيف[٢]، وهوّل فيهم القتل، واحرقهم بالنار، وإياك أن تخالف أمري، والسَّلام عليك[٣]. فلما انتهى الكتاب إلى خالد وقرأه قال: سمع وطاعة[٤].

سار خالد إلى قتال بني حنيفة باليمامة، وعبّأ معه للمسلمين، وكان على الأنصار ثابت ابن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكّل به، وسيّر الصديق جيشًا كثيفًا، مجهزًا بأحدث سلاح، ليحمي ظهر خالد، حتى لا يوقع به أحد من خلفه، وكان خالد في طريقه إلى اليمامة قد لقي أحياء من الأعراب قد ارتدت فغزاها، وردها إلى الإسلام، ولقي مؤخرة جيش سجاح، ففتك به ونكبه، ثم زحف إلى اليمامة[٥].

ولما سمع مسيلمة بقدوم خالد، عسكر بمكان يقال له عقرباء[٦] في طرف اليمامة، وندب الناس وحثّهم على لقاء خالد، فأتاه أهل اليمامة وجعل على مجنبتي جيشه: المحكم بن الطفيل والرّجّال بن عنفوة (شاهد زور).

والتقى خالد بعكرمة وشرحبيل، فتقدم وقد جعل على مقدمة الجيش شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيد بن الخطاب وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة[٧].

أ- مجاعة بن مرارة الحنفي يقع في أسر المسلمين:

مرّت مقدمة جيش خالد بنحو من أربعين - وقيل ستين- فارسًا، عليهم مجاعة بن مرارة الحنفي، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له، في بني تميم وبني عامر، وفي طريق عودته إلى قومه أسرهم المسلمون، فلما جيء بهم إلى خالد قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول

(١) حروب الردة - شوقي أبو خليل ص٧٨ .
(٢) نفس المصدر ص٧٨ .
(٣) مجموعة الوثائق السياسية ص٣٤٨، ٣٤٩، حروب الردة - أبو خليل ص٧٩ .
(٤) حروب الردة - شوقي أبو خليل ص٧٩ .
(٥) الصديق أول الخلفاء ص١٠٥ .
(٦) حروب الردة ص٨ .
(٧) حروب الردة - شوقي أبو خليل ص٨٠ .

منا نبي ومنكم نبي، فقتلهم[١]، وفي رواية: سألهم خالد: متى شعرتم بنا؟ قالوا: ما شعرنا بك! إنما خرجنا لنثأر فيمن حولنا من بني عامر وتميم. فلم يصدقهم خالد، بل حسبهم جواسيس عليه، لمسيلمة الكذاب، فأمر بقتلهم جميعًا، فقالوا له: إن تريد بأهل اليمامة غدًا شرًا أو خيرًا، فاستبق هذا، وأشاروا إلى رئيسهم مجّاعة، فاستبقى مجاعة وقتل الآخرين[٢].

وكان مجاعة بن مرارة سيدًا في بني حنيفة، شريفًا مطاعًا، فكان خالد كلما نزل منزلاً واستقر به، دعا مُجاعة فأكل معه وحدثه، فقال له ذات يوم: أخبرني عن صاحبك - يعني مسيلمة- ما الذي يقرأكم؟ هل تحفظ منه شيئًا؟ قال نعم: فذكر له شيئًا من رجزه، فقام خالد وضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: يا معشر المسلمين، اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن، ثم قال: ويحك يا مجاعة، أراك رجلاً سيدًا عاقلاً اسمع إلى كتاب الله عز وجل، ثم انظر كيف عارضه عدو الله، فقرأ عليه خالد ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فقال مجاعة: أما إن رجلاً من أهل البحرين كان يكتب، أدناه مسيلمة وقرّبه حتى لم يكن يُعدّ له في القُرْب عنده أحد، فكان يخرج إلينا فيقول: ويحكم يا أهل اليمامة، صاحبكم والله كذّاب، وما أظنكم تتهموني عليه، إنكم لترون منزلتي عنده وحالي، هو والله يكذبكم ويابعكم على الباطل، قال خالد: فما فعل ذلك البحراني، قال: هرب منه، كان لا يزال يقول هذا القول حتى بلغه فخافه على نفسه، فهرب، فلحق بالبحرين، قال خالد: هات زدنا من كذب الخبيث، فقال مجاعة بعض رجز مسيلمة، فقال خالد: وهذا كان عندكم حقًا، وكنتم تصدقونه؟ قال مجاعة: لو لم يكن عندنا حقا لما لقيتك غدًا أكثر من عشرة ألف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل، قال خالد: إذًا يكفيناكم الله ويعز دينه، فإياه يقاتلون، ودينه يريدون[٣]، فهذا رد يدل على عظمة إيمان خالد وثقته بالله، فقد كان إيمانه بالله وثقته المطلقة في نصر الله لدينه، هما اللذان فجرا في شخصيته كنوز المواهب الحربية وفنون المهارات القيادية، لقد قاتل يوم بزاخة بسيفين حتى قطعهما فقد كان يملأ الإيمان قلبه، ويعتز بالله وحده، وكان ذلك كفيلاً بإسقاط هيبة عدوه من نفسه وغرس هيبته في قلب عدوه، وذلك أول الطريق لإحراز النصر الحاسم عليه، وإلحاق الهزيمة الساحقة به[٤].

ب- شن الحرب النفسية قبل المعركة:

وضع خالد بن الوليد خطته على أساس استخدام الحرب النفسية ثم تحكيم السيف، فبعث زياد بن لبيد وكان صديقًا لمحكم بن طفيل سيد أهل اليمامة، بقصد أن يكسبه إلى جانبه، فقال خالد لزياد: لو لقيت إلى محكم شيئًا تكسره به، فكتب زياد إليه أبياتًا من الشعر جاء فيها:

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٨).
(٢) تاريخ الطبري (٤/١٠٦)، الصديق أول الخلفاء ص١٠٥.
(٣) حروب الردة ص٨٢.
(٤) حركة الردة - للقيوم ص٢١٨، ٢١٩.

ويل اليمـامـة ويلاً لا فـراق له ∴ إن جالت الخيل فيها بالقنا الصادي
والله لا تنثني عنكم أعنتـهـا ∴ حتى تكونوا كأهل الحجر أو عاد

واتجه خالد كذلك إلى عمير بن صالح اليشكري وكان قد أسلم وكتم إسلامه على قومه وكان قوي العقيدة راسخ الإيمان، وقال له: تقدم إلى قومك، فأتاهم وقال: أظلكم خالد في المهاجرين والأنصار، اني رأيت قوما إن غالبتموهم بالصبر، غلبوكم بالنصر، وان غلبتموهم بالعدد غلبوكم بالمدد، ولستم والقوم سواء، الإسلام مقبل والشرك مدبر، وصاحبهم نبي، وصاحبكم كذاب، ومعهم السرور، ومعكم الغرور، فالآن والسيف في غمده، والنبل في جفيره، قبل أن يسل السيف ويرمي بالسهم[1].

ثم باشر خالد المهمة مع ثمامة بن أثال الحنفي فمشى إلى قومه يدعوهم إلى الاستسلام ويحطم عندهم روح القتال: (إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد، إن محمدًا (ﷺ) لا نبي بعده، ولا نبي مرسل معه لقد بعث إليكم (يقصد أبا بكر) رجلاً لا يسمى باسمه ولا باسم أبيه، يقال له: (سيف الله) معه سيوف كثيرة، فانظروا في أمركم[2].

واهتم خالد بتدبير الخطط المحكمة، وكان (رضي الله عنه) لا يستخف بعدوه، وكان في ميدان المعركة على أهبة وحذر دائمين مخافة أن يفجأه عدوه بغارة غادرة، والتفاف مكر وقد وصف (رضي الله عنه) بأنه: كان لا ينام وينيم لا يبيت إلا على تعبئة، ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء[3]، - وفي محاربته لمسيلمة- قبل معركة عقرباء - جعل طليعته مكنف بن زيد الخيل وأخاه حريثا لجمع المعلومات اللازمة للمعركة وقد حان ترتيب أمور جيشه، فالموقف شديد الخطورة ولابد من أخذ الترتيبات اللازمة فقد كان حامل الراية في هذه المعركة عبد الله بن حفص بن غانم ومن ثم تحولت إلى سالم[4] مولى أبي حذيفة ومعلوم أن الناس براياتهم، كما قالت العرب، فإذا زالت زالوا، وقد قدم خالد في هذه المعركة شرحبيل بن حسنة وقسّم الجيش أخماسًا، على المقدمة خالد المخزومي، وعلى الميمنة أبو حذيفة، وعلى الميسرة شجاع، وفي القلب زيد بن الخطاب، وجعل أسامة بن زيد على الخيالة، ووضع الظعن في المؤخرة وفيها الخيام والنساء[5]، وهذا الترتيب الأخير قبل المعركة.

رابعًا: المعركة الفاصلة:

ولما توجه الجيشان قال مسيلمة لأتباعه وقومه قبيل المعركة الفاصلة: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيّات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا على أحسابكم، وامنعوا نساءكم[6].

(١) الحرب النفسية - أحمد نوفل ص١٤٤، ١٤٥ .
(٢) الحرب النفسية - د. أحمد نوفل (٢/ ١٤٥)، فن إدارة المعركة - محمد فرج ص ١٣٨، ١٤٠ .
(٣) حركة الردة - للعتوم ص١٩٩ .
(٤) نفس المصدر ص٢٠٠ . (٥) المصدر السابق ص٢٠٠ .
(٦) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٨) .

وتقدم خالد (رضي الله عنه) بالمسلمين حتى نزل بهم على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، واصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة وانهزمت الأعراب، حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجّاعة، وقال: نعمت الحرة هذه وقد قتل الرّجّال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: لبئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: اخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحَميَ وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتًا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم، وامضوا قدما، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيدًا (رضي الله عنه) وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينّوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب (رضي الله عنه)، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لقتال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين- وكان شعارهم يومئذ يا محمداه - وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله وقد ميز خالد المهاجرين، من الأنصار، من الأعراب، وكل بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبر الصحابة في هذا الموطن صبرًا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولّى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم مُحكَّم اليمامة- وهو محكّم بن الطفيل لعنه الله- بدخولها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر، محكَّم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة[1].

خامسًا: بطولات نادرة:

١ - قال البراء بن مالك:

يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف[2]، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من الباب الذي فتحه البراء، وفتح الذين دخلوا الأبواب الأخرى، وحوصر المرتدون وأدركوا أنها القاضية، وأن الحق جاء، فزهق باطلهم[3].

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩). (٢) الجحف: المراد بها التّروس.

(٣) حروب الردة ص٩٢ - لشوقي أبو خليل.

٢- مصرع مسيلمة الكذاب:

وخلص المسلمون إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة- فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبًا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفًا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل خمسمائة، فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وعيان الناس من يذكر بعد، وخرج خالد وتبعه مجاعة بن مرارة يرسف في قيوده، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرّجال بن عنفوة قال له خالد: أهذا هو؟ قال لا، والله هذا خير منه، هذا الرَّجال بن عنفوة. ثم مروا برجل أصفر أخنس، فقال: هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا، ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي[1].

٣- أبو عقيل: عبد الرحمن بن عبد الله البلوي الأنصاري الأوسي:

كان أبو عقيل من أول من جُرح يوم اليمامة، رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فجرح في غير مقتل، فأخرج السهم، ووهن شقه الأيسر، فأخذ إلى معسكر المسلمين، فلما حمي القتال، وتراجع المسلمون إلى رحالهم ومعسكرهم، وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح: يا للأنصار، الله الله والكَرَّة على عدوكم، وتقدم معن القوم، ونهض أبو عقيل يريد قومه، فقال له بعض المسلمين: يا أبا عقيل، ما فيك قتال، قال: قد نوّه المنادي باسمي، فقيل له: إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى، فقال أبو عقيل: فأنا من الأنصار، وأنا أُجيب ولو حبوًا، فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرّدًا، ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرَّة كيوم حُنين، فاجتمعوا جميعًا، وتقدموا بروح معنوية عالية يطلبون الشهادة أو النصر، حتى أقحموا عدوَّهم الحديقة، وفي هذا الهجوم قطعت يد أبي عقيل من المنكب، ووجدت به أربعة عشر جُرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل، ومرَّ ابن عمر بأبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقال: يا أبا عقيل، فقال: لبيك، بلسان ثقيل، ثم قال: لمن الدبرة، فقال ابن عمر: أبشر، قد قُتل عدوُّ الله، فرفع أبو عقيل اصبعه إلى السماء بحمد الله، قال عنه عمر (رضي الله عنه): رحمه الله، ما زال ينال الشهادة ويطلبها وإنه لمن خيار أصحاب نبينا[2].

٤- نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية:

خرجت في جيوش خالد الذاهبة لليمامة وباشرت القتال بنفسها وأقسمت أن لا تضع السلاح حتى يقتل دجال بني حنيفة وبرت بفضل الله بقسمها وقتل مسيلمة ورجعت المدينة

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٠).

(٢) حروب الردة ص٩٣، ٩٤ - شوقي أبو خليل نقلاً عن الاكتفاء (٢/ ١٣).

وبها اثنا عشر جرحًا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف، وكلها أوسمة شرف لهذه الصحابية المجاهدة التي ضربت لبنات جنسها مثلاً رائعًا في الدفاع عن الدين والعقيدة ولو أدى ذلك لأن تتحمل ما لا يتحمله في العادة مثيلاتها من ربات الخدور[1]، وقد قام خالد بن الوليد بعد هذه المعركة برعايتها فقد قالت نسيبة (رضي الله عنها): فلما انقطعت الحرب ورجعت إلى منزلي جاءني خالد بن الوليد بطبيب فداواني بالزيت المغلي، وكان والله أشد علي من القطع وكان خالد كثير التعهد لي، حسن الصحبة لنا، يعرف لنا حقنا، ويحفظ فينا وصية نبينا (ﷺ)[2].

سادسًا: من شهداء معركة اليمامة:

١- ثابت بن قيس بن شماس الذي أجاز الصديق وصيته بعد موته:

هو أبو محمد خطيب الأنصار، وقد ثبت أن رسول الله بشره بالشهادة، وقتل يوم اليمامة شهيدًا وكانت راية الأنصار يومئذ بيده وقد رأى رجل من المسلمين ثابت بن قيس في منامه فقال: إني لما قتلت بالأمس مر بي رجل من المسلمين فانتزع مني درعًا نفيسة ومنزله في أقصى العسكر وعند خبائه فرس يستن طوله، وقد كفأ على الدرع بُرْمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالدًا فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله- يعني أبا بكر- فقل له: إن عليّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال: فأتى خالدًا فوجهه إلى الدرع فوجدها كما ذكر، وقدم على أبي بكر فأخبره فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته فلا يعلم أحدًا جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس[3].

٢- زيد بن الخطاب (رضي الله عنه):

هو أخو عمر بن الخطاب لأبيه، وكان أكبر من عمر، أسلم قديمًا، وشهد بدرًا، وما بعدها وقد آخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين معن بن عدي الأنصاري وقد قتلا جميعًا باليمامة، وقد كانت راية المهاجرين يومئذ بيده، فلم يزل يتقدم بها حتى قتل فسقطت، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، وقد قتل زيد يومئذ الرّجال بن عنفوة الذي كان فتنته على بني حنيفة أشد من فتنة مسيلمة، فكانت وفاته على يد زيد (رضي الله عنه)، والذي قتل زيدًا رجل يقال له أبو مريم الحنفي، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر: يا أمير المؤمنين إن الله أكرم زيدًا بيدي ولم يهني على يده، وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد بن الخطاب سبقني إلى الحسنيين أسلم قبلي، واستشهد قبلي، وقال لمتمم بن نويرة حين جعل يرثي أخاه مالكًا بالأشعار: لو كنت أحسن الشعر لقلت كما قلت، فقال له متمم: لو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنت عليه، فقال له عمر: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به، ومع هذا كان عمر يقول ما هبت الصبا إلا ذكرتني زيد (رضي الله عنه)[4].

---

(١) حركة الردة ص٣٠٩ - للعتوم .

(٢) الأنصار في العصر الراشدي ص١٩٠ .

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٩) .

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٠) .

٣- معن بن عدي البلوي:

شهد العقبة وبدرًا وأحـدًا والخندق وسائر المشاهد، وكان قد آخى رسول الله (ﷺ) بينـه وبين زيد بن الخطاب فقتلا جميعًا يوم اليمامة (رضي الله عنهما)، وكان لمعن بن عدي موقف متميز عند وفاة رسول الله، فـعندما بكى الناس على رسول الله (ﷺ) حين مات وقـالوا: والله وددنا أنا متنا قـبله ونخشى أن نفتتن بعـده، فقال مـعن بن عدي: لكني والله ما أحب أن أمـوت قبله لأصدقه ميتًا كما صدقته حيًا[١].

٤- عبد الله بن سهيل بن عمرو:

أسلم قديمًا وهاجر ثم استضعف بمكة، فلما كان يوم بدر خرج معهم فلما تواجهوا فرّ إلى المسلمين فشـهدها معهم، وقـتل يوم اليمامـة فلما حج أبو بكر عزى أباه فـيه، فقال سـهيل: بلغني أن رسول الله (ﷺ) قال: «**يشفع الشهيد لسبعين من أهله**»[٢]، فأرجوا أن يبدأ بي[٣]، وقد كان لسهيل بن عمرو (رضي الله عنه) موقف عظيم بمكة حين توفى رسول الله (ﷺ) فقد همّ أكثر أهل مكة بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك حـتى خافهم والي مكة عتاب بن أسـيد: فتوارى فقام سـهيل بن عمرو، فحـمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفـاة رسول الله وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فـمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكـفوا عما هموا به، فظهـر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذي أراد رسول الله (ﷺ) في قوله لعمر بن الخطاب- يعني حين أشار بقلع ثنيته حين وقع في الأسارى يوم بدر- إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تَذُمَّنَّه[٤].

٥- أبو دُجانة سِماك بن خرشه:

كانت عليـه يوم بدر عصابة حمـراء، قيل آخى النبي (ﷺ) بينه وبين عـتبـة بن غزوان، وثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي (ﷺ) وبايعه على الموت، وهو ممن اشترك في قتل مسيلمة، وقتل يومـئذ، وقال زيد بن أسلم: دُخل على أبي دجـانة وهو مريض- وكان وجهـه يتهلل- فقيل له: ما لوجهك يتهلـل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا[٥]، وكان أبو دجـانة يوم اليمـامة من أبطال المسلمين، فـقد رمى بنفسـه إلى داخل الحديقـة فانكسـرت رِجله، فقاتل وهـو مكسور الرجل حتى قتل[٦].

٦- عبّاد بن بشر:

من فضـلاء الصحابة، عـاش خمسًـا وأربعين سنة، وهو الذي أضاءت عـصاه ليلة حين

---

(١) نفس المصدر (٦/ ٣٤٣، ٣٤٤).

(٢) سنن أبي داود - في الجهاد - باب الشهيد يشفع - ٢٥٢٢ .

(٣) تاريخ الذهبي، الخلفاء الراشدون ص٦١ .

(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر ص٨٢ .

(٥) عهد الخلفاء الراشدين - للذهبي ص٧٠ .

(٦) نفس المصدر ص٧١ .

انقلب إلى منزله، وكان قد سمر عند النبي (ﷺ)[١]، أسلم عبّاد على يد مصعب بن عمير، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف[٢]، واستعمله النبي (ﷺ) على صدقات مزينه وبني سليم وعلى حرسه بتبوك، وأبلى يوم اليمامة بلاءً حسنًا، وكان من الشجعان، وعن عائشة قالت: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً، كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعبّاد بن بشر، وعن عائشة قالت: تهجّد رسول الله (ﷺ) في بيتي، فسمع صوت عبّاد بن بشر فقال: **«يا عائشة هذا صوت عبّاد؟»** قلت: نعم، قال: **«اللهم اغفر له»**،[٣] وقد استشهد باليمامة ويحدثنا أبو سعيد الخدري عنه حيث قال: سمعت يقول حين فرغنا من بزاخة، يا أبا سعيد: رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي ثم أطبقت عليّ فهي إن شاء الله الشهادة. قلت: خيرًا والله رأيت[٤].

وقد كان له يوم اليمامة مواقف مشهودة، فقد وقف على نشز مرتفع من الأرض ثم صاح بأعلى صوته: أنا عباد بن بشر، يا للأنصار يا للأنصار، ألا إليّ ألا إليّ، فأقبلوا إليه جميعًا وأجابوه لبيك لبيك . . . ثم حطم جفن سيفه فألقاه، وحطمت الأنصار جفون سيوفهم ثم قال حملة صادقة اتبعوني فخرج حتى ساقوا بني حنيفة منهزمين حتى انتهوا بهم إلى الحديقة فأغلق عليهم،[٥] ولما تمكن المسلمون من اقتحام باب الحديقة: ألقى درعه على بابها ثم دخل بالسيف سلتا يجالدهم حتى قتل شهيدًا باليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة، ولم يعرف إلا بعلامة في جسده لكثرة ما فيه من الجراح (رضي الله عنه)،[٦] وقد اشتهرت مواقف عباد بن بشر في اليمامة حتى أصبحت مضرب المثل،[٧] وبقيت بنو حنيفة تذكر عباد بن بشر، فإذا رأت الجراح بالرجل منهم تقول: هذا ضرب مجرب القوم عباد بن بشر[٨].

لقد كان للأنصار مواقف عظيمة وإقدام منقطع النظير في حروب الردة وخصوصًا باليمامة وقد شهد للأنصار بالإقدام والصبر في ذلك اليوم، مجّاعة بن مرارة الحنفي، عند الخليفة أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله لم أر قوما قط، أصبر لوقع السيوف ولا أصدق كرة من الأنصار. . . فلقد رأيتني وأنا أطوف مع خالد بن الوليد أعرفه قتلى بني حنيفة وإني لأنظر إلى الأنصار وهم صرعى، فبكى أبو بكر حتى بلّ لحيته[٩].

---

(١) البخاري - مناقب الأنصار - رقم ٣٨٠٥ .
(٢) البخاري - في المغازي - رقم ٤٠٣٧ .
(٣) البخاري معلقًا - رقم ٢٦٥٥ .
(٤) الطبقات - لابن سعد (٢/ ٢٣٤) .
(٥) غزوات ابن حبيش (١/ ١٢١) .
(٦) الاكتفاء - للكلاعي (٣/ ٥٣) .
(٧) الأنصار في العهد الراشدي ص١٨٦ .
(٨) الاكتفاء (٣/ ٥٣) .
(٩) نفس المصدر (٣/ ٦٥) .

٧- الطفيل بن عمرو الدّوسي الأزديّ:

استشهد باليمامة، وكان شريفًا شاعرًا لبيبًا، وقد رأى الرؤيا قبل استشهاده حيث قال: خرجت ومعي ابني عمرو فرأيت كأن رأسي حُلِقَ وخرج من فمي طائر، وكأن امرأةً أدخلتني فرجها، فأوّلتها حلق رأسي قطعه، وأمّا الطائر فروحي، وأما المرأة فالأرض أدفن فيها، فاستشهد يوم اليمامة[١].

وقد استشهد كثير من المهاجرين والأنصار في هذه المعركة الفاصلة.

وكانت المدينة على الرغم من فرحها بانتصار المسلمين على المرتدين ما زالت تبكي شهداءها، ففي حرب اليمامة وحدها قتل من المسلمين مائتان وألف، منهم عدد من كبار الصحابة، وفيهم أكثر حفاظ القرآن: نحو أربعين من القراء، وعصرت الأحزان قلب المدينة، وغمرت الدموع ابتسامات الفرح بالنصر، وضاقت الصدور، وثقلت المحنة على القلوب، بقدر ما أضاء انتصار المسلمين غيابات النفوس، وقوى من إيمانهم، وغرس الثقة في أعماقهم[٢].

سابعًا: خدعة مجاعة وزواج خالد من ابنته ورسائل بينه وبين الصديق:

أ- خدعة مجاعة:

بعد انتصار جيش المسلمين في حديقة الموت بعث خالد (رضي الله عنه) الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون، ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالاً مقاتلة فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلّوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجاعة، فأمر النساء أن يلبسن الحديد، ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس، فظنهم كما قال مجاعة، فانتظر الصلح ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم، ورجعوا إلى الحق، وردّ عليهم خالد بعض ما كان من السبي، وساق الباقين إلى الصديق، وقد شرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد بن الحنفية (رضي الله عنه)[٣].

وكانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشر وقال الواقدي وآخرون: كانت في سنة ثنتي عشرة والجمع بينهما أن ابتداءها في سنة إحدى عشرة، والفراغ منها في سنة ثنتي عشرة[٤].

ب- زواجه بابنة مجاعة والرسائل بينه وبين الصديق:

طلب خالد بن الوليد من مجاعة بعد ما تم الصلح أن يزوجه بابنته فقال له مجاعة: مهلاً، إنك قاطع ظهرك وظهري معك عند صاحبك. فقال خالد: أيها الرجل زوجني ابنتك فزوجه مجاعة ابنته[٥].

(١) عهد الخلفاء الراشدين - للذهبي ص٦٢، ٦٣. (٢) الصديق أول الخلفاء ص١١٧.
(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر ص١١٥.
(٤) المصدر السابق. (٥) الصديق أول الخلفاء ص١١٠.

وكان الصديق قد أرسل سلمة بن وقش إلى خالد إن أظفره الله أن يقتل من جرت عليه الموس[1] من بني حنيفة، فوجده قد صالحهم وأتم خالد عقده معهم، ووفى لهم[2].

وكان الصديق يستروح الخبر من اليمامة، وينتظر رسول خالد، فخرج يومًا بالعشي، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار إلى ظهر الحرّة، فلقي أبا خيثمة النجّاري قد أرسله خالد، فلما رآه أبو بكر قال له: ما وراءك يا أبا خيثمة؟ قال: خير يا خليفة رسول الله، قد فتح الله علينا اليمامة، وهذا كتاب خالد، فسجد الصديق شكرًا لله، وقال: أخبرني عن الوقعة كيف كانت؟ فجعل أبو خيثمة يخبره كيف صنع خالد، وكيف صفَّ أصحابه، ومن استشهد من الصحابة وقال أبو خيثمة: يا خليفة رسول الله: أُتينا من قبل الأعراب انهزموا بنا، وعوّدونا ما لم نكن نُحْسِن[3].

ولما علم الصديق بزواج خالد كتب إليه: يا ابن أم خالد، إنك لفارغ تنكح النساء، وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحك عن قومه وقد أمكن الله منهم،[4] وإزاء هذا التعنيف الذي وصل إلى خالد من الخليفة بسبب مصالحته لمجاعة وزواجه بابنته، بعث خالد إليه كتابًا جوابيًا مع أبي برزة الأسلمي يدافع فيه عن موقفه دفاعًا يتسم بوضوح الحجة وقوة المنطق[5]، يقول فيه: أما بعد، فلعمري ما تزوجت النساء حتى تم لي السرور، وقرت بي الدار، وما تزوجت إلا إلى امرئ لو عملت إليه من المدينة خاطبًا لم أبل، دع أني استثرت خطبتي إليه من تحت قدمي، فإن كنت قد كرهت لي ذلك لدين أو لدنيا أعتبتك، وأما حسن عزائي عن قتلى المسلمين فوالله لو كان الحزن يبقي حيًا أو يرد ميتًا لأبقى حزني الحيّ ورد الميت ولقد اقتحمت حتى أيست من الحياة، وأيقنت بالموت، وأما خدعة مجاعة إياي عن رأيي، فإني لم أخطئ رأيي يومي، ولم يكن لي علم بالغيب، وقد صنع الله للمسلمين خيرًا: أورثهم الأرض والعاقبة للمتقين[6] فلما قدم الكتاب على أبي بكر (رضي الله عنه) رقَّ بعض الرقة، وقام رهط من قريش فيهم أبو برزة الأسلمي، فعذروا خالدًا وقال أبو برزة: يا خليفة رسول الله ما يوصف خالد بجبن ولا خيانة، ولقد أقحم في طلب الشهادة حتى أعذر، وصبر حتى ظفر، وما صالح القوم إلا على رضاه، وما أخطأ رأيه بصلح القوم، إذ هو لا يرى النساء في الحصون إلا رجالا، فقال أبو بكر: صدقت، لكلامك هذا أولى بعذر خالد من كتابه إلي[7].

---

(١) أي بلغ الحلم.
(٢) الكامل (٢/ ٣٨).
(٣) حروب الردة - شوقي أبو خليل ص٩٧.
(٤) حروب الردة ص٩٧ نقلاً عن الاكتفاء (٢/ ١٤).
(٥) حركة الردة - للعتوم ص٢٣٣.
(٦) حروب الردة - شوقي أبوخليل ص٩٨ نقلاً عن الاكتفاء (٢/ ١٥).
(٧) حروب الردة ص٩٨.

ونلحظ في رسالة خالد إلى أبي بكر بعض النقاط التي دافع بها عن نفسه والتي تمثلت بما يلي:

١- إنه لم يتزوج إلا بعد أن كسب النصر واطمأن به المقام.

٢- إنه أصهر إلى رجل من زعماء قومه وأشرافهم.

٣- إنه لم يتكلف أدنى مشقة في هذا الإصهار.

٤- إن هذا الزواج ليس فيه مخالفة دينية أو دنيوية.

٥- إن الامتناع بسبب الحزن على قتلى المسلمين تصرف غير مجد؛ لأن الحزن لا يبقي حيًا ولا يرد ميتًا.

٦- إنه لم يكن يقدم على الجهاد أي أمر آخر. ولقد أبلى فيه بلاء لم يعد - بسببه- بينه وبين الموت أي حاجز.

٧- إنه في مصالحته لمجاعة لم يأل جهدًا في تحقيق الخير للمسلمين وإذا كان مجاعة لم ينقل له الصورة عن قومه على حقيقتها، فعذره إنه إنسان لا يدري من أمر الغيب شيئًا وعلى كل فالعاقبة كانت في صالح المسلمين إذ استولوا على أرض بني حنيفة، ومن ثم فاءت بقيتهم إلى الإسلام دون قتال وعلى هذا، فإن الزواج ببنت مجاعة كان أمرًا طبيعيًا، لا على خالد فيه بأس. وليس صحيحًا أنه كان ناشئًا عن إعجابه بمجاعة لغيرته على قومه؛ ولذا: أحب أن يصهر إليه ويوثق الصلة بينه وبينه وطاب له أن يعزز صلة الدين بصلة البيت والنسب[1]، كما يقول العقاد، ذلك لأن خالدًا لم يكن ليقدم على رابطة الدين أو يجمع إليها في التعامل مع الناس، رابطة أخرى[2].

وأما أسلوب الدكتور محمد حسين هيكل في الاعتذار لخالد فإنه مرفوض لأنه يتنافى مع أحكام الإسلام، فقد قال هيكل: ومن تكن بنت مجاعة في أعياد النصر التي يجب أن تقام لخالد؟! إنّها لن تزيد على قربان يطرح على قدمي هذا العبقري الفاتح الذي روى أرض اليمامة بالدماء لعلها تطهر من رجسها[3].

فهذه الكلمات تصور خالدًا - الصحابي الكريم- وكأنه أخيل أو هكتور أو أغاممنون من قادة حرب طروادة الوثنيين الذين لا يحارب الواحد منهم، إلا إذا أشير إليه بالبنان، أو أمطر بالقبلات والتوسلات، لأنه لا يحارب إلا للزعامة والوجاهة، أو كأنه أحد أصنام العرب الذين تسفح على جنباتهم دماء القرابين تقربا وتذللا أو كأنه إله النيل الذي كان يعتقد المصريون أنه لن يفيض عليهم بالخير إلا إذا قذفوا في بحره أجمل بنات مصر، فحاشى أبا سليمان ثم حاشاه من قبل ومن بعد من مثل هذه الروح وتلك النفسية، فخالد مؤمن موحد، لا يحارب

(١) عبقرية خالد (العبقريات الإسلامية) ص٩٢٢ .

(٢) حركة الردة للعتوم ص٢٣٥ .

(٣) الصديق أبو بكر ص١٥٧ .

إلا لإعلاء كلمة الله، لا يبغي عليها جزاء ولا شكورًا من أحد من خلق الله، ومرفوض أيضًا ما ذهب إليه الجنرال أكرم في تعليله لما وقع فيه خـالد من ملامات من جراء قصص زواجه في حروب الردة، إذ يعيدها إلى لياقته البدنية: التي سببت له كثيرًا من المشاكل بين حسناوات شبه الجزيرة العـربية[١]. على حد زعمه، وكأن خـالدًا تحول إلى زير نساء، أو دون جوان غوان، وهو الذي لم يكن يهوى شيئًا هواه الجهاد في سبيل الله، ولكنها التوجيهات الباطلة التي تفسر الأمور بعيدًا عن طبيعة الظروف ومعطيات المبادئ وشواهد الأخبار[٢].

إن خـــالد (رضي الله عنه) كان يقاتل عن دين ويحـتسب الأجر عند الله (تعالى)، وكـان يقتحم المعامع بنفسـه، وقد وصف بأنه له أناة القطة ووثوب الأسد[٣] وما كان يومًا بالذي يؤثر نفسه عن جنده، بل كانوا يجـدونه أمامهم في كل معـترك ففي معـركة بزاخة: ضرّس في الـقتال، فجعل يقحم فرسه، ويقولون له: الله الله! فإنك أمير القوم، ولا ينبغي لك أن تقدم، فيقول: والله إني لأعرف ما تقولون، ولكني ما رأيتني أصبر، وأخاف هزيمة المسلمين[٤].

وفي معركـة اليمامة لما اشـتد القتال، ولم يزد بني حنيـفة ما قتل منهم إلا عـنفًا وضراوة برز، حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى المبارزة وانتمى، ونادى الناس بشعارهم يومئذ، وكان: يا محمداه، فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، ولا شيء إلا أكله[٥]، فقد كان يرغب في النصر ويتحرى الشهادة ولنترك لخالدًا يصف لنا جولة من المصارعة بينه وبين أحد جنود مسيلمة داخل حديقة الموت قال: ولقد رأيتني في الحديقة وعانقني رجل منهم وأنا فارس وهو فارس، فوقعنا عن فـرسينا ثم تعـانقنا بالأرض فأجـؤه بخنجر في سـيفي، وجل يـجؤني بمعـول في سيـفه فجرحني سبع جـراحات، وقد جرجته جـرحًا أثبته به فاسترخى فـي يدي، وما بي حركة من الجراح، وقد نزفت من الدم إلا أنه سبـقني بالأجل فالحمد لله على ذلك[٦]. وقد شهـد خالد (رضي الله عنه) لبني حنيفة على قوتهم وشدة بأسهم فقال: شهـدت عشرين زحفًا، فلم أر قومًا أصبر لوقع السيوف، ولا أضرب بها، ولا أثبت أقدامًا من بني حنيفة يوم اليمامة... وما بي حركة من الجراح، ولقد أقحمت حتى أيست من الحياة وتيقنت الموت[٧].

ثامنًا: محاولة قتل خالد بن الوليد، وقدوم وفد بني حنيفة للصديق (رضي الله عنه):

أ- محاولة قتل خالد بن الوليد:

على الرغم من وضوح باطل الجاهليـة وزيفه فإنها لا تتخلى عنه بسـهولة، لأن به ديمومة حياتها، ولذا ما إن تواجه بالحقيقة حـتى تأخذ في الدفاع عن نفسها بشراسة، ولا تلقي سيف

(١) سيف الله خالد بن الوليد - ترجمة العميد الركن صبحي الجابي ص٢٠ .
(٢) حركة الردة - للعتوم ص٢٣٦ .
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/١٠٨) .
(٤) خالد بن الوليد - صادق عرجون ص٧٤٤ .
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٩) .
(٦) خالد بن الوليد - صادق عرجون ص١٨٠ .
(٧) خالد بن الوليد - صادق عرجون ص١٨٠ .

القتال من يدها إلا بعـد أن يسقط بالقوة[1]، وبعد ذلك تحاول الغـدر ما استطاعت إلى ذلك سبيل، فهذا سلمـة بن عمير الحنفي يدلل بفعله على صحة ما ذهبت إليه، فـقد حاول اغتيال خالد بن الوليـد بعد الصلح الذي أجـراه خالد مع بني حنيفـة بشكل عام، إلا أنه من حـقده الناقع للمسلمين، فقد دبر خطة اغـتيال خالد بن الوليد كجزء من سيـاسته في رفض التصالح معهم، ولما قبض عليـه أول مرة وعاهد بني حنيفة ألا يعود لمثلهـا، نكث بعهده إذ أفلت ليلاً من وثاقه الذي أوثقوه به مخافة غدره، فعـمد إلى عسكر خالد فصاح به الحرس، وفزعت بنو حنيفة فاتبعوه فأدركوه في بعض الحوائط (الحدائق)، فشد عليهم بالسيف، فاكتنفوه بالحجارة، وأجال السيف على حلقه فقطع أوداجه (عروق رقبته) فسقط في بئر فمات[2]، فهذا مثال على عناد الجاهلية في الدفاع عن باطلها[3].

٢- قدوم وفد بني حنيفة على الصديق:

ولما قدمت وفود بـني حنيفة على الصديق قـال لهم: أسمعونا شـيئًا من قرآن مسـيلمة، فقالوا: أوتعـفينا يا خليفة رسول الله؟ فـقال: لا بد من ذلك، فقالوا: كان يقـول: يا ضفدع بنت الضفدعين، نقي لكـم تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين.

وكان يقول: والمبذرات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا. ويقـول: لقد فضلتم على أهل الوبر، ومـا سبـقكم أهل المدر، ريفكم فـامنعوه، والمعـتر فـآووه، والناعي فواسـوه[4]، وذكروا أشياءً من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل[5] ولا بر.

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبي (ﷺ)، وبلغه أن رسول الله (ﷺ) بصق في بئر فغزر ماؤه، فبصق في بئر فغاص ماؤه بالكليـة، وفي أخرى فصار ماؤه أجاجا، وتوضأ فسقى بوضوئه نخلا فيبست وهلكت، وأتي بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحها فعمي[6].

تاسعا: جمع القرآن الكريم:

كان من ضمن شـهداء المسلمين في حرب اليمـامة كثير من حفـظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قـام أبو بكر (رضي الله عنه) بمشورة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بجمع القرآن حـيث جمع من الرقاع والعظام والسـعف ومن صدور الرجال[7]، وأسند الصديق هذا العـمل العظيم المشروع

(١) حركة الردة - للعتوم ص٢٩٢ . (٢) تاريخ الطبري (٤/ ١١٧، ١١٨) .
(٣) حركة الردة - للعتوم ص٢٩٢ إلى ٢٩٥ .
(٤) عند الطبري والباغي فناوئوه (تاريخ الطبري، ٤/ ١٠٢، ١٠٣).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ١١٨)، إل من إله (البداية والنهاية، ٦/ ٣٣١) .
(٦) البداية والنهاية (٦/ ٣٣١) . (٧) حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية - أحمد سعيد ص١٤٥ .

الحضاري الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه)، يروي زيد بن ثابت (رضي الله عنه) فيقول: بعث إليّ أبو بكر (رضي الله عنه) لمقتل أهل اليمامة[١]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر (رضي الله عنه): إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر [٢] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن[٣] كلها فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله (ﷺ)[٤]؟!! فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك[٥]، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ)، فتتبع القرآن فاجمعه[٦] قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني به من جمع القرآن، فتتبعت القرآن من العسب[٧]، واللخاف[٨]، وصدور الرجال، والرقاع[٩]، والأكتاف.[١٠] قال: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة، آية:١٢٨) حتى خاتمة براءة وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما)[١١] وعلق البغوي على هذا الحديث فقال: فيه البيان الواضح أن الصحابة (رضي الله عنهم) جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله (سبحانه وتعالى) على رسوله (ﷺ) من غير أن يزادوا فيه أو ينقصوا منه شيئًا والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث وهو أنه كان مفرقًا في العسب، واللخاف، وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله، ودعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئًا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله (ﷺ)، وكان رسول الله (ﷺ) يُلقي أصحابه، ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه، إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل

---

(١) يعني واقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وأعوانه. (٢) استحر: كثر واشتد.

(٣) أي في الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار.

(٤) يحتمل أن يكون (رضي الله عنه) إنما لم يجمع القرآن في المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته (ﷺ) ألهم الله الخلفاء الراشدين بذلك. (سيرة وحياة الصديق ص١٢٠).

(٥) هذه الصفات جعلت زيدًا يتقدم على غيره في هذا العمل.

(٦) أي: من الأشياء التي عندي وعند غيرك.

(٧) العسب: هو جريد النخل.

(٨) اللخاف: جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة.

(٩) الرقاع: جمع رقعة وهي قطع الجلود.

(١٠) الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة.

(١١) البخاري – رقم ٤٩٨٦.

آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا[١]، وهكذا يتضح للقارئ الكريم أن من أوليات أبي بكر الصديق (رضي الله عنه): أنه أول مَنْ جمع القرآن الكريم، يقول صعصعة بن صوحان رحمه الله: أول من جمع بين اللوحين، وورث الكلالة[٢] أبو بكر[٣].

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين[٤].

وقد اختار أبو بكر (رضي الله عنه) زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهي:

١- كونه شابًا، حيث كان عمره ٢١ سنة، فيكون أنشط، لما يطلب منه.

٢- كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ من وهبه الله عقلا راجحًا فقد يسر له سبيل الخير.

٣- كونه ثقة، فليس هو موضعًا للتهمة، فيكون عمله مقبولاً، وتركن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب.

٤- كونه كاتبًا للوحي، فهو بذلك ذو خبرة سابقة في هذا الأمر، وممارسة عملية له فليس غريبًا عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه[٥].

هذه الصفات الجليلة جعلت الصديق يُرشِّح زيدًا لجمع القرآن، فكان به جديرًا، وبالقيام به خبيرًا.

٥- ويضاف لذلك أنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ﷺ)، فعن قتادة قال سألت أنس بن مالك (رضي الله عنه): من جمع القرآن على عهد النبي (ﷺ)؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٦]، وأما الطريقة التي اتبعها زيد في جمع القرآن فكان لا يثبت شيئًا من القرآن، إلا إذا كان مكتوبًا بين يدي النبي (ﷺ)، ومحفوظًا من الصحابة، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهم، وأيضًا لم يقبل من أحد شيئًا جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله (ﷺ)، وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن[٧]، وعلى

---

(١) شرح السنّة (٤/ ٥٢٢) للبغوي .

(٢) الكلالة في رأي أبو بكر الصديق من لا ولد له ولا والد، فقد قال (رضي الله عنه): رأيت في الكلالة رأيًا فإن يك صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ من قِبَلي والشيطان، الكلالة ما عدا الولد والوالد، أي هم الأخوة . انظر: موسوعة فقه أبي بكر الصدّيق ص٣٦ .

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٦) .

(٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٩٦) .

(٥) التفوق والنجابة على نهج الصحابة - حمد العجمي ص٧٣ .

(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣١) .

(٧) التفوق والنجابة على نهج الصحابة ص٧٤ .

هذا المنهج استمر زيد (رضي الله عنه) في جمع القرآن حذرًا متثبتًا مبالغًا في الدقة والتحري.

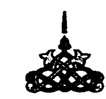
كما كان زيد في طليعة من وجدوا المصاحف في زمن عثمان بن عفان (رضي الله عنه)[1] وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله في موضعه.



(١) نفس المصدر ص٧٤ .



المبحث الخامس



أهم الدروس والعبر والفوائد من حروب الردة

أولاً: تحقيق شروط التمكين وأسبابه وآثار شرع الله وصفات المجاهدين:

١- تحقيق شروط التمكين:

إن الاستخلاف في الأرض، والتمكين لدين الله، وإبدال الخوف أمنًا، وعد من الله (تعالى) متى حقق المسلمون شروطه، ولقد أشار القرآن الكريم بكل وضوح إلى شروط التمكين، ولوازم الاستمرار فيه قال (تعالى): ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة النور، آية: ٥٥- ٥٦). ولقد أشارت الآيات الكريمة إلى شروط التمكين وهي: الإيمان بكل معانيه وبكافة أركانه، وممارسة العمل الصالح بكل أنواعه والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر، وتحقيق العبودية الشاملة، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه، وأما لوازم التمكين فهي: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول (ﷺ)[١]، وقد تحققت هذه الشروط واللوازم كلها في عهد الصديق والخلفاء الراشدين من بعده، وكان للصديق الفضل بعد الله في تذكير الأمة بهذه الشروط ولذلك رفض طلب الأعراب في وضع الزكاة عنهم، وأصرّ على بعث جيش أسامة والتزم بالشرع كاملاً ولم يتنازل عن صغيرة ولا كبيرة، قال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله (ﷺ)، مقامًا كدنا نهلك فيه لولا أن منّ الله علينا بأبي بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتاله فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية[٢].

٢- الأخذ بأسباب التمكين:

قال (تعالى): ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنفال، آية: ٦٠). وقد لاحظت أن الصديق (رضي الله عنه) كان إعداده شاملاً،

---

(١) فقه التمكين في القرآن الكريم - للصلّابي ص١٥٧ .

(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٢١) .

معنويًا وماديًا، فجيش الجيوش وعقد الألوية، واختار القادة لحروب الردة، وراسل المرتدين، وحرض الصحابة على قتالهم، وجمع السلاح والخيل والإبل وجهز الغزاة، وحارب البدع، والجهل، والهوى، وحكّم الشريعة، وأخذ بأصول الوحدة والاتحاد والاجتماع، وأخذ بمبدأ التفرغ، وساهم في إحياء مبدأ التخصص، فخالد لقيادة الجيوش، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، وأبو برزة الأسلمي للمراسلات الحربية وهكذا، واهتم بالجانب الأمني، والإعلامي وغير ذلك من الأسباب.

٣- آثار تحكيم الشرع:

تظهر آثار تحكيم شرع الله في عصر الصديق في تمكين الله للصحابة، فقد حرصوا على إقامة شعائر الله على أنفسهم وأهليهم وأخلصوا لله في تحاكمهم إلى شرعه، فالله سبحانه و(تعالى) قواهم وشد أزرهم ونصرهم على المرتدين، ورزقهم الأمن والاستقرار قال (تعالى): ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام، آية: ٨٢).

وتحققت فيهم سنة الله في نصرته لمن ينصره لأن الله ضمن لمن استقام على شرعه أن ينصره على أعدائه بعزته وقوته قال (تعالى):

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (سورة الحج، آية: ٤٠- ٤١).

وما حدث قط في تاريخ البشرية أن استقامت مجموعة على هدي الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة في نهاية المطاف . . .)[١].

وقد انتشرت الفضائل وانحسرت الرذائل في عهد الصديق (رضي الله عنه)

٤- صفات جيل التمكين:

قال (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة المائدة، آية: ٥٤) هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات[٢] فهذه الصفات:

أ- ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾:

مذهب السلف في المحبة المسندة له (سبحانه وتعالى)، أنها ثابتة له (تعالى) بلا كيف ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها[٣]. لقد أحب المولى (عز وجل) ذلك

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٧٠).

(٢) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٥٣٤). (٣) تفسير القاسمي (٦/ ٢٥٣).

الجيل لما بذلوه من أجل دينهم وبما تطوعوا به بما لم يفرض عليهم فرضًا، تقربًا إلى الله وحبا لرسوله، واتخاذهم المندوبات والمستحبات كأنها فروض واجبة التنفيذ[١]، ولقد اتصف هذا الجيل بصفات الإحسان والتقوى والصبر التي ذكر المولى (عز وجل) بأنه يحبها قال (تعالى): ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٣٤) وقال (تعالى): ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران، آية: ٧٦) ولقد أحب الصحابة المولى (عز وجل) حبًا عظيمًا فقدموا محابه على كل شيء وبغضوا ما أبغضه، ووالوا ما والاه وعادوا من عاداه واتبعوا رسوله، واقتفوا أثره، لقد أحب الصحابة ربهم، وخالقهم، ورازقهم، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وأي إحسان كإحسان من خلق فقدر، وشرع فيسر، وجعل الإنسان في أحسن تقويم، ووعد من أطاعه بجنة الخلد التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ لهذا كله ولأكثر منه، أحب ذلك الجيل ربهم حبا لا مثيل له، فقدموا أنفسهم وأهليهم وأموالهم في سبيل الله، بلا تردد أو منة، بل اعتبروا ذلك تفضل من الله عليهم، أن فتح لهم باب الجهاد والاستشهاد في سبيله ويسر لهم أسبابه، فقاموا بذلك الواجب خير قيام[٢].

ب- **قوله (تعالى)**: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

فهذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه،[٣] ولذلك قام الصديق وجنوده الكرام بمناصرة المسلمين وخرج بنفسه يقاتل المرتدين، وسير إحدى عشرة لواء، لرفع الظلم عن المؤمنين، وكسر شوكة المرتدين ولم يقبل من المرتدين الذين عذبوا المستضعفين من مواطنيهم المسلمين إلا أن يأخذ بحقهم منهم فيفعل بهم كما فعلوا بهم وكذلك فعل قادة جيوشه، وكان (رضي الله عنه) حريصًا على مراعاة أحوال الرعية في المجتمع فقد مر بنا كيف كان يعامل الجواري، والعجائز، وكبار السن (رضي الله عنهم) لقد سادت هذه الصفات في عصر الصديق وتجسدت في حياة الناس.

جـ- ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾:

وقد ظهرت صفة المجاهدة لأعداء الله في عصر الصديق في حربهم للمرتدين وكسرهم لشوكتهم ومن بعد في الفتوحات الإسلامية التي سيأتي تفصيلها بإذن الله تعالى، لقد جاهد الصحابة أعدائهم من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وتحقيق عبادة الله وحده، وإقامة حكم الله ونظام الإسلام في الأرض، ودفع عدوان المرتدين، ومنع الظلم بين الناس، وبالجهاد في سبيل الله تحقق إعزاز المسلمين وإذلال المرتدين، ورجع الناس إلى دين الله، واستطاعت القيادة الإسلامية بزعامة الصديق (رضي الله عنه) أن تجعل من الجزيرة العربية قاعدة للانطلاق لفتح العالم

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامي - لمحمد قطب ص٩٠ .
(٢) الإيمان وأثره في الحياة - للقرضاوي ص٥- ١٢ .
(٣) تفسير القاسمي (٦/ ٢٥٥) .

أجمع، وأصبحت الجزيرة هي النبع الصافي الذي يتدفق منه الإسلام ليصل إلى أصقاع الأرض بواسطة رجال عركتهم الحياة، وأصبحوا من أهل الخبرات المتعددة في مجالات التربية والتعليم والجهاد وإقامة شرع الله الشامل لإسعاد بني الإنسان حيثما كان[١].

لقد كان الجهاد الذي خاضه الصحابة في حروب الردة إعدادًا ربانيًا للفتوحات الإسلامية حيث تميزت الرايات وظهرت القدرات، وتفجرت الطاقات، واكتشفت قيادات ميدانية وتفنن القادة، في الأساليب والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة المطيعة المنضبطة الواعية التي تقاتل وهي تعلم على ماذا تقاتل، وتقدم كل شيء وهي تعلم من أجل ماذا تضحي وتبذل، ولذا كان الأداء فائقًا والتفاني عظيمًا[٢].

لقد توحدت شبه الجزيرة العربية بفضل الله ثم جهاد الصحابة مع الصديق - تحت راية الإسلام لأول مرة في تاريخها بزوال الرؤوس أو انتظامها ضمن المد الإسلامي، وبسطت عاصمة الإسلام - المدينة- هيمنتها على ربوع الجزيرة وأصبحت الأمة تسير وراء زعيم واحد بمبدأ واحد، بفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصارًا للدعوة الإسلامية ولوحدة الأمة بتضامنها وتغلبها على عوامل التفكك والعصبية كما كانت برهانًا على أن الدولة الإسلامية بقيادة الصديق قادرة على التغلب على أعنف الأزمات[٣].

وهكذا كان الصحابة يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لوم أحد واعتراضه ونقده، لصلابتهم في دينهم، ولأنهم يعملون لإحقاق الحق وإبطال الباطل[٤].

د - ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾:

الإشارة إلى ما ذكر من حب الله إياهم، وحبهم لله، وذلتهم للمؤمنين، وعزتهم على الكافرين، وجهادهم في سبيل الله، وعدم مبالاتهم للوم اللوّام، فالمذكور كله فضل الله الذي فضل به أولياءه، يؤتيه من يشاء أي: ممن يريد به مزيد إكرام من سعة جوده، والله واسع: كثير الفواضل جل جلاله[٥]، عليم بمن هو أهلها، فهو (تعالى) واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك، ممن يحرم منه[٦].

ثانيًا: وصف المجتمع في عصر الصديق:

حين ندرس المجتمع المسلم في صدر الخلافة الراشدة تتضح لنا مجموعة من السمات منها:

---

(١) فقه التمكين في القرآن الكريم ص٤٩١ .
(٢) تاريخ صدر الإسلام - للشجاع ص١٤٢، ١٤٣ .
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية - د. جميل المصري ص٢٥٦ .
(٤) تفسير المنير (٦/ ٢٣٣) .
(٥) تفسير القاسمي (٦/ ٢٥٨) .
(٦) تفسير المنير (٦/ ٢٣٣) .

١- إنه - في عمومه - مجتمع مسلم بكامل معنى الإسلام، عميق الإيمان بالله واليوم الآخر، مطبق لتعاليم الإسلام بجدية واضحة، والتزام ظاهر، وبأقل قدر من المعاصي وقع في أي مجتمع في التاريخ، فالدين بالنسبة له هو الحياة، وليس شيئًا هامشيًا يفيء الناس إليه بين الحين والحين، إنما هو حياة الناس وروحهم، ليس فقط فيما يؤدونه من شعائر تعبدية يحرصون على أدائها على وجهها الصحيح، وإنما من أخلاقياتهم، وتصوراتهم واهتماماتهم، وقيمهم، وروابطهم الاجتماعية، وعلاقات الأسرة وعلاقات الجوار، والبيع والشراء، والضرب في مناكب الأرض والسعي وراء الأرزاق، وأمانة التعامل، وكفالة القادرين، لغير القادرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرقابة على أعمال الحكام والولاة ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن كل أفراد المجتمع هم على هذا الوصف، فهذا لا يتحقق في الحياة الدنيا، ولا في أي مجتمع من البشر. وقد كان في مجتمع الرسول (ﷺ) - كما ورد في كتاب الله - منافقون يتظاهرون بالإسلام وهم في دخيلة أنفسهم من الأعداء، وكان فيه ضعاف الإيمان، والمعوّقون، والمتثاقلون، والمبطئون، والخائنون، ولكن هؤلاء جميعًا لم يكن لهم وزن في ذلك المجتمع، ولا قدرة على تحويل مجراه؛ لأن التيار الدافق هو تيار أولئك المؤمنين الصادقي الإيمان المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، الملتزمين بتعاليم هذا الدين[1].

٢- إنه المجتمع الذي تحقق فيه أعلى مستوى المعنى الحقيقي (للأمة)، فليست الأمة مجرد مجموعة من البشر جمعتهم وحدة اللغة ووحدة الأرض ووحدة المصالح، فتلك هي الروابط التي تربط البشر في الجاهلية، فإن تكونت منهم أمة فهي أمة جاهلية، أما الأمة بمعناها الرباني - فهي الأمة التي تربط بينها رابطة العقيدة، بصرف النظر عن اللغة والجنس واللون، ومصالح الأرض القريبة وهذه لم تتحقق في التاريخ وحده كما تحققت في الأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية هي التي حققت معنى الأمة أطول فترة من الزمن عرفتها الأرض، أمة لا تقوم على عصبية الأرض ولا الجنس ولا اللون ولا المصالح الأرضية، إنما هو رباط العقيدة، يربط بين العربي والحبشي والرومي والفارسي، يربط بين البلاد المفتوحة والأمة الفاتحة على أساس الأخوة الكاملة في الدين ولئن كان معنى الأمة قد حققته هذه الأمة أطول فترة عرفتها الأرض، فقد كانت فترة صدر الإسلام أزهى فترة تحققت فيها معاني الإسلام كلها، بما فيها معنى الأمة، على نحو غير مسبوق[2].

٣- إنه مجتمع أخلاقي، يقوم على قاعدة أخلاقية واضحة مستمدة من أوامر الدين وتوجيهاته، وهي قاعدة لا تشمل علاقات الجنسين وحدها، وإن كانت هذه من أبرز سمات هذا المجتمع، فهو خال من التبرج، ومن فوضى الاختلاط وخال من كل ما يخدش الحياء من فعل أو قول أو إشارة وخال من الفاحشة إلا القليل الذي لا يخلو منه مجتمع على الإطلاق، ولكن القاعدة الأخلاقية أوسع بكثير من علاقات الجنسين، فهي تشمل السياسة والاقتصاد

---

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص١٠٠ .

(١) نفس المصدر ص١٠١ .

والاجتماع والفكر والتعبير، فالحكم قائم على أخلاقيات الإسلام، والعلاقات الاقتصادية من بيع وشراء وتبادل واستغلال للمال قائمة على أخلاقيات الإسلام، وعلاقات الناس في المجتمع قائمة على الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والحب، لا غمز ولا لمز ولا نميمة ولا قذف للأعراض(١).

٤- إنه مجتمع جاد، مشغول بمعالي الأمور لا بسفاسفها، وليس الجد بالضرورة عبوسًا وصرامة ولكنه روح تبعث الهمة في الناس وتحث على النشاط والعمل والحركة، كما أن اهتمامات الناس هي اهتمامات أعلى وأبعد من واقع الحس القريب، وليست فيه سمات المجتمع الفارغة المترهلة، التي تتسكع في البيوت وفي الطرقات، تبحث عن وسيلة لقتل الوقت من شدة الفراغ(٢).

٥- إنه مجتمع مجند للعمل، في كل اتجاه تلمس فيه روح الجندية واضحة لا في القتال في سبيل الله فحسب، وإن كان القتال في سبيل الله قد شغل حيزًا كبيرًا من حياة هذا المجتمع، ولكن في جميع الاتجاهات، فالكل متأهب للعمل في اللحظة التي يطلب منه فيها العمل ومن ثم لم يكن في حاجة إلى تعبئة عسكرية ولامدنية، فهو معبأ من تلقاء نفسه بدافع العقيدة وبتأثير شحنتها الدافعة لبذل النشاط في كل اتجاه(٣).

٦- إنه مجتمع متعبد، تلمس روح العبادة واضحة في تصرفاته ليس فقط في أداء الفرائض، والتطوع بالنوافل ابتغاء مرضاة الله، ولكن في أداء الأعمال جميعًا، فالعمل في حسه عبادة، يؤديه بروح العبادة، الحاكم يسوس رعيته بروح العبادة، والمعلم الذي يعلم القرآن ويفقه الناس في الدين يعلم بروح العبادة، والتاجر الذي يراعي الله في بيعه وشرائه يفعل ذلك بروح العبادة، والزوج يرعى بيته بروح العبادة، والزوجة ترعى بيتها بروح العبادة، تحقيقًا لتوجيه رسول الله (ﷺ): «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته»(٤).

هذه من أهم سمات عصر الصديق الذي هو بداية الخلافة الراشدة وهذه السمات جعلته مجتمعًا مسلمًا في أعلى آفاقه وهي التي جعلت هذه الفترة هي الفترة المثالية في تاريخ الإسلام، كما أنها هي التي ساعدت في نشر هذا الدين بالسرعة العجيبة التي انتشر بها، فحركة الفتح ذاتها من أسرع حركات الفتح في التاريخ كله، بحيث شملت في أقل من خمسين عامًا أرضًا تمتد من المحيط غربًا إلى الهند شرقًا، وهي ظاهرة في ذاتها تستحق التسجيل والإبراز، وكذلك دخول الناس في الإسلام في البلاد المفتوحة بلا قهر ولا ضغط وقد كانت تلك السمات التي اشتمل عليها المجتمع المسلم هي الرصيد الحقيقي لهذه الظاهرة، فقد أحب الناس الإسلام لما رأوه مطبقًا على هذه الصورة العجيبة الوضاءة، فأحبوا أن يكونوا من بين معتنقيه(٥).

---

(١) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص١٠٢ .
(٢) نفس المصدر ص١٠٢ .
(٣) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص١٠٢ .
(٤) نفس المصدر ص١٠٢ .
(٥) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص١٠٣ .

ثالثًا: سياسة الصديق في محاربة التدخل الأجنبي:

أدت حركة الدولة الإسلامية الضاربة في الجزيرة العربية إلى لجوء كثير من القبائل المجاورة لكل من الروم والفرس التسليم للدولة الإسلامية، وما إن سمعوا بوفاة رسول الله (ﷺ) حتى سعوا للتقرب من الدولتين، واستغل الفرس والروم هذه القبائل بالحض والتشجيع والدعم لتقف ضد الدولة الإسلامية[(١)]، فكانت سياسة الصديق للتصدي لهذا الدعم الخارجي، بأن أرسل حملة أسامة بن زيد إلى الشام بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، فكانت تلك الحملة بمثابة الضمان لاسترسال تلك القبائل على مهاجمة الدولة الإسلامية، وأرسل أبو بكر أيضًا خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش إلى الحمقتين من مشارف الشام، وعمرًا بن العاص إلى تبوك ودومة الجندل، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى البحرين (أي ساحل الخليج العربي كله)، ثم تابع المثنى بن حارثة الشيباني إلى جنوب العراق بعد القضاء على ردة البحرين، واضطرت سجاح التميمية وقد كانت من نصارى العرب في العراق التي كانت تحت سيطرة الفرس، أن ترتد عائدة إلى العراق لما رأت قوة المسلمين.

لقد كان المسلمون بقيادة أبي بكر على مستوى اليقظة والمسؤولية، فحفظوا الحدود الشمالية بدقة، فمن الشرق إلى الغرب على طول الحدود الشمالية المتاخمة للفرس والروم نجد العلاء الحضرمي، وخالد بن الوليد شمال نجد، ثم عمرو بن العاص في دومة الجندل، وخالد بن سعيد على مشارف الشام، ناهيك عن جيش أسامة[(٢)].

كان الفرس يتربصون بالإسلام الدوائر، ولكنهم كمنوا كمون الأفعى، وخاصة أنهم كانوا يرون المد الإسلامي يكتسح من أمامه كل أقزام التاريخ، ويزيح من وجهه جميع قوى الشر والطغيان، وعندما حانت الفرصة بارتداد بعض القبائل عن الإسلام وتوجهت قبيلة بكر بن وائل إلى كسرى بعد وفاة الرسول تعرض عليه إمارة البحرين، فلاقى العرض قبولا لديه، وأرسل معهم المنذر بن النعمان على رأس قوة مؤلفة من سبعة آلاف فارس وراجل وعدد من الخيل تقارب في أعدادها المائة لمساعدتهم في مواجهة المسلمين وهم شرذمة لا يخشى خطرهم كما يقول الكلاعي[(٣)]، وكان مسيلمة الكذاب تتطلع إليه الأعين من بلاط فارس[(٤)].

وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل: من أن سجاح، لم تنحدر من شمالي العراق إلى شبه الجزيرة يتبعها رهطها إلا مدفوعة بتحريض الفرس، وعمالهم في العراق كي يزيدوا الثورة في بلاد العرب اشتعالاً[(٥)] هذا عن دور الفرس، أما دور الروم فقد كان أظهر وأخطر، ذلك لأن موقف الروم من الإسلام ودولته كان أصلب وأعتى فهم أمة ذات فكر وعقيدة، وذات نظم

---

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣١١ .

(٢) حروب الردة ص١٧٤، ١٧٥ .

(٣) الاكتفاء في تاريخ المصطفى والثلاثة الخلفاء (٣/٣١٨، ٣١٩) .

(٤) الإسلام والحركات المضادة ص١٤٦ - للدكتور الخربوطلي .

(٥) الردة - غيداء خزانة كاتبي ص٤٩ مخطوطة نقلاً عن حركة الردة ص١٤٦ .

وقوانين متقدمة، ولهم من العَدد والعُدد مدد لا يكاد ينقطع، ومن الحلفاء والأتباع دول ودول، ولذا كانت العلاقات بينهما في أعلىٰ درجات سخونتها وتوترها منذ فترات مبكرة(١).

وقد لجأ الروم ومنذ وقت مبكر بعد وصول كتب رسول الله (ﷺ)، إلىٰ محاولة الصدام مع المسلمين، فكان من جرّاء ذلك غزوتا: مؤتة وتبوك اللتان أثبتتا لهم ماديا أن الدولة الإسلامية ليس من السهل ابتلاعها أو شراء أصحابها، كما أثبتت للمسلمين من جهة أخرىٰ، إخلاص متنصرة العرب من قبائل الشام لأبناء دينهم من الروم وعلىٰ الرغم من الاتفاقيات التي عقدها رسول الله بنفسه إثر غزوة تبوك مع أمراء الشام من أتباع الروم، فإن الروم كانوا لا يكفّون عن مناوشة الدولة الإسلامية ومحاولة قص أجنحتها، وبالتالي القضاء عليها وكان الصديق (رضي الله عنه) متنبهًا لهذا الأمر جيدًا، وقد تمثل ذلك بإصراره الشديد علىٰ إنفاذ جيش أسامة لوجهته، وقد رأىٰ قبائل العرب في شمالي الجزيرة من لخم وغسان وجذام وبلي وقضاعة وعذره وكلب، تعود للانقضاض علىٰ عهود رسول الله (ﷺ) التي أبرمها معها. ومن غير الدولة الرومية يمدهم بوقود المعركة من سلاح ورجال ومال، ومخططات؟ وكأنه كان يريد أن يقول للروم بلسان الحال: إنه علىٰ الرغم من انتقاض العرب داخل بلادي، فإن ذلك لن يفت في عضدنا نحن المسلمين، ونحن قادرون أن نصد عن دولتنا أكبر هجمة عالمية ولو كانت من جانبكم(٢).

إن انتقاض الجزيرة العربية جدد الأمل عند الفرس والروم بأن العرب سيقضون علىٰ الإسلام، وقدمت الفرس والروم للعرب الثائرين علىٰ الحكم الإسلامي كثيرًا من المساعدات، وآوت الفارين منهم، ولذلك لم يكد المسلمون يعيدون الجزيرة العربية إلىٰ وحدتها حتىٰ كان الأوان قد آن للزحف نحو الشمال لمواجهة العدوين الكبيرين اللذين يتربصان بالإسلام(٣).

لقد تحرك الصديق من قاعدته الأمينة (المدينة المنورة) وبعث منها الجيوش وزودها بكل ما من شأنه أن يجعلها ذات هيبة في عيون أعدائها وفي قلوبهم، وقد استطاع الصديق أن يفيض من قاعدته الخير علىٰ بقية أرجاء الجزيرة العربية وما كان له أن ينطلق لفتح بلاد الشام والعراق، لولا أنه أمّن قاعدته الكبرىٰ الجزيرة العربية، موالية للإسلام موحدة علىٰ أساسه، وقد تمثل أمن هذه القاعدة في ثلاثة مستويات هي: أولاً عزم الخليفة علىٰ مواصلة الجهاد، وإيمانه الوطيد بصلاحية فكره وتميزه واستعلائه به، وثانيًا: نظافة مجتمعه الأصغر، مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار، وثالثًا: تطهير مجتمه الأكبر وهو المجتمع العربي من أدران الشرك، وعقابيل الردة، وقد انبنت هذه المستويات بعضها علىٰ بعض حتىٰ سما البناء شامخًا قويًا، واستطاع أن يرمي به ثغور العراق والشام رميًا زعزع كيانات الروم والفرس زعزعة شديدة في أمد قصير، وما ذلك إلا لأن الجيوش المنطلقة من الجزيرة كانت موحدة الصفوف، موحدة الفكر، موحدة الراية، محمية الظهر، مؤمنة مراكز التموين(٤).

---

(١) حركة الردة – للعتوم ص١٤٦ . (٢) حركة الردة – للعتوم ص١٥٠ .
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي – د. أحمد شلبي (١/ ٣٨٨) . (٤) حركة الردة ص٣٢٣ .

رابعًا: من نتائج أحداث الردة:

خلفت حروب الردة آثارًا ونتائج لم تكن محدودة الزمان والمكان وإنما شلمت أجيالاً وآمادًا وتصورات وأفكارًا وسلوكيات وأحكامًا ما زالت تغذي الأجيال من بعدها وتمدها بالكثير ومن أهم تلك النتائج:

١ - تميز الإسلام عما عداه من تصورات وأفكار وسلوك:

بعد وفاة رسول (ﷺ) اختلطت الأمور ببعضها وسارعت الأعراب إلى الردة، فكان منهم المؤلفة قلوبهم، أو من المنافقين، أو الذين أسلموا رغم أنوفهم وفي وقت متأخر، أو من الذين لم يسلموا أصلاً، ومن أمثلة الصنفين الأولين، إسلام عيينة بن حصن الفزاري الذي أسلم إسلامًا فيه دخن كبير، ولذا ما إن هبت نار الفتنة حتى استجاب لها، وباع دينه بدنيا طليحة الأسدي، ولما أسر وبعث إلى أبي بكر مقيدًا بالأغلال، كان فتيان المدينة يمرون عليه فينخسونه بالجريد ويقولون: أي عدو الله! أكفرت بعد إيمانك؟! فيقول والله ما كنت آمنت بالله قط[١]، ومن هؤلاء الذين يقال: إنهم لم يسلموا أصلاً قبيلة عنس اليمنية. وهي قبيلة الطاغية الأسود الذي ادعى النبوة، وفعل في بلاد اليمن الأفاعيل، ونكل بالمسلمين، ومن أمثلة سوء الفهم لنصوص الإسلام التي أدت بهؤلاء إلى الكفر أن بعضًا منهم أنكر الزكاة محتجًا بمدلول قوله (تعالى): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية: ١٠٣).

فقد جاء في التعليق على هذه الآية في تفسير ابن كثير - رحمه الله - قوله: (اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفعها إلى الإمام لايكون، وإنما كان هذا خاصًا برسول الله (ﷺ) وقد احتجوا بقوله (تعالى): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ وقد رد عليهم هذا التأويل (السقيم) والفهم الفاسد أبو بكر وسائر الصحابة -رضوان الله عليهم- وقاتلوهم حتى أدوها إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ))[٢].

وظهرت العصبية القبلية بقوة، فهذا مسيلمة الكذاب يقول لبني حنيفة محرضًا إياهم على اتباعه وإنكار حق قريش بالنبوة: أريد أن تخبروني بماذا صارت قريش أحق بالنبوة والإمامة منكم؟ والله ما هم بأكثر منكم ولا أنجد، وإن بلادكم لأوسع من بلادهم، وأموالكم أكثر من أموالهم[٣].

وهذا الرّجال بن عُنفوة الحنفي الذي أضله الله على علم، بعد أن قرأ القرآن، وفقه في الدين، يقول في حقيقة النبوة بين رسول الله ومسيلمة: (كبشان انتطحا، فأحبهما إلينا كبشنا[٤]، وهذا طلحة النمري قال لمسيلمة عندما رآه وسمع منه ما علم به كذبه: أشهد أنك

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٠)، حركة الردة ص١١٤ .
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٦) طبعة الحلبي .
(٣) حركة الردة - للعتوم ص١٢٤ .
(٤) الإصابة - لابن حجر رقم ٢٧٦١ .

كذاب، وأن محمدًا صادق، ولكنه كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر[١].

بل إن مسيلمة يعرف كذب نفسه، فلما كانت معركة اليمامة وبدت الغلبة للمسلمين قال له أصحابه محنقين عليه: أين ما كنت تعدنا به من النصر والآيات؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم، فأما الدين فلا دين[٢]، واختلطت عليهم التصورات والأفكار، والسلوكيات والآمال وعمل المرتدون على إنهاء الإسلام ومحيه من الوجود وتكالبت قوى الشر على ذلك ولكن محاولاتهم باءت بالفشل وأحبطت جميعها بتوحد المسلمين وتجمعهم وتكتلهم حول القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامي التي تربت على يد رسول الله (ﷺ)، وأصبحت تشبه القطب المغناطيسي الضخم الذي قام - بحكم طبيعته وخصائصه- بجذب كل من كان مؤهلاً للإسلام، ويحمل خاصية الانجذاب إلى هذا القطب المغناطيسي الضخم الفعال، فقد أدى هذا التجمع إلى إظهار قوة الإسلام، ليس بكثرة العدد والعُدة، وإنما في قوة تفرده تصورًا وفكرًا وسلوكًا في لبناته الصلبة وتربيتها الفذة التي تربت عليها تلك اللبنات مجتمعة، والقوة في وضوح التعامل مع الحدث دون مواربة أو تربيت أو إغماض عين وفتح الأخرى، وإنما كانوا واضحين وضوح عبارة أبي بكر الصديق للمسلمين جميعًا: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[٣].

إن من نتائج أحداث الردة حفظ التصور الإسلامي من التحريف والتشويه، وإن تجردت الراية الإسلامية من العصبية الجاهلية، والولاء المختلط، وصارت خالصة من أية شائبة، وأن التصور الإسلامي لا يقبل المداهنة مهما كانت الظروف المحيطة، وأن القوة الإسلامية لا ترتبط بالعدد ولا العدة، ولكن بقوة الإيمان والروح المعنوية، وأن الأصل دعوة الناس إلى الإسلام، وليس مقاتلتهم، فالدعوة أولاً. وأن الحرص على الناس هو المقدم على كل شيء[٤].

٢- ضرورة وجود قاعدة صلبة للمجتمع:

أظهرت أحداث الردة معادن أصيلة في بنية قاعدة هذه الدولة وكشفت عن عناصر صلبة، فلم يكونوا أفرادًا متناثرين، ولكنهم كانوا يشكلون القاعدة لهذا المجتمع، ولهذه الدولة، ولم تكن قاعدة رخوة أو هشة أو ساذجة؛ وإنما كانت قاعدة صلبة واعية تدرك حقيقة نفسها وحقيقة عدوها، وتعي أبعاد المخاطر من حولها، وتخطط بانتباه ويقظة كاملة في مواجهة كل الصعاب، وهي مع هذا وذاك موصولة بالقوي العزيز ولهذا انتصرت على كل خصومها وأزالت كل العوائق من طريقها، فقد حافظت هذه القاعدة على الإسلام ودولته، وساهمت في جمع الحشود لكسر شوكة أهل الردة، وعملت على لم شمل الناس من حولها، وتم بفضل الله ثم جهود هذه القاعدة الصلبة حفظ كيان الأمة وبقائها وتنميتها[٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٠٤). (٢) نفس المصدر ٤/ ١١٢).
(٣) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٢٣.
(٤) نفس المصدر ص٣٢٤.
(٥) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٢٥.

٣- تجهيز الجزيرة كقاعدة للفتوح الإسلامية:

بمجرد وفاة الرسول (ﷺ) تناثرت التجمعات، وتمردت كثير من القبائل على الخليفة، وقام الصديق (رضي الله عنه) مع الصحابة بعمل شاق عظيم استطاعوا أن يخضعوا القبائل للدولة وأشرف الصديق على تنفيذ الخطط التربوية والتعليمية والحربية والإدارية، ونجح نجاحًا باهرًا والتحمت القبائل العربية مع الدولة الإسلامية وأصبحت جزيرة العرب بسكانها قاعدة الفتوح الإسلامية بعد ذلك، وصارت هي النبع الذي يتدفق منه الإسلام ليصل إلى أصقاع الأرض فاتحًا ومعلمًا ومربيًا[١].

إن جزيرة العرب هي قاعدة الفتوح فكيف يتسنى الفتح إذا لم تكن له قاعدة، أو كانت هذه القاعدة مضطربة غير مستقرة أما الآن فقد أصبح ممكنًا تعبئة كل طاقات شبه الجزيرة وحشدها للأعمال الحربية التي تلت[٢].

٤- الإعداد القيادي لحركة الفتوح الإسلامية:

ومن خلال أحداث الردة التي ميزت الصفوف وامتحنت الطاقات، والقدرات، وكشفت عن الطبقة التي كانت تغطي عن معادن الأمة، ظهرت المعادن الخسيسة على حقيقتها وأعطي المقاد للمعادن النفيسة الصلبة المصقولة لتمسك بزمام الأمور في حركة الفتوح، فالمصادر التاريخية تمدنا بمعلومات جمة عن قيادات لم تكن من المهاجرين ولا من الأنصار ولا من الصحابة، ولكنهم تربوا من خلال كتاب الله مباشرة، ثم صقلتهم أحداث الردة، وميزتهم عن غيرهم ليصلوا إلى صدارة الجيوش الفاتحة، وشهد لهم الجميع بالحنكة، والأداء المتفاني، والإيمان الصادق.

هذا وقد كانت القيادة المركزية في المدينة، وميادين القتال تديرها قيادات غاية في التفاهم والتعاون والتحاب على الرغم من بعد المسافات إلا أن التوازن الرائع بين دور كل من القيادة المركزية وقيادات ميادين القتال كان واضحًا وبارزًا[٣].

٥- الفقه الواقعي للردة:

وردت العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت على الردة كحالة تعتري بعض البشر، وكل ما ورد من النصوص ظلت في إطارها العام النظري الثابت، ولم تكن قد مورست بشكل عام في الواقع، ولما وقعت الردة وعاشها المسلمون عمليًا واستنبطوا لها أحكامًا على ضوء تلك النصوص، كانت تلك الاستنباطات معالم هادية لفقه تلك النصوص.

ويتضح هذا من نقاش بين الصحابة حول موقفهم من هؤلاء القوم فكانوا يعودون إلى

(١) نفس المصدر ص٣٢٦ .

(٢) الطريق إلى المدائن - أحمد عادل كمال ص١٨٢ .

(٣) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٢٨ .

النصوص يدرسون ويتحاورون حولها وسرعان ما يتفقون على صورة واحدة سواء في تقييمهم وتوصيفهم الوصف المنطبق عليهم أم في طريقة معاملتهم، فهذه الوقفات العملية أمام الحدث والنص أنتجت أبوابًا في كتب التشريع الإسلامي ضمت تفصيلات تشريعية دقيقة عن أحكام الردة ثم صار عمل الصحابة سابقة فقهية تؤخذ في الاعتبار عند استنباط اجتهاد، أو تطبيق حكم فيما بعد[1].

٦- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾:

إن أية محاولة للتمرد على دين الإسلام، سواء أقام بها فرد أم جماعة، أم دولة إنما هي محاولة يائسة مآلها الإخفاق الذريع والخيبة الشنيعة؛ لأن التمرد إنما هو تمرد على أمر الله المتمثل بكتابه الذي تكفل بحفظه، وحفظ جماعة تلتف حوله، وتقيمه في نفوسها وواقعها مدى الدهر، وبحكمه القاضي بالعاقبة للمتقين، وبالمنِّ على المستضعفين أن يكيل لهم من الظالمين، إن مصير الكائدين لدين الله هو البوار في الدنيا والآخرة، وما أجمل ما قال الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[2]

٧- استقرار التنظيم الإداري في الجزيرة:

استقر التقسيم الإداري بعد انتصار الصديق في حروب الردة على نظام الولايات وهي: مكة وكان أميرها عتاب بن أسيد، والطائف وأميرها عثمان بن أبي العاص، وصنعاء وأميرها المهاجر بن أبي أمية وحضرموت ووليها زياد بن لبيد، وخولان ووليها يعلى بن أمية، زبيد ورفع ووليهما أبو موسى الأشعري، أما جَنَد اليمن فأميرها معاذ بن جبل، ونجران ووليها جرير بن عبد الله، جرش ووليها عبد الله بن نور، البحرين ووليها العلاء بن الحضرمي، وعمان ووليها حذيفة الغلفاني واليمامة ووليها سليط بن قيس[3].



(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٢٩ .
(٢) حركة الردة - للعتوم ص٣٣٤ .
(٣) الدولة العربية الإسلامية - لمنصور أحمد الحرابي ص٩٧ .



الفصل الرابع

فتوحات الصديق واستخلافه لعمر (رضي الله عنهما) ووفاته

تمهيد:

إن غاية وجود الأمة المسلمة في هذه الدنيا هي توحيد الله، وتحقيق عبوديته الشاملة في هذه الحياة كما قال (تعالى): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات، آية: ٥٦). فإذا كان خلق الجن والإنس الغاية منه عبادة الله وحده سبحانه وتعالى، كان لزامًا على الأمة المسلمة أن تسعى لتحقيق هذه الغاية وتحمل هذه الأمانة وأعباء تبليغها للناس أجمعين، بالدعوة إلى الله، وتعليم الناس وتربيتهم على منهج الله، والعمل على إزالة كل العقبات، التي تقف في وجه أداء هذه الأمانة إلى الناس أجمعين، وبذلك يتحقق بسط سيادة الشرع الحكيم على كل بني البشر، ويصبح الجميع يدينون بحاكمية الله سبحانه المطلقة المتمثلة في خضوع الجميع لشرع الله تعالى[1]؛ ولذلك شرع الله (تعالى) الجهاد لإزالة الحواجز والعقبات المانعة من سماع دين الفطرة التي فطر الناس عليها، قال ابن تيمية: (وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد بقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع قوتل باتفاق المسلمين،[2] وقد قام (ﷺ) بتبليغ واجب الدعوة إلى الله، فأرسل الكتب والرسل إلى القادة والملوك والزعماء وبعث السرايا والجيوش لإزالة الحواجز البشرية، والأعراف الجاهلية، والموانع النفسية، والعوائق المادية المانعة من سماع الإسلام وتفهمه، بل قاد (ﷺ) بذاته بعض البعوث والغزوات، والتي كان آخرها غزوة تبوك سنة ٩هـ، والناس في كل هذه المعارك والغزوات مخيرون بين ثلاثة: إما أن يدخلوا في الإسلام ويكونوا للمسلمين إخوانًا، وإما أن يختاروا البقاء على كفرهم ويدفعوا الجزية، وإما أن يرفضوا هذا وذاك فيكون السيف فاصل بيننا وبينهم[3]، وسار الصديق (رضي الله عنه) على هذا المنهج وشرع إرسال الجيوش لتحقيق بشائر الرسول (ﷺ) بفتح كثير من الممالك والبلاد كفتح العراق وغيرها من البلاد، فقد قال (ﷺ) لعدي بن حاتم: **«فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر، حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز»**[4] وقد وضع رسول الله (ﷺ) الخطوط العريضة لتلك الفتوحات وأضافت تلك المبشرات رصيدًا ماديًا ومعنويًا، وحسيًا للأمة وقد حاول المستشرقون وأذنابهم وأعداء الإسلام، أن يجردوا الفتوحات الإسلامية من دوافعها الدعوية، وأهدافها الربانية، ومقاصدها السامية وألصقوا بحركة الفتوحات تهم باطلة لا تقوم أمام الدليل والبرهان والحجة.

إن الهدف الرفيع والمقصد السامي لحركة الفتوحات التي قادها الصديق (رضي الله عنه) كان غرضها نشر دين الله (تعالى) بين الناس، وإزاحة الطواغيت من على رقاب الناس، وكان الصديق والمسلمون معه على يقين بما أخبر الله ورسوله من النصر والتمكين، وهذا اليقين من

---

(١) صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي – للصّلابي ص١٦٧ .
(٢) السياسة الشرعية – لابن تيمية ص١٨ .
(٣) صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي – للصّلابي ص١٦٨ .
(٤) صحيح السيرة النبوية ص٥٨٠ .

أخلاق جيل النصر فقد كانوا على يقين بقوله (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة الصف، آية: ٩) وبقوله (تعالى): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (سورة غافر، آية: ٥١) ولنترك الأحداث في حركة الفتوحات تخبرنا عن الحقائق وتوضح الطريق لأبناء الأمة الصادقين.


المبحث الأول


فتوحات العراق

أولاً: خطة الصديق لفتح العراق:

ما إن انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية التي كانت ميدانًا لها حتى شرع الصديق في تنفيذ خطة الفتوحات التي وضع معالمها رسول الله(ﷺ) ، فجيش الصديق لفتح العراق جيشين وانضم إلى خالد المثنى بن حارثة بالعراق:

١- بقيادة خالد بن الوليد وكان يومئذ باليمامة، فكتب إليه يأمره بأن يغزو العراق من جنوبه الغربي، وقال له: سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ (بفرج الهند) أي ثغرها، وهي الأُبلة[١] وأمره بأن يأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله (عز وجل)، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحدًا على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب[٢] كل امرئ مرّ به من المسلمين، وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمدادًا لخالد (رضي الله عنه)[٣].

٢- الجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم، وكان بين النباج[٤] والحجاز فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشرقي، بادئًا بالمصيخ [٥] وقال له: سر حتى المصيخ وابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها حتى تلقي خالدًا ثم أردف أمره هذا بقوله: وائذن لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحا بمتكاره. أي لا تجبرا أحدًا على السير معكما للقتال إكراهًا، فمن شاء فليقدم، ومن شاء فليحجم[٦].

وكتب الصديق (رضي الله عنه) إلى خالد وعياض: ... ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتما إلى الحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس

(١) الأبلة: على شط العرب في زاوية الخليج الذي يدخل في مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة وكانت بها مسالح كسرى.

(٢) يستصحب: يطلب صحبته دون الزام.

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٧).

(٤) قرية في بادية البصرة، في منتصف الطريق بين مكة والبصرة.

(٥) موضع على حدود الشام مما يلي العراق.

(٦) الفن العسكري الإسلامي - د. ياسين سويد ص٨٣، تاريخ الطبري (٤/ ١٦٢).

وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحدكما ردءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن[١].

٣- وكان المثنى بن حارثة قد قدم على أبي بكر وحث الصديق على محاربة الفرس، وقال له: ابعثني على قومي ففعل ذلك أبو بكر، فرجع المثنى وشرع في الجهاد بالعراق، ثم إنه بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده، فكتب معه أبو بكر إلى المثنى: أما بعد، فإني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده ووازره وكانفه، ولا تعصين له أمرًا، ولا تخالفن له رأيًا، فإنه من الذين وصف الله تبارك و(تعالى) في كتابه ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**﴾ (سورة الفتح، آية: ٢٩). فما أقام معك فهو الأمير، فإن شخص عنك فأنت على ما كنت عليه[٢] وكان من قوم المثنى رجل يدعى مذعور بن عدي خرج عن المثنى بن حارثة وراسل الصديق، وقال له: أما بعد، فإني امرؤ من بني عجل أجلاس الخيل - أي يلزمون ظهورها- وفرسان الصباح - أي يغيرون صباحًا- ومعي رجال من عشيرتي، الرجل خير من مئة رجل، ولي علم بالبلد، وجراء على الحرب، وبصر بالأرض، فولّني أمر السواد أكفكه إن شاء الله[٣]، وكتب المثنى بن حارثة (رضي الله عنه) بشأن مذعور بن عدي إلى الصديق فقال له: . . . فإني أخبر خليفة رسول الله (ﷺ) أن امرءًا من قومي، يقال له مذعور بن عدي، أحد بني عجل، في عدد يسير، وإنه أقبل ينازعني ويخالفني، فأحببت إعلامك ذلك لترى رأيك فيما هنالك[٤]، وردّ الصديق على مذعور بن عدي فقال له: أما بعد، فقد أتاني كتابك، وفهمت ما ذكرت، وأنت كما وصفت نفسك، وعشيرتك نعم العشيرة، وقد رأيت لك أن تنضم إلى خالد بن الوليد، فتكون معه، وتقيم معه ما أقام بالعراق وتشخص معه إذا شخص[٥]، وكتب إلى المثنى بن حارثة: . . . فإن صاحبك العجلي كتب إليّ يسألني أمورًا، فكتبت إليه آمره بلزوم خالد حتى أرى رأيي وهذا كتابي إليك آمرك أن لا تبرح العراق حتى يخرج منه خالد بن الوليد، فإذا خرج منه خالد بن الوليد، فالزم مكانك الذي كنت به وأنت أهل لكل زيادة، وجدير بكل فضل[٦]، ومما سبق يمكننا أن نستخلص بعض الدروس والعبر، والفوائد فمنها:

١- كان تاريخ بعث خالد إلى العراق في شهر رجب وقيل في المحرم سنة اثنتي عشرة[٧].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٣).
(٢) الوثائق السياسية - حميد الله ص٣٧١ .
(٣) مجموعة الوثائق السياسية ص٣٧٢ .
(٤) نفس المصدر ص٣٧٢ .
(٥) المصدر السابق ص٣٧٢ .
(٦) مجموعة الوثائق السياسية ص٣٧٣ .
(٧) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٧).

٢- الحس الاستراتيجي عند الصديق:

إن الأوامر التي وجهها الصديق إلى قائديه، خالد وعياض تشير إلى الحس الاستراتيجي المتقدم الذي كان يملكه الصديق (رضي الله عنه)، فقد أعطى جملة تعليمات عسكرية استراتيجية منها وتكتيكية، فحدد لكل من القائدين المسلمين جغرافيًا، منطلقة للدخول إلى العراق، كأنما هو يمارس القيادة من غرفة العمليات بالحجاز، وقد بسطت أمامه خارطة العراق بكل تضاريسها ومسالكها، فيأمر أحدهما خالدًا بدخول العراق من أسفلها، جنوبًا بغرب، (أي الأبلة)، ويأمر الثاني (عياضًا) بدخول العراق من أعلاها، شمالاً بشرق (أي المصيخ) ويأمر الاثنين معًا أن يلتقيا في وسط العراق. ولا ينسى الخليفة مع ذلك، أن يأمرهما بأن لا يُكرها الناس على الانخراط في جيشيهما، وأن لا يجبرا أحدًا على البقاء معهما للقتال، فلم يكن التجنيد في نظره إلزاميًا، وإنما طوعيًا واختياريًا[1].

٣ - تحديد الحيرة كموقع استراتيجي:

كان هدف الخليفة الصديق السيطرة على الحيرة وذلك لأهميتها العسكرية، فالحيرة تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب (الكوفة) وتبعد عن (النجف) مسيرة ساعة للفارس إلى الجنوب الشرقي للنجف، والناظر على الخارطة، يرى لأول وهلة، أهمية هذا الموقع الاستراتيجي، فالحيرة كانت (عقد مواصلات) في نقطة تتصل بها الطرق من جميع الاتجاهات، فهي تتصل بالمدائن من الشرق عبر نهر الفرات، وتتصل شمالاً بـ (هيت)، وتتصل بـ (الأنبار) على جسر الأنبار، وتتصل بالشام من الغرب، كما تتصل بـ (الأبلة) في منطقة (البصرة) بالعراق، وفي (كسكر) في (السواد)، وفي (النعمانية) على نهر دجلة ومن هذا يتضح جليًا، أهمية السيطرة على هذا الموقع الهام، وكان الصديق مصيبًا عندما جعلها هدفًا لجيشين، هما جيش خالد، وجيش عياض، فالحيرة كانت قلب العراق، وأقرب منطقة مهمة إلى المدائن، عاصمة الإمبراطورية الفارسية، التي كانت تدرك هذه القيمة الاستراتيجية للحيرة، ولذا كانت ترسل القوات باتجاهها دائمًا لاستعادتها، لأن المسيطر على الحيرة، يؤمن سيطرته على المنطقة الكائنة غربي الفرات بأجمعها وهي عدا عن هذا، كانت مهمة للقوات الإسلامية في قتالها الروم في بلاد الشام[2].

إن تخطيط الصديق للوصول إلى الحيرة في الفتوحات يعرف في الخطط العسكرية للجيوش الحديثة بحركة فكي الكماشة أو عملية الالتفاف الدائري بأكثر من جيش وهذا يؤكد أن عملية فتح العراق وضم أطراف شبه الجزيرة العربية عن طريق الجهاد لم تكن محض مصادفة أو نتيجة لمجريات الحوادث[3] ويظهر للباحث فقه أبي بكر (رضي الله عنه) في التخطيط الجهادي بأنه كان يرتكز على اتخاذ القرارات بتنظيم الجيوش وتوجيهها وتحديد واجباتها

---

(١) الفن العسكري الإسلامي ص٨٣، ٨٤ .

(٢) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس - عبد الجبار السامرائي ص٣٥ .

(٣) أبو بكر الصديق - نزار الحديثي، وخالد الجنابي ص٤٥ .

وأهدافها، وتنسيق التعاون فيما بينها، وتحقيق التوازن على مسارح العمليات، غير أنه يترك لقادته حرية العمل العسكري، لإدارة العمليات القتالية بالأساليب التي يرونها مناسبة، وبالطرائق التي تستجيب لها يجابهونه من مواقف(١).

٤- نكران الذات عند المثنى بن حارثة:

ومن المواقف التي تذكر في الجهاد في العراق ما كان المثنى بن حارثة الشيباني، وكان يقاتل الأعداء في العراق بقومه، ولما علم بذلك أبو بكر سرَّه ما كان منه فأمَّره على من بناحيته وذلك قبل مجيء خالد، فلما توجهت همة الصديق لغزو فارس رأى أن خالدًا أجدر القواد بهذه المهمة فوجهه لها، وكتب كتابًا إلى المثنى يأمره بالانضمام إلى خالد وطاعته، فما كان منه إلا أن سارع في الاستجابة ولحق بخالد هو وجيشه، وإن هذا موقف يذكر للمثنى حيث لم يَغُرَّه كثرة جيشه ولا كونه أقدم من خالد في إمرة جيوش العراق فلم يحمله ذلك على أن يرى أنه أحق بالقيادة من خالد(٢).

٥- احتياط الصديق لأمر الجهاد في سبيل الله:

وقد جاء في كتاب أبي بكر لخالد وعياض بن غُنْم، أن استنفروا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله (ﷺ) ولا يغزونَّ معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي، فلم يشهد الأيام مرتد(٣)، يعني في أول الأمر وقد شهدوا الأيام بعد ذلك حينما ثبتت استقامتهم كما سيأتي بإذن الله تعالى. وهذا الموقف من أبي بكر مبني على الاحتياط لأمر الجهاد في سبيل الله (تعالى) حتى لا يشترك فيه طلاب الدنيا فيكونوا سببًا في فشل المجاهدين واختلال صفوفهم، وهذا درس تربوي من أبي بكر استفاده من الدروس النبوية الغالية وذلك في تنقية الصف الإسلامي من الشوائب، وتوحيد هدفه حتى يكون خالصًا لوجه الله تعالى، فيأمن بذلك من الانتكاسات الخطيرة التي تحدث بسبب تعدد الأهداف، ولقد حرص أبو بكر على هذا المبدأ السامي مع شدة احتياج الجيش الإسلامي آنذاك إلى الرجال مما يدل على قناعته التامة بأن العبرة بسمو الهدف والإخلاص لا بكثرة العدد(٤).

٦- الرفق بالناس والتوصية بفلاحي العراق:

وفي قول الصديق لخالد: وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم(٥)، وهذا القول يبين لنا الهدف من الجهاد الإسلامي خارج بلاد الإسلام فهو جهاد دعوي يقصد به دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، ولما كانت الدعوة غير ممكنة مع بقاء الحكومات فإنه لابدَّ من إزالتها لتمكين شعوبها من الدخول في الإسلام.

---

(١) مشاهير الخلفاء والأمراء، الصديق - بسام العسلي ص١٢٧ .
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣٠).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٣).
(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣١).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ١٥٩).

وهذا الهدف ظاهر في جميع المعارك التي خاضها الصحابة (رضي الله عنهم) حيث كانوا يدعون أعداءهم إلى الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فإن أبوا فليستسلموا لحكم الإسلام ويدفعوا الجزية مقابل حماية المسلمين لهم، فإن أبوا فلابدَّ من القتال حتى تكون كلمة الله هي العليا،[1] وقد وصى الصديق (رضي الله عنه) قادة جيوشه بفلاحي العراق وأهل السواد حرصًا منه على هداية الناس، وعلى منابع الثروة وعلمًا منه بأن العمران لا تقوم بدونه دولة، كما أن الفلاحة مصدر من مصادر الثروة، وهي المتصلة بحياة الناس ومعايشهم[2].

٧- لا يهزم جيش فيهم مثل هذا:

عندما استمد خالد أبا بكر أثناء سيره للعراق، أمده الصديق بالقعقاع بن عمرو التميمي فقيل له: أتُمدُّ رجلاً قد ارفضَّ عنه جنوده برجل؟ فقال: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا[3] وهذه فراسة من أبي بكر بينتها أحداث العراق بعد ذلك وقد كان أبو بكر أعلم الناس بالرجال وما يتصفون به من طاقات وكفاءات مختلفة[4].

ثانيًا: معارك خالد بن الوليد بالعراق:

لم يلبث خالد أن قدم العراق ومعه ألفي رجل ممن قاتل المرتدين وحشد ثمانية آلاف رجل من قبائل ربيعة، وكتب إلى ثلاثة من الأمراء في العراق قد اجتمعت لهم جيوش لغرض الجهاد، وهم مذعور بن عدي العجلي وسُلْمَى بن القين التميمي وحرملة بن مُرَيْطة التميمي فاستجابوا وضموا جيوشهم التي بلغ تعدادها مع جيش المثنى ثمانية آلاف، فأصبح جيش المسلمين ثمانية عشر ألفًا[5]، وقد اتفقوا على أن يكون مكان تجمع الجيوش الأبلة، وقبل أن يسير خالد إلى العراق كتب إلى هرمز صاحب ثغر الأبلة[6] كتاب إنذار يقول فيه: أما بعد فاسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقررّ بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة[7]، وقد لجأ إلى هذا الأسلوب وهو نوع من الحرب النفسية ليدخل الخوف والرعب في قلب هرمز وجنوده، وليوهن من قوتهم ويضعف من عزيمتهم وحين قارب خالد العدو جعل الجيش ثلاث فرق، وأمر أن تسلك كل فرقة طريقًا ولم يحملهم على طريق واحد تحقيقًا لمبدأ مهم من مبادئ الحرب وهو أمن القطعات، فجعل المثنى على فرقة المقدمة ثم تلتها فرقة عليها عدي بن حاتم الطائي وخرج خالد بعدهما وواعدهما الحضير[8] ليجتمعوا به ويصمدوا لعدوهم[9].

---

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣٠).
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٤٢ .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٣).
(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٢٩).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٣).
(٦) أبو بكر الصديق - خالد الجنابي - نزار الحديثي ص٤٦ .
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٤).
(٨) الحضير: ماء لباهلة على أربعة أميال من البصرة (المعجم، ياقوت، ٢/ ٢٧٧).
(٩) أبو بكر الصديق - خالد الجنابي ص٤٦ .

١- معركة ذات السلاسل:

سمع هرمز بمسير خالد وعلم أن المسلمين تواعدوا الحضير فسبقهم إليه، وجعل على مقدمته القائدين قباذ وأبو شجان، ولما بلغ خالد أنهم يمموا الحضير عدل عنها إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها ونزل على الماء واختار المكان الملائم لجيشه، وجاء خالد فنزل على غير ماء، فقال لأصحابه: حطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين[(١)].

وحط المسلمون أثقالهم والخيل وقوف وتقدم الراجلون، وزحفوا إلى الكفار، ومنّ الله (تعالى) بكرمه وفضله على المسلمين بسحابة فأمطرت وراء صفوف المسلمين ونهلوا من غدرانها فتقوى بذلك المسلمون، وهذا مثل من الأمثلة الكثيرة الشاهدة على معية الله جل جلاله لأوليائه المؤمنين بنصره وإمداده، ووجه المسلمون هرمز وكان مشهورًا بالخبث والسوء حتى ضُرب المثل بخبثه فعمل مكيدة لخالد، وذلك أنه اتفق مع حاميته على أن يبارز خالدا ثم يغدروا به ويهجموا عليه، فبرز بين الصفين ودعا خالدًا إلى البراز، فبرز إليه، والتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد فحملت حامية هرمز على خالد وأحْدَقوا به فما شغله ذلك عن قتل هرمز، وما أن لمح ذلك البطل المغوار القعقاع بن عمرو حتى حمل بجماعة من الفرسان على حامية هرمز وكان خالد يجالدهم فأناموهم[(٢)]، وحمل المسلمون من وراء القعقاع حتى هزموا الفرس، وهذا هو أول المشاهد التي ظهر فيها صدق فراسة أبي بكر حينما قال عن القعقاع: (لا يهزم جيش فيه مثل هذا)[(٣)] وأما خالد فقد ضرب أروع الأمثال في البطولة ورباطة الجأش، فقد أجهز على قائد الفرس وحاميته من حوله فلم يستطيعوا تخليصه منه، ثم ظل يجالدهم حتى وصل إليه القعقاع ومن معه فقضى عليهم وقد كان الفرس ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا فلم تغن عنهم شيئًا أمام الليوث البواسل، وسميت هذه المعركة بذات السلاسل[(٤)].

وغنم المسلمون من الفرس حمل ألف بعير، وبعث خالد سرايا تفتح ما حول الحيرة من حصون، فغنموا أموالاً كثيرة، ولم يعرض خالدًا لمن لم يقاتلوه من الفلاحين، بل أحسن معاملتهم كما أوصاه الصديق، وأبقاهم في الأرض التي يفلحونها، ومكّنهم من إنتاجها، ومتعهم بثمرات عملهم، فمن دخل في الإسلام حدد له نصيب الزكاة، ومن بقي على دينه فرض عليه الجزية، وهو أقل بكثير مما كان ينهبه المالكون الفرس، ولم ينتزع الأرض من أيدي أصحابها الفرس، ولكنه أنصف العاملين فيها، فأحسوا بأن عنصرًا جديدًا من العدل والإخاء الإنساني يشرف عليهم من خلال هذا الفتح المجيد، وأرسل خالد خمس الغنائم والأموال إلى

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٥١)، تاريخ الطبري (٤/ ١٦٥).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٥).
(٣) نفس المصدر (٤/ ١٦٣).
(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣٣)، تاريخ الطبري (٤/ ١٦٥).

الصديق، ووزع الباقي على المجاهدين، وكان مما أرسله إلى الصديق قلنسوة هرمز ولكن الصديق أهداها إلى خالد، مكافأة له على حسن بلائه[١] وكانت قيمتها مائة ألف، وكانت مفصصة بالجوهر، فقد كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، فكان هرمز ممن تم شرفه[٢] في الفرس.

٢- معركة المذار (الثني):

كان هرمز قد كتب إلى كسرى بكتاب خالد فأمده كسرى بجيش بقيادة (قارن)، ولكن هرمز استخف بجيش المسلمين فسارع إليهم قبل وصول قارن فنكب ونكب جيشه، وهرب فلول المنهزمين فالتقوا بجيش (قارن) وتذامروا فيما بينهم وتشجعوا على قتال المسلمين، وعسكروا بمكان يسمى المذار، وكان خالد قد بعث المثنى بن حارثة وأخاه المعنى في آثار القوم، ففتحا بعض الحصون، وعلما بمجيء جيش الفرس فأبلغا خالدًا الخبر، وكتب خالد إلى أبي بكر بمسيره إليهم، وسار وهو مستعد للقتال حتى لا يفاجأ بهم، والتقى المسلمون معهم في (المذار) فاقتتلوا والفرس قد أغضبهم وأثار حفيظتهم ما وقع لهم قبل ذلك، وخرج قائدهم (قارن) ودعا إلى البراز، فبرز إليه خالد ولكن سبقه إليه معقل بن الأعمش بن النباش فقتله، وكان قارن وضع على ميمنته (قباذ)، وعلى ميسرته (أنوشجان)، وهما من القواد الذين حضروا اللقاء الأول وفروا من المعركة، فتصدى لهما بطلان من أبطال المسلمين، فأما قباذ فقتله عاصم ابن عمرو التميمي، واشتد القتال بين الفريقين ولكن الفرس انهزموا بعد مقتل قادتهم، وقتل منهم ثلاثون ألفًا ولجأ بقيتهم إلى السفن فهربوا عليها ومنع الماء المسلمين من ملاحقتهم وأقام خالد بالمذار، وسلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت، وقسم الفيء، ونفل من الأخماس أهل البلاء، وبعث ببقية الأخماس[٣] إلى المدينة.

٣- معركة الولجة:

وصل نبأ نكبة الفرس في المذار إلى كسرى فبعث الأندرزغر على رأس جيش عظيم وأردفه بجيش آخر عليه بهمن جاذويه، وتحرك الأندرزغر من المدائن حتى انتهى إلى كسكر، ومنها إلى الولجة وخرج بهمن جاذويه سالكًا وسط السواد يريد أن يحضر جيش المسلمين بينه وبين الأندرزغر واستطاع أن يحشر في طريقه عددًا من الأعوان والدهاقين وتجمعت القوة الفارسية في الولجة وعندما شعر الأندرزغر أن حشوده أصبحت كبيرة قرر الزحف على خالد، ولما بلغ خالد وهو بالثني (مكان قرب البصرة ومعناه منعطف النهر والجبل) تجمع الفرس ونزولهم الولجة رأى أن من الأفضل للمسلمين أن يهاجموا هذه الحشود الكبيرة من ثلاث جهات حتى يفرقوا جموعهم، وتكون المفاجأة للفرس مربكة، وأخذ يعد العدة لتنفيذ خطة الهجوم، ولكي يؤمن خطوطه الخلفية أمر سويد بن مقرن بلزوم الحضير وتحرك بجيشه حتى

(١) الصديق أول الخلفاء ص١٣١ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٦).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٨)، التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣٤).

وصل الولجة، وبعد أن قام باستطلاع واف للمنطقة وجد أن ميدان المعركة أرض مستوية وواسطة تصلح للقتال وتسمح بحرية الحركة، ولما كان خالد قد قرر أن يهاجم قوات الفرس من ثلاث جبهات، فقد نفذ خطته وبعث بفرقتين لمهاجمة حشود الفرس من الخلف والجانبين، وبدأت المعركة واشتد القتال بين الفريقين وشدد خالد بهجومه من المقدمة، وفي الوقت المناسب انقض الكمينان على مؤخرة جيش العدو فحلت به الهزيمة المنكرة، وفر الأندرزغر مع عدد من رجاله ولكنهم ماتوا عطشًا [١] وقام خالد في الناس خطيبًا، فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون ما ها هنا من الأطعمات؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولّي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه. ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة وأقر الفلاحين بالجزية [٢] وفي خطبة خالد بن الوليد للناس إشارة إلى أن العرب وهم في جاهليتهم إضافة إلى أنهم ليسوا من طلاب الآخرة فإنهم لم يظفروا بالدنيا لتفرقهم وتناحرهم فيما بينهم، فخالد يقول: نحن طلاب الآخرة، ولنا هدف سام نسعى إليه، من أجله ندعو ومن أجله نجاهد، ولو فرض أننا لا نحمل هذا الهدف ولا نجاهد من أجله فإن العقل يقتضي أن نقاتل من أجل أن نصلح أحوالنا المعيشية، وخالد حينما يذكر ذلك لا يجعل هذا الموقف ثانيًا مع الهدف السامي الذي ذكره، وإنما يذكر ذلك على أنه مجرد افتراض يفرض نفسه لو لم يوجد الهدف السامي المذكور، وكأنه يقول: إذا كنا سنقارع هؤلاء من أجل هذا الهدف الدنيوي أفلا نقارعهم من أجل الهدف الأخروي وابتغاء مرضاة الله (جلّ وعلا)؟

وهذا الكلام يشحذ الهمم ويقوي العزم، ويحيي القلب ويفجر الطاقات، فتنطلق بعد ذلك النفوس المؤمنة مجاهدة في سبيل الله (تعالى) بكل طاقاتها وإمكاناتها وقدراتها[٣].

وجاء في رواية: أن في يوم الولجة بارز خالد رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغدائه[٤] وهذا التصرف الجليل من سيف الله (رضي الله عنه) فيه إذلال للفرس وتحطيم لجبروتهم وتغطرسهم وإضعاف لعزائمهم[٥].

٤- معركة إليس وفتح أمغيشيا:

في هذه الموقعة انضم بعض نصارى العرب إلى الأعاجم وصاروا عونًا للفرس على المسلمين وكان عليهم عبد الأسود العجلي وعلى الفرس جابان وكان قد أمره بهمن جاذويه ألا ينازل المسلمين إلا أن يعجلوه وبعد أن بلغ خالد تجمع نصارى العرب وعرب الضاحية من أهل

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٥٢)، أبو بكر الصديق، خالد الجنابي ص٤٨ .
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٠).
(٣) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣٩).
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٠).
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٣٨).

الحيرة سار إليهم وكان همه متجه لمواقعتهم، ولا علم له بانضمام الفرس لجموع العرب فلما أقبلت جنود المسلمين طلب جابان من جنده مهاجمتهم فأظهروا عدم الاكتراث بخالد والتهاون بأمره، وتداعوا إلى الطعام إلا أن خالدًا لم يدعهم يهنأون بطعامهم واقتتلوا أشد القتال وقد زاد في قلب الأعداء وشدتهم ما يتوقعون من لحاق بهمن جاذويه بهم في مدد كبير وصبر المسلمون على هذا القتال العنيف وقال خالد: اللهمّ إنّ لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحدًا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم، ثم إن الله كشفهم للمسلمين، ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه، فنادى في الناس: الأسر الأسر لا تقتلوا إلا من امتنع، فأقبلت الخيول بهم أفواجًا مستأسرين يساقون سَوْقًا، وقد وكَّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يومًا وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جانب أليس، فضرب أعناقهم، وقال له القعقاع وأشباه له: لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، إن الدماء لا تزيد على أن ترقرق منذ نهيت عن السيلان، ونهيت الأرض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء تبر يمينك، وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده، فجرى دما عبيطا فسمي نهر الدم لذلك الشأن[1].

ولما هُزم القوم وأجلُوا عن عسكرهم، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه، وقف خالد على الطعام فقال: فقد نفّلتكموه فهو لكم. وقال: كان رسول الله (ﷺ) إذا أتى على طعام مصنوع نفّله، فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل، وجعل من لم يَر الأرياف ولا يعرف الرّقاق يقول: ما هذه الرّقاق البيض! وجعل من قد عرفها يجيبهم، ويقول لهم مازحًا: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقول: هو هذا فسمي الرّقاق، وكانت العرب تسمّيه القرَى[2] وبعد أن فرغ خالد من أليس نهض حتى أتى أمغيشيا وقد جلا عنها أهلها وأعجلوا عما فيها وتفرقوا في السواد فأمر بهدمها وهدم كل شيء كان في حيزها وأصابوا بها ما لم يصيبوا مثله فقد بلغ سهم الفارس ألف وخمسمائة درهم سوى أنفال أهل البلاء، ولما وصلت الأخماس وأخبار النصر إلى الصديق (رضي الله عنه) وما صنعه خالد والمسلمون قال: يا معشر قريش – يخبرهم بالذي أتاه– عَدَا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله[3]، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد[4].

وكان خالد قد بعث بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بني عجل، وكان دليلاً صارمًا، فقدم على أبي بكر بالخبر، وبفتح أليس، وبقدر الفيء وبعدة السبي، وبما حصل من الأخماس وبأهل البلاء من الناس، فلما قدم على أبي بكر، فرأى صرامته وثبات خبره، قال: ما اسمك؟ قال: جندل، قال: ويهًا جندل:

---

(١) تاريخ الطبري (٤/١٧٣).

(٢) نفس المصدر (٤/ ١٧٣).

(٣) الخراذيل: قطع اللحم.

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٥).

نفس عصام سودت عصاما   وعودته الكر والإقداما

وأمر له بجارية من ذلك السبي، فولدت له[١].

وفي قول الصديق عن خالد: عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد، وسام شرف لخالد[٢]، واعتراف بالجميل، ورفع لأهل البلاء والفضل والهمم العالية، ودفع لأصحاب الهمم الضعيفة ليضاعفوا من جهودهم وينافسوا على معالي الأمور ومكارمها [٣] وهذا القول من أبي بكر وكان أعلم بالرجال - أعظم شهادة، وأجل تقدير يناله رجل في تاريخ الإسلام، فالصديق وهو خليفة المسلمين الأعظم لا يرى لخالد (رضي الله عنه) في الناس عدلاً في عبقريته وشجاعته، ولا نظيرًا في بطولته ومهارته، وحسبك بها لخالد من الصديق[٤].

٥- فتح الحيرة:

علم مرزبان الحيرة بما صنع خالد بأمغيشيا فأيقن أنه آتيه، فاستعد لذلك وأرسل جيشًا بقيادة ابنه ثم خرج في إثره وأمر ابنه بسد الفرات ليعطل سفن المسلمين، وفوجئ المسلمون بذلك واغتموا له فأرسلوا الفلاحين فأخبروهم بضرورة سد الأنهار حتى يسيل الماء فماذا فعل خالد؟

نهض خالد في خيل يقصد ابن المرزبان فلقى خيلاً من خيله ففاجأهم فأنامهم بالمقر ثم نهض قبل أن تصل أخباره إلى المرزبان حتى لقى جندًا لابنه على فم الفرات فقاتلهم وهزمهم، وسد الأنهار وسلك الماء سبيله، ثم طلب خالد عسكره واتجه إلى الحيرة، وعلم المرزبان بموت ابنه، وخبر موت أزدشير فهاله الأمر فعبر الفرات هاربا من غير قتال فعسكر خالد مكانه، وأهل الحيرة متحصنون، وأدخل خالد الخيل من عسكره وتمت خطته حول قصور الحيرة بمحاصرتها على هذا النحو:

أ- ضرار بن الأزور لمحاصرة القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي.

ب- ضرار بن الخطاب لمحاصرة قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي العبادي.

جـ- ضرار بن مقرن لمحاصرة قصر بني مازن وفيه ابن أكال.

د- المثنى بن حارثة لمحاصرة قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح.

وعهد خالد إلى أمرائه أن يدعوا القوم إلى الإسلام فإن أجابوا قبلوا منهم، وإن أبوا أجلوهم يوما، وأمرهم أن لا يمكنوا عدوا منهم بل عليهم أن يناجزوهم ولا يمنعوا المسلمين من قتال عدوهم ففعلوا، واختار القوم المنابذة وعمدوا لرمي المسلمين بالحذف[٥]، فرشقهم

(١) نفس المصدر (٤/ ١٧٤).   (٢) المصدر السابق (٤/ ١٧٥).

(٣) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٤٤).

(٤) خالد بن الوليد - صادق عرجون ص٢١٦ .

(٥) الحذف: الرمي بالحصى عن جانب والضرب عن جانب.

المسلمون بالنبل، وشنوا غاراتهم، وفتحوا الدور والديارات فنادى القسيسون: يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم، فنادى أهل القصور: يا معشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث فكفوا عنا- وخرج رؤساء القصور فقابلهم خالد كل أهل قصر على حدة، ولامهم على فعلهم، وتصالحوا مع خالد على الجزية وصالحوه على مائة وتسعين ألفًا، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبل الهدايا، وعدها لأهل الحيرة من الجزية تعففًا عما لم يأذن به الشرع وقطعا لدابر العادات الأعجمية التي كان يحتال بها على سلب أموال الناس(١).

وكتب خالد في عهده لأهل الحيرة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عاهد عليه خالد ابن الوليد عديًا وعمرًا ابن عدي، وعمرو بن عبد المسيح، وإياس بن قبيصة، وحيرى بن أكال، وهم نقباء أهل الحيرة، ورضي بذلك أهل الحيرة، وأمرهم به، وعاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذي يد حبيسًا عن الدنيا، تاركا لهما، وعلى المنعة، وإن لم يمنعهم شيء، فلا شيء عليهم حتى يمنعهم وإن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة وكانت كتابة هذا العهد في شهر ربيع الأول سنة ١٢هـ(٢)، وقد جاء في رواية: أن خالد عرض على أهل الحيرة واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة، فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبًا لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلّة فأحمق العرب من سلكها(٣).

ففي حديث خالد (رضي الله عنه) تتضح بعض الصفات الإيمانية التي تجسدت في جيش فتح العراق، فهذا الجيش يتحرك من أجل هدف سامي، ألا وهو دعوة الناس إلى الإسلام وتبليغ الهداية للبشرية، وليس التوسع في الممالك وفرض السلطان والتمتع بالحياة الدنيا، كما بين خالد أهم مقومات نجاح المسلمين في حروبهم ألا وهو الحرص الأكيد على طلب الشهادة وابتغاء ما عند الله (تعالى) في الآخرة، كما بين النص السابق حرص الصحابة (رضي الله عنهم) على تطبيق سنة النبي (ﷺ)، وذلك بالرغبة القلبية في هداية البشرية حيث إن خالدًا وبّخهم على اختيار البقاء على الكفر مع أن بقاءهم على الكفر ودفع الجزية فيه مصلحة مالية للمسلمين، ولكن خالدًا من قوم هانت عليهم الحياة الدنيا وفضلوا ما عند الله جلّ وعلا في الآخرة، وقد سنّ رسول الله (ﷺ) لهم هذا المبدأ السامي(٤)، في قوله (ﷺ): «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا، خير لك من حمر النّعم»(٥).

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٤٨ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٨١).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨).
(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٤٨).
(٥) البخاري - كتاب المغازي - رقم ٤٢١٠ .

وفي قبول الصديق لهدية أهل الحيرة، وقد أهدوها طائعين مختارين، فعدها من الجزية عدلاً وتعففًا وخشية أن يظلم أهل ذمته أو يكلفهم شططا، درس عظيم في إقامة العدل بين الناس، وقد قارن الشيخ علي طنطاوي بين فتوح الاستعمار التي أثارتها أوروبا وبين فتح المسلمين مقارنة متميزة ثم استدل بقول الشاعر:

ملكنا فكان العدل منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلّلتم فكان العدل منا سجية ... غدونا على الأسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... فكل إناء بالذي فيه ينضح[1]

● الحيرة قاعدة الجيوش الإسلامية:

كان فتح الحيرة عملاً حربيًا عظيم القيمة، وسع أمل المسلمين في فتح بلاد فارس، لمكان هذا البلد الجغرافي والأدبي من العراق والمملكة الفارسية، فقد اتخذها القائد العام للجيوش الإسلامية مقرًا لقيادته العليا ومركزًا رئيسيًا تتلقى منه جيوش الإسلام أوامر الهجوم والدفاع والإمداد والنظم، وكذلك جعلها قاعدة عامة للتدبير والسياسة التي يقوم عليها تنظيم من وقع في يد المسلمين، وبث خالد عماله على الولايات لجباية الخراج والجزاء، ووجه أمراء إلى الثغور لحمايتها، وأقام هو ريثما يتم ما أراده من الاستقرار والنظام، وترامت أخباره إلى الدهاقين والرؤساء فأقبلوا إليه يصالحونه حتى لم يبقى ما بين قرى سواد العراق إلى أطرافه من ليس مولى للمسلمين أو على عهد منهم[2] **وقد كان من عماله على الأقاليم:**

١- عبد الله بن وثيمة النصري على الفلاليج.
٢- جرير بن عبد الله على بانقيا.
٣- بشير بن الخصاصية على النهرين.
٤- سويد بن مقرن المزني على تستر.
٥- أط بن أبي أط على روذستان.

وكان من قادة الثغور:

١- ضرار بن الأزور.
٢- المثنى بن حارثة الشيباني.
٣- ضرار بن الخطاب.
٤- ضرار بن مقرن.
٥- القعقاع بن عمرو.

(١) أبو بكر الصديق - طنطاوي ص٣٣ .
(٢) خالد بن الوليد - صادق عرجون ص٢٢٢ .

٦- بسر بن أبي رهم.
٧ - قتيبة بن النّهاس[١].

الرسائل التي أرسلها خالد إلى خاصة وعامة الفرس:

أجمع خالد أمره على منازلة الفرس في ساحات ملكهم بعد أن صفا له الجو في العراق، وأمن ظهره بانحسار أمر فارس عن العرب فيما بين الحيرة ودجلة، وكان أهل فارس في هذه الفترة على خلاف شديد فيمن يولونه عليهم بعد موت كسراهم أزدشير، فانتهز خالد هذه الفرصة وكتب إلى خاصتهم يقول: من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس: أما بعد، فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[٢]، وكتب إلى عامتهم فقال: من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس: الحمد لله الذي فض خدمتكم، وفرق جمعكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[٣].

وبفتح الحيرة تحقق شطر من أمل أبي بكر (رضي الله عنه) في فتح العراق وإخضاعه تمهيدًا لغزو فارس في عقر دارهم، وقد قام خالد بن الوليد (رضي الله عنه) بمهمته في ذلك خير قيام ووصل إلى الحيرة في وقت قياسي حيث بدأ صراعه مع الأعداء في شهر محرم من العام الثاني عشر في معركة الكاظمة، وانتهى من فتح الحيرة في شهر ربيع الأول من العام نفسه[٤].

كرامة لخالد بن الوليد في فتح الحيرة:

وقد أخرج الإمام الطبري بإسناده . . . وكان مع ابن بُقَيْلة[٥]، مَنْصَف له [٦] فعلق كيسًا في حقوه، فتناول خالد الكيس ونثر ما فيه في راحته، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سم ساعة، قال: لم تحتقب السم؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت، وقد أتيت على أجلي، والموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي، فقال خالد: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، وقال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض ورب السماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، فأهووا إليه يمنعوه منه، وبادرهم

(١) أبو بكر الصديق - خالد الجنابي، نزار الحديثي ص٥١،٥٢ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٨٦).
(٣) نفس المصدر (٤/ ١٨٦).
(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٥٠).
(٥) يعني عمرو بن عبد المسيح وهو سيد قومه.
(٦) يعني خادم.

فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القَرْن[١]، وأقبل على أهل الحيرة فقال: لم أرَ كاليوم أوضح إقبالا[٢]، وقد ذكر هذه الرواية الحافظ ابن كثير ولم يضعفها[٣]، وذكرها الحافظ ابن حجر وقال: رواه أبو يعلى ورواه ابن سعد من طريقين آخرين ولم يضعفها[٤]، وذكرها ابن تيمية مثالا من أمثلة الكرامات[٥] وقد أنكر بعض الكتاب المعاصرين هذا الخبر، واعتبروه من نسج خيال بعض الرواة حول شخصية خالد، وقد ثبتت هذه الرواية من ناحية الإسناد، فقد ارتضاها الطبري، وابن سعد، وابن كثير، وابن حجر، وابن تيمية ولم يضعفوا إسنادها، وهم أعلم وأنصف في علم التاريخ الإسلامي من الكتّاب المعاصرين.

إن خالد (رضي الله عنه) عندما أقدم على شرب السم كان في قمة اليقين والإيمان بأن الله جل جلاله هو الذي خلق كل شيء وأودع في كل شيء خصائصه، وأنه القادر على أن يلغي مفعول هذه الخصائص إذا أراد، لحكمة عالية وهدف عظيم، كما أذهب فعالية النار حينما ألقي فيها إبراهيم عليه السلام، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، وقد حصل ذلك لغير الأنبياء عليهم السلام، كما حصل لأبي مسلم الخولاني لما رفض أن يقر بنبوة الأسود العنسي الكذاب فألقاه في النار فوجدوه فيها قائمًا يصلي ولم تضره[٦]، كما أن خالدًا حينما أقدم على ذلك لم يخالج قلبه ذرة من إرادة حظ النفس وكسب السمعة والجاه، لأنه لو نوى شيئًا من ذلك لعلم أن الله (تعالى) سيتخلى عنه، وهو لا حول له ولا قوة على انتزاع أثر السم الضار، وهذه تجربة فذة لا يُطلب من أي مسلم أن يخوضها ولو كان هدفه نفس الهدف الذي رمى إليه خالد، لأنه يندر أن يوجد من يبلغ إيمانه وثقته بالله (تعالى) إلى المستوى الذي بلغ إليه خالد (رضي الله عنه) وأرضاه[٧]، هذا وقد صلى خالد عندما فتح الحيرة ثماني ركعات بتسليمة واحدة[٨].

من ادب الفتوحات العراقية:

ومما قاله القعقاع بن عمرو في فتح الحيرة:

سقى الله قتلى بالفرات مُقيمةً ∴	وأخرى بأثباج النجَاف الكوانف[٩]
ونحن وطئنا بالكواظم هرمزًا ∴	وبالثني قَرْنَي قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت ∴	على الحِيرة الروحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كان عرشهم ∴	يميل بهِمْ فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا ∴	غبوقَ المنايا حول تلك المحارف[١٠]
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا ∴	إلى الرِّيف من أرض العريب المَقانف[١١]

(١) يعني أهل الجيل المعاصر.
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٨٠).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٢٥١).
(٤) الإصابة - لابن حجر (٢/ ٢١٨) - رقم ٢٢٠٦.
(٥) الفتاوى (١١/ ١٥٤).
(٦) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٥٣).
(٧) نفس المصدر (٩/ ١٥٤).
(٨) البداية والنهاية (٤/ ٣٥٢).
(٩) اثباج النجاف: أوسطها، والنجاف: اسم موضع.
(١٠) غبوق المنايا: سوادها وظلمتها. المحارف: الأماكن: حرف الشيء حده وجانبه.
(١١) المقانف: المتشقق طينه، أو الأرض الغليظة.

٦- فتح الأنبار (ذات العيون):

استقام الأمر لخالد في تلك الجهات فاستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي، واتجه بتعبئة لإغاثة عياض بن غنم الذي أرسله الصديق لفتح العراق من الشمال ويلتقي بخالد، وصل خالد إلى الأنبار فوجد القوم قد تحصنوا وخندقوا على أنفسهم وأشرفوا من أعالي الحصون[(١)]، فضرب المسلمون عليهم الحصار وأمر خالد جنوده أن يصوبوا إلى عيون أهل الأنبار فلما نشب القتال أصابوا في أول رمية ألف عين من عيونهم ولذلك سميت هذه الوقعة ذات العيون[(٢)]، واخترق خالد الخندق الذي حول الأنبار بفطنة وذكاء حيث عمد إلى الضعاف من الإبل بجيشه فنحرها، وملأ الخندق في أضيق نقطة فيها بجثث الإبل، واقتحم المسلمون الخندق وجسرهم جثث الإبل، وصاروا مع عدوهم داخل الخندق، فالتجأ العدو إلى الحصن[(٣)]، واضطر شيراز قائد جند الفرس إلى قبول الصلح بشروط خالد على أن يخرج من الأنبار في عدد من الفرسان يحرسونه، فقبل خالد منه ذلك بشرط ألا يأخذ معه المتاع أو من الأموال شيئًا[(٤)].

وتعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالدًا قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد أنهم أمم ∴ أولو أقاموا فُتْهزَلَ النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ∴ ساروا جميعًا واللوح والقلم[(٥)]

٧- عين التمر:

استخلف خالد الزبرقان بن بدر على الأنبار وسار إلى عين التمر فوجد عقة بن أبي عقة في جمع عظيم من التمر وتغلب وإياد ومن حالفهم ومعهم من الفرس مهران بقواته[(٦)]، وطلب عقة من مهران أن يتركه لقتال خالد وقال له: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالدًا، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غَلبوا خالدًا فهو لكم، وإن غُلبوا قاتلنا خالدًا، وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد وتلقاه عقة فلما تواجهوا قال خالد لمجنبته: احفظوا مكانكم فأني حامل، وأمر حماته، أن يكونوا من ورائه، وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقة من غير قتال، فأكثروا فيهم الأسر وقصد خالد

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٥٠ .
(٢) البداية والنهاية (٦/٣٥٣).
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٥٠ .
(٤) تاريخ الطبري (٤/١٩١).
(٥) البداية والنهاية (٦/٣٥٣).
(٦) نفس المصدر (٦/٣٥٤).

حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عـقة وجيشه نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحًا فدخلوه واحتموا به.

فجـاء خالد وأحاط بهـم وحاصرهم أشـد الحصار، واضطر أهل الحـصن أن ينزلوا على حكم خالد، فأمر بضرب عنق عقة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أجمعين وغنم جميع ما في ذلك الحـصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلامًا يتـعلمون الإنجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد وفرقهم في الأمراء وأهل الغناء، وكان حمران مولى عثمان بن عفان من ذلك الخمس، ومنهم سـيرين والد محمـد بن سيرين أخذه مـالك بن أنس، وأرسل خالد الخمس إلى الصديق ثم أرسل أبو بكر الوليد بن عقبة إلى عياض مددًا له، وهو محاصر دومة الجندل فلما قدم عليه وجـده في ناحية من العراق يحاصر قومًـا، وهم قد أخذوا عليه الطرق فهو محصور أيضًا، فقال عياض للوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فـقال له الوليد، اكتب إلى خالد يمدك بـجيش من عنده، فكتب إليه يستمـده فقدم كتابه على خالد عـقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به، فكتب إليـه: من خالد إلى عياض، إياك أريد.

لَبِثْ قليلاً تأتِكَ الحلائب[١] يحملن آسادًا عليها القشائب[٢]، كتائب تتبعها كتائب[٣].

٨- دومة الجندل:

رحل خالد بجنده من عين التـمر بعد أن خلف عليها عـويم بن كاهل الأسلمي ووصلت أنباؤه إلى أهل دومـة الجندل فاستنجدوا بحلفـائهم من قبائل بهراء وكلب وغـسان وتنوخ[٤]، وكان أمر أهل دومة الجندل إلى زعيمين هما: أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة، فاختلفا فقـال أكيدر: أنا أعلم الناس بخـالد، لا أحد أيْمنُ طائرًا منه، ولا أحـد في حرب، ولا يرى وجه خالـد قوم أبدًا قلوا أو كثروا إلا انهـزموا عنه، فأطيعـوني وصالحوا القوم، فـأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم[٥].

وهذه شهادة خـصم في خالد، والحق ما شهـدت به الأعداء، وقد كان خـالد أسره قبل ذلك حينما أرسله إليه رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك، فأخذه وأتى به إلى النبي (ﷺ) فمن عليه وكتب له كتـاب عهد، ولكنه خان العهد بعد ذلك، ولقـد بقي الرعب في نفسه منذ يوم أسره خالد إلى جـانب سمعته الشـهيرة في حروبه مع العـرب والعجم، وخرج أكيدر مـفارقًا قومه، وبلغ خالدًا خـبره وهو في طريقه إلى (دومة) فأرسل إليه عاصم بن عمـرو معارضًا له فأخذه، فـقال: إنما تلقيت الأميـر خالدًا، ولكن خيانته السـابقة جعلت خالد ينفـذ فيه حكم

(١) الحلائب: ما يحمل عليه من دواب.
(٢) القشائب: السموم جمع قشب.
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٤).
(٤) نفس المصدر (٦/ ٣٥٤).
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٥)، تاريخ الطبري (٤/ ١٩٥).

الإعدام، وهكذا قتله الله بخيانته ونقضه العهد، ولم يُغن الحذر من القدر[١].

ونزل خالد على دومة الجندل وجعل أهلها ومشايعيهم من بهراء وكلب وتنوخ بين فكي (كماشة) ذراعها الأول عسكره، والثانية عسكر عياض بن غنم [٢] وتقدم الجودي بن ربيعة بجنوده نحو خالد، وتقدم ابن الحدرجان وابن الأبهم بجنودهما ناحية عياض، ودارت المعركة وأنزل خالد الهزيمة بالجودي وأتباعه وانتزع عياض النصر من ابن الحدرجان ومن معه بصعوبة، وحاولت فلول المنهزمين الاحتماء بالحصن، ولكنه كان قد عج بمن فيه فأغلقوه عليهم وتركوا أصحابهم حوله في العراء ولم يلبث خالد أن هاجم من بداخل الحصن بعد أن اقتلع بابه فقتل منهم جموعًا كثيرة [٣] وبفتح دومة الجندل أصبح للمسلمين موقع استراتيجي ذو أهمية فريدة؛ لأن دومة الجندل تقع على ملتقى الطرق إلى ثلاث جهات فشبه الجزيرة العربية من الجنوب، والعراق من الشمال الشرقي، والشام من الشمال الغربي، ومن الطبيعي أن تنال هذه المدينة مثل هذه العناية من الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وجنوده تقاتل بالعراق وتقف على تخوم الشام وتلك هي العلة في أن عياضًا لم يبرحها بل ظل مرابطًا أمامها إلى أن خف إليه خالد ولو أن دومة الجندل لم تذعن للمسلمين لبقي أمرهم في العراق تحفه المخاطر[٤].

وبذلك استطاع خالد أن يعين عياضًا على فتح دومة الجندل ولئن كانت حروب خالد (رضي الله عنه) في جنوب العراق مثالا للبراعة في الهجوم السريع، واغتنام الفرص وإثارة الرعب لدى الأعداء، فإن ثبات عياض (رضي الله عنه) هذه المدة الطويلة في وجه أعداء قد تكالبوا عليه من كل مكان دليل على تمتع الجيش الإسلامي أيضًا بالصبر والمصابرة وطول الأمل، والثقة بنصر الله (تعالى) في النهاية، وكان عياض (رضي الله عنه) من أفاضل المهاجرين، ومن سادات قريش، وكان سمحًا جوادًا وقد وثق به الخلفاء وولاتهم بعد ذلك، فكان أحد قادة اليرموك، وكان على مقدمة جيش أبي عبيدة، ثم فتح بعد ذلك الجزيرة بأكملها وهي المناطق التي بين الشام والعراق، واستخلفه أبو عبيدة (رضي الله عنه) على الشام لما حانت وفاته، فأقره عمر (رضي الله عنه) على الشام إلى أن احتاج إليه في الفتوح فوجهه إليها[٥].

٩- وقعة الحصيد[٦]:

أمر خالد الأقرع بن حابس بالرجوع إلى الأنبار، وأقام بدومة الجندل فكانت إقامته مدعاة لطمع الأعاجم وظنهم به الظنون، وكذلك ظنها عرب المنطقة فرصة؛ فكاتبوا الأعاجم ليكونوا معهم على خالد غضبًا لعقة الذي لم ينسوا مصرعه بعد، فخرج رزمهر من بغداد ومعه روزبة يريدان الأنبار وتواعدا في الحصيد والخنافس، فوصل خبرهم الزبرقان بن بدر وهو على

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٦٣).
(٢) خالد بن الوليد - صادق عرجون ص٢٣١ .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٦)، أبو بكر الصديق - خالد الجنابي ص٥٤ .
(٤) أبو بكر الصديق - نزار الحديثي، خالد الجنابي ص٥٤ .
(٥) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٦٤).
(٦) الحصيد: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة.

الأنبار، فاستمد القعقاع بن عمرو خليفة خالد على الحيرة، فأمده بأعبد بن فدكي السعدي (أبو ليلى) وأمره بالحصيد، وبعروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس، وعندما علم خالد بتحرك بعض القبائل ورغبتهم بالانضمام إلى روزبة في الحصيد، جعل القعقاع أميرًا على الناس في الحصيد بعد أن ترك مكانه عياض بن غنم على الحيرة، فلما علم روزبة بتوجه القعقاع إليه استمد رزمهر فانضم إليه، والتقى المسلمون بجموع الفرس، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة من بينهم رزمهر وروزبة وغنموا غنائم كثيرة[1]، وقد قال القعقاع بن عمرو في هذه المعركة:

ألا أبلغا أسماء أن حليلها ∴ قضى وطرًا من روزمهر الأعاجم
غدا صبحنا في حصيد جموعهم ∴ لهندية تفري فراخ الجماجم[2]

١٠- وقعة المصيخ:

بعد أن وصلت أخبار المسلمين في الحصيد إلى خالد واعد قادة جيوشه في ليلة وساعة يجتمعون فيها عند المُصَيَّخ قرب حورات فلما توافوا في موعدهم بيتوا بعض القبائل ومن آوى إليهم من ثلاثة أوجه فأوقع بهم خسائر كبيرة[3]، ثم علم خالد بتحشد بعض القبائل في (المثنى) وهو موضع قرب الرقة و (الزُميّل) في ديار بكر استعدادًا لقتال المسلمين فباغتهم في (المثنى) من عدة اتجاهات فشتت جموعهم وكذلك هاجم المتحشدين في (الزميّل) فأوقع بهم خسائر هائلة[4].

يقول عدي بن حاتم: انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال له حرقوص بن النعمان النمري، وحوله بنوه وبناته وامرأته، وقد وضع لهم جفنة من الخمر وهم يقولون: أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت؟ فقال لهم: اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها، فشربوا وجعل يقول:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر ∴ بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبل منايانا المصيبة بالقدر ∴ لحين لعمري لا يزيد ولا يجري[5]

فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناته وقتلنا بنيه[6].

وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصديق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون، فلما بلغ خبرهما الصديق وداهما وبعث بالوصاة بأولادهما، وقال

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٥).
(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٥٩).
(٣) أبو بكر الصديق – خالد الجنابي، نزار الحديثي ص٥٥ .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩، ٢٠٠).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩).
(٦) نفس المصدر (٤/ ١٩٩).

فـيهـمـا الصديـق: كذلك يلقـىٰ من يساكن أهل الحـرب في ديارهم، أي الذنب لـهمـا في مجاورتهما المشركين[١].

١١- وقعة الفراض:

بعد أن بسط خـالد راية الإسلام علىٰ العراق واستـسلمت له قبائل العرب قـصد الفراض وهي تخوم الـشام والعراق والجـزيرة حتىٰ يحـفظ ظهره ويأمن من أن تكون وراءه عـورة عند اجتيازه أرض السواد إلىٰ فارس فلما اجتمع المسلمون بالفراض غضب الروم وهاجوا واستعانوا بمن يليهم من مسـالح الفرس، فلبسوا سراعًا لأنهم كـانوا حانقين علىٰ المسلمين الذين أذلوهم وكسروا شـوكتهم كما استـمدوا العرب من تغلب وإياد والنمر فأمـدوهم لأنهم لم ينسوا بعد مصرع رؤسائهم وأشرافهم، فاجتـمعت جيوش الفرس والروم والعرب علىٰ المسلمين في تلك الموقعة فلمـا بلغوا الفرات قالوا للمسلمين: إمـا أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم، فـقال خالد: اعبـروا، قالوا: فتـنحوا حتىٰ نعـبر فقـال خالد: لا نفـعل، ولكن اعبروا أسـفل منا. وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة.

فقالت الـروم وفارس بعضهم لبـعض احتسبوا مـلككم، هذا رجل يقاتل علىٰ دين، وله عقل وعلم، ووالله لينصـرن ولنخذلن، ثم لم ينتفعـوا بذلك، فعبروا أسفل مـن خالد، فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتىٰ نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح، من أينا يجيء! ففعلوا فاقـتتلوا قـتالاً شديدًا طويلاً، ثم إن الله (عـز وجل) هزمهم، وقـال خالد للمـسلمين: ألحوا عليـهم ولا ترفهـوا عنهم، فجـعل صاحب الخـيل يحشـر منهم الزمرة برمـاح أصحـابه فإذا جمعوهم قتلوهم، وقتل من الأعداء عشرات الألوف وأقام خالد في الفراض عشرة أيام ثم أمر بالرجوع للحيرة[٢].

وهكذا واجـه المسلمـون لأول مرة جـيشًـا مكونًا من الفـرس الذين يمثلون دولة المشـرق العظمىٰ، والروم الذين يمثلون دولة المغرب العظمىٰ، والعرب الموالين لهؤلاء وهؤلاء ومع ذلك انتصر المسلمـون عليهم انتصارًا ساحقًا، ولا شـك أن هذه المعركة تعتبر من المعـارك التاريخية الفاصلة- وإن لم تَنَلْ من الشهرة ما نالته المعـارك الكبرىٰ؛ لأنها حطمت معنويات الكفار علىٰ مختلف انتماءاتهم حيث هـزموا جميعًا، وهذه المعركة تعتبر خـاتمة المعارك التي خاضها سيف الله المسلول خالد بن الوليد (رضي الله عنه) في العراق[٣]، وانكسرت شوكة الفرس بعد هذه المعركة ولم تقم لهم قوة حربية يخشاها الإسلام بعد هذه الموقعة[٤].

ومما قاله القعقاع بعد عمرو في هذه المعركة:

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٦).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٢٠١).
(٣) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٧٣).
(٤) خالد بن الوليد - عرجون ص٣٦ .

لقــينا بالفـــراض جـــمــوع روم ∴ وفــرس غَــمّــهـــا طول الســـلام
أبدنـا جــمــعـــهـم لما التـــقـــينا ∴ وبيـــــتـنـا بجــــــمع بنـي رزام
فــمـا فــتـئت جنود السلم حــتى ∴ رأينـا القـــوم كـــالغنم الـسّـــوام

ثالثًا: حجة خالد وأمر الصديق له بالخروج إلى الشام واستلام المثنى لقيادة جيوش العراق:

١- حجة خالد: (١٢هـ) وأمر الصديق له بالخروج إلى الشام:

أقام خالد بالفراض عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة، وأمر شَجَرة بن الأعزّ أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة ثم انطلق في كوكبة من أصحابه، وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يُسْلك قبله قط، وتأتىّ له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفًا على غير جادّة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة (١٢هـ) ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا الحيرة، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضًا إلا بعد ما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش، وأمره بالذهاب إلى الشام وجاء في خطاب الصديق لخالد: أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ولم ينزع الشجى من الناس نزعك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن وهو ولي الجزاء.

هذا الخطاب الجليل من الخليفة الحكيم (رضي الله عنه) يصور مدى حرص الصديق (رضي الله عنه) على القواد الناجحين فيمدهم بالمشورة والنصائح التي تأخذ بيدهم إلى الفوز والتمكين بفضل الله:

أ- يأمر الصديق (رضي الله عنه) سيف الله خالد أن يترك العراق ويتوجه إلى الشام لعل الله يفتح على يديه هذا الموقع.

ب- ينصحه ألا يعود في مثل ما حدث في حجه بدون إذن من الخليفة.

جـ- يأمره أن يسدد ويقارب ويجتهد مخلصًا النية لله وحده.

هـ- يحذره من العجب بالنفس والزهو والفخر فذلك حظ النفس الذي يفسد العمل على العامل ويرده في وجهه، كما يحذره أن يدل ويمن على الله بالعمل الذي يعمله فإن الله هو المان به إذ التوفيق بيده سبحانه(٤).

---

(١) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس - عبد الجبار السامرائي ص١٢٣ .
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٧).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٠٢). (٤) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٥ .

هذا وقد ظهرت في معارك العراق مقدرة الجيوش الإسلامية على تطبيق مبادئ الحرب من مباغتة وصد الهجوم وتثبيت الأعداء، وحشد القوة، وإدامة المعنويات، وجمع المعلومات ورسم الخطط وتنفيذها بكل قوة ودقة واحتياط منقطع النظير فهو لم يذهب إلى الشام لمجاهدة الروم إلا بعد خبرة واسعة في فتوحات العراق، وكان المرشح للبقاء على جيوش العراق بعد سفر خالد المثنى ابن حارثة الشيباني لخبرته الواسعة بأرض العراق، ومهارته الفائقة في حرب الفرس، ويظهر للباحث أن الخطط التي وضعها خالد في حروب العراق كانت تعتمد على الله ثم على جمع المعلومات الدقيقة التي تدل على نشاط مخابراته واستكشافاته في الميدان، والذي يبدو أن هذه المخابرات قد قام بتنظيمها القائد الفذ (المثنى بن حارثة الشيباني) ليس فقط لألمعيته وقدرته الفائقة على التنظيم وإنما لمعايشته للمنطقة، فهو ينتمي إلى (بني شيبان) من (بكر بن وائل) الذين كانت منازلهم بتخوم العراق وحوض الفرات التي تمتد شمالاً إلى (هيت) فكانوا بحكم مساكنهم واتصالاتهم، مؤهلين لأن يكونوا عيونًا (مخابرات). فما وجدنا تحركًا لجيش من جيوش الفرس إلا وكان خبر ذلك التحرك منذ بدئه على لسان (المثنى) في الوقت المناسب، وما من شاردة ولا واردة تحدث في بلاط الفرس إلا وكان (المثنى) على علم بها في حينها[1].

وكان في خطاب الصديق إلى خالد: دع العراق، واخلف فيه أهله الذي قدمت عليهم، ثم امض مخففا في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك في الطريق وقدموا عليك من الحجاز، ثم تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، وإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة، والسلام عليك ورحمة الله[2] وتهيأ خالد للسير إلى الشام، وقسم خالد الجند نصفين: نصفًا يسير به إلى الشام ونصفًا للمثنى، ولكنه جعل الصحابة جميعًا من نصيبه، فقال له المثنى: والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة، وإبقاء النصف، فوالله ما أرجو النصر إلا بهم، فأنت تعريني منهم، وكان خطاب الصديق قد وصل إلى خالد قبل سفره يأمره فيه بمن يأخذ من الجند، ومن يدعهم للمثنى، قال: يا خالد لا تأخذ مجدًا إلا خلفت لهم مُجدًا، فإذا فتح الله عليك فارددهم إلى العراق وأنت معهم، ثم أنت على عملك[3].

فما زال خالد يسترضي المثنى ويعوضه عن الصحابة بمقاتلين من سادة أقوامهم من أهل البأس، وممن عرفوا بالشجاعة والصبر، وشدة المراس، فرضي المثنى آخر الأمر[4] وحشد خالد جنوده وانطلق ليعبر إلى الشام صحارئ رهيبة، غائبة النواحي مترامية الآفاق، كأنما هي التيه وسأل الأدلاء: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم؟ فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين! قالوا له: لا نعرف إلا طريقًا لا يحمل الجيوش، فوالله إن الراكب المفرد

(١) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس ص١٤٣ .
(٢) الصديق أول الخلفاء ص١٦٩ .
(٣) الصديق أول الخلفاء ص١٧٠ .
(٤) نفس المصدر ص١٧٠ .

ليخافه على نفسه! إنك لن تطيق ذلك الطريق بالخيل والأثقال، إنها لخمس ليال لا يُصاب فيها ماء.

قال خالد: إنه لابدَّ من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم. وعزم خالد على سلوك هذا الطريق، مهما تكن مخاطره، فكم فاز باللذة الجسور، فنصحه رافع ابن عمير أن يستكثر من الماء، فلا ماء حتى يجتاز ذلك الطريق، فأمر خالد جنوده أن يخزنوا الماء في بطون الإبل العطاش، ثم يشدوا مشافرها لكيلا تجتر، فتستنزف الماء[1]، وقال لرجاله: إن المسلم لا ينبغي أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له[2].

وسار به الدليل رافع بن عمير في طريق تمتاز بوعورتها وقلة مائها وضياع معالمها وقلة سكانها، ولا سيما الجزء الممتد بين قراقر وسوى [3] إلا انها أقصر الطرق فأوضح خالد لجنده الاعتبارات التي تجعله يفضل سلوك هذا الطريق على غيره وهي السرعة والسرية والمباغتة، وكان رافع قد طلب من خالد أن يهيئ عشرين ناقة كبيرة فأعطاه ما أراد فمنع عنها الماء أيامًا حتى عطشت ثم أوردها إياه فملأت جوفها فقطع مشافرها وكممها فلا تجتر، ثم قال لخالد: سر الآن بالخيول والأثقال وكلما نزلت منزلا نحرت من تلك الإبل وشرب الناس مما تزودوا فسار الجيش من قراقر وهي آخر قرى العراق على حدود الصحراء إلى سول وهي أوائل قرى الشام والمسافة بينهما خمس ليال يستريحون بالنهار ويسيرون بالليل واعتمد خالد على رافع بن عمير دليلاً بعد أن وثق به، ومن صحة دلالته، واختار محرز المحاربي لحذقه في الدلالة على النجوم لذلك كان مسيرهم ليلاً وصباحًا مع تحاشي السير عند ارتفاع النهار والظهيرة لقطع مرحلتين في اليوم الواحد، ولم يترك خالد أحدًا من جنده يسير راجلاً وإنما أركب الجند الإبل للمحافظة على قابليتهم البدنية، وسار خالد في الطريق وكلما نزل منزلاً نحر عددًا من النوق، فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا من الماء فلما كان اليوم الخامس نفذ الماء فخاف خالد على أصحابه من العطش وقال لرافع وهو أرمد: ما عندك فطلب رافع من الناس أن يبحثوا عن شجرة عوسج صغيرة في تلك المنطقة فلم يجدوا إلا جزءًا صغيرًا من ساقها فأمر رافع أن يحفروا هناك فحفروا فظهرت عين للماء فشربوا حتى روى الناس، فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل[4]، وقد قال بعض العرب لخالد في هذا المسير: إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك، فسار خالد بمن معه وسروا سروة عظيمة فأصبحوا عندها، فقال خالد: عند الصباح يحمد القوم السرى، فأرسلها مثلاً وهو أول من قالها (رضي الله عنه)[5].

---

(١) الصديق أول الخلفاء ص١٧١ . (٢) الحرب النفسية - د. أحمد نوفل (٢/ ١٥٥).

(٣) القراقر: ماء الكلب في بادية السماوة، وسوى ماء الهراء في بادية السماوة. (ياقوت - المعجم، ٣/ ٢٧١، ٤/ ٣١٧).

(٤) أبو بكر الصديق - نزار الحديثي، وخالد الجنابي ص٦٨ .

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٧).

وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد:

لله عيـــنا رافـــع أنّـــى أهتـــدى فَوَّزَ من قـــراقر إلى ســـوى
خمسًا إذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك إنسيٌّ أرى[1]

وهذه القصـــة تدل على أن القائد المحنك لا يبالـــي بالأخطار وإنه أعمل الحيلة في ســـبيل الحصـــول على الماء لقطع الصحراء حتـــى وصل إلى غرضه. وفي اليوم الخـــامس وصل جيش خالد إلى سوى، وهو أول تخـــوم الشام تاركًا وراءه حاميات الروم على الطرق الرئيـــسة العامة تواجه العـــراق وكانت حركته في قـــطع الصحراء بخمســـة أيام أعجوبة من أعاجـــيب المخاطرة المحسوبة ذللتها إرادة القائد وإيمانه وإقدامه[2].

وصل خالد إلى (أدك) وهي أول حدود الشام فأغار على أهلها وحاصرهم فحررها صلحًا ثم نزل تدمر فامـــتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمـــان فصالحهم وواصل ســـيره فأتى (القريتين) فقـــاتله أهلها فظفر بهم ثم قـــصد (حوارين) وصار إلى مـــوضع يعرف بالثنية فنشـــر رايته وهي كانت لـــرسول الله (ﷺ) تسمى العقاب فســـمي ذلك الموضع بثنية العقاب[3]، ولما مر بـــعذراء أباحهـــا، وغنم لغسان أمـــولاً عظيمة وخـــرج من شرقي دمشق، ثم ســـار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصـــحابة تحاربها فصالحه صـــاحبها وسلمها إليه، فكـــانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحـــمد، وبعث خـــالد بأخمـــاس ما غنم من غـــسان مع بلال بن الحـــرث المزني إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عـــبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بـــن العاص - وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور- فكانت واقعة أجنادين[4].

وهكذا نجح خالد بن الوليد في الوصول إلى الشام لمساندة الجيـــوش الإسلامية بعد مغامرة ومباغتة فذة في التاريخ العـــسكري الإنساني يقول اللواء محمود شيت خطاب عن ذلك: ... وعبور خالد للصحراء من الطريق الخطر مباغتـــة فذة في التاريخ العسكري لا اعرف لها مثيلا، ولست أعتـــقد أن عبـــور هانيبال لـــلألب وعبور نابليـــون للألب أيضًا، ولا تفويـــز نابليون من صحراء سيناء أو قطع الجيش البريطاني لهذه الصـــحراء في الحرب العالمية الأولى يمكن أن تعتبر شيئًا إلى جانب مغامرة خالد، لأن عبور الجبـــال أسهل بكثير من عبور الصحراء لتيسر الماء في الجبال وعـــدم تيسره في الصحـــراء ولأن صحراء سيناء فـــيها كثيـــر من الآبار والأماكن المأهولة وعدم تيسر ذلك في الصحراء؛ التي قطعها خالد، فكان نجـــاح خالد في عبور الصحراء مباغتة كاملة للروم لم يكونوا يـــتوقعونهـــا بتاتا[5]، مما جعل حـــاميات المدن والمواقع التي صادفـــته في طريقه بين العراق وأرض الشام تـــستسلم لقوته بعد قتال طفـــيف أو بدون قتال؛ لأنها لم تكن

---

(١) نفس المصدر (٧/٧).

(٢) معركـــة اليرموك، اللواء خليل سعيـــد. بحث مقدم إلى ندوة الفكر العسكري العـــربي نقلاً عن أبي بكر الصديق - خالد الجنابي ص٦٨.

(٣) أبو بكر الصديق - د. نزار الحديثي، خالد الجنابي ص٦٨. (٤) البداية والنهاية (٧/٦،٧).

(٥) قادة فتح العراق والجزيرة ص١٩٣ نقلاً عن الحرب النفسية (٢/١٦٣).

تتوقــع أبدًا ان تلاقي قوة جـسيمـة من المسلمين تظهـر عليهم من هذا الاتجـاه في هذا الوقت بالذات[١].

لقد تأثر القــادة العسكريون على مرّ التاريخ وتوالي الأزمــان بالعبقرية العــسكرية الخالدية حتى قال عنه الجنرال الألماني (فون درغولتيس) مؤلف كتاب الأمة المسلحة قائد إحدى الجبهات التركية الألمانية في خلال الحرب العالمية الأولى: (إنه أستاذي في فن الحرب)[٢].

٢- خبر المثنى بن حارثة بالعراق بعد ذهاب خالد:

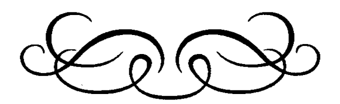
كان المثنى شجاعًا مقدامًا، شهمًا غـيورًا، وكان ميمون النقيبة، حسن الرأي، وكان راسخ العقيدة قوي الإيمان شديد الثقة بالله، بعيد النظر، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة، وكان يشــارك أصحــابه في السراء والضــراء، وكان يمتلك موهبـة إعطاء القرارات الصـحيـحة السريعة، وكان ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمل المسؤولية الكاملة في أخطر الظروف والأحوال، يثق بقواته وتثق به قواته ثقـة لا حدود لها، ويحبهم ويحبـونه حبًا لا مزيد عليه ذا شخـصية قوية نافذة فهو بحق كما يقول عنـه عمر بن الخطاب: مؤمر نفسه[٣]، كانت له قـابلية فائقـة تعينه على أعباء القتال، وله ماض ناصع مجيد.

وكان دائمًــا أول من يهاجم وآخـر من ينسحب وكـان خبيـرًا بمناطق العراق جـريئًا على الفرس سـريع الحركـة، واسع الحيلة، وكان أول مــن اجترأ على الفـرس بعد الإسـلام وجرأ المسلمون عليــهم وأبلى في حروب العراق بلاء لم يبله أحـد وهو الذي رفع معنويات المسلمين وحطم معنويات الفرس[٤]، وقد وصف المثنى جنود الفرس فقـال: قاتلت العرب والعجم في الجاهليـة والإسلام، والله لمائة من العجم في الجـاهلية كانوا أشـد علي من ألف من العرب، ولمائة من العرب اليــوم أشد علي من ألف من العجم، إن الله أذهب بأسهم وأوهــن كيدهم، فلا يروعنكم زهاء ترونه، ولا سـواد ولا قسي فج ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعـجلوا عنها أو فقدوها كانوا كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت[٥]، كان تعيين الصديق للمثنى على العراق في محله ويدل على معرفته بأقدار الرجال ومعـادنهم، وعندما حان وقت رحيل خالد بجيشه إلى الشام خرج معه المثنى لوداعه ولما حانت لحظة الفراق قال له خالد: ارجع - رحمك الله- إلى سلطانك غير مـقصّر ولا وان[٦]، واستلم المثنى قيادة العراق بعـد خالد، وما أن علم كسرى بذهاب خالد حتى حشد آلافًا الجنود بقيادة (هرمز جاذويه) وكتب للمثنى يهدّد ويتوعد فقال: إني قـد بعـثت إليكم جندًا من وحش أهل فـارس، وإنما هم رعـاة الدجـاج والخنازير ولست

---

(١) الحرب النفسية ، د. أحمد نوفل (٢/ ١٦٢).
(٢) معارك خالد بن الوليد ضد الفرس ص١٦٧ .
(٣) الحرب النفسية (٢/ ١٦٤).
(٤) نفس المصدر (٢/ ١٦٤).
(٥) من ذي قار إلى القادسية - صالح عماش ص١٢٤ نقلاً عن الحرب النفسية (٢/ ١٦٨).
(٦) عصر الصحابة - عبد المنعم الهاشمي ص١٨٩ .

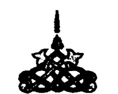
أقاتلك إلا بهم[١]، وأجابه المثنى بعقل وفطنة، ولم ينسَ شجاعته في الرد على هذا المجوسي، فكتب يقول في رسالة لكسرى: إنما أنت أحد رجلين، إما باغ، فذلك شرّ لك وخير لنا، وإما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير[٢] فجزع أهل فارس من هذا الكتاب ولاموا ملكهم على كتابه، واستهجنوا رأيه، وسار المثنى من الحيرة إلى بابل، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عُدوة الصرّاة الأولى[٣]، اقتتلوا قتالاً شديدًا جدًا، وأرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلا ذريعًا وغنموا منهم مالا عظيمًا، وفرّت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شر حالة ووجدوا الملك قد مات[٤]، وعاد الاضطراب إلى بلاد فارس، وطارد المثنى أعداء الله، حتى بلغ أبواب المدائن ثم كتب إلى أبي بكر بانتصاره على الفرس، واستأذنه في الاستعانة بمن تابوا من أهل الردة، لكن انتظاره طال، وأبطأ عليه أبو بكر في الرد لتشاغله بأهل الشام وما فيه من حروب، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق واستناب على العراق بشير بن الخصاصية، وعلى المسالح سعيد بن مرة العجلي[٥] فلما وصل المدينة وجد أبا بكر (رضي الله عنه) على فراش المرض وقد شارف الموت، واستقبله أبو بكر واستمع إليه، واقتنع برأيه، ثم طلب عمر بن الخطاب فجاءه فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقدر رأيتني متوفّى رسول الله وما صنعت ولم يُصَب الخلق بمثله... وإن فتح الله على أمراء الشام فارددُ أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحدّه، وهم أهل الضراوة بهم والجراءة عليهم[٦].



(١) الكامل - لابن الأثير (٢/ ٧٣).
(٢) نفس المصدر (٢/ ٧٣).
(٣) الصراة : بالفتح وهو نهر يستمد من الفرات.
(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٨).
(٥) نفس المصدر (٧/ ١٨).
(٦) الكامل - لابن الأثير (٢/ ٧٤).



المبحث الثاني



فتوحات الصديق بالشام

كان اهتمام المسلمين بالشام من زمن النبي (ﷺ) حيث كتب إلى هرقل عظيم الروم كتابا يدعوه إلى الإسلام، وكتب (ﷺ) إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني، ملك غسان بالبلقاء[١] من أرض الشام وعامل قيصر على العرب - يدعوه إلى الإسلام، فأدركته العزة بالإثم، فأراد أن يغزو رسول الله (ﷺ)، فأتاه أمر من قيصر ينهاه عن ذلك، وأرسل (ﷺ) جيشًا بقيادة زيد ابن حارثة فاستشهد في مؤتة هو وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وتولى القيادة بعدهم خالد بن الوليد الذي قام بمناورة عسكرية ناجحة تركت أثرًا بعيدًا في نفوس أهالي تلك المناطق، ونستطيع أن نقول أن النبي (ﷺ) بتلك الغزوة وضع أسسًا وقطع خطوة نحو القضاء على دولة الروم المتجبرة في بلاد الشام وهزّ هيبتها من قلوب العرب وحمّس المسلمين للاستعداد المعنوي والمادي لإتمام بقية الخطوات المباركة، بل قاد غزوة تبوك بنفسه (ﷺ) ومن خلال الإحتكاك الميداني استطاع المسلمون أن يتعرفوا على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال، وأعطت تلك الغزوات الفرصة لأهالي بلاد الشام على أن يتعرفوا على أصول هذا الدين ومبادئه وأهدافه، فآمن كثير من أهالي تلك البلاد، واستمر الصديق على المنهج الذي وضعه رسول الله (ﷺ) ولذلك أصرّ بعد وفاة النبي (ﷺ) على إنفاذ جيش أسامة، ولما عقد الصديق الألوية من ذي القصة، عقد منها لواءً لخالد بن سعيد بن العاص، ووجهه إلى مشارف الشام، ثم أمره أن يكون ردءًا للمسلمين بتيماء[٢]، لا يفارقها إلا بأمره، ولا يقاتل إلا من قاتله، فبلغ خبره هرقل - ملك الروم - فجهز جيشًا من العرب التابعين للروم، من بَهْراء، وسَلَيح، وكلب، ولخم، وجُذام، وغسان، فسار إليهم خالد بن سعيد، فلقيهم على منازلهم فافترقوا، وأرسل هو لأبي بكر بالخبر، فكتب إليه يأمره بالإقدام[٣].

وأن يزحف على الروم قبل تنظيم صفوفهم ونصحه أن يحافظ على خط رجعته وأن لا يتوغل كثيرًا في بلاد العدو، وجاء في جواب الخليفة له أن (أقدم ولا تحجم واستنصر بالله) فتقدم خالد حتى بلغ القسطل في طريق البحر الميت فهزم جيشًا من الروم على الشاطئ الشرقي للبحر ثم تابع مسيرته عند ذلك هاج الروم فجمعوا قواتًا تزيد على ما جمعوه في

(١) البلقاء: من أعمال دمشق بين الشام، ووادي الغزى عاصمتها عمّان.
(٢) تيماء: بُليله في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى.
(٣) انظر: تمام الوفاء ص٥٤ .

تيماء ورأى خالد تجمعهم فكتب إلى الخليفة يستمده ليتابع تقدمه فبعث إليه عكرمة بن أبي جهل بجيش البدال[1] كما بعث إليه الوليد بن عقبة بجموع أخرى فلما وصلت هذه القوات إلى خالد بن سعيد أمر بالهجوم على الروم وأخذ طريقه إلى مرج الصفر وانحدر القائد الرومي ماهان بجيشه يستدرج جيوش المسلمين التي اتجهت إلى جنوب البحر الميت ووصلت إلى مرج الصفر الشرقي بحيرة طبرية، واغتنم الروم على المسلمين الفرصة وأوقعوا بهم الهزيمة وصادف باهان سعيد بن خالد بن سعيد في كتيبة من العسكر فقتلهم وقتل سعيدًا في مقدمتهم وبلغ خالد مقتل ابنه ورأى نفسه قد أحيط به فخرج هاربًا في كتيبة من أصحابه على ظهور الخيل وقد نجح عكرمة في سحب بقية الجيش إلى حدود الشام[2].

أولاً: عزم أبي بكر على غزو الروم ومبشرات في الطريق:

كان أبو بكر يفكر في فتح الشام ويجيل النظر، ويقلب الرأي في ذلك، وبينما كان الصديق مشغولاً بذلك الأمر جاءه شرحبيل بن حسنة أحد قواد المسلمين في حروب الردة فقال: يا خليفة رسول الله أتحدث نفسك أنك تبعث إلى الشام جندًا؟ فقال: نعم قد حدثت نفسي بذلك وما أطلعت عليه أحدًا، وما سألتني عنه إلا لشيء، قال: أجل، إني رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي في الناس فوق خرْشفة من الجبل- يعني مسلكًا وعرًا- حتى صعدت قُنّةً من القنات العالية فأشرفت على الناس ومعك أصحابك، ثم إنك هبطت من تلك القنات إلى أرض سهلة دمثة - يعني لينة- فيها الزرع والقرى والحصون، فقلت للمسلمين: شنوا الغارة على أعداء الله وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة وأنا فيهم معي راية، فتوجهت بها إلى أهل قرية، فسألوني الأمان فأمنتهم، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم، ففتح الله لك وألقوا إليك السَّلَم، ووضع الله لك مجلسًا فجلست عليه، ثم قيل لك: يفتح الله عليك وتُنصر فاشكر ربك، واعمل بطاعته، ثم قرأ: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ (سورة النصر، آية: ١- ٣) ثم انتبهت فقال له أبو بكر: نامت عينك، خيرًا رأيت، وخيرًا يكون إن شاء الله، ثم قال: بشّرت بالفتح، ونعيت إلى نفسي، ثم دمعت عينا أبي بكر وقال: أما الخرشفة التي رأيتنا فيها حتى صعدنا إلى القنة العالية فأشرفنا على الناس، فإنا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه، ثم نعلو بعد ويعلو أمرنا، وأما نزولنا من القنّة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون، فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه من الخصب والمعاش، وأما قولي للمسلمين: شنّوا على أعداء الله الغارة فإني ضامن لكم الفتح والغنيمة فإن ذلك دنُوُّ المسلمين إلى بلاد المشركين وترغيبي إياهم على الجهاد والأجر

---

(١) كان عكرمة قد رجع من كندة وحضرموت عن طريق اليمن ومكة، فلما بلغ المدينة أمره الخليفة أن يُسيِّر مددًا لخالد بن سعيد، وكان عكرمة قد سرح الجند الذين قاتلوا معه في جنوب شبه الجزيرة، فاستبدل الخليفة بهم غيرهم، وأمرهم أن يسيروا تحت لواء عكرمة إلى الشام.

(٢) أبو بكر الصديق - نزار الحديثي، د. خالد الجنابي ص٥٨ .

والغنيمة التي تُقسم لهم، وقبولهم، وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها فاستأمنوا فأمّنتهم، فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك، وأما الحصن الذي فتح الله لي فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي، وأما العرش الذي رأيتني عليه جالسًا، فإن الله يرفعني ويضع المشركين، وقال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (سورة يوسف، آية: ١٠٠) وأما الذي أمرني بطاعة الله وقرأ عليّ السورة فإنه نعى إليّ نفسي، وذلك أن النبي (ﷺ) نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة، وعلم أن نفسه قد نُعيت إليه.

ثم سالت عيناه، وقال: لآمرنّ بالمعروف ولأنهين عن المنكر، ولأجهَدنَّ فيمن ترك أمر الله، ولأجهزِّن الجنود إلى العادلين بالله - يعني المشركين به- في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا: الله أحد أحد لا شريك له، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، هذا أمر الله وسنة رسوله (ﷺ)، فإذا توفاني الله عز وجل لا يجدني الله عاجزًا ولا وانيًا ولا في ثواب المجاهدين زاهدًا[١].

فهذه الرؤيا الصالحة من المبشرات التي حدث بها رسول الله (ﷺ) حيث قال: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[٢]. فهذه الرؤيا جاءت على قدر لتدفع الصديق إلى العزم على ما همّ به وإعلان ما أضمره فدعا إلى عقد مجلس شورى بخصوص غزو الشام، فقد أخذ الصديق بالعزيمة والعمل والتوكل على الله واستأنس بالرؤية.

ثانيًا: مشورة أبي بكر في جهاد الروم واستنفار أهل اليمن:

١ - مشورة أبي بكر في جهاد الروم:

لما أراد أبو بكر (رضي الله عنه) أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال: إن الله (تبارك وتعالى) لا تحصى نعمه، ولا تبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد كثيرًا على ما اصطنع عندكم من جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلها غيره، فالعرب أمة واحدة، بنو أب وأم، وقد أردت أن أستنفركم إلى الروم بالشام، فمن هلك هلك شهيدًا وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعًا عن الدين، مستوجبًا على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت فليشر عليّ كل امرئ بمبلغ رأيه.

فقام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، ثم قال: الحمد لله، الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٦١- ٦٢)، فتوح الشام للأزدي ص ١٤ نقلاً عن التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/ ١٧٩).
(٢) البخاري - كتاب التعبير - رقم ٦٩٩٠ .

إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبت أصاب الله بك سبل الرشاد، سرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتلوها الجنود، فإن الله (عز وجل) ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام، فقال: يا خليفة رسول الله، إنها الروم وبنو الأصفر حدّ حديد، وركن شديد، والله ما أرى أن تقحم الخيل إقحامًا، ولكن تبعث الخيل، فتعبر في أدنى أرضهم، ثم تبعثها فتغير، ثم ترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مرارًا أضروا بعدوهم، وغنموا من أرضهم، فقووا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن وإلى ربيعة ومضر فتجمعهم إليك، فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت بعثت على غزوهم غيرك. ثم جلس وسكت الناس، فقال لهم أبو بكر: ماذا ترون رحمكم الله؟.

فقام عثمان بن عفان رضوان الله عليه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي، (ﷺ)، ثم قال: رأيي أنك ناصح لأهل هذا الدين، وأنك عليهم شفيق فإذا رأيت رأيا علمته رشدًا وصلاحًا وخيرًا، فاعزم على إمضائه غير ظنين ولا متهم[1]، فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان فيما قال، ما رأيت من رأى فأمضه، فإنا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتهم رأيك عن دعوتك، فذكروا هذا وشبهه، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في القوم لا يتكلم فقال له أبو بكر: ما ترى يا أبا الحسن؟

فقال: أرى أنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة[2]، وإنك إن سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم نُصرت إن شاء الله. فقال أبو بكر: بشرك الله بخير، فمن أين علمت هذا؟ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«لا يزال هذا الدين ظاهرًا على كل من ناوأه، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون»** [3] فقال أبو بكر: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث! لقد سررتني، سرك الله في الدنيا والآخرة. ثم إن أبا بكر (رضي الله عنه) قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلى على النبي (ﷺ) ثم قال: أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزّكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمّر عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون[4] . . . وأمر أبو بكر بلالا، فنادى في الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم! الروم بالشام[5].

من هذه المشورة تبين لنا منهج أبي بكر (رضي الله عنه) في مواجهة الأمور الكبيرة حيث لم يكن

---

(١) يعني لا نظن بك التقصير، ولا نتهمك في إخلاصك.

(٢) النقيبة: هي الرأي والمشورة.

(٣) البخاري - كتاب الاعتصام - رقم ٧٣١١، مسلم - كتاب الإمارة - رقم ١٥٣٣ .

(٤) تاريخ دمشق - لابن عساكر (٢/٦٣- ٦٥) نقلاً عن الحميدي.

(٥) نفس المصدر (٢/٦٣- ٦٥) نقلاً عن الحميدي.

يبتُّ فيها برأي حتى يجمع أهل الحل والعقد فيستشيرهم ثم يصدر بعد ذلك عن رأي ممحص مدروس، وهذه هي سنة رسول الله (ﷺ) كما مرّ معنا في السيرة النبوية، وحينما نتأمل في تفاصيل هذه المحاورة نجد أن الصحابة (رضي الله عنهم) قد أجمعوا على موافقة أبي بكر في غزو الروم، وإنما تنوعت وجهات نظر بعضهم في كيفية هذا الغزو، فكان رأي عمر إرسال الجيوش تلو الجيوش حتى تتجمع في الشام فتكون قوة كبيرة تستطيع أن تصمد للأعداء، وكان رأي عبد الرحمن بنٍ عوف أن يبدأ الغزو بقوات صغيرة تغير على أطراف الشام ثم تعود إلى المدينة، حتى إذا تمّ إرهاب العدو وإضعافه تبعث الجيوش الكبيرة، وقد أخذ أبو بكر برأي عمر في هذا الأمر، واستفاد من رأي عبد الرحمن بن عوف فيما يتعلق بطلب المدد بالجيوش من قبائل العرب وخاصة أهل اليمن[1].

٢- استنفار أهل اليمن:

كتب الصديق إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله وهذا هو نص الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم: من خليفة رسول الله إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن: سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن الله (تعالى) كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافًا وثقالاً، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم. وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حسنت بذلك نيتهم، وعظمت حسنتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسن نيتكم فيه فإنكم إلى إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة فإن الله تبارك و(تعالى) لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقروا لحكم الكتاب، حفظ الله دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين [2] وبعث الصديق هذا الكتاب مع أنس بن مالك (رضي الله عنه) وفي هذا الكتاب يظهر دور أبي بكر (رضي الله عنه) في حث المسلمين وجمعهم للجهاد في سبيل الله، وهو ما يمكن أن يسمى بالتعبئة العامة[3].

ومن خطاب الصديق لأهل اليمن يتضح أن الجهاد من أجل تحقيق غرضين: تحقيق إسلام المسلمين لأن الله لا يرضى لعباده بالقول دون العمل، ومقاتلة غير المسلمين حتى يدينوا بدين الحق ويقروا لحكم كتاب الله وهذا هو السبب الذي جعل أهل اليمن ينساحون من جميع أرجاء اليمن بأعداد هائلة ولم يصل إلى علمنا أن أحدًا منهم خرج مستكرهًا، بل خرجوا طواعية وأقبلت جموعهم بنسائهم وأولادهم، وكانوا من أسرع المستجيبين للنداء حبًا ورغبة في الجهاد، ويعبر عن هذا أنس بن مالك حامل رسالة الصديق إلى أهل اليمن والذي تنقل بين أحيائهم

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (٩/ ١٨٨).

(٢) تاريخ فتوح الشام - للأزدي ص٨، تهذيب تاريخ دمشق (١/ ١٢٩).

(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٤ .

قبيلة قبيلة وجناحًا جناحًا يقرأ عليهم كتاب أبي بكر ويحثهم على الإسراع فقال: فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع هذا القول يحسن الرد علي، ويقول: نحن سائرون وكأنا قد فعلنا، حتى انتهيت إلى ذي الكلاع فلما قرأت عليه الكتاب وقلت هذا المقال دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك وأمر بالعسكر فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وقد قام فيهم خطيبًا فقال فيما قاله... ثم قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم، فلينفر من أراد النفير معي الساعة(١)، فعاد أنس بن مالك في حوالي ١١ رجب ١٢هـ وبشَّرَ أبا بكر بقدوم القوم فقال: قد أتوك شُعثا غبرًا أبطال اليمن وشجعانها، وفرسانها وقد ساروا إليك بالذراري والحرم والأموال(٢)، وما لبث إلا أيامًا حتى قدم ذو الكلاع الحميري وقومه في حوالي ١٦رجب ١٢هـ،(٣) ولم تكن هذه الاستجابة الفورية الراغبة خاصة بأهل (حمير)، بل كل من جاء من اليمن كان على نفس المستوى وعلى سبيل المثال فقد قدم من (همدان) أكثر من ألفي رجل وعليهم حمزة بن مالك الهمداني(٤)، وعندما قدم أهل اليمن على المدينة ودخلوا المسجد على أبي بكر، فلما سمعوا القرآن، اقشعرت جلودهم من خشية الله، وجاشت أنفسهم، وجعلوا يبكون خاشعين، فبكى أبو بكر وقال: هكذا كنا ثم قست القلوب(٥).

وعندما رأى ذو الكلاع الحميري الصديق وجده شيخًا نحيلاً، معروق الوجه، وعليه ثوب خشن ولا شيء يسطع من ثيابه!، لا شيء على الإطلاق غير الورع يفيء وجهه الأبيض، وكان ذو الكلاع قدم على الصديق من اليمن ومن خلفه ومن حوله ألف عبد من الفرسان، وعلى رأسه التاج، وعلى حلته الجواهر المتلألئة، وبردته تسطع بخيوط الذهب المرصع باللآلئ، والياقوت والمرجان، فلما شاهد ما عليه الصديق من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة تأثر ذو الكلاع ومن معه من السادة فذهبوا مذهب الصديق ونزعوا ما كان عليهم(٦)، وقد تأثر ذو الكلاع بالصديق وتزيّا بزيِّه حتى إنه رُئي يوما في سوق من أسواق المدينة، على كتفيه جلد شاة، ففزعت عشيرته، وقالوا له: فضحتنا بين المهاجرين والأنصار! قال: فأردتم أن أكون جبارًا في الجاهلية، جبارًا في الإسلام؟ لاها الله (أي لا والله) لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد في هذه الدنيا(٧).

وصنعت ملوك اليمن كما صنع ذو الكلاع الحميري، فتخلوا عن التيجان المثقلة بالجواهر، وتركوا حلل المخمل الموشي بخيوط الذهب والياقوت والدر والمرجان واشتروا من سوق المدينة ثيابا خشنة ووضع الصديق في بيت المال ما تخلوا عنه جميعًا من نفائس(٨).

---

(١) الكامل - لابن الأثير (٢/ ٦٤)، اليمن في صدر الإسلام ص٣٠١، ٣٠٢ .
(٢) اليمن في صدر الإسلام ص٣٠٢ . (٣) نفس المصدر ص٣٠٢ .
(٤) اليمن في صدر الإسلام ص٣٠٢ .
(٥) الصديق أول الخلفاء ص١١٤، أبو بكر - للطنطاوي ص٢١٨ .
(٦) مروج الذهب - للمسعودي (٢/ ٣٠٥).
(٧) نفس المصدر (٢/ ٣٠٥). (٨) الصديق أول الخلفاء ص١٣٧، ١٣٨ .

كان أبو بكر (رضي الله عنه) خير من تمثل بالإسلام في حياته بعد رسول الله وكان لسان حاله دعوة إلى الله تعالى، وأبلغ نصيحة تلك التي يشاهدها الناس من طريق العين، لا من طريق الأذن، وخير الناصحين من ينصح بأفعاله لا بأقواله.. فلما رأى ملوك اليمن أن أبا بكر خليفة رسول الله وصاحب الأمر والنهي في الجزيرة العربية يمشي في الأسواق، ويلبس العباءة والشملة، علموا أن هناك شيئًا أعظم من الثياب المزركشة والذهب واللآلئ، هو النفس العظيمة، فسعوا ليتشبهوا بأبي بكر، واستحيوا من الله والناس أن يقابلوا خليفة رسول الله بالتاج والبرود والحلي، وهو بعباءة، فقد صغرت عليهم نفوسهم وهانت، وهدأت ثورتها، وانطفأت سورتها، كما ينطفئ النجم الصغير، إذا واجه الشمس! رحم الله أبا بكر فقد كان عظيمًا في تواضعه، متواضعًا في عظمته[1].

ثالثًا: عقد الصديق الألوية للقادة وتوجيه الجيوش:

عزم الصديق على تسيير الجيوش لبلاد الشام، فدعا الناس إلى الجهاد، وعقد الألوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح الشام وهي:

١- جيش يزيد بن أبي سفيان:

وهو أول الجيوش التي تقدمت إلى بلاد الشام وكانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحها ومساعدة الجيوش الأربعة عند الضرورة، وكان جيش يزيد أول الأمر ثلاثة آلاف ثم عززه الخليفة بالإمدادات حتى صار معه بحدود السبعة آلاف رجل، وقبل رحيل جيش يزيد أوصاه الخليفة أبو بكر وصية بليغة عالية المستوى تشتمل على حكم باهرة في مجالي الحرب والسلم، وشيّعه ماشيًا وأوصاه بما يأتي: إني قد وليتك لأبلوك وأجرِّبك وأخرِّجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدُّهم توليا له، وأقرب الناس من الله أشدُّهم تقربا بعمله، وقد وليتك عمل خالد[2]، فإياك وعبِّية الجاهلية[3]، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليكم رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لُبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولاترينَّهم فيروا خَلَلك[4]، وأنزلهم في ثروة عسكرك[5]، وامنع من قِبَلَك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدق المشورة، ولا تخزُن

---

(١) أبو بكر الصديق - علي طنطاوي ص٢١٩.

(٢) يعني عمل خالد بن سعيد بن العاص، وكان قد استعفى أبا بكر فأعفاه.

(٣) يعني التعصب لما كان عليه أهل الجاهلية.

(٤) يعني لا تطلعهم على دخيلة أمرك فيطلعوا على عيوبك.

(٥) يعني ليروا قوة المسلمين.

عن المشير خبرك فتُوتَى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار وأكثر حرسك، وبدِّدهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النَّوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربهما من النهار، ولا تَخَفْ من عقوبة المستحق، ولا تلجَّنَّ فيها، ولا تسرع إليها، ولا تتخذ لها مدفعا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولاتجالس العبَّاثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له قال ابن الأثير: وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر[1] ومن فوائد هذه الوصية:

* أن الولايات والمناصب ليست حقا ثابتًا لأصحابها وإنما بقاؤهم فيها مرهون بالإحسان والنجاح في العمل، ومن واجب المسئول الأعلى أن يَعْزلهم إذا أساؤوا، وإن هذا الشعور يدفع صاحب العمل إلى مضاعفة الجهد في بذل الطاقة ليصل إلى مستوى أعلى من النجاح في العمل، أما إذا ضمن البقاء فإنه قد يميل إلى الكسل والاشتغال بمتاع الدنيا، فيخل بمسئوليته ويعرِّض من تحت ولايته إلى أنواع من الفساد والفوضى والنزاع.

* إن تقوى الله (عز وجل) هي أهم عوامل النجاح في العمل، لأن الله (تعالى) مطلع على ظاهر أعمال الناس وباطنهم، فإذا اتقوه في باطنهم فَحَرِيٌّ بهم أن يتقوه في ظاهرهم، وبذلك يتجنب الوالي كل مظاهر الفساد والإفساد، التي تكون عادة من الاستجابة للعواطف الجامحة التي لا تلتزم بتقوى الله (تعالى).

* التحذير من التعصب للآباء والأجداد والأقوام، فإن التعصب لذلك قد يحمل الإنسان على الانحراف على الطريق المستقيم، إذا كان ما عليه الآباء والأجداد مخالفًا للاستقامة، إضافة إلى أنه يضعف من الانتماء للرابطة الإسلامية الوحيدة وهي الأخوة في الله تعالى.

* الإيجاز في الموعظة فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، فيضيع المقصود، ويغلب على السامع الإعجاب ببلاغة المتكلم إن كان بليغًا عن استيعاب ما يقول والاستفادة من مواعظه، وإن لم يكن بليغًا فإن الملل يأخذ بالسامع فلا يعي ما يقول المتكلم.

* إذا أصلح المسئول نفسه وتفقد عيوبه وجعل من نفسه نموذجًا صالحًا للقدوة الحسنة فإن ذلك يكون سببًا في صلاح من هم تحت رعايته.

(الاهتمام بإقامة الصلاة كاملة مظهرًا ومَخْبَرًا، مَظْهَرًا من ناحية إكمال أقوالها وأفعالها، ومَخْبَرًا من ناحية الخشوع فيها وحضور القلب مع الله تعالى، فإن هذه الصلاة الكاملة يقام بها ذكر الله في الأرض، وتهذِّب السلوك، وتقوِّي القلوب، وتبعث على ارتياح النفوس، وتعتبر ملاذًا للمسلم عند الشدائد).

(١) الكامل - لابن الأثير (٢/ ٦٤، ٦٥).

* إكرام رسل العدو إذا قدموا، مع الاحتراس منهم، وعدم تمكينهم من معرفة واقع الجيش الإسلامي، فإكرامهم نوع من الدعوة إلى الإسلام فيما إذا عرف العالم ما يتحلى به المسلمون من مكارم الأخلاق، ولكن لا يصل هذا الإكرام إلى حد اطلاعهم على بطانة أمور المسلمين، بل ينبغي اطلاعهم على قوة جيش المسلمين ليُرهبوا بذلك أقوامهم[1].

* الاحتفاظ بالأسرار، وعدم التهاون بإفشائها، خاصة فيما يتعلق بأمور المسلمين العامة، فإن الحكيم يستطيع التصرف في الأمور وإن تغيرت وجوهها ما دام سره حبيسًا في ضميره، فإذا أفشاه اختلطت عليه الأمور ولم يستطع التحكم فيها.

* إتقان المشورة أهم من النظر في نتائجها فإن المستشار وإن كان حصيف الرأي ثاقب الفكر فإنه لا يستطيع أن يفيد من استشاره حتى ينكشف له أمره بغاية الوضوح، فإذا أخفى المستشير بعض تفاصيل القضية فإنه يكون قد جنى على نفسه، حيث قد يتضرر بهذه المشورة.

* أن على القائد وكل مسئول أن يكون مخالطًا لمن ولي أمرهم على مختلف طبقاتهم ليكون دقيق الخبرة بأمورهم، وفي هذا أكبر العون له على تصور مشكلاتهم والمبادرة بإيجاد الحلول لها، أما المسئول الذي يعيش في عزلة ولايختلط إلا بأفراد من كبار رعيته، فإنه لا يصل إليه من المعلومات إلا من كان من طريق هؤلاء، وقد لا يكشفون له الأمور بكل تفصيلاتها، وقد يحللون له الأمور على غير وجهها الصحيح.

* الاهتمام بأمر حراسة المسلمين خاصة من مكامن الخطر، واختبار الحراس الأمناء من ذوي النباهة، وعدم وضع الثقة الكاملة بهم، بل لابدَّ من الرقابة عليهم حتى لا يُؤتى المسلمون من قبلهم.

* أن يسلك المسئول في عقاب المخالف مسلكًا وسطا، فلا يتهاون فيترك عقوبة المستحق، فإن ذلك يجرِّئه على مزيد من المخالفة، ويجرئ غيره على ارتكاب المخالفات، فتسود الفوضى وينفلت الأمر، ولا يشتدَّ في العقوبة فينفِّر الرعية، ويدفعهم إلى التسخط والتحزب، بل تكون عقوبته بحكمة واتزان وبعد النظر والتروي بحيث تؤدي غرضها التربوي بدون إثارة ضجة، ولا دفع إلى النقد والتسخط[2].

* أن يكون لدى المسئول يقظة وانتباه لكل ما يجري في حدود المسئولية المناطة به حتى يشعر أفراد الرعية بأن هناك اهتمامًا بأمورهم فيزيد المحسن إحسانًا ويقتصر المسيء عن الإساءة، ولكن بدون تجسس عليهم فإن ذلك يعتبر فضيحة لهم، وقد ينقطع بذلك خيط العلاقة الذي يربط المسئول بأفراد رعيته، من المودة والإعجاب والشكر على الجميل، وهذا الخيط ما دام قائمًا فإنه يمنع أصحاب الجنوح من ارتكاب المخالفات التي تفسد المجتمع وتحدث الفوضى، فإذا انقطع ولم يكن هناك عاصم من تقوى الله (تعالى) فإن أهم الحواجز التي تحول دون الانطلاق وراء الشهوات تكون قد تحطمت، ويصعب بعد ذلك علاج الأمور لأنها تحتاج إلى

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٩٤).
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ١٩٥).

قوة رادعة وهذه لها سلبياتها المعروفة.

* أن يحرص المسئول على مجالسة أهل الصدق والوفاء والعقول الراجحة، وإن سمع منهم ما يكره أحيانًا من النقد والتوجيه، فإن ذلك يعود عليه وعلى من استرعاه الله أمرهم بالنفع، وأن لا يجالس أصحاب اللهو والأهداف الدنيوية فإن هؤلاء وإن أنس بكلامهم وثنائهم فإنهم يحولون بينه وبين التفكير في الأمور الجادة، فلا يستفيق بعد ذلك إلا والنكبات قد حلت به وبمن ولي أمورهم.

* أن يصدق القائد في لقاء الأعداء وأن لا يجبن، فإن جُبنه يسري على جنده فيقع بذلك الفشل والهزيمة، وفي غير الحرب أن يكون المسؤول شجاعًا في مواجهة المواقف، وأن لا يضعف فيسري ضعفه على من هم تحت إدارته من العاملين، فيقل بذلك مستوى الأداء ويضعف الإنتاج.

* أن يتجنب القائد الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها هذا في مجال الحرب، وفي مجالات السلم أن يتجنب المسؤول أية استفادة دنيوية من علمه لا تحل له شرعًا، مثل أخذ الهدايا التي يقصد لها دفعها الاستفادة من المسؤول في مجانبة الحق، فإن ذلك من الغلول، والغلول كما جاء في هذه الوصية يقرب إلى الفقر، ويدفع النصر.

* ومن هذه الفوائد تبين لنا عظمة هذه الوصية التي أوصى بها أبو بكر (رضي الله عنه) أحد قواده، وهي تبين لنا أنه كان يعيش بفكره مع قضايا المسلمين وأنه كان يتصور ما قد يواجهه قواده فيحاول تزويدهم بما ينفعهم في تلافي الوقوع في المشكلات، وحلها إذا وقعت، وهذه الوصية وأمثالها تسجِّل إضافة جديدة لمواقف أبي بكر المتعددة[1] الأنواع، فإذا تأملت إدارته للحكم وجدت رجلاً بارعًا في أمور السياسة، وإذا رأيت توجيهه للقادة العسكريين تجده رجلاً بارعًا في شؤون الحرب، وكأنه مع القادة في الميادين، وإذا رأيت رحمته وتأليفه للقلوب رأيت رجلاً بارعًا في الدعوة إلى الله تعالى، فهو الرجل الرحيم بالمؤمنين، الرافع لشأن أهل البلاء والصدق منهم، الخبير بأهل الكفاءة والقدرة، القوي الحازم على أعداء الله من المنافقين والكافرين[2].

٢- جيش شرحبيل بن حسنة:

حدد أبو بكر الصديق لمسير شرحبيل ثلاثة أيام بعد مسير يزيد بن أبي سفيان فلما مضى اليوم الثالث ودع أبو بكر شرحبيل وقال له: يا شرحبيل ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد، أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر، أو تُقتل، وبعيادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيرًا على كل حال، فقال شرحبيل: الله المستعان وما شاء الله أن يكون كان[3]، وكان جيش شرحبيل ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف وأمره أن يسير إلى تبوك

(١) التاريخ الإسلامي (٩/١٩٦). (٢) نفس المصدر (٩/١٩٧).
(٣) فتوح الشام - للأزدي ص١٥.

والبلقاء ثم بصرى وهي آخر مرحلة وتقدم شرحبيل نحو البلقاء حيث لم يلق مقاومة تذكر وكان يسير على الجناح الأيسر لجيش أبي عبيدة والجناح الأيمن لجيش عمرو بن العاص في فلسطين فأوغل في البلقاء حتى بلغ بصرى فأخذ يحاصرها فلم يوفق في فتحها لأنها كانت من المراكز الحصينة[١].

٣- جيش أبي عبيدة بن الجراح:

لما عزم الصديق على بعث أبي عبيدة بن الجراح بجيشه دعاه فودعه، ثم قال له: اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له، ثم يعمل بما أمر به، إنك تخرج في إشراف الناس، وبيوتات العرب، وصلحاء المسلمين، وفرسان الجاهلية، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة، والنية الحسنة، أحسن صحبة من صحبك، وليكن الناس عندك في الحق سواء، واستعن بالله وكفى بالله معينًا، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً، أخرج من غد إن شاء الله[٢]، وكان جيشه يتراوح ما بين ٣- ٤ آلاف مجاهد وهدف ذلك الجيش حمص، سار أبو عبيدة من المدينة، مارًا بوادي القرى ثم اطلع إلى الحجر (مدن صالح) ثم إلى ذات منار ثم إلى زيزا ومنها إلى مآوب فالتقى بقوة للعدو فقاتلهم ثم صالحوه فكان أول صلح عقد في الشام ثم واصل تقدمه نحو الجابية[٣]، وكان هذا الجيش الجناح الأيسر للجيش الأول، والجناح الأيمن للجيش الثاني[٤]، وكان في صحبة أبي عبيدة بن الجراح فارس من فرسان العرب المشهورين، قيس بن هبيرة بن مسعود المرادي فأوصى به الصديق أبا عبيدة قبل سفره وقال له: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، ليس بالمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب فأدنه وألطفه وأره أنك غير مستغن عنه، ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج بذلك نصحيته لك وجهده وجدّه على عدوك.

ودعا أبو بكر قيس بن هبيرة فقال: إن بعثتك مع أبي عبيدة الأمين، الذي إذا ظُلم لم يظلم، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمرًا، ولا تخالفن له رأيًا، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس، سيّد مجرَّب في زمان الجاهلية الجهلاء، إذ ليس فيهم إلا الإثم، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك في الإسلام على المشركين، وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره فقد جعل الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، والعزّ للمسلمين، فقال قيس بن هبيرة: إن بقيتَ وأبقاك الله فسيبلغك عني من حيطتي على المسلم، وجهدي على الكافر ما تحب ويسرك ويرضيك، فقال له أبو بكر (رضي الله عنه): افعل ذلك، رحمك الله. قال: فلما بلغ أبا بكر مبارزة قيس بن هبيرة البطرقين بالجابية وقتله إياهما قال: صدق قيس وبرّ، ووفى[٥].

(١) أبو بكر الصديق - نزار الحديثي ص٦٢.
(٢) فتوح الشام - للأزدي ص١٧.
(٣) الكامل - لابن الأثير (٢/٦٦).
(٤) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين - نهاد عباس ص١٤١.
(٥) فتوح الشام - للأزدي ص٢٦- ٢٧.

ونلحظ أن أبا بكر (رضي الله عنه) يشحذ همة قيس بن هبيرة، وفجّر طاقاته الكامنة في نفسه، واستخرج منه أعلى ما أمكن من طاقة وصرفها في حماية الإسلام والجهاد في سبيله، ولا شك أن الثناء على العظماء والنبلاء بذكر فضائلهم يرفع من معنوياتهم، ويمنحهم قوة عالية تدفعهم إلى التضحية والفداء[1].

٤- جيش عمرو بن العاص:

وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق قد خيّره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي، بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها، فارم به[2]، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر (رضي الله عنه) أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس، وقد خرج معه عدد من أشراف قريش، منهم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل، فلما أراد المسير خرج معه أبو بكر يشيعه وقال: يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فلا تألُهم نصيحة ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور، فقال عمرو بن العاص: ما أخلَقَني أن أصدق ظنك، وأن لا أفيِّل رأيك[3]، وخرج عمرو بقواته وكان تعداده يتراوح من ٦- ٧ آلاف مجاهد وهدفها فلسطين وسلكت طريق لساحل البحر الأحمر حتى وادي عربة في البحر الميت، ونظم عمرو بن العاص قوة استطلاع مؤلفة من ألف مجاهد ودفعها باتجاه محور تقدم الروم ووضع على قيادتها عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واصدمت هذه القوة بقوات الروم واستطاعت انتزاع النصر وتمزيق قوة العدو، وعادت ببعض الأسرى فاستنطقهم عمرو بن العاص وعلم منهم أن جيش العدو بقيادة (رويس) يحاول مباغتة المسلمين بالقيام بالهجوم وعلى ضوء المعلومات الجديدة نظم عمرو قواته، وشن الروم هجومهم واستطاع المسلمون صده ونجحوا في رد قوات الروم وبعد ذلك شنوا هجومهم المضاد ودمروا قوة العدو، وأرغموهم على الفرار وترك ميدان المعركة وتابع الفرسان المطاردة وانتهت المعركة بسقوط الألوف القتلى من الروم[4].

وأمر الصديق (رضي الله عنه) كل أمير أن يسلك طريقًا غير طريق الآخر، لما لحظ من ذلك من المصالح، وكأن الصديق اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب[5]، حين قال لبنيه: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ (سورة يوسف، آية: ٦٧).

---

(١) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٠٦).   (٢) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء ص٥٥ .
(٣) أي أن لا يخطئ رأيك فيّ. فتوح الشام - للأزدي ص٤٨- ٥١ .
(٤) العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين ص١٤٣ .
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٤).

رابعاً: تأزم الموقف في بلاد الشام:

كانت الجيوش المكلفة بفتح بلاد الشام تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها وقد بنت الحصون والقلاع للدفاع عن مراكز المدن واستخدمت أسلوب الكراديس في تنظيم جيوشها، لقد كان للروم في الشام جيشان كبيران أحدهما في فلسطين والآخر في أنطاكية وتمركز هذان الجيشان في ست مواضع على الشكل الآتي:

أ- أنطاكية: وهي عاصمة الشام في العهد الرومي.

ب- قنسرين: وتقع بين حماة وحلب على مسافة ٢٥كم جنوبي غربي حلب وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس في الشمال الغربي.

ت- حمص: ويمتد نفوذها العسكري حتى تدمر وصحراء الشام وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس من الشمال الشرقي.

جـ- عمان: قاعدة البلقاء وفيها قلعة محصنة.

د- أجنادين: قاعدة الروم العسكرية في جنوب فلسطين وعلى حدود بلاد العرب الشرقية والغربية وعلى حدود مصر.

هـ- قيسارية: في شمال فلسطين وتبعد عن حيفا ١٣كم ولا تزال أنقاضها قائمة، أما مقر القيادة العامة فهي أنطاكية أو حمص وعندما شهد قائد الروم هرقل الذي كان يشرف على الموقف بنفسه في (إيليا) توغل الجيوش الإسلامية أصدر أوامره إلى قواته بالتوجه لتدمير هذه الجيوش وكانت خطة مواجهة الجيوش الإسلامية كالآتي:

- يتراجع الروم أمام المسلمين ويتخلوا لهم عن الحدود الشامية الحجازية.
- تتجمع وحدات الجيش الأول في فلسطين بعد تقريرها بقيادة سرجون.
- تتجمع وحدات الجيش الثاني في أنطاكيا بقيادة تيدور.
- تتحرك هذه الجيوش وتهاجم أمراء الإسلام الأربعة الواحد بعد الآخر وذلك لتسهيل تصفية جيوش الإسلام على انفراد وعلى أساس هذه الخطة التي وضعها هرقل تحركت جيوش الروم وحسب الترتيب الآتي[1]:

- توجيه أخاه تذارق في تسعين ألفا للقضاء على جيش عمرو بن العاص.
- توجيه ابن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان.
- توجيه القبقار بن ننطوس في ستين ألفا إلى جيش أبي عبيدة.
- الدارقص نحو شرحبيل بن حسنة[2].

---

(١) معارك خالد بن الوليد - العميد ياسين سويد ص٧٧- ٧٨ .

(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٤٧ .

استطاع المسلمون الحصول على المعلومات الدقيقة عن هذه الجيوش، ونواياها بكل تفاصيلها وعن تفاصيل الخطة الرومية التي كان قد وضعها هرقل لتدمير الجيوش الإسلامية كل على انفراد، وراسل قادة المسلمين الخليفة بالمدينة، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر (رضي الله عنه) يخبره بما بلغه مما جمع هرقل ملك الروم من الجموع وهذا نص كتاب أمين الأمة إلى الصديق: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزًا متينًا، وأن يفتح لهم فتحًا يسيرًا، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام، تدعى أنطاكية وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول[1]، وقد رأيت أن أعلمك ذلك، فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه أبو بكر (رضي الله عنه): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ما ذكرت من حشره لكم أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وما كان قوم ليدعوا سلطانهم ويخرجوا من ملكهم بغير قتال، وقد علمت والحمد لله، قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم للحياة، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجنودك، ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين فإن الله معك، وأنا مع ذلك مُمدُّك بالرجال حتى تكتفي ولا تريد أن تزداد إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2].

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر (رضي الله عنه) بنفس مضمون كتاب أبي عبيدة بن الجراح وردّ الصديق على يزيد (رضي الله عنهم) جميعًا وهذا نص الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحوّل ملك الروم إلى أنطاكية، وأن الله ألقى الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله -وله الحمد- قد نصرنا ونحن مع رسول الله بالرعب، وأمدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب، هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم، فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولا من يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد معه آلهة آخرين، ويدين بعبادة شتى، فإذا لقيتموهم فانهد إليهم بمن معك، وقاتلهم، فإن الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله (تبارك وتعالى) أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا مع ذلك مُمدُّك بالرجال في إثر الرجال، حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله، وبعث الصديق بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرْط

(١) يعني الخيل بأنواعها، مايصعب قيادة منها وما يسهل، والمراد وصفهم بالكثرة.
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/٢١٣) نقلاً عن فتوح الشام - للأزدي ص٣٠- ٣١ .

الشمالي حتى قدم على يزيد فقرأه على المسلمين، ففرحوا به وسُرُّوا[1]، وجاء كتاب من عمرو ابن العاص بخصوص جموع الروم.

ورد عليه الصديق فقال: سلام عليك، أما بعد . . فقد جاءني كتابك تذكر ما جمعت الروم من الجموع، وإن الله لم ينصرنا مع نبيه (ﷺ) بكثرة جنود، وقد كنا نغزو مع رسول الله (ﷺ) وما معنا إلا فَرَسان، وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنا يوم أحد مع رسول الله وما معنا إلا فرس واحد، كان رسول الله يركبه، ولقد كان يظهرنا ويعيننا على من خالفنا، واعلم يا عمرو أن أطوع الناس لله أشدهم بغضًا للمعاصي، فأطع الله، ومر أصحابك بطاعته[2]، وشرع الصديق في إمداد الجيوش الإسلامية ببلاد الشام، بالرجال، والسلاح، والخيول، وما يحتاجونه ودعا هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص وقال له: يا هاشم، إن من سعادة جدِّك، ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يثق الوالي بنصيحته ووفائه وعفافه وبأسه، وقد بعث إليَّ المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فسر إليهم فيمن تبعك، فإني نادب الناس معك، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد، قال: لا، بل على أبي عبيدة، قال: فاقدم على أبي عبيدة. وقام أبو بكر (رضي الله عنه) في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم من المسلمين معافون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم، وقد جاءتني رسلهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام، وقد بعثوا إليَّ يخبرونني أنه قد وجه إليهم هرقل جندًا من مكانه ذلك، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم، يشدد الله بهم ظهورهم، ويكبت بهم عدوهم، ويلقي بهم الرعب في قلوبهم، فانتدبوا - رحمكم الله- مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة.

ثم انصرف أبو بكر (رضي الله عنه) إلى منزله، ومال الناس على هاشم حتى كثروا عليه، فلما أتموا ألفًا أمره أبو بكر أن يسير، فجاءه فسلم عليه وودّعه، فقال له أبو بكر (رضي الله عنه): يا هاشم، إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته، وإن الله (عز وجل) قد جمع لك الخصال كلها، وأنت حديث السن، مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة، ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين فقال هاشم: إن يرد الله بي خيرًا يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله، وأنا أرجو إن أنا لم أُقتَل أن أَقتُل، ثم أَقتُل إن شاء الله، فقال له عمه سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه): يا ابن أخي، لا تطعن طعنة، ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه

(١) فتوح الشام - للأزدي ص٣٠- ٣٣ نقلاً عن الحميدي.
(٢) خطب أبي بكر الصديق - محمد أحمد عاشور ص٩٢ .

الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيدًا، وراجع إلى الله قريبًا، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدّمته، أو عمل صالح أسلفته، فقال: أيْ عم، لا تخافن مني غير هذا، إني إذا لمن الخاسرين، إن جعلت حلي وارتحالي، وغدوي ورواحي، وسيفي وطعني برمحي، وضربي بسيفي رياء للناس، ثم خرج من عند أبي بكر (رضي الله عنه) فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه، فتباشر بمقدمه المسلمون، وسرّوا به[1]، وبعد ذهاب هاشم بن عتبة بمدة، أمر أبو بكر بلالا، فنادى في الناس ألا انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر بن حذيم إلى الشام فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام يسيرة، فلما أراد سعيد بن عامر الشخوص بالناس أتى بلال أبا بكر. فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنت إنما أعتقتني لأقيم معك، وتمنعني مما أرجو لنفسي فيه الخير أقمت معك وإن كنت إنما أعتقتني لله لأملك نفسي وأضرب فيما ينفعني فخلّ سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي، فإن الجهاد أحب إليّ من المقام... فقال له أبو بكر: أما إذا كان هواك في الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام، إنما كنت أريدك للأذان، وإني لأجد لفراقك وحشة يا بلال، فما بدّ من التفرق فرقة لا لقاء بعدها أبدًا حتى يوم البعث، فاعمل عملاً صالحًا يا بلال يكن زادك من الدنيا ويذكرك الله به ما حييت، ويحسن لك به الثواب إذا توفيت. فقال بلال: جزاك الله من وليّ نعمة وأخ في الإسلام خيرًا، فوالله ما أمرك لنا بالصبر على طاعة الله والمداومة على الحق والعمل الصالح ببدع، وما أريد أن أؤذّن لأحد بعد رسول الله (ﷺ) ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر بن حذيم، وكان أبو بكر قد أمر سعيد بن عامر أن يسير حتى يلحق بيزيد بن أبي سفيان، فسار حتى لحقه، فشهد معه وقعة العَرَبة والداشنة[2].

وكانت وفود الجهاد تتوافد على المدينة ويقوم الصديق بتوجيهها إلى الجبهات، وكانت بعض الوفود من أهل القرى، فيهم جهل وجفاء فكان أهل المدينة من صحابة وتابعين يحتملون أذى بعض الوفود الذين لم يتلقوا تربية إسلامية كافية، ويرفعون أمر ما يلاقونه منهم إلى خليفة رسول الله، ولم يذكر أنه حصل نزاع بينهم مع كثرة الوفود التي وفدت على المدينة، وكان أبو بكر الصديق قد ناشد المجتمع المدني[3] وقال لهم: نشدتك الله امرءًا مسلمًا، سمع نشدي لما كفّ عن هؤلاء القوم ومن رأى لي عليه حقا فليحتمل ذرب[4]، ألسنتهم، وعجلة يكرهها منهم ما لم يبلغ ذلك الحد، فإن الله مهلك بهؤلاء أعداءنا، جموع هرقل والروم، وإنما هم إخوانكم فإن كانت منهم عجلة على أحد منكم فليحتمل ذلك، ألم يكن ذلك أصوب في الرأي وخيرًا في المعاد من أن يُنتصر منهم؟

قال المسلمون: بلى.

---

(١) فتوح الشام - للأزدي ص٣٣- ٣٥ .
(٢) نفس المصدر ص٣٥- ٣٨ بتصرف.
(٣) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٢٤).
(٤) يعني: حدتها وشدتها.

قال: فإنهم إخوانكم في الدين، وأنصاركم على الأعداء ولهم عليكم حق، فاحتملوا ذلك لهم، ثم نزل من على المنبر[١].

خامسًا: توجيه خالد إلى الشام، ومعركة أجنادين واليرموك:

كانت قيادة الجيوش الإسلامية بالشام تتابع تطور حركة الجيوش الرومانية وشعر القادة بخطورة الموقف، فعقدوا مؤتمرًا بالجولان وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة يشرح له الموقف وفي الوقت نفسه قرروا الانسحاب من جميع الأراضي التي تم فتحها وتجمعوا في مكان واحد ليتمكنوا من إحباط خطة الرومان وإجبارهم على خوض معركة فاصلة تخوضها كل الجيوش الإسلامية وكان عمرو بن العاص أشار على القادة أن يكون التجمع باليرموك، وجاء رأي الصديق مطابقًا لرأي عمرو بن العاص [٢] في اختيار مكان التجمع واتفقوا أن يتم الانسحاب مع تجنب الاشتباك مع العدو فانسحب أبو عبيدة من حمص وانسحب شرحبيل بن حسنة من الأردن، وانسحب يزيد بن أبي سفيان من دمشق وأخذ عمرو بن العاص من الانسحاب تدريجيًا من فلسطين،[٣] ولكنه لم يستطع الانسحاب منها حتى نجده خالد بن الوليد قبل اليرموك، فظل يناور في بئر السبع لمتابعة الروم له، وبذلك شن المسلمون هجومًا مضادًا فكانت معركة أجنادين[٤].

عندما استلم الصديق رسالة أبي عبيدة وشرح له فيها الموقف أمره بالانسحاب إلى اليرموك والتجمع هناك، وقال له: بث خيلك في القرى والسواد وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ولاتحاصروا المدائن حتى يأتيك أمري، فإن ناهضوك فانهد لهم واستعن بالله عليهم فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم [٥] وجاء في رواية: إن مثلكم لا يؤتى من قلة، إنما يؤتى العشرة الآلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين وليُصَلِّ كل رجل منكم بأصحابه[٦]، وكان توجيه الصديق للجيوش بأن يجتمعوا ويكونوا عسكرًا واحدًا، وأن يلقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين وقال لهم: بأنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره وخاذل من خذله[٧].

ونرى من خلال رسائل الصديق بأنه وضع أساس النصر للجيوش بطاعتها لله أولا فالخذلان يأتي بالمعاصي والذنوب، وعمل الصديق على تجميع الجيوش في مكان واحد حتى لا يستغل العدو فترة انتشارهم في البلاد لينهك قواهم الواحد بعد الآخر، كما أن تعيينه لليرموك دال على دراسة الصديق لجغرافية الأرض في عصره وإدراكه لمواقعها وهذا فقه حربي عظيم

(١) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/ ٢٢٣).
(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٤٨ .
(٣) نفس المصدر ص١٤٨ .
(٤) حروب الإسلام في الشام - أحمد محمد ص٤٥ .
(٥) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٤٨ .
(٦) تاريخ الطبري (٤/ ٢١١).
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٢١١).

وفقه الله (عز وجل) له وقرر الصديق أن ينقل خالد بن الوليد بجيشه إلى الشام وأن يتولى قيادة الجيوش بها، فالأمر بالشام يحتاج إلى قائد يجمع بين قدرة أبي عبيدة، ودهاء عمرو، وحنكة عكرمة، وإقدام يزيد، وأن يكون صاحب قدرة عسكرية فائقة، مع قدرة على حسم الأمور، وصاحب دهاء وحيلة وإقدام، وصاحب حنكة ودراية مع دقة في تقدير المواقف وصاحب تجربة طويلة في المعارك[1]، فوقع اختيار الصديق على خالد بن الوليد فكتب إليه بالعراق ونفذ ابن الوليد تعاليم الخليفة ووصل بجيشه إلى الشام بعد رحلة عبر الصحراء لم يذكر التاريخ شبيها لها وقد بينت ذلك، فكانت إمدادات الصديق تتواصل على الشام ويضع الخطط المتطورة ويرد على أساليب الأعداء التكتيكية والمعنوية والمادية التي كان هدفها إشغال الصديق عن هدفه حتى قال قادة الروم: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا[2]، وكان رد الصديق: والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد[3]، وقد حققت توجيهات الصديق عدة أمور منها توحيد جيش المسلمين في الشام، وتوحيد قيادة هذا الجيش بأمرة خالد، وتحديد موقع اللقاء وهذا يؤكد وضوح الرؤية عند الخليفة أبي بكر في تحريك الجيوش، فكان عندما أرسلها من المدينة خرجت في طرق متباعدة نسبيًا فكانت على شكل رؤوس حراب أو على شكل مروحة وهو عبارة ما يعرف بحركة الانتشار في الجيوش الحديثة، وعندما حان وقت الاشتباك واللقاء الفاصل جمعها مع بعضها في موقع اختاره لها، فقد ظهرت قدرته البارعة في استعمال الجيوش وهو ما اتفق على تسميته (بالاستراتيجية) في العلم العسكري الحديث[4]، وكان الصديق كقائد عام للجيوش الإسلامية يحرص على حضوره المعنوي في ميدان القتال، بالأوامر، مع ما كانت تتميز به تلك الأوامر من تبصر وبعد نظر ونفاذ في البصيرة، وبداهة في فهم الوضع العسكري على أرض المعركة، وبالتالي سرعته في تحريك القوى وفقًا لهذا الوضع وبما يلائمه تمام الملاءمة، وحسن اختياره للقادة الذين كانوا، بفعل الثقة المتبادلة بينه وبينهم، يقرأون أفكاره ويحسون برغباته ونواياه، فتتجسد في مخيلتهم فكرة المناورة التي يعتزم تنفيذها، ويقومون بتنفيذها كما لو كان الخليفة ينفذها، وبواسطة هذه الوسائل، كان الخليفة يدير المعارك على الجبهات المختلفة كأنما هو حاضر في كل منها، بحيث يحس الجيش، قادة وجنودًا، كأن الخليفة نفسه معهم يقودهم ويوجههم، فيأتي عملهم مطابقًا تمام المطابقة لما يريد ويرغب، ووفقًا لأوامره وتوجيهاته[5].

وعندما أرسل الصديق إلى خالد يأمره بالتوجه إلى الشام وتولي الجيوش هناك، قام الصديق بإرسال رسالة إلى أبي عبيدة يخبره فيها بتولية خالد عليه ويأمره فيها بالسمع والطاعة وبين فيها سبب توليه خالد: أما بعد فإني قد وليت خالدًا قتال الروم بالشام، فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره. فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٥٩، ٣٦٠ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥).
(٣) نفس المصدر (٧/ ٥).
(٤) الفن العسكري الإسلامي ص٨٩، أبو بكر الصديق - الحديثي ص٦٠ .
(٥) الفن العسكري الإسلامي ص٩٨ .

الحرب ليست لك أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[١]، وكانت رسالة خالد إلى أخيه أبي عبيدة قد قطعت المسافات من العراق إلى الشام واستقرت في قلبه الغني بالإيمان والزهد في هذه الدنيا الفانية وهذا نصها:

لأبي عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد. سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإني أسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف، والعصمة في دار الدنيا، فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله يأمرني فيه بالمسير إلى الشام، وبالمقام على جندها والتولّي على أمرها والله ما طلبت ذلك ولا أردته، ولا كتبت إليه فيه، وأنت - رحمك الله - على حالك الذي كنت به: لا يُعصَىٰ في أمرك ولا يخالف رأيك، ولا يقطع أمر دونك، فأنت سيد من سادات المسلمين لا ينكر فضلك، ولا يستغنى عن رأيك، تمم الله ما بنا وبك من نعمة الإحسان ورحمنا وإياك من عذاب النار. والسلام عليك ورحمة الله[٢]، وكان مع حامل الرسالة، خطابا من خالد موجهًا إلى المسلمين بالشام جاء فيه: ... أما بعد، فإني أسأل الله الذي أعزنا بالإسلام وشرفنا بدينه، وأكرمنا بنبيه محمد (ﷺ)، وفضلنا بالإيمان، رحمة من ربنا لنا واسعة، ونعمة منه علينا سابغة، أن يتم ما بنا وبكم من نعمته، واحمدوا الله عباد الله يزدكم، وارغبوا إليه في تمام العافية يُدمْها لكم، وكونوا له على نعمه من الشاكرين.

وإن كتاب خليفة رسول الله أتاني يأمرني بالمسير إليكم، وقد شمّرت وانكمشت وكأن خيلي قد أطلّت عليكم في رجال، فأبشروا بإنجاز موعود الله، وحسن ثوابه عصمنا الله وإياكم بالإيمان، وثبّتنا وإياكم على الإسلام، ورزقنا وإياكم حسن ثواب المجاهدين والسلام عليكم[٣]، فلما قدم حامل الرسالتين عمرو بن الطفيل بن عمرو الأزدي على المسلمين، وقرأ عليهم خطاب خالد بن الوليد وهم بالجابية، دفع إلى أبي عبيدة كتابه، فلما قرأه قال: بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى، وحيا الله خالدًا بالسلام[٤]، إن هذا التعامل الرفيع بين هذين العظيمين يكشف لنا عن معاني الأخوة، المنبثقة عن التوحيد الصحيح والمحفوفة بسياج الأخلاق الحميدة التي كان يتصف بها صحابة رسول الله، فإن خالدًا لم تتغير نفسه أو يشعر بعلو على إخوانه بسبب فتوحاته في العراق وثقة الخليفة به، بل يعترف بالفضل لأهله، ويعلن طاعته لأبي عبيدة بن الجراح الذي ولي الأمر من بعده، وفي مقابل ذلك نجد أبا عبيدة بن الجراح الذي يبارك هذا الأمر ويحيىٍ خالدًا، وهذا يدل على تجرد خالد وأبي عبيدة من حظوظ النفس وإيثارهم لمصلحة الأمة، وإرادتهم وجه الله في أعمالهم[٥]، وفي هذا درس عظيم لأبناء الأمة على مستوى الحكومات، والحركات، والشيوخ والدعاة، والقادة والزعماء في التعامل فيما بينهم عند التعيين أو العزل أو الفصل.

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص٣٩٢،٣٩٣ .
(٢) نفس المصدر ص٣٩٢ .
(٣) فتوح الشام - للأزدي ص٦٨- ٧٢ نقلاً عن الحميدي.
(٤) نفس المصدر ص٦٨- ٧٢ .
(٥) التاريخ الإسلامي - للحميدي (٩/ ٢٣١).

١ - معركة أجنادين:

وصل خالد إلى الشام وفتح بصرى واجتمع بقادة المسلمين أبي عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي معاوية، ودرس الموقف العسكري، واطلع على أدق تفاصيله، كما اطلع على موقف عمرو بن العاص الذي كان ينسحب بمحاذاة ضفة نهر الأردن؛ لكي يلتقي بجيوش المسلمين الأخرى ومحاذرًا الاشتباك بالجيش الرومي الذي كان يتعقبه وقد حاول قائد هذا الجيش أن يجر جيش عمرو للاشتباك معه في معركة فاصلة إلا أن عمرو كان تمام اليقظة والحذر وعلى علم تام بأنه ليس من مصلحته الاشتباك في مثل هذه المعركة؛ لأن جيشه لم يكن يتجاوز السبعة آلاف بينما كان جيش الروم يزيد على سبعة آلاف وبعد أن درس خالد الموقف العسكري، رأى أن أمامه خيارين فإما أن يسرع وينضم إلى جيش عمرو ويخوض وإياه معركة فاصلة فيقضي على قوة الروم الكبيرة فيتعزز الموقف العسكري للجيش الإسلامي ويصون خط رجعته ويحمي جناحه الأيسر ويثبت أقدام المسلمين في فلسطين وإما أن يقف مكانه ويوعز إلى عمرو بالانضمام إليه ثم ينتظر قوات الروم التي كانت تزحف نحوه من دمشق ليخوض معها معركة فاصلة، وقد فضل خالد أن يأخذ بالخيار الأول لأن التغلب على جيش الروم في فلسطين وتشتيته يحفظ للمسلمين خط رجعتهم ويعزز مركزهم، ويجعلهم في موقف يستطيعون معه تهديد الجيش الرومي ويجعلونه يتوقع حصول حركة التفاف من خلفه فيضطر للأخذ بتدابير خاصة للحماية تشغل جانبًا من قواته فيصبح بذلك مدافعًا بعد أن كان مهاجمًا فانحدر من اليرموك إلى سهل فلسطين بعد ما أصدر أمره إلى عمرو بأن ينسحب مستدرجًا جيش الروم حتى يصل جيش خالد فيطبقان عليه فارتد عمرو إلى أجنادين[١].

وعندما وصلت قوات خالد أصبح جيش المسلمين بحدود ثلاثين ألف مقاتل، وكان وصول خالد في الوقت المناسب فما أن اصطدمت قوات عمرو بالروم حتى انقض خالد بقواته الرئيسة، وجرت معركة عنيفة وكان لمهارة القائدين خالد وعمرو العسكرية دور كبير في تحقيق النصر الحاسم، حيث تم توجيه قوة اقتحامية اخترقت صفوف العدو حتى وصلت إلى قائد الروم فقتلوه، وبمقتل القائد انهارت مقاومة الروم وهربوا في اتجاهات مختلفة[٢].

وقد كانت أجنادين أول المعارك الكبيرة في بلاد الشام بين المسلمين والروم فلما انتهى خبر الهزيمة إلى قيصر الروم هرقل وهو في حمص شعر بمدى الكارثة[٣]، وكتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر (رضي الله عنه) بفتح الله (عز وجل) عليه وعلى المسلمين: لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد، سيف الله المصبوب على المشركين، أما بعد، سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أخبرك أيها الصديق أنّا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعًا جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صُلُبهم ونشروا كتبهم، وتقاسموا بالله، لا يفرون حتى يُصنونا، أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله

(١) أجنادين: موضع معروف من نواحي فلسطين. (ياقوت، المعجم ، ١/٢٠٣).
(٢) أبو بكر (رضي الله عنه) - نزار الحديثي ص٧٠ .
(٣) نفس المصدر ص٧١ .

متوكلين على الله، فطاعنّاهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعناهم في كل فج وشعب وغائط، فأحمد الله على إعزاز دينه، وإذلال عدوه، وحسن الصنع لأوليائه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر - رحمة الله عليه - فرح به، وأعجبه، وقال: الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقر عيني بذلك[1].

٢- اليرموك:

عادت بواكير النصر من وقعة أجنادين بعد الانتصار الكبير الذي حققه المسلمون في هذه الوقعة وهزيمة الروم واطمئن المسلمون إلى ما حققوه من نصر في أجنادين، واجتمعت جيوش المسلمين في اليرموك تنفيذا لأمر الخليفة الصديق، وتحركت جيوش الروم بقيادة تيدور ونزلت في منزل واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب، فسارت حشود الروم حتى نزلوا الواقوصة قريبًا من اليرموك.

قوات الطرفين:

* المسلمون ٤٠ ألف مقاتل وقيل ٤٥ ألفا بقيادة خالد بن الوليد.

* الروم: يقدر عدد الروم بـ (٢٤٠) الف بقيادة تيدور.

- قبل المعركة:

* المسلمون: وصل المسلمون بقيادة خالد بن الوليد باليرموك فعسكروا بها، حتى اجتمعت الروم مع أمرائها على الضفة الجنوبية للنهر، وقال عمرو بن العاص: (أبشروا أيها الناس، فقد حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير)[2].

وخرج خالد بن الوليد بأسلوب جديد لم يستخدمه العرب من قبل ذلك[3] فاستخدم أسلوب جديد وهو الكراديس، فخرج في ستة وثلاثين كردوسًا إلى أربعين ورتب جيشه الترتيب الآتي:

- فرقًا وفيها من عشرة إلى عشرين كردوس ولها قائد وأمير.
- كراديس: ألف مقاتل وله قائد وأمير[4].

وقسم جيشه إلى أربعين كردوسًا وكما يلي:

فرقة القلب: مؤلفة من ١٨ كردوسًا بقيادة أبو عبيدة بن الجراح ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو.

فرقة الميمنة مؤلفة من ١٠ كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة.

فرقة الميسرة: مؤلفة من ١٠ كراديس بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

---

(١) فتوح الشام - للأزدي ص٨٤- ٩٣ .
(٢) العمليات التعرضية والدفاعية ص١٦٣ .
(٣) البداية والنهاية (٨/٧).
(٤) العمليات التعرضية والدفاعية ص١٦٣ .

فرقة الطليعة (المقدمة) من الخيالة والمخافر الأمامية ومهمتها المراقبة والاستطلاع والاحتفاظ على التماس مع العدو ولذلك تكون فرقة صغيرة وخفيفة.

فرقة المؤخرة: مؤلفة من ٥٠٠٠ مقاتل (٥ كراديس) بقيادة سعيد بن زيد ومهمتها قيادة الظعن (الأمور الإدارية) وكان القاضي (أبو الدرداء) وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود، ومهمته تأمين الأمور الإدارية والإعاشة وجمع الغنائم، والقاري المقداد بن الأسود وكان يدور على الناس ويقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب وهو يطوف على الصفوف[1] يحث الجند على القتال، والقائد العام خالد بن الوليد في الوسط وحوله كبار الصحابة وأعد الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد في الوسط لكل شيء عدته، وأخذ كل قائد من القواد يمر على جنده ويحثهم على الجهاد والصبر والمصابرة ورأى قادة المسلمين أن هذه المعركة هي معركة يتوقف عليها نتائج كبرى، وإنها الحاسمة وكان خالد يعلم أنه: إن رد الروم إلى خندقهم فسيظل يردهم وإن هزموه فلن يفلح بعدها. أي أن هزيمة الروم في هذه المعركة تعني هزيمتهم في أرض الشام كلها، وتفتح أبواب الشام على مصراعيها للمسلمين دون حواجز ولا عراقيل والانطلاق منها إلى مصر، فآسيا وأوربا[2].

التعبئة الإيمانية:

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق، يا معشر المسلمين: اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدوهم بالقتال وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

وخرج معاذ بن جبل على الناس، فجعل يذكرهم ويقول: يا أهل القرآن، ومستحفظي الكتاب وأنصار الهُدَىٰ وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (سورة النور، آية: ٥٥) فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فُرّاراً من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولا عز بغيره، وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان إحسانًا لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفْرًا كَفْرًا وقَصْرًا قَصْرًا فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشّدة تطايروا تطاير أولاد الحجل.

(١) البداية والنهاية (٧/٨).
(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٦٤ .

وقال أبو سفيان: يا معشر المسلمين إنكم قد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين وإمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده شديد عليكم حَنَقُه وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وديارهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا، ولتكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء فوصّاهن[1] ثم عاد فنادى: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم والشيطان والنار خلفكم. ثم سار إلى موقفه[2] رحمه الله.

وقد وعظ الناس أبو هريرة فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم (عز وجل) في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم، وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك[3] قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لابعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجّيه وأنهم أضعفوا في العدد، وكان فرسه قد حفيَ واشتكى في مجيئه من العراق[4].

وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وارعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء[5].

٥- الروم:

أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال[6]، ونزلت الروم الواقوصة قريبًا من اليرموك وصار الوادي خندقًا عليهم وتعبأ الروم باستخدام أسلوب الكراديس في خطين كل خمسة في دائرة يفصل بينهما وبين الخمسة الأخرى فاصل ثم يأتي الخط الثاني وراء فرجات الخط الأول، واتبع الروم في قتالهم الترتيب التالي:

- الرماة في المقدمة واجبهم أن ينشبوا القتال ثم الانسحاب إلى الوراء الأجنحة.
- الخيالة بالجناحين واجبهم حماية الرماة حتى انسحابهم من الخلف.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩).
(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٦٣ .
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٠).
(٤) نفس المصدر (٧/ ١٠).
(٥) أبو بكر رجل الدولة ص٨٨ .
(٦) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٦٣ .

- الكراديس (المشاة) واجبهم الاقتحام.
قائد المقدمة جرجه.
قائد الجناحين ماهان والدراقص[١].

المفاوضات قبل القتال:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان نحو جيش الروم، ومعهما ضرار ابن الأزور، والحارث بن هشام، ونادوا إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تَذَارِق وإذا هو جالس في خيمة من حرير. فقال الصحابة: لا نستحل دخولها، فأمر لهم بفراش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبوا وتفاوضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عز وجل، فلم يتم ذلك[٢].

وذكر الوليد بن مسلم، أن باهان طلب خالدًا ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم. فقال باهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجَهْد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. فقال أصحاب باهان: هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب[٣].

إنشاب القتال:

لما تكامل الاستعداد، ولم تنجح المفاوضات تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل، والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتي القلب- أن ينشبا القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البِراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق.

هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أمر الحرب أتم التدبير[٤].

إسلام أحد قادة الروم في ميدان المعركة:

وخرج جَرَجَه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال: فيم سميت سيف الله؟ قال:

---

(١) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٦٧ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٠).
(٣) نفس المصدر السابق (٧/ ١٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٠).

إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعًا، ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه وبعضنا كذّبه وباعده، فكنت فيمن كذّبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا، ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: «**أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين**»[1]، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا أشد المسلمين على المشركين، فقال جرجة: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب، ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا، ووضيعنا، وأولنا، وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حيّ بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية، كان أفضل منا؟ فقال جَرجَة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وأن الله ولي ما سألت عنه. فعند ذلك قلب جَرجَة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قِربة من ماء ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حَمْلة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام[2].

ميسرة الروم تحمل على ميمنة المسلمين:

تقدمت صفوف الروم وأقبلت كقطع الليل للقيام بهجوم عام على الجيش الإسلامي وحملت ميسرتهم على ميمنة المسلمين فانكشف قلب الجيش الإسلامي من ناحية الميمنة واستطاع الروم إحداث ثغرة في صفوف المسلمين والتسلل إلى مؤخرتهم، فصاح معاذ بن جبل: يا عباد الله المسلمين إن هؤلاء شدوا للشد عليكم ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البلاء. ثم نزل عن فرسه وقال من أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه وآثر بذلك أن يقاتل راجلاً مع المشاة[3]، وثبتت قبائل الأزد ومذحج، وحضرموت وخولان، حتى صدوا أعداء الله ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال، فزال المسلمون من الميمنة إلى القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صُور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نَهْنَهوا من أمامهم من الروم، وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سَرَعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة. فتراجع إلى مواقفهم[4].

(١) نفس المصدر (١٣/٧).
(٢) البداية والنهاية (١٣/٧).
(٣) العمليات التعرضية والدفاعية ص١٦٩ .
(٤) فتوح الشام للأزدي ص٢٢٢ .

فقال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عَمّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثبِتوا جميعًا جراحًا، وقتل منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور (رضي الله عنه)[١].

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء فلما قرّبت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد، حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم (رضي الله عنهم) أجمعين.

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيدًا رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك حاجة إلى رسول الله (ﷺ): قال: نعم، تقرئه عني السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله. وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا، فلم تر يوم اليرموك إلا مُخًّا ساقطا، ومعصمًا نادرًا، وكفًا طائرة من ذلك الموطن[٢].

ميمنة الروم تحمل على ميسرة المسلمين:

حملت ميمنة الروم بقيادة قناطر على ميسرة المسلمين حملة شديدة، وكانت في ميسرة المسلمين قبائل كنانة، وقيس وخثعم، وجذام وقضاعة وعاملة وغسان، فأزيلت عن مواضعها فانكشف قلب المسلمين من ناحية الميسرة، وركب الروم أكتاف من انهزم من المسلمين وتبعوهم حتى دخلوا معسكر المسلمين فاستقبلتهم نساء المسلمين بالحجارة وأعمدة الخيام يضربنهم على وجوههم ويقلن لهم: أين عز الإسلام والأمهات والأزواج؟ أين تفرون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم خجل أحدهم من نفسه ورجع إلى القتال وقتلوا من الروم خلقًا كثيرًا واستشهد في هذه المرحلة سعيد بن زيد، وحاولت ميسرة الروم مرة أخرى بشن الهجوم على ميمنة المسلمين: فشدوا على عمرو بن العاص وجنده في محاولة اختراق الصفوف لكي يقوموا بعملية التطويق، وقاتل عمرو وجنده عن مواضعهم إلا أن الروم تمكنوا من دخول معسكرهم ونزلت المسلمات من التل وأخذن يضربن وجوه الرجال المراجعين، وقالت ابنة عمرو: قبح الله رجلا يفر عن حليلته، وقبح الله رجلا يفر عن كريمته، وقالت أخريات: لستم بعولتنا إن لم تمنعونا، وبذلك ارتدت إلى المسلمين عزائمهم ودخلوا القتال مرة أخرى وحمل المسلمون على الروم من جديد حتى أزاحوهم عن المواضع التي كسبوها[٣].

الحركة الإفراجية والقضاء على مشاة الروم:

حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين فأزلوهم إلى

---

(١) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٧٠ .

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٢).

(٣) العمليات التعرضية والدفاعية ص١٧٤ .

القلب، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف، ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبقىٰ عندهم من الصبر والجَلَد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه علىٰ نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتىٰ انفضّ جميعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم[1]، وقامت ميمنة المسلمون بإغلاق المنافذ والثغرات في وجوه الروم وحصروا بين وادي اليرموك ونهر الزرقاء ودارت رحىٰ المعركة، وأبلىٰ المسلمون بها بلاءً حسنًا، واستطاع المسلمون أن يفصلوا فرسان الروم عن مشاتهم فحملوا علىٰ الروم وركبوا أكتافهم حتىٰ أرهقوهم وبذلك أراد فرسان الروم مخرجًا لهم للفرار منه وبذلك أمر خالد عمرو بن العاص بفسح المجال لهم في طريق الهرب ففعل ذلك وهرب فرسان الروم وبذلك تحرك مشاة الروم دون غطاء من خيالتهم فجاء المشاة إلىٰ الخنادق وهم مقيدين بالسلاسل حتىٰ صاروا كأنهم حائط وقد هدم وجاءهم المسلمون إلىٰ خندقهم في ظلام الليل وأخذ معظمهم ينهار بالوادي فإذا منهم شخص قتل سقط معه الجميع الذين كانوا مقيدين معه وقتل منهم المسلمون في هذه المرحلة خلقًا كثيرًا قدر عددهم بمئة ألف وعشرون ألفا، والناجون منهم قد انسحب منهم إلىٰ فحل والقسم الآخر إلىٰ دمشق داخل بلاد الشام[2].

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان، وقاتل قتالاً شديدًا، وذلك أن أباه مرّ به فقال له: يا بني عليك بتقوىٰ الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محقوقًا بالقتال، فكيت بك وبأشباهك الذين ولوا المسلمين؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب، ولا أجرأ علىٰ عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله فقاتل يومئذ قتالاً شديدًا وكان من ناحية القلب (رضي الله عنه)،[3] وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ المعسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد[4]، وأخر الناس صلاتي العشاء حتىٰ استقر الفتح[5]، وأكمل خالد ليلته في خيمة تَذَارق أخي هرقل- وهو أمير الروم كلهم يومئذ [6]- ، وهرب فيمن هرب وباتت الخيول تجول حَول خيمة خالد يقتلون من مَرّ بهم من الروم حتىٰ أصبحوا، وقتل تَذارق وكان له ثلاثون سرادقًا، وثلاثون رواقًا من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم[7]، وكان عدد شهداء المسلمين بثلاثة آلاف بينهم من صحابة النبي (ﷺ) وشيوخ المسلمين وأقطابهم وممن استشهد من هؤلاء عكرمة بن أبي جهل، وابنه عمرو وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد وغيرهم[8]،

(١) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٧١، فتوح البلدان - للأزدي ص١٧١ .
(٢) العمليات التعرضية والدفاعية ص١٧٥ .
(٣) فتوح البلدان - للأزدي ص٢٢٨ .
(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٧٣ .
(٥) نفس المصدر ص١٧٣ .
(٦) المصدر السابق ص١٧٣ .
(٧) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٧٣ .
(٨) العلميات التعرضية والدفاعية ص١٧٩ .

وكان عدد قتلى الروم بمائة وعشرون ألفا ثمانون ألف مقيد بالسلاسل، وأربعون ألفًا مطلق سقطوا جميعهم في الوادي[١]، لقد فرح المسلمون بهذا النصر العظيم، وعكّر ذلك الفرح وصول خبر وفاة الصديق حيث حزنوا عليه حزنًا شديدًا، وعوضهم الله (تعالى) بالفاروق (رضي الله عنهم) أجميعن،[٢] وقد كان البريد قد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم فكتم خالد ذلك عن المسلمين لئلا يقع في صفوفهم وهن أو ضعف، فلما تم النصر وأصبحوا أجلى لهم الأمر، وكان الفاروق قد عين أبا عبيدة بن الجراح بدلا من خالد بن الوليد على جيوش الشام، وتقبل خالد أمر الفاروق برحابة صدر[٣]، وعزّى المسلمين في خليفة رسول الله وقال لهم: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إليّ من عمر، والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر وألزمني حبه[٤]، وتولى أبو عبيدة القيادة العامة لجيوش الشام.

ومما قيل من الأشعر في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو:

ألم تَرنا على اليرموك فُزنا ∴ كما فُزنا بأيام العراق

وعذراء المدائن قد فتحنا ∴ ومرجَ الصفر بالجرد العتاق[٥]

فتحنا قبلها بُصرى وكانت ∴ محرمة الجَناب لدى النعاق[٦]

قتلنا من أقام لنا وفينا ∴ نهابُهُمُ بأسياف رقاق

قتلنا الروم حتى ما تساوى ∴ على اليرموك معروق الوراق

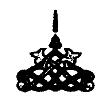
فضضنا جمعهم لما استجالوا ∴ على الواقوص بالبتر الرقاق[٧]

غداة تهافتوا فيها فصاروا ∴ إلى أمرٍ يعضّلُ بالذواق[٨]

وقد أصاب هرقل هما وحزنًا، لما أصاب جيشه في اليرموك ولما قدمت على أنطاكية فلول جيشه قال هرقل: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن. قال فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عمّا يرضي الله ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني[٩].

---

(١) نفس المصدر ص١٧٩ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٤).
(٣) نفس المصدر (٧/ ١٦).
(٤) المصدر السابق (٧/ ١٤).
(٥) العتاق: الخيول.
(٦) النعاق: صوت الغراب.
(٧) الواقوص: اسم موضع، البتر الرقاق: السيوف القاطعة.
(٨) البداية والنهاية (٧/ ١٥).
(٩) البداية والنهاية (٧/ ١٥ ـ١٦).

 المبحث الثالث 

أهم الدروس والعبر والفوائد

أولاً: من معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق:

رسمت خلافة الصديق (رضي الله عنه) أهدافًا في السياسة الخارجية، للدولة الإسلامية والتي كان من أهمها:

١- بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى:

فقد حققت سياسة الصديق هذا الهدف، بطرق عديدة منها:

أ- وصول أخبار الانتصارات التي أيد الله بها الأمة المسلمة في حروب الردة مما ساعد على وأد هذه الفتنة وتثبيت أركان الدولة، ومثل هذه الأخبار تصل إلى الدول المجاورة وبخاصة إذا كانت تتابع أنباء الدولة الإسلامية وترقب حركتها وترى فيها خطرًا جديدًا يهددها، وللفرس والروم في ذلك الوقت قدرة على معرفة الحوادث والأمور فلما وصلت أنباء المرتدين وثبات الناس على الدين أدركت الدولتان أن بنيان هذه الأمة الجديدة يستعصي على المؤامرات ويتجاوز المحن والابتلاءات، وهذا له وقعة في نشر هيبة دولة الإسلام.

ب- جيش أسامة: ظهر لجيش أسامة الذي أنفذه الصديق أثر بالغ في نشر هيبة الدولة الإسلامية، وقد جعل الروم يتساءلون عن الجيش الذي حاربهم وعاد منتصرًا إلى عاصمة دولته فامتلأت قلوبهم فزعا حتى حشد هرقل عشرات الألوف من جيشه على الحدود، فقد نقلت تلك الأخبار إلى بلاد كسرى وتناقلها الناس مما كان له الأثر في هيبة المسلمين في قلوب هذه الدول[1].

٢- مواصلة الجهاد الذي أمر به النبي (ﷺ):

قام الصديق بمواصلة الجهاد لتأمين الدعوة ووصولها للناس، فجهز الجيوش وندب الناس للخروج إلى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الحق، وإزاحة الطواغيت الذين رفضوا دعوة النبي (ﷺ) لهم بالإسلام، وصمموا على حجب نور الحق عن شعوبهم، وقد خرج الناس يلبون هذه الدعوة الحبيبة إلى النفوس تحت لواء قادة أصحاب بلاء وجهاد في سبيل الله أمثال خالد، وأبي عبيدة، وعمرو، وشرحبيل، ويزيد (رضي الله عنهم) اختارهم خليفة محنك مجرب ذو ملكة

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٥٩، ٢٦٠ .

عسكرية عجيبة صقلتها الظروف التي أحاطت به والأزمات الخطيرة التي أحدقت بأمته، مما دفعه إلى العناية بهذه الناحية فاختار القواد أحسن اختيار وأمدهم بتوجيهاته وإرشاداته ففتحوا الشام والعراق في أقصر وقت ممكن وبأقل كلفة متاحة[1].

٣ - العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها:

كانت السياسة الخارجية للصديق قائمة على بسط لواء العدل على الديار المفتوحة ونشر الأمن والطمأنينة بين أهلها حتى يحس الناس بالفرق بين دولة الحق ودولة الباطل، وحتى لا يظن الناس أنه قد ذهب جبار ظالم ليحل مكانه من هو أشد منه أو مثله في ظلمه وجبروته، ووصى أبو بكر قواده بالرحمة والعدل، والإحسان إلى الناس، فإن المغلوب يحتاج إلى الرأفة، وتجنب ما يثير فيه حمية القتال، وحافظ المسلمون الفاتحون على الإنسان والعمران فشاهدت الشعوب المفتوحة خلقًا جديدًا في ذوق رفيع، وإنسانية صادقة، فقام ميزان الشريعة بين الأمم المغلوبة بالقسط، وانتشر نور الإسلام فأخذ يعد له مجامع القلوب، فسارعت الشعوب إلى اعتناق هذا الدين والانضواء تحت لوائه، وكان جند الأعاجم من الفرس أو الروم إذا وطئوا أرضا دنسوها، ونشروا فيها الرعب والفزع وانتهكوا الحرمات مما قاسى منه الناس الويل والثبور وتناقلت الأجيال قصصه المرعبة والمفزعة جيلاً بعد جيل وقبيلاً إثر قبيل فلما جاء الإسلام ودخل جنده هذه الديار، فإذا بالناس يجدون العدل يبسط رداءه فوق رؤوسهم ويعيد إليهم آدميتهم التي انتزعها الظلم والطغيان، وقد حرص الصديق على هذه السياسة حرصا عظيما وكان يقوم أي عوج يظهر أو خطأ يقع روى البيهقي: أن الأعاجم كانوا إذا انتصروا على عدو استباحوا كل شيء من ملك أو أمير وكانوا يحملون رؤوس البشر إلى ملوكهم كبشائر للنصر وإعلان للفخر، فرأى أمراء المسلمين في حروب الروم أن يعاملوهم بنفس معاملتهم، فبعث عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة برأس (بنان) أحد بطارقة الشام إلى أبي بكر مع عُقبة ابن عامر فلما قدم عليه أنكر ذلك، فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله إنهم يصنعون ذلك بنا فقال: أفيستنان بفارس والروم، لا يحمل إلي رأس إنما يكفي الكتاب والخبر[2].

٤ - رفع الإكراه على الأمم المفتوحة:

من معالم السياسة الخارجية عند الصديق (رضي الله عنه) رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة فلم يكره أحد من الأمم أو الشعوب على دينه بالقوة، وهو في هذا ينطلق من قول الله (تعالى): ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس، آية: ٩٩). والمسلمون أرادوا من الفتوحات إزالة الطغاة وفتح الأبواب أمام الشعوب لترى نور الإسلام أما وقد أزيل كابوس الظلم عن الناس فليتركوا أحرارًا ولا يكرهوا على شيء طالما حافظوا على عهدهم مع المسلمين والذي كان يشمل في بنوده:

أ- أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

---

(١) نفس المصدر ص٢٦٠ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٢٣ .

ب- أن لا يكون لهم مكان في بعض الوظائف كالجيش.

جـ- أن لا يكوِّنوا جهة معادية للإسلام في شعائره أو عباداته أو شريعته.

هـ- إذا غير أحدهم دينه السابق فلا يقبل منه إلا الإسلام.

وتقوم دولة الإسلام بتفسير الإسلام لهم عمليًا ونظريًا بحيث يؤدي ذلك إلى اقتناعهم بهذا الدين ليدخلوا فيه عن رغبة فإن العقائد لا تستقر بالإكراه(١).

ثانيا: من معالم التخطيط الحربي عند الصديق:

إن المطالع للفتوحات في عهد الصديق (رضي الله عنه) يمكن له أن يستنتج خطوطًا رئيسة للخطة الحربية التي سار عليه، وكيف تعامل هذا الخليفة العظيم مع سنة الأخذ بالأسباب؟ وكيف كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين ومن هذه الخطوط ما يلي:

١- عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين:

كان الصديق (رضي الله عنه) حريصًا أشد الحرص على عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، وقد كان ذلك واضحًا تمام الوضوح في جبهات العراق والشام، ففي فتوح العراق، أرسل الصديق (رضي الله عنه) إلى خالد وعياض بتكليفهما بغزو العراق من جنوبه وشماله وجاء في الكتاب: وأيكما ما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فَضَضْتُما مسالح ما بين العرب وفارس(٢)، وأمنتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليُقم بالحيرة أحدكم وليقتحم الآخر على القوم وجالدوهم عما في أيديهم واستعينوا بالله واتقوه، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة(٣)، وهذا الكتاب الجليل يدل على فكر أبي بكر العالي وتخطيطه الدقيق، وقبل ذلك توفيق الله له، فقد جاء تخطيطه الحربي موافقًا تمامًا لما اقتضته مصلحة الجيوش الإسلامية أثناء تطبيق هذه الخطة الحكيمة، وقد شهد ببراعة أبي بكر في التخطيط الحربي أخبر الناس بالحروب آنذاك وهو خالد ابن الوليد، فإنه لما نهض للقيام بمهمة عياض في فتح شمال العراق، ونزل بكربلاء واشتكى إليه المسلمون ما وقعوا فيه من التأذي بذُبابها الكثيف قال لعبد الله بن وثيمة: اصبر فإني إنما أريدُ أن أستفرغ المسالح التي أمر بها عياض فنُسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم، وتجيئنا العرب آمنة وغير متعتعة، وبذلك أمرنا الخليفة، ورأيه يعدل نجدة الأمة(٤).

وقد سار على هذه الخطة بالعراق المثنى بن حارثة حيث يقول ذلك القائد الفذ: قاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب، ولا تقاتلوهم بعقر دارهم، فإن

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٦٣ .

(٢) يعني تفريق التجمعات الحربية التي دون بلاد فارس.

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٨٨، ١٨٩).

(٤) نفس المصدر (٤/ ١٨٩).

يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم[١]، وأما في فتوحات الشام، فقد كانت الصحراء من خلف المسلمين حماية لهم ومع هذا كان المسلمون يتأكدون أولا من أن عدوهم قد انقطع أمله في مفاجأتهم من خلف ظهورهم، وأن يستولوا على ما يقع بيمينهم وشمالهم من المدن والبلاد، وسدّ كل ثغر بالمقاتلة، وقد كانت تلك القاعدة مرعية عندهم يحرصون عليها أشد الحرص[٢].

٢- التعبئة وحشد القوات:

عندما تولى الصديق الخلافة وضع من خطوط الإعداد الحربي: التعبئة وحشد القوات، وقد ناد المسلمين لحروب الردة ثم استنفرهم بعدها للفتوحات وأرسل إلى أهل اليمن كتابه المعروف في ذلك[٣].

٣- تنظيم عملية الإمداد للجيوش:

حينما تطورت معارك الجبهة الشرقية ووجد قائدا الجبهة - خالد والمثنى- أنهما في حاجة إلى مدد بشري لأن الطاقة التي معهما لا تستطيع تلبية المعركة في متطلباتها وواجباتها فكتبا إلى الصديق (رضي الله عنه) يلتمسان المدد فقال لهما: استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن بقى على الإسلام بعد رسول الله (ﷺ) ولا يغزون أحد ارتد حتى أرى رأيي[٤]، وشرع في إمداد جبهات العراق والشام حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

٤- تحديد الهدف من الحرب:

وضعت هذه النقطة في خطة الحرب الإسلامية في الفتوحات لتكون هدف العمليات الذي يسعى إليه الجميع، وقد وضع الصديق خطته في هذه القضية على أساس أن يعلم كل فرد مقاتل أن هدف المسلمين من هذه الفتوحات نشر الإسلام وتبليغه إلى الشعوب بإزالة الطواغيت الذين يحرمون شعوبهم من هذا الخير العميم، فقد كان القادة يعرضون على عدوهم قبل المعركة واحدة من ثلاث: الإسلام أو الجزية أو الحرب[٥].

٥- إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات:

قاد الصديق (رضي الله عنه) بنفسه أولى العمليات الحربية ضد المرتدين، ونظم الجيوش لحربهم ولم يهمل بقية المسارح فوجه أسامة إلى الشام، والمثنى إلى العراق، وكرس جهود المسلمين في السنة الأولى للقضاء على الردة، وعندما تمت عملية إعادة توحيد الجزيرة وأصبح بالإمكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة، وجه ثقل العمليات إلى الجبهتين العراقية والشامية، وعندما احتاجت الجبهة الشامية إلى المدد، نقل الصديق محور ثقل الهجوم إلى الشام، ووجه خالداً

---

(١) الإصابة (٥/٥٦٨) رقم ٧٧٣٦، تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٣١ .
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٣١ . (٣) نفس الصدر ص٣٣٢ .
(٤) تاريخ الطبري (٤/١٦٣). (٥) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٣٢ .

إليه- وترك المثنى في الجبهة العراقية.

٦- عزل ميدان المعركة:

عندما بدأ الصديق (رضي الله عنه) باستنفار القوات لحرب الروم والفرس أرسل خالد بن سعيد إلى تبوك بمهمة إلى مناطق الحشد، ومحاور التقدم، وأمره أن يكون ردءًا للمسلمين، وعندما فشل في هذا الواجب وتجاوزه قام عكرمة بن أبي جهل به[١].

٧- التطور في أساليب القتال:

كتب الصديق إلى أبي عبيدة عندما بلغه تقدم جيوش الروم وانضمام أهل دمشق إليهم ما يلي: بث خيولك في القرى والسواد، وضيق عليهم الميرة والمادة، ولا تحاصروا المدائن حتى يأتيك أمري[٢]، وعندما دعمه بقوات كافية كتب له: فإن ناهضوك، فانهد لهم واستعن بالله عليهم فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم[٣].

٨- سلامة خطوط الاتصال مع القادة:

كانت خطوط الاتصال بين الصديق وقادة المعارك منظمة ومنتظمة بحيث تصل المكاتبات من القادة في أمان، وتصل ردود الخليفة في سرية تامة وسرعة متقدمة لا تسمح للعدو أن يفاجأ المسلمين بشيء لا يتوقعونه، وهكذا كانت الخطط الحربية عند المسلمين محكمة دقيقة مما كان عاملاً من عوامل دحر الأعداء والتغلب عليهم بفضل الله في حركة الفتوح[٤].

٩- ذكاء الخليفة وفطنته:

امتازت الخطط الحربية الإسلامية في بداية الفتوحات بوجود العقل المدبر، ذي الفطنة والذكاء، والكياسة والفراسة، وهو الصديق وقد ساعد أبو بكر على فهمه الواسع للتخطيط العسكري طول ملازمته للنبي (ﷺ)، فقد تربى على تعليمه وتوجيهاته، فكسب علومًا شتى، وخبرات متنوعة، فقام بعد رحيل رسول (ﷺ) في مقام الخلافة خير قيام، فحمل البصيرة الواعية، وزود الجيش بالنصائح الغالية، وأرسل الإمدادات في أوقاتها تسعف المجاهدين، وتمدهم بالهمة والعزيمة الماضية[٥].

ثالثا: حقوق الله، والقادة، والجنود من خلال وصايا الصديق:

١- حقوق الله:

بين الخليفة في توجيهاته للقادة والجنود حقوق الله تعالى، كمصابرة العدو، وإخلاص قتالهم لله، وأداء الأمانة، وعدم المماثلة والمحاباة في نصرة دين الله.

---

(١) نفس المصدر ص٣٣٤ .
(٢) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٤٨ .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٣٤ .
(٤) نفس المصدر ص٣٣٤ .
(٥) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٣٦ .

أ- مصابرة العدو:

حين وجه أبو بكر (رضي الله عنه) عكرمة بن أبي جهل (رضي الله عنه) إلى عمان كان مما أوصاه به قوله: واتق الله فإذا لقيت العدو فاصبر، كما قال الصديق (رضي الله عنه) لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص: عندما وجهه مددًا لجند الشام: إذا لقيت عدوك فاصبر [١] وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحًا إن الله لايضيع أجر المحسنين[٢].

ب- أن يقصدوا بقتالهم نصرة دين الله:

فقد جاء في خطاب الصديق لخالد حين أمره بالذهاب للشام ما يفيد هذا المعنى حيث ذكره بأن يجتهد ويخلص النية لله وحده، وحذره من العجب بالنفس والزهو والفخر فذلك حظ النفس الذي يفسد العمل على العامل ويرده في وجهه، كما حذره أن يدل ويمن على الله بالعمل الذي يعمله فإن الله هو المان به إذ التوفيق بيده سبحانه[٣] وهذا بعض ما جاء في تلك الرسالة: . . . فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن وهو ولي الجزاء[٤].

جـ- أداء الأمانة:

وقد كانت توجيهات الصديق لأمرائه وجنوده واضحة في وجوب أن يؤدوا الأمانة فيما حازوه من الغنائم، ولا يغل أحد منهم شيئًا بل يحمل جميعه إلى المغنم ليقسم بين جميع الغانمين ممن شهدوا الواقعة وكانوا على العدو يدًا واحدة[٥]، وعلى سبيل المثال ما جاء في وصية الصديق ليزيد بن أبي سفيان في النهي عن الغلول[٦]، هذه بعض توجيهات الصديق مما يتعلق ببعض حقوق الله على القادة والجنود.

٢- حقوق القائد:

وقد بين الخليفة الصديق حقوق القادة على الجنود والرعية، كالتزام طاعته، والمسارعة إلى امتثال أمره، وعدم منازعته في شيء من قسمة الغنائم وغير ذلك.

أ- التزام طاعته:

فعندما تولى أبو بكر (رضي الله عنه) بعد أن تولى الخلافة كان أول شيء نبه المسلمين إليه في خطاب التولية أنه سائر على نهج رسول الله (ﷺ) كما ذكّر بالطاعة حيث قال: واعلموا أن ما أخلفتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها[٧]، وألزم قادته بالطاعة لبعضهم فمن ذلك ما كتبه إلى

(١) عيون الأخبار (١/١٨٨).
(٢) فتوح الشام - للأزدي ص٣٤ .
(٣) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٥ .
(٤) تاريخ الطبري (٤/٢٠٢).
(٥) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/٤٦).
(٦) تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص١٢١ .
(٧) تاريخ الطبري (٤/٤٤).

المثنى بن حارثة الشيباني بقوله: إني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك ثم ساعده ووازره وكاتفه ولا تعصين له أمرًا ولا تخالفوا له رأيًا، فإنه من الذين وصف الله تبارك و(تعالى) في كتابه فقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾[1] (سورة الفتح، آية: ٢٩).

كذلك أخذ أبو بكر (رضي الله عنه) يوصي في خلافته جيوش المسلمين المتجهة لفتح بلاد الشام بالطاعة فقال لهم: أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين عن كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون،[2] فكان جوابهم له بقولهم: أنت أميرنا ونحن رعيتك فمنك الأمر ومنا الطاعة فنحن مطيعون لأمرك وحيثما توجهنا نتوجه[3]، وعندما عين الصديق خالد بن الوليد إدارة جيوش الشام طلب من أبي عبيدة بأن يسمع ويطيع لأمر خالد بن الوليد لفطنته وعلمه بالحرب، ولما وصل خالد بن الوليد للشام طلب من أبي عبيدة بن الجراح بأن يبعث إلى أهل كل راية، ويأمرهم أن يطيعوه فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس، فأمره بذلك فخرج الضحاك يسير في الناس طالبا منهم طاعة القائد الجديد لجيوش الشام خالد بن الوليد فيما يأمرهم به، فأجاب الناس بالسمع والطاعة[4].

ب- أن يفوضوا أمرهم إلى رأيه:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة النساء، آية: ٨٣). جعل الله تفويض الرعية الأمر إلى ولي الأمر سببا لحصول العلم وسداد الرأي، فإن ظهر لهم صواب خفي عليه بينوه له وأشاروا به عليه ولذلك ندب إلى المشاورة ليرجع بها إلى الصواب[5]، وفي خلافة الصديق نرى أبا بكر (رضي الله عنه) كلف أمراء وقادة جيوشه بالتوجه إلى الشام، وفوض لهم أمر الجيوش حيث قال لهم: يا أبا عبيدة ويا معاذ ويا شرحبيل، ويا يزيد، أنتم من حماة هذا الدين وقد فوضت إليكم أمر هذه الجيوش فاجتهدوا في الأمر واثبتوا وكونوا يدًا واحدة في مواجهة عدوكم[6]، ثم أمر القادة بمراعاة أحوال الجنود وتقديم الإخلاص، والاتحاد حتى لا تختلف آراؤهم[7]، وأضاف الصديق قائلاً: فإذا قدمتم البلد ولقيتم العدو واجتمعتم على قتالهم فأميركم أبو عبيدة بن الجراح وإن لم يلقكم أبو عبيدة وجمعتكم حرب فأميركم يزيد بن أبي سفيان[8]، وهكذا فوض خليفة رسول

---

(١) فتوح الشام - للأزدي ص٦٠، ٦١.
(٢) نفس المصدر ص٥.
(٣) الفتوح - ابن أعثم (١/ ٨٢).
(٤) فتوح الشام - للأزدي ص١٨٩.
(٥) الأحكام السلطانية - للماوردي ص٤٨.
(٦) فتوح الشام - للأزدي ص٧.
(٧) الفتوح - ابن أعثم (١/ ٨٤).
(٨) فتوح الشام ص٧.

الله (رضي الله عنه) إدارة العسكر إلى رأي أحد قادته ووكله إلى تدبيره حتى لا تختلف آراؤهم، وأكد على ذلك عندما قال لعمرو بن العاص: أنت أحد أمرائنا هناك فإن جمعتكم حرب فأميركم أبو عبيدة بن الجراح[١]، وكان ذلك رأيه أيضًا مع قادة العراق حيث قال للمثنى بن حارثة: إني بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق... فما أقام معك فهو الأمير فإن شخص عنك فأنت على ما كنت عليه والسلام عليك[٢].

جـ- المسارعة إلى امتثال أمره:

ففي حروب الردة كتب أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد في أمر مسيلمة الكذاب فقد أمره بالمسير إليه فجمع خالد بن الوليد أصحابه وقرأ عليهم الكتاب وسألهم الرأي فأجابوه بقولهم: الرأي رأيك وليس فينا أحد يخالف أوامرك[٣]، كما كتب الصديق (رضي الله عنه) لخالد بن الوليد أثناء مقامه بالعراق بالخروج في شطر الناس إلى الشام، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة وقال له: لا تأخذ نجدًا إلا خلفت له نجدًا، فامتثل خالد للأمر وقسم الجند نصفين[٤]، وكتب إلى عمرو بن العاص بالسير من بلاد قضاعة إلى اليرموك، ففعل، وبعث بأبي عبيدة ويزيد وأمرهما بالإغارة وألا يوغلوا في بلاد الشام حتى لا يكون وراءهم أحد من العدو، وقد استجاب القادة والجنود لتوجيهاته، وأوامر الصديق (رضي الله عنه)[٥].

د- عدم منازعته في شيء من قسمة الغنائم:

سار أبو بكر (رضي الله عنه) في خلافته على نهج الرسول (ﷺ) في تقسيم الغنائم، فبعد انتهاء خالد بن الوليد (رضي الله عنه) من معركة اليمامة كتب إلى الصديق (رضي الله عنه) يخبره بما فتح الله عليه وما أغنمه منهم، فكتب إليه أبو بكر قائلاً: اجمع الغنائم والسبي وما أفاء الله عليك من مال بني حنيفة فأخرج من ذلك الخمس ووجه به إلينا ليقسم فيمن بحضرتنا من المسلمين، وادفع إلى كل ذي حق حقه والسلام، وهذا ما كان يفعله جميع قادة أبي بكر (رضي الله عنه) في إدارتهم العسكرية في قسمة الغنائم، ولم ينازعهم الجند في شيء من قسمتها والتسوية بينهم فيها[٦].

٣- حقوق الجند:

بين الصديق (رضي الله عنه) من خلال وصاياه ورسائله حقوق الجند، كاستعراضهم، وتفقد أحوالهم، والرفق بهم في السير، وأن يقيم عليهم العرفاء والنقباء، واختيار مواضع نزولهم لمحاربة العدو، وإعداد ما يحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة، والتعرف على أخبار العدو بالجواسيس الثقات لسلامة الجند، وتحريضهم على الجهاد، وتذكيرهم بثواب الله وفضل الشهادة، ومشاورة ذوي الرأي منهم، وأن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق، وأن ينهاهم عن الاشتغال عن الجهاد بتجارة وزراعة ونحوها[٧] وإليك تفصيل بعض هذه النقاط:

---

(١) فتوح الشام ص٤٨ . (٢) الوثائق السياسية - حميد الله ص٣٧١ .
(٣) الفتوح - ابن أعثم (١/٢٩).
٤) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية - سليمان آل كمال (١/١١٢).
(٥) نفس المصدر (١/١١٣). (٦) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٢٠).
(٧) نفس المصدر (١/ ١٣١ إلى ٢٥٥).

أ- استعراضهم وتفقد أحوالهم:

فقد رأينا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما طرق المرتدين المدينة المنورة أخذ أهلها بحضور المسجد وقال لهم: إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهارًا وأدناهم منكم على بريد[١]، وأخذ (رضي الله عنه) يعرض أصحابه ثم يعين منهم على أنقاب المدينة نفرًا للحراسة[٢]، وعندما اجتمع جيش فتوح الشام عد أبو بكر (رضي الله عنه) على دابته حتى أشرف على الجيش فنظر إليهم وقد ملأوا الأرض فتهلل وجهه وأخذ يعرضهم قبل سيرهم ويوصيهم ويدعو لهم وعقد لهم الألوية ومشى معهم نحوا من ميلين[٣].

ب- الرفق بالجند في السير:

فقد أوصى أبو بكر خالد بن الوليد في حروب الردة بالرفق بمن معه وأن يتخذ الأدلاء في مسيره[٤]، وأوصى سائر أمراء الردة بذلك،[٥] وفي فتوح العراق عندما عقد خالد بن الوليد معاهدة الصلح مع أهل أليس[٦]، وغيرهم كان من ضمن شروط المعاهدة يبذرقوا [٧] المسلمين ويكونوا أدلاء وأعوانا لهم على الفرس لأنهم أعرف وأعلم بطرق بلادهم من غيرهم[٨]، وحين كلف أبو بكر (رضي الله عنه) خالد بن الوليد بالتوجه من العراق إلى الشام مددًا وعونا لهم دعا خالد الأدلاء وتشاور معهم حول سيرهم في طريق المفازة إلى الشام لأنه أسرع الطرق وأسرعها لنجدة إخوانه ثم رافقه منهم رافع بن عميرة الطائي دليلاً[٩]، وأوصى الصديق (رضي الله عنه) يزيد ابن أبي سفيان عندما وجهه إلى الشام؛ بقوله: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك[١٠]، وعندما جد الجند في السير ذكر أحدهم يزيد بوصية أبي بكر له بالرفق بهم في السير وأن يلتزم بها [١١] كما أوصى الصديق عمرو بن العاص عندما وجهه إلى فلسطين بقوله له: وكن والدًا لمن معك وأرفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف[١٢]، وقد امتثل قادة الصديق (رضي الله عنه) لأمره بالرفق بالجند في مسيرهم وأصبحوا لا يسيرون إلى قتال الأعداء إلا ومعهم أدلاء يدلونهم على أسهل الطرق وأوفرها ماء وعشبا حتى يتمكنوا من مواصلة سيرهم نحو العدو، من غير إهدار لقوتهم أو تحطيم لمعنوياتهم[١٣].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤). (٢) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤).

(٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٣٦).

(٤) نفس المصدر (١/ ١٤٧). (٥) مآثر الأنافة - للقلقشندي (٣/ ١٤٠).

(٦) أليس: قرية من قرى الأنبار. (ياقوت - معجم البلدان، ١/ ٢٤٨).

(٧) البذرقة: الخفارة والحراسة وهي الجماعة تتقدم القافلة لتحرسها وأصل الكلمة فارسية.

(٨) الخراج - لأبي يوسف ص٢٩٤ .

(٩) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٤٨).

(١٠) فتوح الشام - للواقدي (١/ ٢٣).

(١١) نفس المصدر (١/ ٢٣).

(١٢) المصدر السابق (١/ ١٣٠).

(١٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٤٩).

ت- أن يجعل لكل طائفة شعارًا يتداعون به:

ففي بعثة جيش أسامة لقتال الروم كان شعارهم: يا منصور أمت[١]، وفي حروب الردة عند مسير خالد بن الوليد نحو مسيلمة الكذاب باليمامة كان شعارهم يومئذ: يا محمداه، يامحمداه،[٢] وشعار تنوخ في فتوح العراق (يا آل عباد الله)[٣]، وفي فتوح الشام باليرموك نجد أن لكل قائد وقبيلة شعارًا مميزًا يميزها عن غيرها اتخذته ليستدل به عليها وكانوا يجهرون به عند القتال ويتعارفون به، فكان شعار أبي عبيدة: أمت أمت، وشعار خالد بن الوليد ومن معه: يا حزب الله، وشعار قبيلة عبس يالعبس، وشعار اليمن من أخلاط الناس يا أنصار الله، وشعار حمير الفتح، وشعار دارم والسكاسك (الصبر الصبر)، وشعار بني مراد يا نصر الله انزل، فهذه كانت أبرز الشعارات في معركة اليرموك[٤].

ث- أن يتصفحهم عند مسيرهم:

ومن وصايا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لقواده حين بعث بهم في حروب الردة: وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ماهم، لئلا يكونوا عيونًا، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم[٥]، كما أمر قادته بعدم الإستعانة بالمرتدين في جهاد العدو وذلك احتراسًا وحرصًا على سلامة جند المسلمين[٦]، كذلك أوصى الصديق (رضي الله عنه) قادة فتوح الشام بالحذر والحيطة والتيقظ من رسل العدو حتى لا يتعرفوا على ما بجيشهم من ثغرات، ومكامن ضعف وأمرهم بأن لا يخالطوا العسكر ولا يحدثوهم فمن ذلك قوله ليزيد ابن أبي سفيان: وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فإنه أول خيرك إليهم، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذي تلي كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيمرج[٧] عملك[٨].

جـ- حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم:

وظهر ذلك عندما وضع الصديق الحرس على أنقاب المدينة خشية أن تطرقها بعض القبائل المرتدة، وحين وجه (رضي الله عنه) خالد بن الوليد إلى حرب أهل الردة حذره من البيات والغرة وقال له: واحترس من البيات فإن في العرب غرة[٩]، كما أوصى أمراء وقادة فتوح الشام بالإحتراس ونشر الحرس على العسكر لحفظهم من الأعداء، وأن يقوموا بالتفتيش المفاجئ على الحرس حتى يتأكدوا من قيامهم بمهامهم المعدين لها فمن ذلك ما قاله ليزيد بن أبي سفيان: وأكثر حرسك وأكثر مفاجآتهم في ليلك ونهارك[١٠]، وقال لعمرو بن العاص: وأمر أصحابك

---

(١) الطبقات - لابن سعد (٢/ ١٩١).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١١١).
(٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٧٤).
(٤) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٧٤).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٧١، ٧٢).
(٦) نفس المصدر (٤/ ١٦٣).
(٧) المرج: الفساد، والقلق، والاختلاط، والإضطراب.
(٨) مروج الذهب - للمسعودي (٢/ ٣٠٩).
(٩) نهاية الأرب - للنويري (٦/ ١٦٨).
(١٠) مروج الذهب (٢/ ٣٠٩).

بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعًا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك، وأقم بينهم وأجلس معهم[١]، وحذى قادة الصديق (رضي الله عنه) حذوه في اتخاذ الحرس على العسكر في مقامهم وسيرهم[٢].

ح- إعداد ما يحتاج إليه العسكر من زاد وعلوفة:

فقد كان الصديق (رضي الله عنه) يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعلها في سبيل الله[٣]، إلى جانب ما يكسبه ويغنمه العسكر من العدو[٤]، وحينما كلف الصديق خالد بن الوليد بمحاربة المرتدين كان مما أوصاه به إذا دخل على أرض العدو أن لا يسير إليهم إلا وهو مستظهر بالزاد[٥]، وكان قادة الصديق أثناء مصالحتهم للعدو يشترطون عليهم أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين بما يحل من طعامهم وشرابهم،[٦] وقد سمح أبو بكر (رضي الله عنه) لجند الشام أثناء ما أوصاهم بأنهم إذا عقروا شاة أو بعيرًا للعدو لا يعقرونها إلا للأكل[٧].

خ- ترتيب الجند في مصاف الحرب:

استعمل قادة الصديق في معاركهم الحربية نظام الصف، والصفوف تزيد وتنقص بحسب ما يقتضيه الموقف ويراه القائد في ميدان القتال [٨] إلا أن خالد بن الوليد في معركة اليرموك أدخل نظام الكراديس في أعينهم، وذلك لأن نظام الكراديس عبارة عن مجموعة من الجند تقف في صفوف لا تكون منفصلة عن الأخرى بينهما مسافات متباعدة مما يسهل ذلك عليها عملية الحركة وزيادة الانتشار فمن قول خالد للجند لاستخدامه لنظام الكراديس: إن عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس[٩]، فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس، وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة، وعليها يزيد بن أبي سفيان وهكذا حيث خرج في ستة وثلاثين كردوسًا إلى الأربعين، وخرج في تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك ووزع المهام الإدارية بين القيادة[١٠]، إلا أن نظام الصف ظل قائمًا ومعمولاً به في النظام الحربي الإسلامي بعد اليرموك[١١].

د- تحريضهم على القتال:

كان الصديق (رضي الله عنه) يحرّض المجاهدين على القتال ويقوي نفوسهم بما يشعرهم من الظفر، ويذكر لهم أسباب النصر ليقل العدو في أعينهم فيكونوا عليه أجرأ وبالجرأة يسهل الظفر[١٢]، فقد حرض وحض أبو بكر خالد بن الوليد على القتال بقوله: احرص على الموت

(١) فتوح الشام - للواقدي (١/ ٢٣).
(٢) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ١٩٦).
(٣) نفس المصدر (١/ ٢١٥).
(٤) الخراج - لأبي يوسف ص ٢٨٦، ٢٨٧.
(٥) نهاية الأرب - للنويري (٦/ ١٦٨).
(٦) الخراج - لأبي يوسف ص٢٨٩.
(٧) نهاية الأرب - للنويري (٦/ ١٦٨).
(٨) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٣١).
(٩) تاريخ الطبري (٤/ ٢١٥).
(١٠) نفس المصدر (٤/ ٢١٥).
(١١) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٣٢).
(١٢) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٣٤).

توهب لك الحياة،[١] وعندما عقد الألوية لجيوش الشام أخذ يحرضهم ويحضهم على الجهاد في سبيل الله ويوصيهم، ويدعو لهم بالنصر على الأعداء[٢].

ذ- أن يذكرهم بثواب الله وفضل الشهادة:

فمما قاله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في تلك الجيوش المتوجهة إلى الشام قوله: ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي التجارة التي دل عليها ونجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة[٣].

ر- أن يشاور ذوي الرأي منهم:

وهذا ما فعله الصديق في حروب الردة، وفتوحات الشام، وكثير من القضايا الفقهية والمستجدات التي تحدث في المجتمع المسلم، وقد طلب من القادة أن يتناصحوا ويتشاوروا [٤] وقد كان الصديق قدوة في ذلك، ففي حروب الردة دعا عمرو بن العاص وقال له يا عمرو إنك ذو رأي في قريش وقد تنبأ طليحة فما ترى واستشاره ثم سأله عن خالد بن الوليد عند اختياره لقيادة الجند فأجابه يسوس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ووثوب الأسد فعقد له[٥]، وسار خالد بن الوليد لما كلف به وأخذ يستشير من معه لإعداد الخطة لمحاربة المرتدين ويخبر القيادة العليا بما استقر عليه رأي الجند،[٦] وحين أراد أبو بكر (رضي الله عنه) أن يغزو الروم ويعد الجيوش لفتح بلاد الشام شاور في ذلك جماعة من أصحاب رسول الله وبعد أن أخذ رأيهم وما أجمعوا عليه أمر الجند بالتجهيز للتوجه لما أمروا به[٧]، وكان مما أوصى به الصديق (رضي الله عنه) أمراء وقادة جند الشام بأن يعملوا بالمشورة، فمن ذلك ما قاله ليزيد بن أبي سفيان: هذا ربيعة بن عامر[٨] من ذوي العلاء والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته إليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك ولا تخالفه،[٩] قال يزيد حبًا وكرامة، وأضاف أبو بكر (رضي الله عنه) قائلاً: إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولاتغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل[١٠]، كما قال ليزيد: وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك[١١]، إلى غير ذلك مما قاله ليزيد بن أبي سفيان حول مبدأ الشورى والالتزام بها وقد أوصى أمراء جند الشام بما لا يخرج عن ذلك[١٢]، وامتثل قادة الصديق بما أمروا به من إجراء المشورة فيما

(١) نفس المصدر (١/ ٢٣٨).
(٢) فتوح الشام - للأزدي ص١١- ١٥ .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٠٨).
(٤) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٤٣ .
(٥) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٩).
(٦) الفتوح، ابن أعثم (١/ ٢٩).
(٧) تاريخ فتوح الشام ص٢، الفتوح - ابن أعثم (١/ ٨١).
(٨) ربيعة بن عامر القرشي العامري له ذكر في الفتوح، صحابي، يعد من أهل فلسطين.
(٩) فتوح الشام - للواقدي (١/ ٢٢).
(١٠) نفس المصدر (١/ ٢٢).
(١١) مروج الذهب (٢/ ٣٠٩).
(١٢) تاريخ فتوح الشام - للأزدي ص١٣، ١٥، ٢٠، ٢١ .

بينهم، فقد قال أبو عبيدة بن الجراح لعمرو بن العاص: يا عمرو لرب يوم لك قد شهدته فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك، وإنما أنا رجل منكم ولست وإن كنت الوالي عليكم بقاطع أمرًا دونكم فاحضرني رأيك في كل يوم بما ترى فإنه ليس بي عنك غنى[١] هذا بالإضافة إلى طلب القادة في أرض المعركة من القيادة العليا المركزية المشورة فيما أشكل عليهم من أمور الإدارة العسكرية لمرحلة وضع الخطط الحربية والتنفيذ ومعاملة الأسرى[٢].

ز- أن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق:

فقد كان أبو بكر (رضي الله عنه) يوصي قادته بذلك، فحين بعث عمرو بن العاص إلى أرض فلسطين قال له: اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فإنه يراك في عملك، وقد رأيت تقدمي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والدًا لمن معك، والصلاة ثم الصلاة أذن بها إذا دخل وقتها ولا تصل صلاة إلا بأذان يسمعه أهل العسكر، واتق الله إذا لقيت العدو وألزم أصحابك قراءة القرآن، وأنههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فإن ذلك يورث العداوة بينهم، وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الأئمة الممدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء، آية: ٧٣)[٣].

هذه أهم حقوق الله، والقادة والجند، التي تحدث عنها الصديق في وصاياه ورسائله لقادته (رضي الله عنهم).

رابعًا: السر في اكتساح المسلمين لقوات الفرس والروم:

إن المتأمل في حركة الفتح الإسلامي يرى توفيق الله (تعالى) لجيوش الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه)، فقد اندفعت تلك الجيوش المظفرة نحو العراق والشام واستطاعت أن تكسر شوكة الرومان والفرس وتفتح تلك الديار في وقت قياسي في تاريخ الحروب والسبب في سرعة هذا الفتح، عوامل تتعلق بالمسلمين الفاتحين، وأخرى ترجع إلى الأمم التي فتح المسلمون ديارهم، فمن العوامل التي تتعلق بالمسلمين:

١- إيمان المسلمين بالحق الذي يقاتلون من أجله.

٢- يقين المسلمين بربهم في قضيتي الرزق والأجل والقضاء والقدر.

٣- تأصل الصفات الحربية في المسلمين.

٤- سماحة المسلمين وعدالتهم مع الشعوب.

---

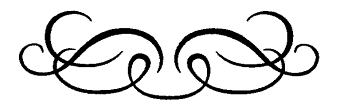
(١) نفس المصدر ص٥١، ٨٤.

(٢) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٢).

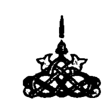
(٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٥١). هذا الكتاب لخصت واختصرت منه حقوق الله، والقادة، والجنود.

٥- رحمة المسلمين في تقدير الجزية والخراج ووفائهم بعهودهم.
٦- ثروة المسلمين الواسعة من الرجال والقواد العظام.
٧- إحكام الخطة الحربية الإسلامية[١].

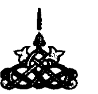
وأما الأسباب التي تتعلق بالبلاد المفتوحة فأهمها، ضعف الروم والفرس، فقد ضعفوا وانتشر بينهم الظلم وعم الفساد، ودبَّ فيهم سوء الأخلاق، وأصابت حضارتهم الشيخوخة، وقضى عليها إسراف ملوكها، وانحرفوا عن منهج الله، ومضت فيهم سننه التي لا ترحم ولا تجامل ولا تتبدل وأما المسلمون، فقد أكرمهم الله بمنهجه فساروا عليه وأخذوا بأسباب التمكين وحققوا شروطه، وتعاملوا مع سنن الله في الشعوب، وبناء الدول، وإصلاح المجتمعات ولا يفهم من كلامي أن ضعف الروم والفرس سهل السبيل أمام المسلمين بشكل كبير، فرغم ضعف الدولتين بسبب العوامل السابقة إلا أنه لم يمنعهما من الإعداد الهائل لملاقاة المسلمين فجهزتا مئات الآلاف من الجند المدربين الذين يفوقون جند المسلمين عددًا وعدة، كما أنهما أبرزتا أسلحة غير معهودة عند المسلمين كالفيلة والكلاليب المحماة التي كانوا يرسلونها من خلف الحصون يصطادون بها من تقع عليه من المسلمين، كما أن الظن بأن الروم استهانوا بالمسلمين ولم يستعدوا لهم يدفعه الكلام السابق وترده رواية ابن عساكر: أن هرقل جمع بطارقته وهو بحمص وقال لهم: هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم، قال أخوه: ابعث رباطا إلى البلقاء فبعث رباطا واستعمل عليه رجلاً من أصحابه، فلم يزل حتى تقدمت الجيوش إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)[٢].



(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٢٢٢ إلى ٢٢٧ .
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٣٨ .



المبحث الرابع



استخلاف الصديق لعمر بن الخطاب ووفاته

أولاً: استخلافه لعمر:

في شهر جمادي الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة النبوية مرض الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه)، واشتد به المرض [1] فلما ثقل واستبان له من نفسه - جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميت لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم فأمّروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم في حياة منّي كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي [2].

وقد قام أبو بكر (رضي الله عنه) بعدة إجراءات لتتم عملية اختيار الخليفة القادم:

١ - استشارة أبي بكر كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار:

وتشاور الصحابة (رضي الله عنهم) وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر ابن الخطاب فقال له: ماتسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان. فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب. فقال: أنت أخبرنا به. فقال: على ذلك يا أبا عبد الله فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله والله لو تركته ما عَدَتْك ثم دعا أسيد بن حضير فقال له: مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وكذلك استشار سعيد بن زيد وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريبًا كانوا برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته، فقد قال لأبي بكر: ما أنت قائل لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني أبالله تخوفوني؟ خاب من تزوَّدَ من أمركم بظلم أقول اللهم استخلفت عليهم خيرَ أهلك [3].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٨)، تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٨).
(٢) التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٥٨).
(٣) الكامل - لابن الأثير (٢/ ٧٩)، التاريخ الإسلامي - محمود شاكر ص١٠١ الخلفاء الراشدون.

وبين لمن نبهه إلى غلظة عمر وشدته فقال: ذلك لأنه يراني رقيقًا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما عليه[١].

٢- ثم كتب عهدًا مكتوبًا يقرأ على الناس في المدينة وفي الأنصار عن طريق أمراء الأجناد فكان نص العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاستمعوا له وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسي، وإياكم خيرًا، فإن عَدَلَ فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢] (سورة الشعراء، آية: ٢٢٧).

إن عمر هو نصح أبي بكر الأخير للأمة، فقد أبصر الدنيا مقبلة تتهادى وفي قومه فاقة قديمة يعرفها، فإذا ما طلوا لها استشرفتهم شهواتها، فنكلت بهم واستبدت، وذاك ما حذرهم رسول الله (ﷺ) إياه[٣]، قال رسول الله (ﷺ): **«فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»**[٤].

لقد أبصر أبو بكر الداء فأتى لهم (رضي الله عنه) بدواء ناجع.. جبل شاهق، إذا ما رأته الدنيا أيست وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذي قال فيه النبي (ﷺ): **«أيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجّك»**[٥]. إن الأحداث الجسام التي مرت بالأمة، قد بدأت بقتل عمر، هذه القواصم خير شاهد على فراسة أبي بكر وصدق رؤيته في العهد لعمر، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: أفرس الناس ثلاثة صاحبة موسى التي قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وأبو بكر حين استخلف عمر[٦]، فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذي حال بينها وبين أمواج الفتن[٧].

٣- أنه أخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة فقد دخل عليه عمر فعرّفه أبو بكر بما عزم فأبى أن يقبل، فتهدده أبو بكر بالسيف فما كان أمام عمر إلا أن يقبل[٨].

(١) الكامل - لابن الأثير (٢/٧٩).
(٢) تاريخ الإسلام - للذهبي، عهد الخلفاء ص١١٦، ١١٧.
(٣) أبو بكر رجل الدولة ص٩٩. (٤) البخاري - كتاب الجزية والموادعة - رقم ٣١٥٨.
(٥) البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي - رقم ٣٦٨٣.
(٦) مجمع الزوائد (١٠/٢٦٨) قال الهيثمي رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم (٣/٩٠) وصححه ووافقه الذهبي.
(٧) أبو بكر رجل الدولة ص١٠٠. (٨) مآثر الإنافة (١/٤٩).

٤- أنه أراد إبلاغ الناس بلسانه واعيًا مدركًا حتى لا يحصل أي لبس فأشرف أبو بكر على الناس وقال لهم: أترضون بما استخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذات قرابة، وإني قد أستخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا[1].

٥- أنه توجه بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وهو يقول: اللهم وليته بغير أمر نبيك، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، واجتهدت لهم رأيي، فولَّيت عليهم خيرهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك[2].

٦- أنه كلف عثمان بن عفان أن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موت أبي بكر بعد أن ختمه بختمه لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، دون أي آثار سلبية، وقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به[3].

٧- البيعة لعمر بن الخطاب قبل أن يتوفى أبو بكر الصديق، فبعد أن قُرِءَ العهد على الناس ورضوا به أقبلوا عليه وبايعوه[4]، ولم تتم بيعة بعد الوفاة بل باشر عمر بن الخطاب أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكر (رضي الله عنه)[5]، ويلحظ الباحث أنّ عمر ولي الخلافة باتفاق أصحاب الحل والعقد وإرادتهم فهم الذين فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائبًا عنهم في ذلك، فشاور ثم عين الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس فأقروه، وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم النواب (الطبيعيون) عن هذه الأمة، وإذن فلم يكن استخلاف عمر (رضي الله عنه) إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها[6].

إن الخطوات التي سار عليها أبو بكر الصديق في اختيار خليفته من بعد لا تتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه[7]. وهكذا تم عقد الخلافة لعمر (رضي الله عنه) بالشورى والاتفاق، ولم يرد التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحدًا نهض طوال عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة[8].

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٩٩)، تاريخ المدينة - لابن شبة (٢/ ٦٦٥- ٦٦٩).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٠٠).
(٤) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٢ .
(٥) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٢ .
(٦) أبو بكر الصديق - علي الطنطاوي ص٢٣٧ .
(٧) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٣ .
(٨) النظرية السياسية الإسلامية - ضياء الريس ص١٨١ .

٨- وصية الصديق لعمر بن الخطاب:

فقد اختلى الصديق بالفاروق وأوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أي شيء، حتى يمضي إلى ربه خاليًا من أي تبعة بعد أن بذل قصارى جهده واجتهاده[١]، وقد جاء في الوصية: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحق غدًا أن يكون ثقيلاً، وإنما خفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل غدًا أن يكون خفيفًا، وإن الله (تعالى) ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله (تعالى) ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولستَ تُعجزه[٢].

ثانيا: وحان وقت الرحيل:

قالت عائشة (رضي الله عنها): أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يومًا باردًا فحُمّ خمسة عشرة يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه،[٣] ولما اشتد به المرض قيل له: ألا تدعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، فقال: إني فعال لما أريد[٤]، وقالت عائشة (رضي الله عنها) قال أبو بكر: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي. فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح [٥] كان يسقي بستانًا له. فبعثنا بهما إلى عمر، فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا[٦].

وقالت عائشة (رضي الله عنها): لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليّ كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن قول الله أصدق ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (سورة ق، آية:١٩). ثم قال: يا

---

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٢ .
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٦٤، ٢٦٥).
(٣) أصحاب الرسول، محمد المصري (١/ ١٠٤).
(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٣٣ .
(٥) الناضح: هوالبعير الذي يستقى عليه.
(٦) صفة الصفوة (١/ ٢٦٥).

عائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إليَّ منك، وقد كنت نحلتك حائطًا[(١)]، وإن في نفسي منه شيئًا فرديِّه إلى الميراث. قالت: نعم فرددته. وقال (رضي الله عنه): أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر، وابرئي منهن ففعلت، فلما جاء الرسول إلى عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض، ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده.[(٢)] وقد جاء في رواية: أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وان حائطي الذي بمكان كذا فيها، فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالا[(٣)].

ويظهر من هذه المواقف ورع الصديق في المال العام، فقد ترك هذا الخليفة العظيم تجارته وتخلى عن ذرائع كسبه اشتغالاً عنها بأمور المسلمين وقيامًا بوظائف الخلافة فيضطر إلى أخذ نفقته من بيت المال بما لا يزيد عن الحاجة إلى سد الجوع وستر العورة، ثم هو يؤدي للمسلمين خدمة هيهات أن تؤدي حقها الخزائن ولما أشرف على وفاته، وعنده فضلة من مال المسلمين وهي ذلك المتاع الحقير، يأمر بردها إلى المسلمين ليلقى ربه آمنًا مطمئنًا، نزيه القلب، طاهر النفس، خفيف الحمل إلا من التقوى، فارغ اليدين إلا من الإيمان، إن في هذا لبلاغًا وإنها لموعظة لقوم يعقلون[(٤)].

كما أن ما قام به من الوصية بتعويض بيت مال المسلمين بأرضه المذكورة مقابل ما أنفق على نفسه وعياله منه، وكان ورعًا منه ورغبة في أن يكون عمله في الولاية تطوعًا وخالصًا لله (تعالى) بعيدًا عن أي حظ من حظوظ الدنيا.

وقد استمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يومًا حتى كان يوم الإثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة - (رضي الله عنها)-: إن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قالت في يوم الإثنين، قال: إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفنتموه؟

قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص، ولا عمامة فقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردع زعفران أو مشق فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين[(٥)]، فقيل له قد رزق الله وأحسن نكفنك في جديد، قال: إن الحي هو أحوج إلى الجديد ليصون به نفسه عن

---

(١) حائطًا: وفي رواية: جَدَاد وهي بمعنى قطع ثمرة النخل (صفة الصفوة، ١/ ٢٦٦).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ١٤٦، ١٤٧) رجاله ثقات.

(٣) المنتظم - لابن الجوزي (٤/ ١٢٧)، وأصحاب الرسول (١/ ١٠٥).

(٤) أشهر مشاهير الإسلام (١/ ٩٤).

(٥) أصحاب الرسول (١/ ١٠٦).

الميت، إنما يصير الميت إلى الصديد، وإلى البلى[١] وقد أوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس، وأن يدفن بجانب رسول الله (ﷺ)، وكان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٢] (سورة يوسف، آية: ١٠١).

وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول يومًا، أكثر باكيًا، وباكية من ذلك المساء الحزين وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر.. كنت إلف رسول الله وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله (ﷺ)، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله (ﷺ) حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر، آية: ٣٣).

واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنَزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ضعيفًا في بدنك قويًا في أمر الله تعالى، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه القريب والبعيد عنك في ذاك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل، وأتقاهم... شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان وظهر أمر الله، فسبقت - والله- سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد (ﷺ)، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[٣] وجاء في رواية: إن عليًا قال عندما دخل على أبي بكر بعد ما

---

(١) التاريخ الإسلامي - محمود شاكر، الخلفاء الراشدون ص١٠٤.

(٢) الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب - برواية البلاذري في أنساب الأشراف - تحقيق د. إحسان صدقي العمد ص٦٩.

(٣) التبصرة - لابن الجوزي (١/ ٤٧٧- ٤٧٩) نقلاً عن أصحاب الرسول (١/ ١٠٨).

سُجِّي أنه قال: ما أحد ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المُسَجَّى[1] هذا وقد توفي الصديق - رحمه الله - وهو ابن ثلاث وستين سنة... مجمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سن رسول الله، وغسلته زوجه أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك[2]، ودفن جانب رسول الله، وقد جعل رأسه عند كتفي رسول الله[3]، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ونزل قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن وألصق اللحد بقبر رسول الله (ﷺ)[4].

وهكذا خرج أبو بكر الصديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم في سبيل نشر دين الله في الآفاق، وستظل الحضارة الإنسانية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذي حمل لواء دعوة الرسول بعد وفاته وحمى غرسه (ﷺ) وقام برعاية بذور العدل والحرية، وسقاها أزكى دماء الشهداء، فأتت من كل الثمرات عطاء جزيلاً، حقق عبر التاريخ تقدمًا عظيمًا في العلوم والثقافة والفكر، وستظل الحضارة مدينة للصديق لأنه بجهاده الرائع، وبصبره العظيم حمى الله به دين الإسلام في ثباته في الردة ونشر الله به الإسلام في الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة التي لم يشهد لها التاريخ مثيل وأختم هذا الكتاب بقول أبي محمد عبد الله القحطاني الأندلسي:

قل إن خير الأنبياء محمد ∴	وأجلَّ من يَمشي على الكُثبان
وأجلَّ صَحْب الرُّسل صَحْب محمد ∴	وكذاك أفضل صحبه العمران[5]
رجلان قد خُلقا لنصر محمدٍ ∴	بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللّذان تظاهرا لنبيِّنا ∴	في نصره وهما له صهران
بنتاهما أسن نساء نبينا ∴	وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسْنَى صحابة أحمد ∴	يا حبَّذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللَّذان هُما هما ∴	لفضائل الأعمال مُستَبقان
وهما لأحمد ناظره وسمعه ∴	وبقربه في القبر مُضطَجعَانَ
كانا على الإسلام أشفق أهله ∴	وهما لدين محمد جَبَلان
أصفاهما أقواهُما أخشاهما ∴	أتقاهما في السِّرِّ والإعلانَ
أسناهما أزكاهما أعلاهما ∴	أوفاهما في الوزن والرُّجحان
صديق أحمد صاحب الغار الذي ∴	هو في المغارة والنبيُّ اثنان

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص١٢٠ .

(٢) الطبقات لابن سعد (٣ / ٢٠٣، ٢٠٤) وإسناده صحيح.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص١٢٠ .

(٤) أصحاب رسول الله (١/ ١٠٦). (٥) أي: أبو بكر وعمر .

أعـني أبـا بكـر الـذي لم يـخـتـلـف ∴ من شـرعنا في فـضـله رجـلان
هو شـيخ أصـحـاب النبي وخـيـرهم ∴ وإمـامـهـم حـقًـا بلا بـطلان
وأبو المطهـرة التي تنـزيهـهـا ∴ قـد جـاءنا في الـنور والفـرقـان[1]

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)
(سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك)



(١) نونية القحطاني، ٢١، ٢٢ .

الخلاصة

١- إن سيرة الخلفاء الراشدين وتاريخهم المجيد من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان، وتحمل زاد الدعوة فتشعل أنوار الحق في قلوب الناس حتى لا تنطفئ بريح الهدم التي يوجهها أعداء الأمة ضد دعوتها وتاريخها.

٢- إن المسلمين - بل الإنسانية كلها- أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله (ﷺ)، وكرم معدنهم، وأثر تربية رسول الله فيهم وما كانوا عليه من علو المنزلة التي صاروا بها الجيل المثالي الفذ في تاريخ البشر.

٣- لقد تعرّض التاريخ الإسلامي في عمومه وتاريخ صدر الإسلام على الخصوص للتزوير والتشكيك والتحريف، والبتر والزيادة، وسوء التأويل من الروافض والمستشرقين والنصارى واليهود والعلمانيين، ولذلك أصبح من الفروض الكفائية على الأمة تصحيح الحقائق، فعلى كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له ويجتهد فيه، ما استطاع حتى يكون أمام أبناء الأمة مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده، ويصلحون من سيرتهم بالسير على منهجهم.

٤- إن سيرة الصديق مليئة بالدروس والعبر، فهو أعظم شخصية في الإسلام بعد النبي (ﷺ)، فقد كان هذا الصحابي الجليل قد اتصف بمكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، منذ الجاهلية، فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم، أو شرب الخمر.

٥- كان الصديق (رضي الله عنه) عالمًا بالأنساب وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي أنه لم يكن يعيب الأنساب، ولا يذكر المثالب بخلاف غيره، فقد كان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما فيها من خير وشر، وقد اشتهر بالتجارة، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عرف به في الجاهلية.

٦- كان أبو بكر كنزًا من الكنوز ادخره الله (تعالى) لنبيه، وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخلق السمح الذي وهبه الله إياه جعله من الموطئين أكنافًا من الذين يألفون ويؤلفون.

٧- كان تحرك الصديق (رضي الله عنه) في الدعوة إلى الله يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين، والاستجابة لله ورسوله صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولايهدأ له بال، حتى يحقق في دنيا الناس ما آمن به.

٨- تعرّض الصديق للابتلاء، فقد أوذي أبو بكر الصديق وحُثي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحمل إلى بيته.

٩- من صفات الصديق التي تميز بها: الجرأة والشجاعة، فقد كان لا يهاب أحدًا في

الحق، ولا تأخذه لومة لائم في نصرة دين الله والعمل له والدفاع عن رسوله (ﷺ).

١٠- ساهم الصديق في سياسة فك رقاب المسلمين المعذبين وأصبح هذا المنهج من ضمن الخطة التي تبنتها القيادة الإسلامية لمقاومة التعذيب الذي نزل بالمستضعفين فدّعم الدعوة بالمال والرجال والأفراد فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين من المؤمنين والمؤمنات وأعتقهم لوجه الله.

١١- استخدم الصديق (رضي الله عنه) علم الأنساب كوسيلة من وسائل الدعوة، ولذلك كان مرافقًا لرسول الله أثناء دعوته للقبائل في أسواق العرب في المواسم.

١٢- رافق الصديق (رضي الله عنه) رسول الله في هجرته إلى المدينة فكان الساعد الأيمن لرسول الله منذ بزوغ الدعوة حتى وفاته (ﷺ)، فكان (رضي الله عنه) ينهل بصمت وعمق من ينابيع النبوة: حكمة وإيمانًا، ويقينًا، وعزيمة، وتقوى وإخلاصًا، فأثمرت هذه الصحبة صلاحًا وصدِّيقية، ذكرًا ويقظة حبًا وصفاء عزيمة وتصميمًا، إخلاصًا وفهمًا، فوقف مواقفه المشهودة بعد وفاة رسول الله (ﷺ) في سقيفة بني ساعدة وغيرها من المواقف كبعث جيش أسامة، وحروب الردة، فأصلح ما فسد وبني ما هُدم، وجمع ما تفرق، وقوّم ما انحرف.

١٣- شهد أبو بكر مع النبي (ﷺ) المشاهد كلها، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبي (ﷺ) رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء.

١٤- كانت حياة الصديق في المجتمع المدني مليئة بالدروس والعبر وتركت لنا نموذجًا حيًا لفهم الإسلام وتطبيقه في دنيا الناس، وقد تميزت شخصية الصديق بصفات عظيمة ومدحه رسول الله في أحاديث كثيرة وبين فضله وتقدمه على كثير من الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعين.

١٥- كان إيمان الصديق بالله عظيمًا، فقد فهم حقيقة الإيمان، وتغلغلت كلمة التوحيد في نفسه وقلبه وانعكست آثارها على جوارحه وعاش بتلك الآثار في حياته، فتحلى بالأخلاق الرفيعة وتطهر من الأخلاق الوضيعة وحرص على التمسك بشرع الله والاقتداء بهديه (ﷺ)، وكان إيمانه بالله باعثًا له على الحركة والهمة والنشاط، والسعي والجهد والمجاهدة، والجهاد والتربية، والاستعلاء والعزة، وكان في قلبه من اليقين والإيمان شيء عظيم لا يساويه فيه أحد من الصحابة.

١٦- كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له، وقد اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكي الإجماع على ذلك غير واحد، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي (ﷺ)، فقد كان أدوم اجتماعًا به ليلاً ونهارًا، وسفرًا وحضرًا، وكان يسمر عند النبي (ﷺ) بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، وقد استعمله النبي (ﷺ) على أول حجة حجت من مدينة النبي (ﷺ) وعلم المناسك أدق ما في العبادات، ولولا سعت علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفه عليها ولولا علمه لم يستخلفه ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ما روي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابة ما هو متقدم

منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصًا، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم.

١٧- لما مات رسول الله (ﷺ) اضطرب الناس، فثبَّت الله الأمة بالصديق، فوقف موقفه العظيم وقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وظهر موقفه العظيم في سقيفة بني ساعدة حيث استطاع أن يقنع الأنصار بما رآه هو الحق من غير أن يعرِّض المسلمين للفتنة فأثنى على الأنصار ببيان فضلهم من الكتاب والسنة، والثناء.

١٨- بايع سعد بن عبادة الصديق بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار في سقيفة بني ساعدة إذ أنه نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق بالخلافة في اجتماع السقيفة ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات لا بسيطة ولاخطيرة، ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هي، بل ازدادت توثقًا كما يثبت النقل الصحيح.

١٩- وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة أشارت إلى خلافة الصديق وأجمع أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي (ﷺ) أبو بكر الصديق؛ لفضله وسابقته ولتقديم النبي (ﷺ) إياه في الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم أصحاب النبي (ﷺ) مراد المصطفى (ﷺ) من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة.

٢٠- الخلافة الإسلامية هي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية وأجمعت عليه طريقة وأسلوبًا للحكم، تنظم من خلاله أمورها وترعى مصالحها، وقد ارتبطت نشأة الخلافة بحاجة الأمة لها واقتناعها بها، ومن ثم كان إسراع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله (ﷺ)، فالخلافة هي نظام حكم المسلمين وقد استمدت أصولها من دستور المسلمين، من القرآن الكريم ومن سنة النبي (ﷺ)، وقد تحدث الفقهاء عن أسس الخلافة الإسلامية فقالوا بالشورى والبيعة وهما أصلان قد أشير إليهما في القرآن الكريم.

٢١- تحدث العلامة أبو الحسن الندوي عن شروط خلافة النبي، ومتطلباتها، وقد أثبت بالأدلة والحجج من خلال سيرة الصديق بأن أبا بكر كانت شروط خلافة النبي متحققة فيه.

٢٢- بعد البيعة العامة للصديق ألقى خطبة على الأمة، تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها فقد بين فيها منهجه لقيادة الدولة، وقرَّر فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم، وركز على أن طاعة ولي الأمر مترتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد.

٢٣- أراد الصديق (رضي الله عنه) أن ينفذ السياسة التي رسمها لدولته واتخذ من الصحابة الكرام أعوانًا يساعدونه على ذلك فجعل أبا عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة (وزير المالية) فأسند إليه

شؤون بيت المال، وتولى عمر بن الخطاب القضاء (وزارة العدل) وباشر الصديق القضاء بنفسه أيضا، وتولى زيد بن ثابت الكتابة (وزير البريد والمواصلات) وأحيانًا يكتب له من يكون حاضرًا من الصحابة كعلي بن أبي طالب، أو عثمان بن عفان (رضي الله عنهما)، وأطلق المسلمون على الصديق لقب خليفة رسول الله، ورأى الصحابة ضرورة تفريغ الصديق لمنصب الخلافة وتكفلت الأمة بنفقاته الخاصة.

٢٤- عاش الصديق بين المسلمين كخليفة لرسول الله، فكان لا يترك فرصة تمر إلا علم الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكانت مواقفه تشع على من حوله من الرعية بالهدى والإيمان والأخلاق.

٢٥- يعتبر عهد الصديق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي خاصة، امتدادًا للقضاء في العهد النبوي مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

٢٦- كان أبو بكر يستعمل الولاة في البلدان المختلفة ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة، وجباية الصدقات، وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول الذين توفي الرسول وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحدًا منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه كما حدث لعمرو بن العاص، وكانت مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق بالدرجة الأولى امتدادًا لصلاحيتهم في عصر الرسول (ﷺ) خصوصًا الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول (ﷺ).

٢٧- وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي على مبايعة الصديق (رضي الله عنهما) وكذا تأخر الزبير ابن العوام وجُلّ هذه الأخبار ليس بصحيح إلا ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله، فقد كان انشغال جماعة من المهاجرين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بأمر جهاز رسول الله من تغسيل، وتكفين وقد بايع الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) أبا بكر في اليوم التالي لوفاة الرسول، وهو يوم الثلاثاء.

٢٨- عندما سئل الصديق عن ميراث رسول الله قال للسيدة فاطمة والعباس عم النبي (ﷺ) سمعت رسول الله يقول: «لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال» وفي رواية قال أبو بكر (رضي الله عنه) . . . لست تاركًا شيئًا كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ، ومن الثابت تاريخيًا أن أبا بكر دام أيام خلافته يعطي أهل البيت حقهم في فيء رسول الله في المدينة، ومن أموال فدك وخمس خيبر، إلا أنه لم ينفذ فيها أحكام الميراث، عملاً بما سمعه من رسول الله.

٢٩- بين الصديق في خطبته (رضي الله عنه) طبيعة خليفة رسول الله وأنه ليس خليفة عن الله،

بل عن رسوله (ﷺ)، وأنه بشر غير معصوم لا يطيق ما كان رسول الله (ﷺ) بنبوته ورسالته، فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع.

٣٠- من الدروس والعبر في بعث جيش أسامة (رضي الله عنه)، أن الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، والمسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي (ﷺ)، وحدوث الخلاف بين المؤمنين ورده إلى الكتاب والسنة، وجعل الدعوة مقرونة بالعمل ومكانة الشباب في خدمة الإسلام، وروعة الآداب الإسلامية في الجهاد، وتحقيق جيش أسامة لأهدافه، فقد ضعفت جبهة الردة في الشمال وأصبحت من أضعف الجبهات.

٣١- إن الردة التي قامت بها القبائل العربية بعد وفاة رسول الله لها أسباب منها، هول الصدمة بموت رسول الله، ورقة الدين والسقم في فهم نصوصه، والحنين إلى الجاهلية، ومقارفة موبقاتها، والتفلت من النظام والخروج على السلطة الشرعية، والعصبية القبلية، والطمع في الملك، والتكسب بالدين والشح بالمال، والتحاسد، والمؤثرات الأجنبية، كدور اليهود والنصارى والمجوس.

٣٢- وأما أصناف الردة، فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلاً، وعاد إلى الوثنية، وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من عاد إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة، ولكنه امتنع عن أداء الزكاة، ومنهم من شمت بموت الرسول وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد وانتظر على من تكون الدبرة وكل ذلك وضحه علماء الفقه والسير.

٣٣- كان موقف الصديق (رضي الله عنه) من المرتدين لا هوادة فيه ولا مساومة فيه ولا تنازل، يرجع إليه الفضل الأكبر- بعد الله تعالى- في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة، موقف الأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدى أبو بكر حقّها واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها.

٣٤- إن من الحقائق الأساسية حول هذه الفتنة أنها لم تكن شاملة لكل الناس كشمولها الجغرافي، بل إن هناك قادة وقبائل وأفراد وجماعات وأفراد تمسكوا بدينهم في كل منطقة.

٣٥- في حروب الردة باليمن ظهرت صورتان مختلفتان للنساء صورة المرأة الطاهرة العفيفة التي تقف مع الإسلام وتحارب الرذيلة وتقف مع المسلمين لكبح جماح شياطين الإنس والجن، مثل (آزاد) الفارسية زوج شهر بن باذان، وابنة عم فيروز الفارسي، وصورة أخرى كالحة مظلمة وهي ما قامت به بعض بنات اليمن من يهود ومن لف لفهم في حضرموت، فقد طرن فرحًا بموت رسول الله، فأقمن الليالي الحمراء مع المجان والفساق، يشجعن على الرذيلة ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطان فيها معهنّ وأتباعه طربا لنكوص الناس عن الإسلام والدعوة إلى التمرد عليه وحرب أهله.

٣٦- كان بعض أهل اليمن لهم مواقف عظيمة في الثبات على الحق والدعوة إلى الإسلام وتحذير قومهم من خطورة الردة، ومن هؤلاء كان مران بن ذي عمير الهمداني أحد ملوك اليمن وعبد الله بن مالك الأرحبي وكان من أصحاب النبي (ﷺ) وشرحبيل بن السِّمط وابنه في بني معاوية من كندة.

٣٧- بعد حروب الردة تجمعت اليمن تحت قيادة مركزية عاصمتها المدينة المنورة، وقسم اليمن إلى أقسام إدارية لا وحدات قبلية، فقد قسم إلى ثلاثة أقسام إدارية صنعاء والجند وحضرموت، ولم تعد العصبية القبلية أساسًا في الزعامة أو في التولية ولم تعد القبلية سوى وحدة عسكرية لا سياسية، وأصبحت المقاييس المعتبرة هي المقاييس الإيمانية، التقوى والإخلاص والعمل الصالح.

٣٨- كان لهزيمة طليحة الأسدي في معركة بزاخة أثر كبير في رجوع كثير من القبائل إلى حظيرة الإسلام، فقد أقبلت بنو عامر بعد هزيمة بزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه فبايعهم خالد على ما بايع عليه أهل بزاخة من أسد وغطفان وطيئ.

٣٩- إن مقتل مالك بن نويرة بسبب كبره وتردده، فقد بقى للجاهلية في نفسه نصيب ولذلك ماطل في التبعية للقائم بأمر الإسلام بعد رسول الله، وفي تأدية حق بيت مال المسلمين عليه، المتمثل بالزكاة.

٤٠- قام الصديق بالتحقيق في مقتل ابن نويرة وانتهى إلى براءة ساحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة، فقد كان الصديق في هذا الشأن أكثر اطلاعًا على حقائق الأمور، وأبعد نظرًا في تصريفها من بقية الصحابة، لأنه الخليفة وإليه تصل الأخبار.

٤١- إن من كمال الصديق توليته لخالد واستعانته به، لأنه كان شديدًا ليعتدل به أمره، ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسد، ومجرد الشدة تفسد، فكان يقوم باستشارة عمر وباستنابة خالد وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله.

٤٢- كان للمثنى بن حارثة دور كبير في إخماد فتنة البحرين والوقوف بقواته بجانب العلاء الحضرمي، وقد سار بجنوده من البحرين شمالاً ووضع يده على القطيف وهجر حتى بلغ مصب دجلة وقضى في سيره على قوات الفرس وعمالهم وقد كانت أخباره تصل إلى الصديق، وسأل عنه أصحابه فقال له قيس بن عاصم المنقري: هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيباني.

٤٤- تعتبر هزيمة بني حنيفة في اليمامة أمام جيوش خالد قاصمة الظهر لحركة الردة، وكان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر (رضي الله عنه) بمشورة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بجمع القرآن من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال، وأسند الصديق هذا العمل العظيم والمشروع الحضاري الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه)

٤٥- تحققت شروط التمكين ولوازمه كلها في عهد الصديق والخلفاء الراشدين من بعده وكان للصديق الفضل بعد الله في تذكير الأمة بهذه الشروط ولذلك رفض طلب الأعراب في وضع الزكاة عنهم، وأصرّ على بعث جيش أسامة، والتزم بالشرع كاملاً ولم يتنازل عن صغيرة ولا كبيرة.

٤٦- كان إعداد الصديق في حروب الردة شاملاً معنويًا وماديًا، فجيش الجيوش، وعقد الألوية، واختار القادة لحروب الردة، وراسل المرتدين، وحرّض الصحابة على قتالهم وجمع السلاح والخيل والإبل وجهز الغزاة، وحارب البدع، والجهل، والهوى، وحكّم الشريعة وأخذ بأصول الوحدة والاتحاد والاجتماع، وأخذ بمبدأ التفرغ وساهم في إحياء مبدأ التخصص، فخالد لقيادة الجيوش، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، وأبو برزة الأسلمي للمراسلات الحربية واهتم بالجانب الأمني والإعلامي، وغير ذلك من الأسباب.

٤٧- تظهر آثار تحكيم شرع الله في عصر الصديق في تمكين الله للصحابة، فقد حرصوا على إقامة شعائر الله على أنفسهم وأهليهم وأخلصوا لله في تحاكمهم إلى شرعه، فالله سبحانه و(تعالى) قواهم وشد أزرهم ونصرهم على المرتدين، ورزقهم الأمن والاستقرار.

٤٨- كان الجهاد الذي خاضه الصحابة في حروب الردة إعدادًا ربانيًا للفتوحات الإسلامية حيث تميزت الرايات وظهرت القدرات، وتفجرت الطاقات، واكتشفت قيادات ميدانية وتفنن القادة في الأساليب والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة المطيعة المنضبطة الواعية التي تقاتل وهي تعلم على ماذا تقاتل، وتقدم كل شيء وهي تعلم من أجل ماذا تضحي وتبذل، ولذا كان الأداء فائقًا والتفاني عظيمًا.

٤٩- توحدت شبه الجزيرة العربية -بفضل الله- ثم جهاد الصحابة مع الصديق - تحت راية الإسلام لأول مرة في تاريخها بزوال الرؤوس أو انتظامها ضمن المد الإسلامي، وبسطت عاصمة الإسلام - المدينة- هيمنتها على ربوع الجزيرة وأصبحت الأمة تسير وراء زعيم واحد بمبدأ واحد، بفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصارًا للدعوة الإسلامية ولوحدة الأمة بتضامنها وتغلبها على عوامل التفكك والعصبية كما كانت برهانًا على أن الدولة الإسلامية بقيادة الصديق قادرة على التغلب على أعنف الأزمات.

٥٠- أثبتت أحداث التاريخ أن أية محاولة للتمرد على دين الإسلام سواء أقام بها فرد أم جماعة، أم دولة إنما هي محاولة يائسة مآلها الإخفاق الذريع والخيبة الشنيعة، لأن التمرد، إنما هو تمرد على أمر الله المتمثل بكتابه الذي تكفل بحفظه، وحفظ جماعة تلتف حوله، وتقيمه في نفوسها وواقعها مدى الدهر، وبحكمه القاضي بالعاقبة للمتقين، وبالمن على المستضعفين أن يديل لهم من الظالمين.

٥١- ما إن انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية التي كانت ميدانًا لها حتى شرع الصديق في تنفيذ خطة الفتوحات التي وضع معالمها رسول الله (ﷺ)، فجيش الجيوش لفتح العراق والشام.

٥٢- إن الأوامر التي وجهها الصديق إلى قادة فتوح العراق (خالد وعياض) تشير إلى الحس الاستراتيجي المتقدم الذي كان يملكه الصديق (رضي الله عنه)، فقد أعطى جملة تعليمات عسكرية استراتيجية منها وتكتيكية، فحدد لكل من القائدين المسلمين جغرافيًا، منطقة للدخول إلى العراق، كأنما هو يمارس القيادة من غرفة العلميات بالحجاز، وقد بسطت أمامه خارطة العراق بكل تضاريسها ومسالكها.

٥٣- خاض خالد في العراق عدة معارك كانت السبب في فتح العراق، كمعركة ذات السلاسل، ومعركة المذار، الولجة، أليس، فتح الحيرة، الأنبار، عين التمر، دومة الجندل، وقعة الحصيد، وقعة المصيخ، وقعة الفراض.

٥٤- عزم الصديق على فتح الشام فاستشار كبار الصحابة ثم استنفر أهل اليمن للجهاد وعقد الألوية للقادة وأرسل أربعة جيوش لبلاد الشام وكان قادة الجيوش كل من ، يزيد بن أبي سفيان ، أبي عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص، شرحبيل بن حسنة.

٥٥- كانت الجيوش المكلفة بفتح الشام تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها فراسلوا الصديق وأعلموه بوضعهم الحرج، فأمر الصديق الجيوش بالانسحاب إلى اليرموك والتجمع هناك، وأمر خالد بالسير بنصف جيش العراق نحو جبهات الشام وأمره بقيادة الجيوش هناك.

٥٦- استطاع خالد بن الوليد أن يحقق انتصارات عظيمة على جيوش الشام من أهمها معركة أجنادين واليرموك.

٥٧- يمكن للباحث أن يستنبط أهم معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق وهي، بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى، مواصلة الجهاد الذي أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلم)، العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها، رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة، وإزالة الحواجز البشرية بينهم وبين الإسلام.

٥٨- إن المطالع للفتوحات في عهد الصديق (رضي الله عنه) يمكن له أن يستنتج خطوط رئيسية للخطة الحربية التي سار عليها، وكيف تعامل هذا الخليفة العظيم مع سنّة الأخذ بالأسباب؟ وكيف كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين ومن هذه الخطوط ما يلي: عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، التعبئة وحشد القوات، تنظيم عملية الإمداد للجيوش، تحديد الهدف من الحرب، إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات، عزل ميدان المعركة، التطور في أساليب القتال، سلامة خطوط الاتصال مع القادة، ذكاء الخليفة وفطنته.

٥٩- بين الصديق في توجيهاته للقادة والجنود حقوق الله تعالى، كمصابرة العدو، وإخلاص قتالهم لله، وأداء الأمانة، وعدم المماثلة والمحاباة في نصر دين الله، ووضع حقوق القادة على الجنود والرعية، كالتزام طاعته، والمسارعة إلى امتثال أمره، وعدم مسارعته في شيء من قسمة الغنائم وغير ذلك من الحقوق وفصل الصديق (رضي الله عنه) من خلال وصاياه

ورسائله في حقوق الجند، كاستعراضهم، وتفقد أحوالهم، والرفق بهم في السير، وأن يقيم عليهم العرفاء والنقباء، واختيار مواضع نزولهم لمحاربة العدو، وإعداد ما يحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة، والتعرف على أخبار العدو بالجواسيس الثقات لسلامة الجند، وتحريضهم على الجهاد، وتذكيرهم بثواب الله وفضل الشهادة، ومشاورة ذوي الرأي منهم، وأن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق، وأن ينهاهم عن الاشتغال عن الجهاد بزراعة أو تجارة، وكل هذه الحقوق قد استخرجت من رسائله ووصاياه للقادة.

٦٠- إن المتأمل في حركة الفتح الإسلامي يرى توفيق الله (تعالى) لجيوش الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه)، فقد استطاعت تلك الجيوش المظفرة أن تكسر شوكة الرومان والفرس وفتح تلك الديار في وقت قياسي في تاريخ الحروب ومن أهم أسباب تلك الفتوح؛ إيمان المسلمين بالحق الذي يقاتلون من أجله، تأصل الصفات الحربية في المسلمين، سماحة المسلمين وعدالتهم مع تلك الشعوب، رحمة المسلمين في تقدير الجزية والخراج ووفائهم بعهودهم، ثروة المسلمين الواسعة من الرجال والقادة العظام، إحكام الخطة الإسلامية الحربية وغير ذلك من الأسباب.

٦١- عندما نزل المرض بالصديق وأشرف على الموت قام بعدة إجراءات عملية لتتم عملية اختيار الخليفة القادم وهي: استشار كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبعد أن تم ترشيح الصديق لعمر ووافق معظم الصحابة على ذلك كتب عهدًا مكتوبًا يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار، وأخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة وعرّفه ما عزم عليه وألزمه بذلك، وأبلغ الناس بلسانه وأعيا مدركًا حتى لا يحصل أي لبس، وتوجه بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وكلف عثمان بن عفان أن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موته، وقام بتوجيه الفاروق عندما اختلى به.

٦٢- إن الخطوات التي سار عليها أبو بكر الصديق في اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه، وهكذا تم عقد الخلافة لعمر (رضي الله عنه) بالشورى والاتفاق ولم يرد التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحدًا نهض طوال عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة.

٦٣- خرج أبو بكر الصديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم في سبيل نشر دين الله في الآفاق وستظل الحضارة الإنسانية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذي حمل لواء دعوة الرسول (ﷺ) بعد وفاته وحمى غرسه عليه الصلاة والسلام، وقام برعاية بذور العدل والحرية وسقاها أزكى دماء الشهداء، فآتت من كل الثمرات عطاءً جزيلاً حقق عبر التاريخ تقدمًا عظيمًا في العلوم والثقافة والفكر، وستظل الحضارة مدينة للصديق، لأنه بجهاده الرائع، وببصره العظيم حمى الله به دين الإسلام في ثباته في الردة ونشر الله به الإسلام في الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة.

٦٤- إن هذا المجهود المتواضع قابل للنقد والتوجيه وما هي إلا محاولة متواضعة هدفها

معرفة حقيقة عصر الخلافة الراشدة لكي نستفيد منها في حركتنا المستمرة لتحكيم شرع الله ونشر دعوته في دنيا الناس وبيني وبين الناقد قول الشاعر:

إن تجد عيبًا فسد الخللا ∴ جلّ من لا عيب فيه وعلا

وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل هذا الجهد قبولاً حسنًا وأن يبارك فيه وأن يجعله من أعمالي الصالحة التي أتقرب بها إليه وأن لا يحرمني ولا إخواني الذين أعانوني على إكماله من الأجر والمثوبة ورفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر، الآية: ١٠) وبقول الشاعر ابن الوردي لابنه:

اطلب العلم ولا تكسل فما ∴ أبعد الخير على أهل الكسل

احتفل للفقه في الدين ولا ∴ تشتغل عنه بمال وَخَولْ

واهجر النوم وحصّله فمن ∴ يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه ∴ كل من سار على الدرب وصلْ

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك).

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).



المصادر والمراجع

١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ. د. إبراهيم علي شعوط المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢- أبو بكر الصديق، أول الخلفاء الراشدين، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣- أبو بكر الصديق، أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤- أبو بكر الصديق، د. نزار الحديثي، د. خالد جاسم الجنابي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٥- أبو بكر الصديق، علي طنطاوي، دار المنارة، جدة السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦- أبو بكر الصديق، محمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٧- أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٨- الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، استخلاف أبو بكر الصديق، د. جمال عبد الهادي محمد مسعود، دكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٠- الأساس في السنة، سعيد حوى، دار السلام بمصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٢- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٣- أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي

الشنقيطي، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ.

١٥- أضواء على الهجرة، لتوفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١٦- الأنصار في العصر الراشدي (سياسيا وعسكريا وفكريا) للدكتور حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع من صورة مصورة.

١٧- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، ط، الجامعة الإسلامية، ١٩٧٥م.

١٨- الإحسان في صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٩- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها، الدكتور سليمان بن صالح ابن سليمان آل كمال، جامعة أم القرى معهد البحوث وإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢١- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار طيبة السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٢٢- الإيمان وأثره في الحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٢٣- الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى محمود منجود، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٤- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٥- أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية، نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار العربية، ١٩٦٨م.

٢٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر بن عبد البر، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٧- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر، حديث أكاديمي نشاط آباد فيصل آباد، باكستان.

٢٨- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٩- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الريان، القاهرة، الطبعة

الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٠- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣١- تاريخ الأنصار السياسي، د.عبد المنعم الدسوقي، دار الخلفاء، مصر.

٣٢- تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٣- التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٤- التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٥- تاريخ الخلافة الراشدة، محمد بن أحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٦- تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي، عُني بتحقيقه، إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٧- تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، د. يسري محمد هاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث.

٣٨- تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين، د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٩- التاريخ السياسي والعسكري د. علي معطي، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٠- تاريخ القضاء في الإسلام، د.محمد الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤١- تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٤٢- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٣- تاريخ صدر الإسلام وفجره، د.شحادة علي الناطور، ١٩٩٥م.

٤٤- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي، مؤسسة القاهرة، ١٩٧٠م.

٤٥- التبيين في أنساب القرشيين، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، عالم الكتب، بيروت.

٤٦- التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٧- تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الاتحاد العربي للطباعة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٤٨- تراث الخلفاء الراشدين في الفقه الإسلامي، د. صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٤٩- التربية القيادية، للغضبان، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥٠- ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر الصديق، د. محمد بن صامل السلمي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥١- تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

٥٢- تفسير الآلوسي، المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي (محمود الآلوسي البغدادي)، إدارة الطباعة المصطفائية بالهند، بدون ذكر سنة الطبع.

٥٣- تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٥٤- تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٥٥- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

٥٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥٧- التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد بن بليه بن مرهان العجمي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى.

٥٨- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥٩- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٦٠- الثابتون على الإسلام، أيام فتنة الردة، في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، د. مهد رزق الله أحمد، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦١- جامع الأصول في أحاديث الرسول، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبع مكتبة الحلواني، سوريا، عام ١٣٩٢هـ.

٦٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، مكتبة المعارف بالرياض، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦٣- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، دار البيارق، عمان.

٦٤- الحجاز والدولة الإسلامية، د. ابراهيم بيضون، دار النهضة العربية، طبعة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٦٥- الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمّان، طبعة عام ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٦٦- حركة الردة، د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

٦٧- الحركة السنوسية في ليبيا، علي محمد الصلاّبي، دار البيارق، عمان، طبعة أولى، ١٩٩٩م.

٦٨- حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ١٩٨٢م.

٦٩- حروب الإسلام في الشام، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٧٠- حروب الردة من قيادة النبي إلى أمرة أبي بكر، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق.

٧١- حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد بن سالم، دار المنار، ١٤١٥هـ- ١٩٤م.

٧٢- حروب الردة، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧٣- الحكم بغير ما أنزل الله، أحواله وأحكامه، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥- حياة أبي بكر، محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٩م.

٧٦- خاتم النبيين لأبي زهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، دار الفكر، بيروت.

٧٧- خالد بن الوليد صادق إبراهيم عرجُون، الدار السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٨- الخراج لأبي يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ طبع.

٧٩- خطب أبي بكر الصديق، د. محمد أحمد عاشور، جمال عبد المنعم الكومي، دار الاعتصام.

٨٠- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري د. يحيى إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٨١- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم بهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٨٢- الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدّار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٨٣- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٤- خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت القاهرة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٨٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر، محمد أمين دمج، بيروت- لبنان.

٨٦- دراسات في الحضارة الإسلامية، أحمد إبراهيم الشريف دار الفكر العربي.

٨٧- دراسات في السيرة النبوية، عماد الدين خليل، الطبعة الحادية عشر، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، بيروت.

٨٨- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د.عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٨٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

٩٠- دواعي الفتوحات الإسلامية ودواعي المستشرقين، د.جميل عبد الله المصري، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩١- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، د. أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٩٢- الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٩٣- الدولة العربية الإسلامية الأولى، عصام محمد سابور، دار النهضة العربية بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.

٩٤- الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرابي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية الليبية، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ- ١٩٨٧م.

٩٥- ديوان الردة، د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٩٦- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات.

٩٧- الرياض النظرة في مناقب العشرة، أبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المتوفى ٦٩٤هـ، المكتبة القيمة القاهرة.

٩٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

٩٩- سنن أبي داود، سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، ١٣٩١هـ سوريا.

١٠٠- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

١٠١- السياسة الشرعية بين الراعي والرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠٢- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٠٣- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة.

١٠٤- السيرة النبوية عرض لوقائعها وتحليل لأحداثها، د.علي محمد الصلاّبي، لم تطبع بعد.

١٠٥- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

١٠٦- السيرة النبوية لأبي شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٠٧- السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٠٨- السيرة النبوية، دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٠٩- السيرة النبوية، لابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، دار الفكر بيروت.

١١٠- سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١١١- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، دار البشير، الطبعة الأولى،

١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١١٢- الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب برواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق د. إحسان صدقي العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١١٣- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١١٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان.

١١٥- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم صالح العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٨م.

١١٦- الصحيح المسند من فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفّان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١١٧- صحيح سنن ابن ماجة، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

١١٨- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

١١٩- صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م.

١٢٠- صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

١٢١- الصديق أول الخلفاء، عبد الرحمن الشرقاوي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٢٢- الصديق، أبو بكر، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، ط، ١٩٧١م.

١٢٣- صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

١٢٤- صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي، علي محمد الصلاّبي، دار البيارق، عمان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٢٥- صور من جهاد الصحابة عمليات جهادية خاصة تنفذها مجموعات خاصة من الصحابة، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٢٦- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر بيروت.

١٢٧- عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.

١٢٨- عتيق العتقاء الإمام أبو بكر الصديق، محمود علي البغدادي، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٢٩- العشرة المبشرون بالجنة، د. سيد الجميلي، دار الريان للتراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٠- عصر الخلافة الراشدة، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٣١- عصر الخلفاء الراشدين، دكتورة فتحية عبد الفتاح النبراوي، الدار السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٣٢- عصر الصحابة، عبد المنعم الهاشمي، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٣٣- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د.ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٣٤- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د.سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٣٥- العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري، دار الحرية، بغداد.

١٣٦- العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيِّض، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

١٣٧- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣٨- فتح الباري: المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

١٣٩- فتوح البلدان، لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤٠- فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، دار ابن خلدون.

١٤١- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٤٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري مكتبة الخانجي، مصر.

١٤٣- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٤٤- فقه التمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلاّبي، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٤٥- فقه الشورى والاستشارة، د. توفيق الشاوي، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٤٦- الفن العسكري الإسلامي، د.ياسين سويد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٤٧- في التاريخ الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٤٨- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٤٩- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، بيروت- لبنان.

١٥٠- قصة بعث جيش أسامة، د. فضل إلهي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٥١- القيادة العسكرية في عهد الرسول (ﷺ)، د.عبد الله محمد الرشيد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٥٢- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م.

١٥٣- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب، دار الوطن، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٥٤- لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.

١٥٥- مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.

١٥٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٧- مجموعة الفتاوي، تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّابي، دار الوفاء، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥٨- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٥٩- محمد رسول الله، محمد صادق عرجون، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-

١٩٩٥م.

١٦٠- محنة المسلمين في العهد المكي، د. سليمان السويكت، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٦١- المرتضى، سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٦٢- مرض النبي ووفاته وأثره على الأمة، خالد أبو صالح، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٦٣- مروج الذهب ومعادن الجواهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.

١٦٤- مرويات أبي مخنق في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة د. يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٦٥- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٦٦- المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦٧- المسلمون والروم في عصر النبوة، د. عبد الرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، طبعة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦٨- معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، عبد الجبار محمود السامرائي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٦٩- معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م.

١٧٠- معجم البلدان ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

١٧١- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ٢٦٠هـ- ٣٦٠هـ دار مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

١٧٢- المغازي، للواقدي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق مارسدن جوسن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٧٣- مقدمة ابن خلدون.

١٧٤- مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة، د. أحمد أبو الشباب المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٧٥- ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الثانية،

١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٧٦- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٧٧- من معين السيرة صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٧٨- منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

١٧٩- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٨٠- مواقف الصديق مع النبي في مكة، د. عاطف لماضة دار الصحابة، التراث بطنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٨١- مواقف الصديق، مع النبي في المدينة، د.عاطف لماضة، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٨٢- موسوعة التاريخ الإسلامي، د.أحمد شاكر، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، الطبعة الثانية عشر، ١٩٨٧ .

١٨٣- موسوعة فقه أبي بكر الصديق، د.محمد روّاس قلعجي، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٨٤- موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف صالح عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، دار الوسيلة، جدة.

١٨٥- نسب قريش: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، دار المعارف، القاهرة.

١٨٦- نظام الحكم في الإسلام، عارف أبو عيد، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٨٧- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٨٨- نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد العمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٨٩- نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسن الفاسي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

١٩٠- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، محمد الطاهر بن عاشور.

١٩١- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.

١٩٢- نونية القحطاني، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، دار السوادي، السعودية، الطبعة الثالثة. ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

١٩٣- الهجرة النبوية المباركة، د. عبد الرحمن البر، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩٤- الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الراشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٩٥- الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحيى اليحيى، أخذت من المؤلف صورة قبل الطبع.

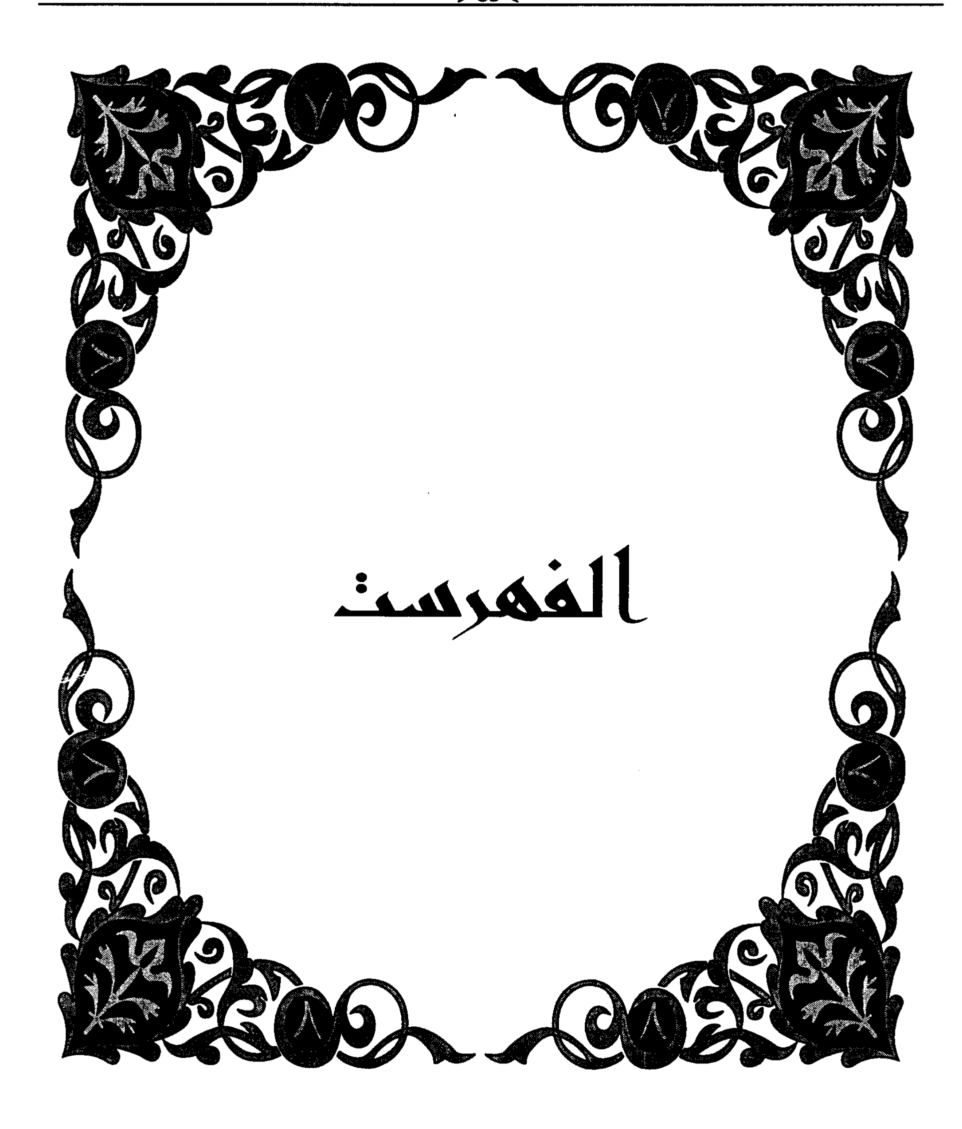
١٩٦- وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١٩٧- ولاية الشرطة في الإسلام، العميد الدكتور نمر بن محمد الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٩٨- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٩٩- اليمن في صدر الإسلام، د. عبد الرحمن شجاع، دار الفكر، دمشق.





الفهرس



المبحث الرابع

المبحث الخامس

